

٩٥١١

الذكر

دراسة جغرافية اثنوغرافية

الدكتور شاكر خضباك

ساعت جامعة بغداد في نشره

مطبعة تدفق - بغداد ١٩٧٢

الدكتور شاكر خضباك

الذكر

دراسة جغرافية اثنوغرافية

ساعت جامعة بغداد في نشره

مطبعة شفيق ١٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هناك امثلة عربية قديمة تمثل المتاعب التي كان يلقاها المزارعون العرب في الايام السالفة على ايدي جيرانهم الاكراد الرعاة كلما حل بهم الجفاف فساقهم نحو السهول الغنية . وبالرغم من ان العرب لم يعودوا يتداولون تلك الامثلة في الوقت الحاضر لانتها حالة القتال بين الرعاة والزراع ، الا ان شخصية الكردي ومميزاته الحضارية ما تزال غامضة المعالم في اذهان الكثيرين منا نحن العرب ، حتى الذين اصابوا قسما طيبا من الثقافة . وهذا وضع مؤسف في بلد يبلغ فيه الاكراد خمس السكان على الاقل ، ولا بد من نشر دراسات ضافية عن التاريخ والتراث الكردي .

ولقد اهل الدارسون عموما موضوع الاكراد فلم تصدر عنهم سوى دراسات علمية قليلة جدا . وزعم بعض الدارسين ان العنصر الكردي جزء من العنصر التركي ، واكد آخرون انه جزء من العنصر الايراني ، بل وذهب البعض الى القول انه جزء من العنصر العربي ، هذا بالرغم من ان لغتهم الهندية - الاوربية ذات مميزات اصيلة .

وقد وصفت لغتهم ايضا بانها فرع من اللغة الفارسية ، كما وصفها آخرون بانها لغة تركية مشوهة ، مع انها لغة كردية مستقلة المعالم .

اما اخلاقهم وعاداتهم فقد تعرضت لتشويه بالغ على يد كتاب متحيزين ورحالة يلعب الخيال باقلامهم . ودأب طائفة من اولئك الرحالة على اختلاق قصص وحكايات تلمعهم بالقسوة والوحشية . وقد أصبح اسم الاكراد بفضل امثال اولئك الرحالة والكتاب مرادفا للعنف والقسوة والوحشية . ولا يمكن ان ننكر بالطبع ان الاكراد ، شأنهم شأن بقية شعوب الارض ، قد مارسوا العادات البدائية في مجتمعاتهم المتخلفة ، لكن ذلك لا يعنى بان الخلق الكردي متميزا بالقسوة والعنف كما حاول اثباته الكتاب المتحيزون . والواقع ان بواعث تحامل اولئك الكتاب على الاكراد لا يعزى الى جهلهم فحسب ، بل الى دوافع اخرى سياسية ودينية . ولقد كان العالم الغربي يجهل الاكراد جهلا تاما حتى القرن التاسع عشر . ثم أصبح اسمهم مقترنا في اذهان الغربيين بالوحشية والقسوة منذ قاد الامير بدرخان حملاته ضد

المسيحيين في الثلاثينات من ذلك القرن . واشتدت الدعاية الغربية ضدّهم فيها بعد بسبب اصطدامهم المتكرر بالارمن والاشوريين ، وصورتهم الدعاية المغرضة بأنهم مسلمون متعصبون يتلذذون بتعذيب المسيحيين . وقد حاول قلة من الكتاب ان يستجلبوا الحقائق وراء تلك الاصطدامات فتكشف لهم ان مبعثها لا يرجع الى تعصب الاكراد الديني وتعطشهم للدماء بل الى الصراع السياسي بين الحكومة العثمانية وحكومات الدول الغربية ، فكانت الحكومة العثمانية تسخر الاكراد دوما لتحقيق اغراضها .

في ضوء هذه الظروف استبدت بي الرغبة للقيام ببحث عن الاكراد اساهم فيه بتسليط الاضواء على مختلف جوانب تراثهم وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، واخترت لواء السليمانية قاعدة لبحثي . ولواء السليمانية هذا واحد من اربعة عشر تقسما اداريا ينقسم اليها العراق (X) ، وتبلغ مساحته ٩٥٥٢ كم^٢ ، كما يبلغ عدد سكانه ٢٢٦٦٠٠ نسمة (X X)

ويقع اللواء في الجهة الشمالية الشرقية من البلاد ، وتحاذيه من الشمال والشرق الاراضي الايرانية (ويسكنها الاكراد الايرانيون) ، كما تجاوره من الجهة الغربية والجنوبية اراضي لواء اربيل وكر كوك على التوالي (ويسكنها الاكراد ايضا) . ولقد استندت في اختيار هذا اللواء الى مبررات عديدة ، اهمها المبررات العنصرية . فلواء السليمانية هو الوحيد من بين اللويزة الكردية الاخرى الذي يقتصر سكانه على الاكراد (X X X)

ومما لا ريب فيه ان الوحدة اللغوية لسكان لواء السليمانية تهيء مجالا صالحا لدراسة الاكراد في مواطنهم الاصلية . كذلك يهيئ البناء الطبيعي للواء واحواله الاقتصادية والاجتماعية غير المتطورة فرصة ممتازة للدراسة الجغرافية . فاللواء يقع كليا ضمن المنطقة الجبلية ، ويتراوح ارتفاع ارضه بين ٢٥٠٠ قدم الى ٧٠٠٠ قدما ، وتحتل ارضه حافات طويلة متوازية تقطعها اودية عميقة . وقد خلق هذا البناء الطبيعي المعقد بمناخه المتنوع انماطا متعددة من النشاطات الاقتصادية والتنظيمات الاجتماعية يتمثل فيها التفاعل بين الانسان والبيئة الطبيعية . وهناك عامل اخر

(X) لقد استبدلت الالوية بالمحافظات منذ عام ١٩٧٠ ، كما بلغ عدد المحافظات ست عشرة محافظة .

(X X) بلغ مجموع سكان محافظة السليمانية حسب تقدير عام ١٩٧٢ حوالي ٥٠٣٧٠٨ نسمة كما بلغت مساحتها ١١٩٩٣ كم^٢ .

(X X X) كذلك حال محافظة دهوك الجديدة .

شجع على اختيار اللواء هو موقعه المتطرف في أقصى الشمال الشرقي من البلاد . فلقد اتاح هذا البعد عن مركز الحكم وعن التأثير العربي الفرصة للواء للاحتفاظ بانماطه الكردية الاصلية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وهناك مزية اخرى لموقع اللواء بالنسبة للمناطق الكردية عموما وهو توسطه بين تلك المناطق . فقد ذكرت احدي المراجع الكردية ان الحدود الشمالية للاراضي التي يسكنها الاكراد تتمثل بخط يبدأ في جبال كرد داغ (في سوريا) متجها نحو الشمال ومختربا منطقة كميليس ومرعش والبستان وديفريك حتى نهر كلكت ، وان الحدود الشرقية تتمثل بخط يمتد من قارص في اتجاه جنوبي شرقي ومختربا الشواطئ الغربية لبحيرة اورمية ، ثم سنه وكرمنشاه حتى لرستان ومنطقة بختياري . اما الحدود الجنوبية الغربية فتتمثل بخط يبدأ جنوبي لرستان ويمتد باتجاه شمدالي غربي مختربا مندلي وبيمر غربي خانقين حتى تلال حميرن وحتى السلسلة الاولى لجبال شيخان ، ثم ينعطف نحو الشمال الغربي على امتداد سفوح التلال حتى فيشخابور على نهر دجلة ، ثم ينعطف غربا نحو جبل سنجار حتى ينتهي عند نهر الفرات قرب جرابلس (١) . ومن الواضح ان هذا التحديد يجعل لواء السليمانية في قلب المنطقة .

ولقد بدا ان دراسة اكراد لواء السليمانية يمكن ان تتم على افضل الوجوه باتباع منهج الجغرافية الاجتماعية . وهذا الميدان الفسيح لابد وان يعتمد بالضرورة على أبحاث خارج ميدان الجغرافيا تعلم الانثروبولوجيا والاجتماع والاقتصاد والتاريخ مما يسبغ على الموضوع فوائد اكثر شمولاً . ويقتضى تطبيق هذا المنهج توزيع الاهتمام بين العامل البشري والعامل الطبيعي فكلاهما ذو اهمية حاسمة . فالعامل الجغرافي بعناصره الطبيعية المختلفة يكشف لنا عن تأثير البيئة الطبيعية على الانسان ، بينما يذكرنا العامل البشري بمقدار الحرية المكفولة للانسان في استجابته لمتطلبات البيئة الطبيعية وفي تعديلاته لآثارها . وقد التزم البحث بمنهج المدرسة المعتدلة التي لا تبالي في تأثير العامل الطبيعي (عامل البيئة) ولا تنتقص من اهمية دور الانسان ، وطبق هذا المنهج في موازنة العوامل الطبيعية والعوامل البشرية التي اثرت في خلق وتوزيع الانماط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للمجتمعات الكردية .

1. Bulletin du centre d'etudes Kurds, pp.2-4, 1948.

ولقد اقتضى اعداد هذا البحث اتباع وسيلتين ، الاولى عملية تستند الى دراسة ميدانية ، والثانية نظرية تتمثل في استشارة المراجع اللازمة . وقد امضى الكاتب بضعة شهور يتجول في لواء السليمانية والالوية الكردية الاخرى ويستطلع آراء سكان المنطقة في مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ويسجل في الوقت ذاته ملاحظاته الشخصية . اما الجانب النظرى فقد احاطت به صعوبات كثيرة ، فالمراجع العلمية عن الاكراد قليلة للغاية ، وكتب الرحلات التى تتحدث عن كردستان والاكرد حافلة بالمناقضات والحكايات الخيالية . وقد افاد المؤلف فائدة كبيرة من التقارير التى تحتفظ بها الدوائر الرسمية كمجلس الاعمار ومديرية الزراعة ومديرية الغابات . كما افاد ايضا من بعض المعلومات التى امدّه بها بعض الثقة الاكراد ، وبعض المختصين الحكوميين .

ولا بد لنا اخيراً ان نوضح بأن هذا البحث ليس سوى مقدمة لدراسة الاكراد وارضهم ، وهو لا يخلو من نقائص كثيرة بسبب ميدانه الواسع وقلة مراجعه المتوفرة . كما ان معلوماته في بعض الجوانب اصبحت قديمة او ذات صفة تاريخية احيانا ، ذلك انه كتب في الفترة الواقعة بين عام ١٩٥٤-١٩٥٨ واستند الى الارقام التى كانت متوفرة يومذاك . وقد حاول المؤلف ان يتلافى بعض هذا النقص بالرجوع الى أحدث الارقام الرسمية المتوفرة حالياً . وكان البحث قد هدف في حينه الى لفت نظر السلطات المسؤولة يومذاك الى ما يعانيه لواء السليمانية خاصة والمنطقة الكردية عامة من مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية كيما توليها عنايتها الجدية وتزيل مسببات شكاوى ابناء هذا الجزء العزيز من بلادنا . ولا ريب ان هذا الامل قد أصبح في الوقت الحاضر وطيداً بعد صدور بيان ١١ آذار التاريخي (١٩٧٠) ، فقد اعترف البيان بالذاتية الكردية واقر كافة الحقوق القومية للاكراد بما فيها الحكم الذاتى ضمن اطار الجمهورية العراقية ، وآمن بضرورة اعمار المنطقة الكردية وازالة كل مسببات التخلف والفقر والاهمال فى الميادين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية . لذلك فان مقترحات هذا البحث قد تكتسب اهمية خاصة فى ضوء البيان المذكور وقد يمكن الاستفادة من العديد منها والله الموفق .

الفصل الأول

البيئة الطبيعية

- ١ -

المسح الجيولوجي ✓

تخذ البناء الجيولوجي للعراق شكل حوض تظهر فيه أقدم الصخور قرب الحدود الشمالية الغربية والشرقية ، ثم تغور الى الاعماق كلما انحدرنا نحو اواسط البلاد • ويمكن القول ان اطراف البلاد الشمالية والشمالية الشرقية والشرقية تمثل نهاية المنطقة الالتوائية التي تشتمل على الجبال الالتوائية الحديثة • اما جهات البلاد الغربية والجنوبية فهي امتداد لهضبة جزيرة العرب • ويمتد بين هذين القسمين التمييزين وادي الرافدين الذي كان في يوم من الايام جزءا من الخليج العربي والذي طمرته الطمي •

وكان العراق في الزمن الآركي جزءا من قارة غوندوانا لاند الضخمة Gondwanaland التي كانت تضم بلاد العرب وبلاد فارس وارمينيا والعراق وقسما كبيرا من قارتي افريقيا وامريكا الجنوبية • وكانت تلك القارة تتكون من

مزيج معقد من الصخور النارية والمتحولة • وفي أثناء العصر الكامبري غمرت المياه جزءا منها فترسبت فوق قاعدتها طبقات من الجير والطفل والجبس • ثم انسحبت المياه وخلفت مستنقعات واسعة

وفي بداية العصر الكاربوني اجتاحت المياه القارة مرة أخرى ، واشتد هذا الاجتياح في العصر البرمي بشكل خاص حيث ادى الى غمر معظم الاجزاء الشمالية والشرقية من جنوب غربى آسيا بما فى ذلك منطقة كردستان ، وتكون نتيجة لذلك بحر عظيم تعارف الجيولوجيون على تسميته ببحر تيسس Tethys Sea • وقد استمر اجتياح المياه للقارة خلال الزمن الثانى باكماله ، فترسبت فوق قاع بحر تيسس طبقات عظيمة السمك خلال العصر الترياسى والجوراسى والكريتاسى ، بل وفي أثناء عصر الأيوسين ايضا • وتشتمل ترسبات العصر الترياسى والجوراسى فى منطقة كردستان على الطفل وعلى حجر جيرى قائم اللون وحجر جبسى اوليتى وعلى بعض الطبقات الجبسية المتفرقة • وتشتمل تكوينات العصر الكريتاسى الاسفل على كتل ضخمة من الحجر الجيرى البرتقالى اللون مع حجر الدولومايت ، بينما تشتمل تكوينات العصر الكريتاسى الاعلى على حجر جيرى ابيض وبرتقالى اللون شديد الصلابة • اما تكوينات عصر الأيوسين الادنى فتشتمل على حجر صوانى مكمل باد للعيان بينما تعود الصخور الجيرية المكتلة والمقطعة التى تعلو الكونجولمرات القاعدية الى تكوينات الايوسين الاعلى (١) •

ولقد اخذت مياه البحر بالانحسار تدريجيا منذ اوائل عصور الميوسين ، بينما كانت الارض ترتفع ببطء حتى لم يبق سوى بحر داخلى يغمر العراق

1. Ralph M. Parson Co., Report on ground water prospects of the Arbil Liwa, pp., 19 f.f.

وجنوب غرب بلاد فارس • وقد ترسبت في هذا البحر التكوينات الجيرية أولا ثم اعقبها تكوينات جبسية ثم أنهدرايتية ثم ملحية ثم طينية ثم جيرية مرة أخرى • ويطلق على هذه التكوينات بمجموعها اسم تكوينات فارس الأسفل • وقد تم انسحاب المياه عن بقية المنطقة في أواخر عصر الميوسين ، وفي خلال ذلك كانت المجارى المتدفقة من الشرق قد رسبت تكوينات فارس الأعلى والتكوينات البختيارية على شكل سهول مروحية واسعة •

ويمثل عصر الميوسين آخر مرحلة مهمة من مراحل التكوين الجيولوجي لهذه المنطقة • ففي خلال هذا العصر حدثت حركة تكتونية عظيمة أدت إلى الضغط على الطبقات اللينة في بحر تنس فظهرت الجبال الالتوائية، وقد أدت تلك الحركة العنيفة إلى ظهور منطقة عينية معقدة الالتواء في غربى إيران وشرقى تركيا • ويبدو أن الحركة كانت أقل عنفا في منطقة شمال العراق مما جعل جبالها الالتوائية بسيطة وغير عينية ، ما عدا الأطراف الشمالية القصوى التي أصبحت منطقة معقدة الالتواء بسبب قربها من مركز الضغط • وتشمل هذه المنطقة الجزء الشرقى من الحدود بأكمله من كاتى رش إلى جبال هورامان ، وهي منطقة تكثرت فيها الصخور النارية المتداخلة • أما المنطقة الواقعة إلى الغرب من المنطقة الملثوية فقد قاومت الحركة الضاغطة ولم يصعبها التثوية تقريبا (٢) • ويبدو أن اتجاه الحركة التي سببت التواءات كردستان العراق آتية من الشمال نحو الجنوب ، أى من المرتفعات الفارسية إلى الرافدين والخليج العربى كما توضح ذلك المدرجات المتعاقبة للصخور الالتوائية ، ولكن أبحاث دى مورغان De Morgan تؤكد بأن تلك الحركة قد بدأت من الجنوب إلى الشمال (٣) •

2. Noble, A.H., Ground water of Iraq, P.4.

3. Admiralty Naval Staff, Geology of Mesopotamia and its borderlands, 1918, P.30.

ولقد بلغت هذه الحركة التكوينية الضاغطة نهايتها في العراق اواخر عصر
 البلموسين حينما امتلأ الحوض العميق الذي تكون امام الالتواءات بمواد نحتية
 خشنة ذات سماك عظيم تعود لتكوينات فترتي فارس الاعلى والبختياري . وقد شمل
 الاسواء الاحير اسلاسل الجنوبية الغربية واصب الطبقات البختياري . وقد
 اعقب النواء طبقات البختياري فترة تحت طويلة جدا (اوريا سلسله من
 الفترات المنقطعة) اكشفت اثناءها تكوينات فارس الاعلى ، وفي بعض الاحين
 تكوينات فارس الاسفل ايضا ، على امتداد قمم بعض الالتواءات . كذلك مهدت
 اتواءات واسعة في سهول رانية وشهرزور . ثم اعقبت تلك الفترة مرحلة من
 الترسيب العام فامتألت الاودية اخلفية والسهول بالترسيبات حتى فاضت ،
 وطمرت جبهات السلاسل المسووحة بترسيبات خشنة من الرسوبات النهرية
 القديمة . ثم تلى هذه المرحلة مرحلة ارتفاع عام في المنطقة صاحبه اتواءات
 قليلة زالت خلالها كثير من ترسيبات الاودية الحديثة ⁽⁴⁾ . وقد استعادت
 الانهار شبابها نتيجة لهذا الارتفاع واحذت تحضر اخايد صغيرة في سهولها
 المروحية ، بينما قامت روافدها الجانبية بحفر قيعانها القديمة التي لاحت على
 شكل مدرجات واضحة على كلتي جانبيها . وكان هذا الارتفاع اخر طور من
 اطوار التطور الجغرافي للمنطقة وان حدث بين حين وآخر هزة ارضية
 تذكرنا بان بناء المنطقة ما يزال في طريقه الى الاستقرار ⁽⁵⁾ .

ان اهمية البناء الجيولوجي للنواء السليمانية تكمن في اشتماله على عدد
 من التكوينات الصخرية ذات العلاقة الخاصة بالنشاط البشرى . لذلك فمن

4. Dennis, P. Eldon, Investigation and development of ground water resources, F.A.O.

وهو تقرير قدمته منظمة (الغذاء والزراعة الدولية) الى الحكومة العراقية ، روما ١٩٥٣ .

5. Naval Intelligence Division, Iraq and the Persian Gulf, 1924, P.19.

الاهمية بمكان ان يذكر بان جزءا عظيما من تلك الكوونات كما رأيه هي ذات
مميزات كلسية . وتكتسب العلاقة بين الكوونات الكلسية ونظام المياه اهمية
عظيمة ، وخاصة في المناطق التي تعاني من قلة موارد المياه اسطحية . وتبرز
اهمية الصخور الكلسية في طبيعتها النفاذة ، فهي تمتص مياه الامطار ثم تعيدها
الى السطح على شكل عيون وينابيع . لذلك فان وجود هذه الصخور يتحكم الى
درجة كبيرة في انماط وتوزيع السكنى البشرية ^(٦) .

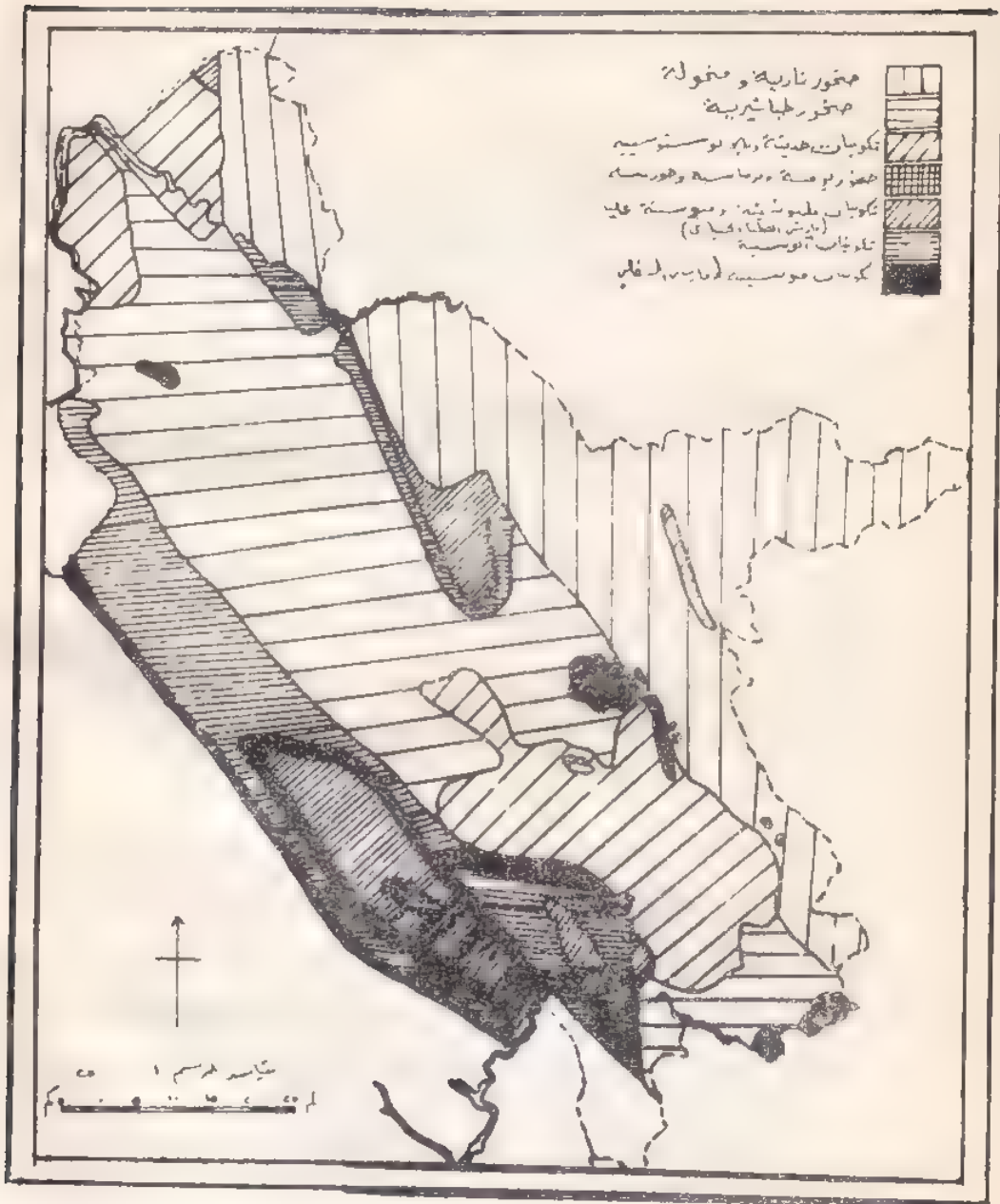
— وهناك اهمية اخرى لنوع البناء الصخري في اللواء تتعلق بارتباط المعدن
بانواع معينة من الصخور . فالصخور الرسوبية مثلا غنة بمعدن متنوعه
كالبترول والاملاح والجبس . وتسخرح مواد البناء وخاصة الرخام والاسمنت
والكلس من هذه التكوينات الصخرية ايضا .

وتكتسب الصخور النارية في المنطقة الجبلية المعقدة اللواء اهمية كبيرة .
وتبرز اهميتها في ارتباط الخامات المعدنية بالعروق الدرية . وعلى اية حال
فان المعدن الخام في كردستان قليله في كميتها عموما وعسيرة في استخراجها
بسبب عدم انتظام طبقات وجودها ^(٧) .

وتبين الخارطة الجيولوجية لنواء بان المنطقة الجبلية المعقدة اللواء التي
تحتوى على الصخور النارية تمتد امتدادا واسعا على طول الحدود الشرقية
والشمالية الشرقية للعراق فتشمل منطقة هورامان وناحية بنجوين باجمها
والجزء الشمالى من ناحية ماوت والجزء الشرقى من ناحية قلعة دزة . ولا
تظهر الصخور القديمة التي تعود الى البرمى والترياسى والجوراسى الا فى
مواقع محدودة جدا ، وهى الطرف الجنوبى الشرقى الاقصى من قضاء حلبجة ،

6. Fisher, W.B., The Middle East, London, 1956, 3rd. edt.,
P.19.

(٧) المصدر السابق ، ص ١٩-٢٠



الغارة الجيولوجية للواء السليمانية

وعلى المرتفعات التي تمتد على طول الضفة الغربية لنهر سيروان ، وعلى المرتفعات الممتدة جنوبى نهر جم گوگسر فى ناحية سروجيك ، وفى الطرف الشمالى الشرقى من ناحية سورداش شرقى الزاب الصغير •

اما التكوينات الكلسية فنشر انتشارا واسعا فى قضاء السليمانية وفى جزء من ناحية جوارنه • وتظهر التكوينات الايوسينية فى منطقة صغيرة سىما فى حوض بازيان وفى الجزء الجنوبى من ناحية وارماه وخاصة فى جنوب غربى نهر تانجرو ، وكذلك فى شريط ضيق على امتداد الضفة الشرقية لنهر قلهجولان •

وتظهر تكوينات قرة فارس الاسفل من الصخور الجبسية والطينية والجيرية على السلاسل الخارجية للمنطقة الالتوائية وهى سلاسل قرة داغ وبرنان داغ • اما تكوينات فارس الاعلى والتكوينات البختيارية من الاحجار الرملية والغرينية والطينية والحصى والجلاميد فتظهر فى منطقة صغيرة ايضا ، وخاصة فى الاودية التى تنحصر بين سلاسل قرة داغ وبرنان داغ وفى هضبة جوارنه ، وكذلك فى مواضع محدودة اخرى حول المجرى الادنى لنهر تانجرو •

واخيرا فان تكوينات البليوستوسين والعصر الحديث من الرسوبات النهرية القديمة الخشنة من الحصى والكونجلومرات ومن الرسوبات النهرية الحديثة من الحصى والرمل والغرين الناعم تغطى سهل شهرزور الواسع وسهل رانية وسهل بشدر • ومن الجدير بالذكر ان الترسبات النهرية القديمة تأتى الثانية فى اهميتها بين التكوينات التى تحتوى على المياه فى العراق بعد التكوينات الكلسية •

الثروة المعدنية(*)

ان دراسة البناء الجيولوجي للعراق تثبت بأن المنطقة الوحيدة في امراء
اسى تبشر بوجود خامات معدنية ذات قيمة هي النطاق المنحصر بين الحدود
التركبة والارابية من جهة وبين خط سمد من دھوك الى عقرة الى شقلاوة
الى كوى سنجد الى السليمانية الى حلبجة . ويشمل هذا النطاق على اشد
الاحراء اضطرابا من المنطقة الالتوائية كما يشتمل على المنطقة الجبلية المعقدة
اللتواء باجمعها ، وهى تضم مساحة تقرب من ٢٠٠٠ كم^٢ أو ٥٪ تقريبا
من مساحة العراق . ويقع الجزء المتوى من هذا النطاق ضمن حدود المنطقة
الالتوائية الاناضولية - الارابية التى كانت قد صفتها بعض الابحاث التى
جرت فى تركيا بأنها منطقة غنية بالمعادن .

وقد لوحظ وجود عدة خامات قريبة ولا فزرة فى مواضع مختلفة من
لواء السليمانية ، الا ان جميع تلك الخامات تقريبا غير ذات قيمة اقتصادية .
فقد لوحظ وجود الذهب والرصاص والحديد والنحاس والمنغنيز والكروم
والنيكل والاورانيوم فى مواضع مختلفة من اللواء . ولا يمكن ان نغسر
خامات الحديد الحالية التى لوحظ وجودها صالحة للاستثمار الاقتصادى ،
الا ان وجود صهارة للمغنايت (او كسيد الحديد الاسود) بالقرب من سبكاني
فى وادى نهر شالر تدل على حدوث عملية انفصال للصهارة لخام الحديد
ولخامات معدنية اخرى فى المنطقة . اما خامات المنجنيز الموجودة شمال مدينة
السليمانية فتمثل بعض القيمة الاقتصادية ولا بد من التوسع فى فحصها .

(*) اعتمد هذا البحث على تقرير مفصل يقع فى مجلدين قدمته الى

مجلس الاعمار عام ١٩٥٤ شركة Site Investigation Co.

ولا تمثل خامات الحصى القيمة اقتصادية ، لكن المنطقة الواقعة بين جوارته وقلعة دره هي من المناطق التي يحتمل ان تكون غنية ببعض المعادن الاخرى ذات الاهمية . ولا بد من اعادة فحص هذه المنطقة ككل ، ولعل نتائج هذا الكشف تكون ذات اهمية اعظم مما كشف عنه في المناطق الاخرى . ويحتوى لواء السليمانية على خامات لافزية اخرى أكثر أهمية ، واهمها احجار الكس التي تمثل سلسلة احجار البازالت اوسع احدة ، وبعضها صانع لصناعة الاسمنت . وقد لوحظ وجود حجر الكوارتز في مواضع عديدة ويمكن ان يستخدم لصناعة الزجاج . اما الفحم الذي عثر عليه في اللواء يشمل على كمية عالية من الرماد مما يجعله ذا قيمة اقتصادية ضئيلة . وقد لوحظ وجود خامات لا فلزية اخرى في مواضع مسوعة من اللواء منها الاسبست والقار والرخام وحجر الجرانيت (العقيق) .

- ٣ -

التربة

تعتمد صفات التربة في العراق على عوامل متعددة منها نوع الصخور الاصلية وعمرها ومدى تحللها، ومنها التأثيرات المناخية والنباتية والطوبوغرافية، ومنها طريقة استخدام الانسان لها .

فاما ما يتعلق بنوع الصخور الاصلية في العراق فان العصور الجيولوجية تبين سلسلة كاملة تقريبا من الصخور اشدانا من الرمن الباليوزي (الاول) الى المسوزوي (الاطوسط) الى الرمن الكانوزي (الثالث) الى الرمن الحديث (الرابع) . ويمكن الربط بين نوع التربة ونوع الصخور في العراق

على النحو التالي (٨) :

١ - ان الترسبات النهرية الحديثة تؤدي الى نشوء تربة عميقة ، ، مما
المناطق المحلية التي توجد فيها طبقات الحصباء والحصى •

٢ - ان تكوينات البختياري العائدة لعصر البليوسين والتي تصنف بوجود
طبقات حصوية متلاحمة وكونجلامرات تؤدي الى نشوء ترات حصوية او
حجرية •

٣ - ان الصخور النارية الخضراء فى المنطقة المعقدة الاسواء النابعة
للمن الباليوزى تؤدي الى نشوء تربة ضحلة بشكل مميز •

ويمكن القول ان ترات منطقة الحدود الغربية والشمالية والشرقية هي
ترات محلية قد تفتت من الصخور الاصلية وهى على العموم ترات صحبية ،
وهى تعكس مميزات الطبقات الداخبة • وتوجد اترات الاكر عند نى
المناطق ذات الانحدار البسيط ، وعلى امتداد قمم بعض احداث ، وفى سى
الاودية النهرية • وتتصف ترات المدرجات النهرية الدسة بكافة عدلة
فى التربة الداخلية مع انخفاض فى درجة نفاذها ، وهى عميقة بشكل عام
وان امتدت تحتها بين الحين والحين طبقات حصوية (٩) •

ولقد ذكر شابمان Chapman المحلل الكيمى والى الى
لترات المنطقة الجبلية :

« ان عدم التضوج هى الصفة الرئيسة للترات تقريبا ، ونادرا ، تعكس

G. G. G. G. K. Soil Conservation, Rome, 1954, P.8.

وهو تقرير قدمته منظمة الزراعة والغذية F.A.O. الى الحكومة
العراقية •

(٩) المصدر السابق ، ص ٧

التربات أى اختلاف فى مقاطعها الجانبية • اما صفاتها الكيميائية فهى بين قلوية خفيفة وقلوية شديدة • وان التربات الطينية والطفلية التى تعود الى طبقات الايوسين الحمراء والبختارى وفارس الاعلى هى أشد التربات قلوية • أما تربات الصخور النارية فى المنطقة المعقدة الالتواء وتربات الطين الرملية المشتقة من الطفل الجبرى فهى متوسطة فى قلويتها ، فى حين ان التربات الطينية والصلصالية المشتقة من صخور الاردواز ومن تكوينات المنطقة المعقدة الالتواء ومن الحجر الجبرى الكريتاسى هى ذات قلوية خفيفة « (١٠) » •

ويظهر ان جميع تربات الغابات خالية من الاملاح الضارة ، وقد ثبتت ذلك ما احرى من أربعة تحلات للمناخ الى احيرت من طهات الايوسين الحمراء ، ومن الحجر الجبرى الكريتاسى ، ومن الطفل المتحول من المنطقة المعقدة الالتواء ومن الصخور النارية •

أما ما يتعلق باختيار مدى وجود الفوسفور فيبدو من الادلة المتوفرة ان التربات الناشئة من الطبقات البختيارية وطبقات فارس وطبقات الايوسين الحمراء والطفل الجبرى فقيرة بالفوسفور اذا ما قورنت بالتربات الناشئة من الاحجار الجبرية الكريتاسية ومن صخور المنطقة المعقدة الالتواء •

ولقد دل التحليل الميكانيكى للتربات بأن الطين والمارل يشيعان فى طبقات البختيارى وفارس وأيوسين الحمراء والاحجار الجبرية الكريتاسية ، فى حين ان التربات التى تعلو تكوينات المنطقة المعقدة الالتواء والطفـل الكريتاسى تتراوح بين رملية - طينية - صلصالية وبين صلصالية - رملية •

10. Chapman, C.W., Forest and forestry in Iraq, 1953, pp. 16-17.

• وهو تقرير قدم الى وزارة الزراعة عام ١٩٥٣ •

ولقد وضع وست West تصنيفا كاملا لتربة العراق (x)، وأورد فيه الأنواع التالية للتربة في لواء السليمانية (١١) :

تربة سرجنار

ان تربة سرجنار ذات عمق متوسط ، فالاعماق الاولى تشتمل على طمي حديث ، في حين ان السفوح السفلى مستقاة بشكل رئيسي من الاحجار الجيرية والطفل الرمادي والاحجار الرملية . وتوجد تحتها تربة من امود الحصوية ، وان درجة نفاذها ضعيفة . كذلك فان درجة الاحتفاظ بالماء والخصوبة في التربة السطحية والداخلية عالية ، الا أنها تصبح محدودة في الطبقات الداخلية بسبب وجود نسبة عالية من الحصى . وهذه التربة جيرية على العموم ولا يوجد فيها انفصال في التربة الداخلية .

وتشتمل هذه التربة في السهول الفيضية الممتدة على ضفاف المجازي المائية العريضة في الاودية الجبلية ، وهي صالحة جدا لانتاج الفواكه الصلبة والخضروات . وتتراوح كمية التساقط المناسبة بين ٤٥٠-٨٠٠ ملمترا .

تربة باكرجو

وهي تربة عميقة قد تطورت اثناء الترسيبات النهرية القديمة واسعة من الحجر الجيري ، وان درجة نفاذها بطيئة عموما . وتشبع الغدق الانكماشية في التربة السطحية والداخلية العليا بشكل واسع وخاصة في التربة الطينية منها .

11. West, Dr. Burnell G., Soil survey and classification of Iraq, Rome, 1953, P.11 FF.

وهو تقرير قدمته منظمة التغذية والزراعة F. A. O. للحكومة العراقية .

(x) لقد اشتمل تصنيف وست West لتربة العراق على =

١ - مفناح خارطة التربة

- ١ - لا يخضع هذا الصنف من الارض إلا إلى تحفظات طفيفة جدا في استعمالاته، وهي أرض جيدة جدا، ويمكن أن تزرع بأمان بالاساليب الاعتيادية .
- 11 - يخضع هذا الصنف من الارض إلى تحفظات معتدلة في استعمالاته لانتاج المحاصيل ، وهي أرض جيدة يمكن أن تزرع بأمان مع اللجوء الى اساليب خاصة يمكن تطبيقها بسهولة .
- 111 - يخضع هذا الصنف من الارض الى تحفظات شديدة في استعمالاته لانتاج المحاصيل ، وهو عرضة لتلف خطير اذا ما استخدم بدون صيانة مناسبة او علاج . وهي أرض جيدة نوعا ويمكن أن تزرع بأمان شريطة أن تعالج بطريقة صحيحة .
- V1 - يخضع هذا الصنف من الارض إلى تحفظات شديدة جدا في استعمالاته لانتاج المحاصيل . . إنها أرض صالحة باعتدال للمحاصيل المزروعة اذا استخدمت ضمن نطاق التحفظات . وهي تتطلب في العادة دورات من المحاصيل الخضراء او محاصيل مختارة لموازنة التحفظات .
- V - هذا الصنف من الارض لا يناسب الزراعة في الوقت الحاضر وهو صالح للرعي او الغابات مع تحفظات طفيفة في استعمالاته لمنع تلف التربة .
- V1 - لا يصلح هذا الصنف من الارض للزراعة في الوقت الحاضر ، وهو صالح للرعي او الغابات ، مع تحفظات معتدلة في استعمالاته لمنع تعرية التربة .
- V11 - لا يصلح هذا الصنف من الارض للزراعة ، وهو يصلح للرعي أو الغابات مع تحفظات شديدة في استعمالاته لمنع تعرية التربة .
- V111 - يصلح هذا الصنف من الارض لاغراض الارواء (مجارى المياه) . وهو وعر جدا وضحل ، وهو غير صانع بالطبع للزراعة أو الرعي أو الغابات .
- e - التحفظات السائدة عرضة للتعرية المائية .
- Z - تعرية جيولوجية وتعرية اعتيادية عالية .
- 1 - تعرية مائية طفيفة .
 - 2 - تعرية مائية معتدلة .
 - 3 - تعرية مائية شديدة .
 - 4 - تعرية مائية شديدة جدا .

وتوجد هذه التربات فى السفوح ذات الانحدار التدريجى البسيط وفى السهول الفيضية فى الاودية الجبلية ، وقد نشأت فى المنطقة الحمراء الكستائية • وتراوح معدل التساقط فيها بين ٤٥٠ الى ٨٠٠ ملمترا • وتصلح هذه التربات لزراعة الحبوب والقطن والنباتات العلفية والبقوليات والتبغ •

تربات جهمال

وهى تربات عميقة نشأت فوق الترسات النهرية القديمة ، والتربات السطحية منها ذات بناء حشن سميك ثابت • اما موادها الاصلية فتسود بينها الصخور الجيرية • وتقع تحها على عمق يزيد على مترين طبقة من الحصى الجبرى والحصى •

ونشأت هذه التربات فى المنطقة الحمراء الكستائية ، وهى تتواجد فى مرتفعات الاودية الجبلية ذات التموج البسيط ، وتراوح معدل التساقط فيها بين ٤٥٠ الى ٨٠٠ ملمترا • وهى تصلح لانتاج الحبوب الصغيرة بدون رى صناعى •

تربات شقلاوة

وهى تربت عميقة نشأت فوق المواد الفيضية وقد استقيت بشكل رئيسى من الحجر الجبرى • واحسن مثال لها الاراضى المتموجة والمنحدرة انحدارا بسيطا • وتتصف بصفات جيرية طفيفة وغير جيرية عند السطح • وتشتمل على منطقة تجمع كلسى فى التربة الداخلية على شكل عقد وخطوط •

= الانواع الرئيسية التالية :

- ١ - التربة الحمراء ، وتشتمل على تربة الغابات البنية الكستائية وتربة البحر المتوسط الحمراء •
- ٢ - التربة السمراء الحمراء •
- ٣ - التربة الصحراوية الرمادية •
- ٤ - التربات الرسوبية •
- ٥ - التربات الرسوبية الرطبة •

وهذه التربة هي من نوع تربة الغابة السمراء وتمثل في السفوح والادوية الجبلية التي بنع معدل تساقطها حراى ٤٥٠ ملمرا . وهي صالحة لزراعة الحبوب والنبغ والفواكه وخصوصا السج والمخاض والحدوح والكشرى ، وكذلك تصلح لزراعة الحبوب والجوز والموز والفسق .

تربة خليفان

وهي تربة عميقة تعود للترسبات الفيضية الحديثة وقد استقيت من الطين الرمادى والحجر الحيرى الطبقى ، وهي بطيئة المنفذ جدا كما انها خالية عموما من الحصى والحجارة . وتوجد في الادوية المحاذية للسلال الطفلة ذات التعرية الشديدة والتي يتراوح معدل تساقطها بين ٤٥٠ الى ٨٠٠ ملمترا . وهي صالحة جدا لزراعة الرز والحدوح الصغرة والسج (x) . وتعرض التربة في لواء السليمانية ، شأا شأن جمع اسفلة احدها ، الى تعرية مستمرة تبلغ حدا خطيرا . وتشد عملياته انعزبة اثناء اشياء شكل حص فوق محدورات الحمال حيث بنع عامل الاحدار وانظر أعلى درجائهما وحيث يكشف سطح التربة بسبب قطع الغابات والرعى المفرط وازراعة المستمرة . وتبدو العربة في اوضح صورها في منطقة القلوز (الطبقة الصخرية السطحة) للتكوينات الجيولوجية الابل صلابه ككوبيات المختارى الاسفل وفارس الاعلى وطقات الايوسن الحمراء والتكوينات الطفلية المتنوعة (١٢) .

(١٢) تشابمان ، ص ٢٥-٢٦ .

(x) لقد اشار بيرنيك Buringh في دراسته الضافية لتربة العراق الى تربة لواء السليمانية على النحو التالى :

(تقع اراضى لواء السليمانية ضمن صنفين رئيسيين هما الصنف [رقم ٣٧] ، ويشتمل على سهل شهرزور وامداده في سهل السليمانية ، والصنف [رقم ٣٨] ، ويشتمل على بقية اراضى اللواء . عدا احراء محدودة جدا تنتمى الى صنفى [٣٦] و [٣٩] .

ان خارطة تصنيف اراضي العراق انشئ وضعها جيبس Gibbs في تقريره عن تصنيف التربة في العراق تكشف عن شدة تأثير التعرية على التربة في لواء السليمانية . فمعظم اراضي ناحية قلعة دزة وماوت وجوارنة وسروجيك تقاسي من تعرية شديدة . كذلك فان اجزاء عظيمة من ناحية شهرزور وخورمال وبنجوين وسورداش تكشف عن تعرية شديدة ايضا . وهناك اجزاء اخرى من اللواء تبرز فيها آثار تعرية شديدة للغاية كما هو الحال في منطقة هورامان . اما بقية اللواء فيمكن القول بأن آثار التعرية فيه طفيفة للغاية . وهناك اجزاء قليلة من اللواء لم تتعرض للتعرية وهي المناطق السهلية من اللواء كسهل شهرزور وسهل السليمانية وسهل بازيان .

وتوضح الخارطة المذكورة ايضا بأن أفضل الاراضي الزراعية في اللواء تقع في سهل شهرزور . وقد وصف جيبس Gibbs هذه الاراضي بأنها

= فاما اراضي الصنف [٣٧] فتمثلها (التربة الكستنائية ذات السمك العميق) ، وهي تتألف من تربات الشيرووزم والتربات الكستنائية الحمراء ، وارضياتها مستوية ، وقد تكونت من صخور لايمستونية ونهرية ، وهي عميقة الى معتدلة العمق ، ولا تتأثر بالملوحة او التعرية ، وتستخدم لزراعة القمح ، كما انها صالحة عموما لزراعة المحاصيل الشتوية .

اما اراضي الصنف [٣٨] فتمثلها (التربة الوعرة المشققة الصخرية) ، وتتألف من تربات الرندينات وتربات الليفوسول ، وارضياتها جبلية وعرة وقد تكونت من صخور اللايمستون ، وهي ضحلة عموما عدا اجزاء محدودة جدا ذات عمق معتدل . وتتأثر بعض اجزائها بتعرية محلية ، وهي خالية من الملوحة وتغطيها غابات البلوط والاحراش والمراعي ، ويمكن اعتبارها غابات صالحة ومراعي جيدة ، ويصلح حوالي ٣٪ منها لزراعة المحاصيل و ٥٠٪ للمراعي) ص ٣٠٣ .

Buringh, Dr P , Soils and Soil conditions in Iraq, Baghdad, 1960.

جيدة جدا ويمكن زراعتها بأمان بواسطة الاساليب الزراعية الاعتيادية ، كما
انها لا تقتضى الاحتفاظ بسيطا في استعمالها •

اما الصنف الثانى من الاراضى فيتواجد على الشواطىء الشرقية لنهر
الزاب الصغير فى ناحيتى قلعة دزة ومرگه وفى بعض أودية ناحية سرجنار •
بور واما فى الناحية الغربية من الولاية فهذه الاراضى قليلة جدا
وحيدة جدا ، وفى الناحية الجنوبية من الولاية فهذه الاراضى قليلة جدا •



منظر من الجبال المجاورة لندوة السلمة وندوة آدرام وندوة السدرة

أما الصنف الثالث من الاراضى فيشمل مساحات محدودة فى ناحية
قلعة دزة وبازيان وجوارته وسرجنار • وقد وصفت هذه الاراضى بأنها جيدة
وعما ولا يمكن زراعتها إلا بالاعتماد على مياه الري ، وفى الناحية الجنوبية
شديدة فى استعمالها لانتاج المحاصيل •

ويقرر حبس ان أكثر انواع الاراضى شيوعا فى اللواء هو الصنف السابع • ويضم هذا الصنف جزءا عظيما من ناحية بنجوين وجوارته وماون ومركة وقره داغ • وقد وصف هذا الصنف بأنه غير صالح للزراعة ، وانه يصلح لرعى والتشجير فقط ، مع تحفظات شديدة فى استعمالاته لصسبابة التربة من التعرية •

واخبرا فلابد من الاشارة بأن لواء السليمانية يحظى بنظام طبيعى جيد لتصريف المياه ، ما عدا أماكن قليلة ذات مياه راكدة فى سهلى شهرزور وبازيان • لذلك فان عامل ارتفاع الملوحة فى التربة اصح غير ذى تأثير فى اللواء، بينما يعتبر هذا العامل من أهم مشاكل التربة فى وسط وجنوب العراف •

- ٤ -

التضائيس

ينقسم العراق الى أربعة أقاليم طبيعية هى :

- ١ - منطقة الجبال الالتوائية الحديثة فى الشمال والشمال الشرقى (بمساحة قدرها ٢٣٥٠٠ كم^٢) •
 - ٢ - منطقة التلال او المنطقة شبه الجبلية (بمساحة قدرها ٦٧٠٠٠ كم^٢) •
 - ٣ - وادى الرافدين ذى الاراضى الفيضية (بمساحة قدرها ٢٧٠٠٠ كم^٢) •
 - ٤ - الهضبة الصحراوية فى الغرب (بمساحة قدرها ٢٧٠٠٠ كم^٢) •
- ويقع لواء السليمانية بكلتيه فى منطقة الجبال الالتوائية الحديثة التى تمثل حوالى ٥٪ من مساحة العراق • ويمكن القول ان الحدود الشمالية

والشرقية لهذه اسطقه تمتد في تركيا وايران • اما حدودها الجنوبية والغربية
فتمثلها سلاسل جبلية متعددة هي الجبل الابيض وزاوة داغ وديرات داغ
وحرير داغ وسفين داغ وبرمام داغ وهية سلطان داغ وساكره داغ
وقرة داغ وزردة داغ وكوهى بامو (١٣) •

ويشتمل لواء السليمانية على منطقة بسيطة الالتواء تحتل معظمه ، وعلى
منطقة معقدة الالتواء تضم جزءا محدودا منه على امتداد الحدود الشرقية
والشمالية الشرقية •

فأما الجزء البسيط الالتواء فتمثله السلاسل البسيطة الاسواء اتى نمذ
بمحاذاة بعضها وتحتصر بينها اودية طويلة • ان هذه الجبال عبارة عن التواءات
محدبة ، فى حين ان الودية المحصورة بينها هى اتواءات مقعرة • فأما
التواءات امحدبة فهى عموما غير متناسقة ، فهى شديدة الانحدار وكثيرة
الانشاءات والعيوب فى جهاتها الجنوبية الغربية ، بينما جهاتها الشمالية
الشرقية بسيطة الانحدار • وتشتد التواءات وانكسارات هذه الجبال وتصبح
أشد تعقيدا كلما مقدما نحو اشمال اشرقي حتى نصل الى الانكسارات
الزاحفة العظيمة التى تمثل حدود المنطقة المعقدة الالتواء •

اما المنطقة المعقدة الالتواء فتميز بانكسارات زاحفة والتواءات مضاعفة
وصخور مختلطة • ولقد كان الالتواء فى هذه المنطقة شديد انغسية وذا
اتجاهات مختلفة • ويتراوح ارتفاع السلاسل الجبلية هنا بين ٢٠٠٠ مترا
الى ٣٠٠٠ مترا ، فى حين تنخفض الودية المحصورة بينها بسقدار ١٠٠٠ مترا
على الأقل • ولا تصلح سفوح هذه الجبال للزراعة ، فهى معرضة لتعرية
شديدة سببها الامطار الغزيرة والثلوج ، الا ان السهول المحلية المجاورة لها
خصبة للغاية نتيجة الطمي المنحد اليها من الجبال المجاورة •

(١٣) « الاسس الطبيعية لجغرافية العراق » تأليف غوردون هستد
وترجمة الدكتور جاسم محمد الخلف ، بغداد ١٩٤٨ ، ص ١٨ •

ان السلاسل الجبلية ، آكانت فى المنطقة البسيطة الانواء ام فى المنطقة المعقدة الالتواء ، مقطعة الى كتل عديدة يفصل بينها خنادق عميقة وضيقة . وتمتد الجبال فى سلاسل متوازية ذات اتجاه شمالى - عربى جنوبى - شرقى ، ما عدا الطرف الشمالى - الشرقى الاقصى حيث تنحرف من الشرق نحو الغرب . ولقد ترك هذا النوع من البناء الطبوغرافى تأثيرا واضحا على المواصلات ، فاضطرت الطرق الى اتباع الاودية الطولية ، بينما يلاقى الانتماء بالجهات الداخلية صعوبة بالغة . كذلك ترك هذا البناء الطبوغرافى اثرا قويا على نظام تصريف المياه ، فجميع الانهار تقريبا تتبع الاودية الموازية لمجاور السلاسل الجبلية ، فهى تحترق خنادق عميقة لكى تتصل بالاودية الاخرى . وهى على العموم من النوع المتعامد حيثما توجد السلاسل المتوازية ، ومن نوع متشعب حيثما تكثر الجبال القصيرة المنفصلة .

وقد سبق ان ذكرنا بأن هذه الجبال قد تعرضت للالتواء على اثر حركة باطنية حدثت فى عصر الميوسين فى أواخر الزمن الثالث . ويشتمل بناؤها على صخور تمت لعصور جيولوجية مخلفة . فأما الصخور الرئيسة فى حبل المنطقة المعقدة الالتواء فهى الجرانيت والصخور البلورية القديمة الاخرى . واما جبال المصقة البسيطة الالتواء فسود فيها تكوينات أحدث وأقل صلابة ، وتكون الصخور الجيرية الجوراسية محاور القمم الجبلية تتلوها انكويينات الكريناسية التى تسود معظم المنطقة . وكلما اقتربنا من منطقة التلال (او المنطقة شبه الجبلية) سادت التكوينات الايوسينية والميوسينية التى تشتمل بشكل رئيسى على الجبس والمرل واحجر الرمل وهى أقل صلابة^(١٤) .

14. Atrushi. Dr. Siddik, Geographic regions of Iraq, P.4.

وهى اطروحة ماجستير غير منشورة قدمت الى جامعة كلارك عام ١٩٥٠

السلاسل الجبلية

تتمثل جبال المنطقتين البسيطة الالتواء والمعقدة الالتواء في السلاسل

التالية :

سلسلة بازيان :

تمثل هذه السلسلة الالتواءات الخارجية في المنطقة البسيطة الالتواء • وتبدأ عند وادي سيروان بالقرب من التقائه برافد ديوانه ، وتمتد في اتجاه جنوبي - شرقي الى شمالي - غربي حتى تختفي على بعد ١٦ كيلومترا من نهر الزاب الصغير • وتبدأ السلسلة بجبال شديدة الانحدار كما تتمثل بحل درده (١٧٧١ مترا) ، ثم تمتد في حافة ضيقة مكونة جبل قرة داغ (١٧٠٦ مترا) • ويخترق السلسلة دربندي ساغرمه (ممر ساغرمه) على بعد ٤٨ كيلومترا من نهر سيروان حيث يعبرها الطريق الممتد بين السليمانية



منظر من جبل كويجه

وكفرى • ثم تستمر بعدئذ تحت اسم جديد هو سكرمة داغ ، وتستمر بهذا الاسم حوالى ١٦ كيلومترا حتى تتصل بجبل بازيان • ويخترق جبل بازيان دربندى بازيان (ممر بازيان) الذى يعبره طريق السليمانية - كركوك • ويبين ارتفاع جبل بازيان بالقرب من الممر حوالى ١٤١٤ مترا ، الا ان هذا الارتفاع يأخذ تناقصا تدريجيا حتى تلاشى السلسلة الجبلية على مسافة ١٦ كيلومترا من نهر الزاب الصغير •

سلسلة برنان :

تفصل هذه السلسلة عن السلسلة السابقة بوادى نهر ديوانه ، وهى من العموم أول ارتفاعا من السلسلة السابقة بما يزيد على ٣٠٥ مترا • كذلك تصنف بقلة العقبات ويعبرها طريق السليمانية - كركوك بلا صعوبة • وتشمل على جبل طاسلوحة (١١٧٦ مترا) وجبل بزراد (١٤٢٣ مترا) • ثم يصبح عقبة كداء عند التقدم نحو الحبوب اشرفى فيبلغ ارتفاعها حوالى ٩١٥ مترا على مرمى ميل واحد من نهر سيروان • ويعبر نهر سيروان السلسلة عند ممر دربندى خان من نفس موضع طريق السليمانية - كفرى ، وتنتهى السلسلة عند وادى الزاب الصغير بالقرب من جبال كوى سنجق •

السلسلة الداخلية :

تمثل هذه السلسلة الالتواءات الداخلية للمنطقة البسيطة الالتواء وتتمثل على عدة جبال منفصلة • وتبدأ شمال موان وتختفى بالقرب من دوكان ، ممتدة بموازات السلسلة الثانية • ويقع وادى تانجرو وسهل سورداس بينها وبين السلسلة الثانية ، كما يخترقها طريق السليمانية - نعمة دزة •

ان أبرز جبال هذه السلسلة هو جبل جوارته وجبل ازمر (كويجه داغ) (١٧٠٢ مترا) الذى يرتفع الى الشمال الشرقى من مدينة السليمانية



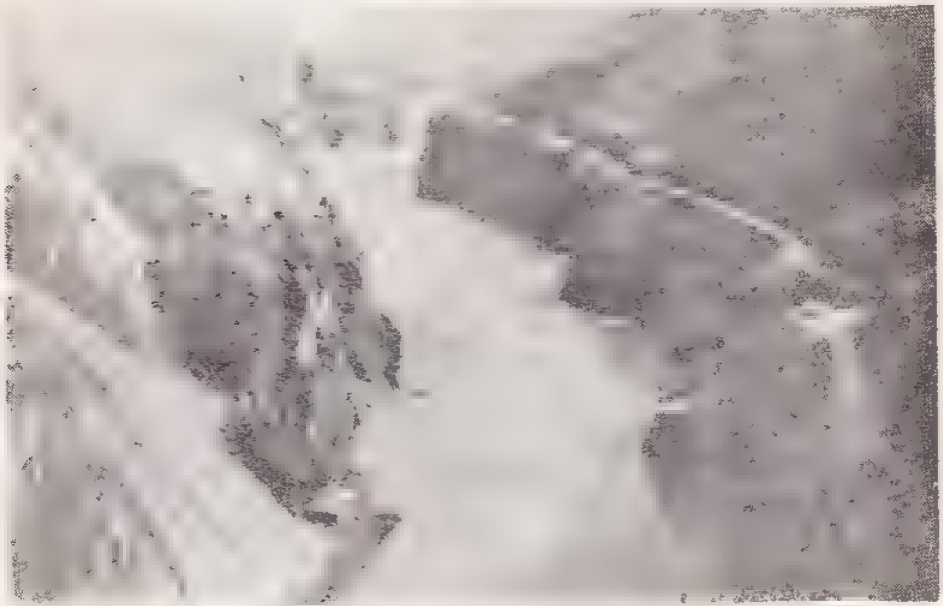
خارطة الاشكال الفيزيوجرافية للواء السلطانية

ويخترقه طريق السليمانية - جوارته ، وجبل سرمبند (١٤٦٥) وجبل
ياخيان (٢١٠٣) ويقع الى الشمال من سورداس ، وجبل بيره مگرون
(٢٦٢٠ مترا) وهو أبرز تلك الجبال •

وتتأثر هذه السلسلة في الحال عند اقترابها من نهر الزاب الصغير •
وتتأثر أغلب سفوحها بالتعرية الشديدة ، وهي عارية من الاشجار وقد تضرر
عليها القطع المفرط الدائم للاشجار •

السلسلة المتقطعة :

يمكن القول ان هذه السلسلة هي اشد سلاسل المنطقة البسيطة
الاتواء تقطعا • وتشتمل على عدة جبال متفرقة تمتد على الاعلى في اتجاه
شملى - غربى بين وادى قلا جوالان ووادى الزاب الصغير ، وتنتهى عند
منحنى الزاب الصغير في دربند • وابرز جبال هذه السلسلة جبل كورى
قازاو (١٩٥٧ مترا) وجبل بشدر (٢٠٣٩ مترا) وجبل گومه دول



منظر من نهر الزاب الصغير قرب دوكان

(١٣٣٢ متراً) • ثم تواصل السلسلة امتدادها في حافة ضيقة عالية مخترقة الطرف الشمالى الشرقى من سهل مركة حتى تتلاشى بالقرب من دربند •
السلسلة المعقدة الالتواء :

ان جبهة السلسلة المعقدة الالتواء التى تعبر حوض الزاب الصغير بالقرب من حلبجة تشتمل على خليط من الصخور المتنوعة التى تتخذ ارتدعات وعرة شاهقة كالشواخص • وتتصف جبال هذه المنطقة بعدم الانتظام فى اتجاهاتها وبشدة انحداراتها وكثرة قممها • وابرز جبالها كوهى هورامان (٢٥٤٨ متراً) الذى يمتد فى حافة ضيقة عالية على امتداد الحدود الايرانية شرقى حلبجة (٢٥٤٨ متراً) وجبل برده سبى شيره (٢٤٨٩ متراً) وجبل كوتاره رش (٢٧٥٢ متراً) ، وجبل سوركيف ، وجبل قنديل حوالى (٢٧٤٠ متراً) وهو أعلى جبال المنطقة على الاطلاق • وتعتمد جميع هذه الجبال على امتداد الحدود الايرانية وهى شديدة الوعورة وعظيمة الانحدار • ولعل وعورتها سبباً من الاسباب التى جعلت سفوحها مكسوة بالغابات ، فالوصول الى أشجار هذه الجبال أمراً ينطوى على صعوبات جمّة • وتتصف هذه المنطقة ايضا بمجارى مائية سريعة وعديدة ترجع الى غزارة التساقط والى الثلج الدائم الذى يكلل هامات الجبال طول العام •

ان الاودية الطولية التى تنحصر بين السلاسل الجبلية المتوازية فى مختلف جهات اللواء تهى اراضى سهلية صالحة للزراعة • وتقوم اغلب القرى ومراكز تجمع السكان فى هذه الاودية • وتبنى القرى عادة فى فجوات تدفق امياه فوق الجبال ويتم عن طريق هذه الفجوات الاتصال بين الاودية المختلفة • وتحول المياه بواسطة القنوات الى الحقول التى تقع على مدرجات الجبال او فى أعماق الوادى • وتزرع منحدرات الجبال فى العادة كلما كان احداها مناسباً لاستثمارها فى الزراعة • وتصح الحال فى

المنطقة المعقدة الالتواء ، وكذلك فى شمال شرقى المنطقة البسيطة الالتواء ،
شديدة الانحدار والوعورة بحيث تنحصر الزراعة كليا فى أعماق الاودية
ولا تستخدم المنحدرات الا للرعى •

السهول

ان أبرز سهول اللواء هى :

سهل شهرزور :

يعتبر هذا السهل أوسع سهول اللواء اذ يبلغ معدل طوله من الشرق
الى الغرب حوالى ٤٥ كم ، كما يبلغ معدل عرضه حوالى ١٥ كم ، وقد يمتد
الى ٣٥ كم فى الجزء الشرقى منه • ويتراوح معدل ارتفاعه بين ٤٥٣ مترا
الى ٦١٠ مترا • ويحيط به جبل هورامان من الشرق وجبل جوارته من
الشمال وجبل بالامبو من الجنوب • كما تتصل جهته الشمالية الغربية بسهل
السليمانية •

وهناك نظريات متضاربة فى تكوين هذا السهل ، فبينما يدعى هستد

Husted بأنه عبارة عن التواء مقعر مفتوح ^(١٥) ، يعتقد دنيس Dennis
بأنه التواء محدب قد أزيلت تحديه عوامل التعرية ^(١٦) • ويمتاز سهل
شهرزور بخصوبة عالية بسبب الترسبات النهرية التى تحملها اليه المجارى
المائية العديدة من الجبال المجاورة • ويرويه نهر تانجرو وروافده العديدة
كرافد زلم ورافد جقان فى الجزء الاوسط والشرقى منه بينما يصرف الجزء
الغربى منه نهر تاين احد روافد الزاب الصغير •

(١٥) هستد ، ص ١٥

(١٦) دنيس ، ص ٦

وتتميز بعض المناطق الجنوبية من السهل برداءة تصريفها المائي مما يؤدي الى تشبع ارضها بمليه والى نشوء المستنقعات في فصلي الشتاء والربيع .

سهل مرگه :

تبلغ مساحة سهل مرگه حوالي ١٥٠ كم^٢ ، كما يتراوح ارتفاعه بين ٤٨٣ مترا الى ٦١٠ مترا . وتفصل النصف الشرقي منه عن النصف الغربي حافة ضيقة أو التواء مجدب ارتفاعه حوالي ١٢٢٠ مترا ، ويخترقه الزاب الصغير في خانق عند دربند . ويروى السهل عدد من المجارى المائية ، ولا تستغل مياه الزاب الصغير في الري الا في مواضع قليلة من السهل .

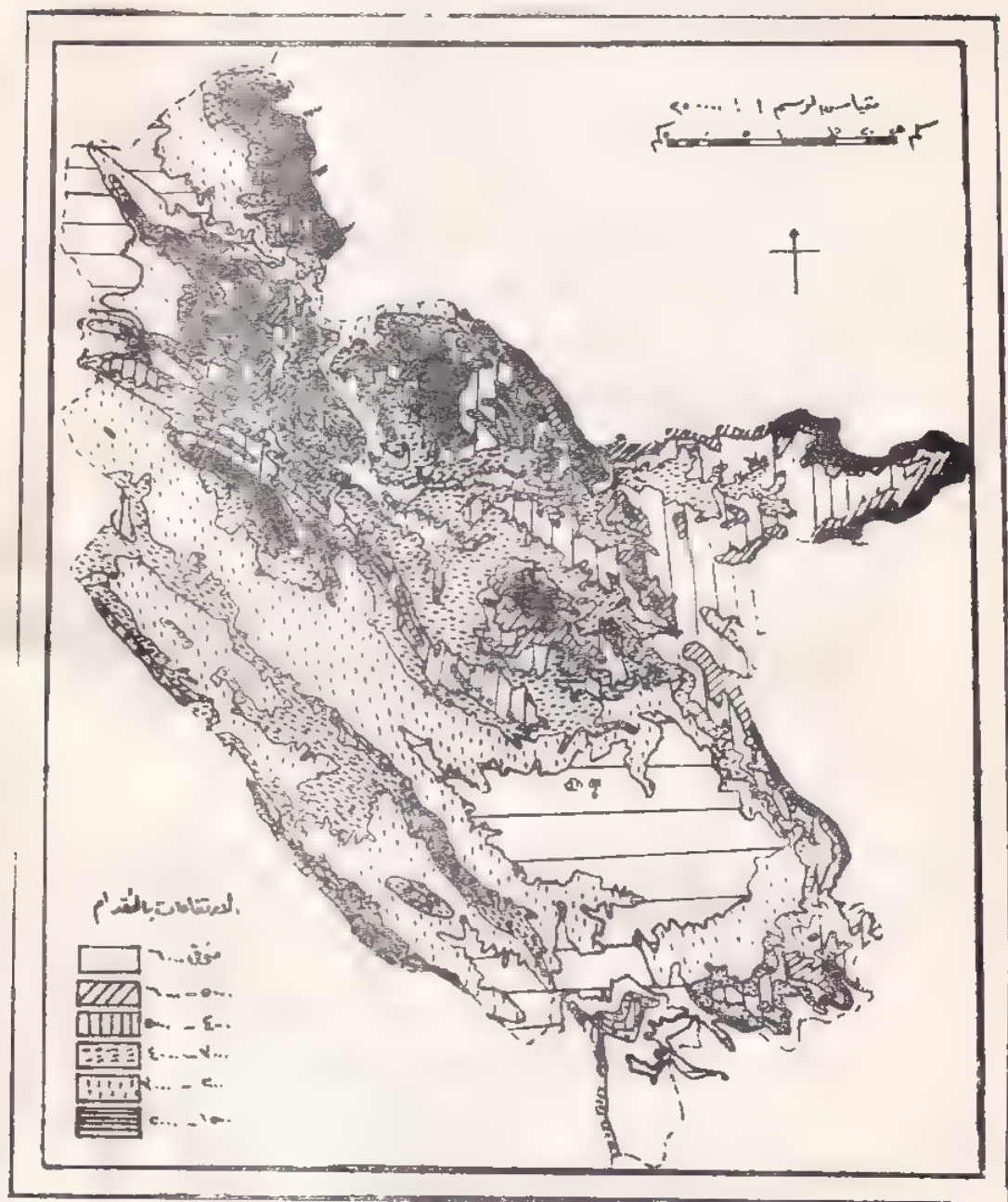
سهل السليمانية :

يكون هذا السهل الحوض الواسع لوادي تانجرو الاعلى ، ويمتد الوادي بأكمله نحو الجنوب الشرقي لمسافة ٦٤٥ كيلومترا . ويأخذ السهل بالاتساع عند مدينة السليمانية حتى يصبح عرضه ١٤٥ كيلومترا ثم يندمج طرفه الجنوبي مع سهل شهرزور . ويمتد نحو الشمال الغربي في شريط ضيق حتى سهل سورداس .

ويتصف الجزء اشمالي من السهل بأنه موج وذو تربة خصبة ، في حين ان القسم الجنوبي منه منخفض تحله بعض المستنقعات . ويروى سهل السليمانية نهر تانجرو (الذي يسمى هنا باسم جمى شقلاوة) وبعض روافده ، كما تسقيه ينابيع عديدة .

سهل بازيان :

يشتمل منخفض بازيان على مراعي ومزارع غنية . ومع ان المستنقعات تنشأ في بعض اجزائه القريبة من مجارى المياه الرئيسة ، الا ان اجزاءه الاكثر ارتفاعا ذات تربة خصبة . ويروى السهل نهر آوى بازيان مع روافد صغيرة اخرى .



الخارطة الطبوغرافية للواء السليمانية

الهضاب

تحصر السلاسل الجبلية بينها ، بالإضافة الى السهول ، عدة هضاب تستخدم في الزراعة والرعي . ويعتمد استخدام الهضاب في الزراعة على توفر موارد المياه كما يعتمد ايضا على شكل التنظيم الاجتماعي والسياسي للسكان . وابرز تلك الهضاب هي :

هضبة بنجوين :

تحتل هضبة بنجوين الطرف الشرقي للواء بأجمعه ، وهي بذلك أضخم وأهم هضبة في اللواء . وتحيط بها جبال المنطقة المعقدة الالتواء من جهات ثلاث . ويتراوح ارتفاعها بين ١٥٢٥ مترا الى ١٨٣٠ مترا . ولا تستخدم الهضبة في الزراعة الا بدرجة محدودة ، لكنها تمتلك مراعى غنية . وتستخدم قبائل الجاف شبه المترحلة مراعى الهضبة باعتبارها المراعى الخاصة بالقبيلة .

هضبة بيرزنجة :

تمتد هذه الهضبة شرقا حتى جبال هورامان وجنوبا حتى سهل شهرزور ، بينما يحدها نهر قلا جوالان من الشمال . وتشتمل على بضعة جبال من بينها جبل كلاكراه وجبل كركجاو . ويمر طريق السليمانية - بنجوين - سنة على امتداد حافة الهضبة .

هضبة بشدر :

يحد هضبة بشدر من الشرق الجزء الايراني من المنطقة المعقدة الالتواء ، ومن الجنوب وادي سيويل ، ومن الغرب قلا جوالان ، كما يحدها نهر الزاب الصغير من الشمال . وتشتمل على بضعة جبال تمتد في الغالب بموازاة الحدود ، ومن بينها جبل سرشو وجبل كينو (١٧) .

(١٧) انظر : كتاب « جغرافية العراق العسكرية » تأليف سلمان الدركزلى ، بغداد ١٩٥٦ ، ص ٩١-٩٢ .

وسلقى هذه الهضاب جميعها امطارا غريزة وتكسو حبايب غابت
كثفة ، كما تغطي ارضها حشائش غنية تجعلها مراعى مسانر .
ونوضح الخاوطه الطوبوغرافية للواء السليمانية بأن المرتفعات تشغل
الحجره الاعظم من اسواء . ويرتفع ارتفاع خطوطه انكسوريه بين ٧٤٥ متر
الى ١٨٣٠ مترا تقريبا ، الا ان نصف مساحته تقع فيما بين ٧٥٤ مترا ان
١٥٢٥ مترا . ويمكن القول بأن الجهات الوحيدة التى يقل فيها الارتفاع عن
٧٥٤ مترا هى سهل شهرزور والطرف الشرقى من سهل مركه .
وتبلغ مساحة الاراضى الزراعيه فى اللواء ٢٥٥٠ كم^٢ ، بينما تبلغ
مساحة اللواء بأجمعه حوالى ٩٥٥٢ كم^٢ . (x)

- ٥ -

نظام تصريف المياه

يتصف نظام تصريف المياه فى لواء السليمانية بالتعقيد الشديد ، ويرجع
ذلك الى كون اسطقه ما تزال فى حانه شباب ، لذلك ون مجارى المياه تجري
فى جميع الاتجاهات وتتبع خطوط المقاومة الضعيفة لتصل بالانهار الرئيسيه .
ويمكن القول بأن النموذج اسائد لتصريف امياه هو اسمى بالتصريف
المتعاند ، ذلك ان الانهار الرئيسيه المستعرضه تحترق سلاسل الجبال فى
خنادق عميقه ، فى حين ان توابعها تحتل الاودية الطويله (١٨) . وبما ان
اعماق الانهار الرئيسيه اعظم من اعماق توابعها عموما فإن تلك التوابع تنصف
بنشاط عظيم قرب مصباتها ، وهى دائبه على حفر خنادق فى مجاريها السفلى
بعمق خنادق النهر الرئيسى تقريبا . وقد كونت بعض المدرجات لها بسبب
استمرارها فى حفر مجاريها .

(x) ينطبق هذه الارقام على اللواء بوحداته الاداريه القديمه .

(١٨) الاتروشى ، ص ٤١

وهناك نهران رئيسيان يصرفان مياه اللواء هما نهر الزاب الصغير ونهر سيروان (الذي يطلق عليه اسم ديبالى فى مجراه الأدنى) •

وينبع نهر الزاب الصغير من الاراضى الايرانية فى سهل لاهجان غربى مهاباد (سوج بولاق) ، ويجرى اولاً نحو الجنوب الغربى ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى بين جبال شديدة الانحدار • ويدخل لواء السليمانية عند الحدود الشمالية الشرقية ، ثم يغير اتجاهه الجنوبى الشرقى الى اتجاه شمالى غربى ، ويلتقى بنهر قله جوالان قبل دوكان بثمانية أميال • وابتداءً من هذه النقطة يتبع الزاب الانكسارات فى الصخور المتلوية حتى يخترق جبل كانى رش عند دربندى راماخان • (١٩) ويأخذ قاع النهر بالاتساع كلما استمر فى جريانه فى اتجاه جنوبى عبر سهل رائية • ثم تطبق المرتفعات عليه من جديد بعد ان يقطع حوالى خمسة عشر ميلاً نحو الجنوب • وعند مرزّه رستم يشق طريقه فى خنادق عميقة بين جبل بيره مكرون وجبل هيت سلطان • ثم يخرج بعدئذ الى المنطقة شبه الجبلية ويجرى فى سهول متموجة حتى يلتقى بنهر دجلة شمالى ييجى •

ويلتقى النهر كمية عظيمة من المياه فى فصل الربيع بشكل خاص عند ذوبان الثلوج وهطول الامطار الغزيرة • ولكن مهما ارتفع مستوى المياه فلا يسبب الفيضان على جوانبه سوى أضراراً طفيفة نظراً لارتفاع الاراضى المحيطة بالنهر • ولا يستخدم النهر فى الري الا قليلاً ، ذلك لان مجراه أكثر انخفاضاً بكثير من مستوى الاراضى الزراعية المجاورة ، كما انه يعاني من نقص شديد فى مياهه وقت الصيف حينما تشتد حاجة المحاصيل الصيفية الى المياه ———اه •

ويلتحق بنهر الزاب رافد قله جوالان بالقرب من الحدود الشمالية

19. "Iraq and the Persian Gulf", P.100.



خارطة تصريف المياه للواء السلیمانیة

وهو يشتمل على عدة توابع • ويصبح قله جوالان اثناء وحلال الربيع نهرا غزير المياه ، الا انه يتحول الى مسيل هزيل في فصل الصيف • ومن أهم توابعه آبي سيويل (الذى يشتمل بدوره على تابعين هما شالار وجمي كيزلجة) ويصرف مياه هضبة بنجوين ، وجمي كوكاسور الذى يصرف هضبة جوارته • وهذه التوابع جميعها ذات مجارى غزيرة المياه في فصل الربيع نظرا لأمطار الغزيرة ، لكنها تصبح مجرد مسيلات هزيلة اثناء الصيف • وينحصر استخدامها في الري في اشرطة ضيقة من الاراضى التى تمتد على ضفافها ، ومرجع ذلك بالدرجة الاولى الى ارتفاع مستوى الاراضى المحيطة بها •

اما نهر آبي سيروان فينبع من منطقة تقع شمالى سنه بحوالى ٣٠ ميلا وهو يصرف مياه منطقة جبلية واسعة من غربى ايران ، وذلك قبل ان يشق طريقه بين جبل هورامان وكوهى شوند ويدخل لواء السليمانية من طرفه الجنوبى الشرقى • ويتألف مجراه من سلسلة من الممرات الضيقة الوعرة ، ويبلغ الهر اشد حالاته وعورة في فصل الربيع ذلك ان مابعه في جبال هاورامان تتلقى اثناء الشتاء ثلوجا غزيرة • ويحرق في اتجاه شمالى - غربى متبا الانكسارات فى الصخور المتلوية ومكونا جزءا من الحدود العراقية - الايرانية • ثم ينحرف فجأة نحو اتجاه جنوبى - شرقى حتى يخرج من اللواء مخترقا سلسلة برنان فى مضيق دربندى خان • حيثئذ يتسع مجراه وينساب بهدوء حتى يلتقى بنهر دجلة جنوبى بغداد •

ان وعورة مجرى سيروان تجعل استخدامه في رى اراضى اللواء امرا متعذرا للغاية ، عدا حقول صغيرة متناثرة تقع على امتداد ضفافه لا سيما فى جزئه الاسفل قبل انسيابه فى الاراضى السهلية •

ويلتحق بنهر سيروان راقدان كبيران هما نهر آبي تانجرو الذى يصرف مياه حوض السليمانية بين ازمرداغ وبرنان داغ ، ونهر جمى ديوانسه الذى يصرف مياه الحوض الذى ينحصر بين جبال قره داغ وبرنان داغ •

ويعتبر نهر أبي تانجرو وتوابعه من اهم المجارى المائية المستخدمة فى
الرى فى اللواء ، ويمد نهر تانجرو الاراضى الزراعية على ضفتيه بالمياه
فى فصل الصيف على طول امتداد مجراه • ومع ان نهر تانجرو ينبع غربى
مدينة السلیمانية كمسيل مائى صغير ، الا انه يصبح مجرى ضخما حينما
يدخل سهل شهر زور ويلتحق به عدد كبير من الجداول والمسيلات المائية
التي تغذيها ثلوج جباء هورامان • وفى خلال فصل الشتاء والربيع يتسع
مجراه حتى يبلغ عرضه فى مواضع عديدة حوالى ٣٠ مترا ، لكن هذا
المجرى يتقلص الى بضعة أمتار فقط فى فصل الصيف • وعن اهم التوابع
التي تلتحق بنهر تانجرو نهر زلم ونهر آبی جاقان اللذان يصرفان مياه
سهل شهر زور • ومع ان هذين التابعين يصحان عبارة عن مسيلين هزيلين
فى فصل الصيف ، الا ان مياههما تستخدمان فى الرى بشكل محدود •

اما نهر جمى ديوانه فهو أقصر من نهر تانجرو وأقل اهمية • وهو
يصبح مسيل هزيل فى فصل الصيف ويستخدم بشكل محدود جدا فى الرى •
وينبع جمى ديوانه عند تانجى كالاش ، وبعد جريانه فى اتجاه جنوبى شرقى
يلتقى بنهر سيروان بالقرب من جاهاانا •

وتروى سهل بازيان منابع نهر طاق جاي وهو الرافد الشمالى لنهر
العظيم ، وكذلك نهر تاينال ، وكلا هذين النهرين يستخدمان بدرجة
محدودة فى الرى الصيفى •

- ٦ -

المناخ

يمكن ان يوصف مناخ العراق بأنه قارى عموما ، فهو يتصف بأربع
صفات متميزة : مدى حرارى يومى وسنوى مرتفع ، وريبع وخريف
قصيرين ، ومعدل واطىء من التساقط التابع لنظام البحر المتوسط ، ورطوبة

نسبية واطئة • لكن هذه الصفات ليست متماثلة في جميع جهات البلاد •
والواقع ان هناك منطقتين مناخيتين رئيسيتين تمثلان في العراق هما المنطقة
الجبلية ويتمثل فيها مناخ البحر المتوسط المضمحل ، ومنطقتي سهل النرافدين
والهضبة الغربية التي تتمثل فيهما حرارة شبه مدارية وامطار صحراوية •

ويقع لواء السليمانية كليا ضمن المنطقة الجبلية ويتصف مناخه التابع
لنظام البحر المتوسط الهامشي بصيف حار جاف وخريف دافئ ممطر وسماء
صافية وكمية غزيرة من نور الشمس • (٢٠)

✓ الحرارة

يتميز هذا العنصر بأهمية رئيسة بين عناصر المناخ الاخرى ، فالحرارة
تؤثر بشكل مباشر على الضغط الجوي ، وهذا بدوره يؤثر على حركة
الرياح ، ثم على معدل التساقط ، ثم على معدل التبخر • وتكاد تكون الاحصاءات
المناخية في لواء السليمانية منعدمة ، لاسيما احصاءات الحرارة • والواقع ان
محطة الرصد الحرارية لم تنشأ الا مؤخرا في النصف الثاني من عام ١٩٥٣ ،
وفي موضع واحد فقط ، وهي كهربزا سطى شريف قرب مدينة السليمانية •
ومع ان احصاءات تلك المحطة لا يمكن الاعتماد عليها كحكم نهائي ، لكنها
قد تمدنا بفكرة عامة عن الحالة الحرارية في اللواء • ولا شك ان الدراسات
المقبلة ستكون اكثر دقة • وبوضح الجدول التالي معدلات الحرارة الشهرية
لعام ١٩٥٤ (بالدرجات الفهرنهايتية) :

الجدول رقم ٢ (٢١)

موسمات الحرارة الشهرية لمحطة كهريز اسطة شريف

الدرجة بالفهرنهايت	الشهر
٤٢٫١	كانون الثاني
٤٢٫٣	شباط
٥٠٫٠	مارس
٥٨٫٦	نيسان
٧٦٫١	مايس
٨٥٫٧	حزيران
٩٣٫٠	تموز
٩٢٫٧	آب
٨٥٫٥	ايلول
٧٣٫٥	تشرين الاول
٥٥٫٥	تشرين الثاني
٤٩٫١	كانون الاول

يوضح الجدول المذكور بأن الصيف يبدأ في شهر مارس (مايو) وينتهي في شهر تشرين الاول (سبتمبر) ، فيدوم بذلك حوالي ستة أشهر • وترتفع درجة الحرارة ارتفاعا عظيما خلال اربعة اشهر ، من حزيران حتى ايلول ، وتبلغ أقصاها في شهرى تموز وآب (يوليو واغسطس) ، فتتجاوز ٩٠° ف لاكثر من ٦٠ يوما • ويساعد صفاء السماء وطول النهار وكتل الهواء القارية الحارة الجافة على رفع درجة الحرارة بدرجة عظيمة • غير ان هناك عاملان يخففان من شدة الحرارة هما متوسط الرطوبة النسبية الواطىء ونسائم الجبل •

(٢١) - احصاءات غير منشورة استقيت من سجلات محطة كهريز اسطة شريف لرصد الحرارة •

ولقد بلغت متوسطات الرطوبة النسبية لمدينة السليلمانية لعام ١٩٥٤
كما يلي :

حزيران ١٦٠٣٪ ، تموز ١٧٠٨٪ ، آب ١٧٠٩٪ ، ايلول
١٦٠٧٪ . (٢٢)

ان هذا المتوسط المنخفض يخفف من وطأة الحرارة على الاعصاب
اد يسمح بتبخر العرق من جسد الانسان وبالتالي يؤدي الى انخفاض درجة
حرارة الهواء حواله . وتأخذ الرطوبة النسبية بالارتفاع كلما اقترب موسم
الامطار، وتبلغ أقصاها في شهر كانون الاول وكانون الثاني (ديسمبر ويناير)،
فتصل الى متوسط عال نسبيا .

اما نسائم الجبل فهي تهب في الغالب بعد منتصف النهار وتخفف من
درجة الحرارة . ولذلك تلحق بمنازل قرى لواء السليلمانية شرفة تسمى
العائلة فيها أغلب أوقاتها وتتمتع بتلك النسائم المنعشة .

وتهبط درجة الحرارة هبوطا كبيرا أثناء الليل ، اذ تيسر السحابة
الصافية عملية الاشعاع من سطح الارض . ويتضح ذلك من الجدول التالي
الذي بين لنا متوسطات الحرارة اليومية العظمى والصغرى لعام ١٩٥٤ :

الجدول رقم ٣ (٢٣)

متوسطات الحرارة اليومية العظمى والصغرى لمحطة كهريز اسطة شريف
الشهر متوسط الحرارة العظمى (ف) متوسط الحرارة الصغرى (ف)

كانون الثاني	٤٧٫٧	٣٦٫٥
شباط	٤٨٫—	٣٦٫٥
مارس	٥٨٫—	١٤٫٤

(٢٢) سجلات محطة كهريز اسطة شريف .

(٢٣) المصدر السابق .

الشهر	« تابع »	متوسط الحرارة العظمى	متوسط الحرارة الصغرى
بيسان	٦٤ر٨	٥٢ر٣	
ميس	٨٣ر٥	٦٨ر٧	
حزيران	٩٤ر٧	٧٦ر٧	
تموز	١٠٢ر—	٨٤ر٤	
آب	١٠١ر٤	٨٤ر—	
ايلول	٩١ر٥	٧٣ر٦	
تشرين الاول	٨٠ر—	٦٧ر—	
تشرين الثانى	٦٢ر—	٤٨ر—	
كانون الاول	٥٣ر٧	٤٤ر٥	

يتضح اذن ان مدى الحرارة اليومى عظيم وخاصة اثناء شهور الصيف ، اذ يبلغ حوالى ١٨° و ١٦ر٦° و ١٧ر٩° في تموز وآب وايلول على التوالي • ويعزى انخفاض درجة حرارة الليل الى الاشعاع السريع لحرارة النهار عقب غروب الشمس ، والى حالة التصريف الهوائى او نسائم الجبل الباردة التى تهب من الجبال الى الاودية والاراضى المنخفضة • ويلاحظ ان مدى الحرارة السوى عظيم ايضا ، وهذه الظاهرة تكسب مناخ لواء السليمانية صفة قارية واضحة •

وتبدأ درجة الحرارة بالهبوط السريع فى نهاية شهر تشرين الاول ، وتبلغ أدناها فى شهر كانون الثانى وشباط • ومع أن كانون الثانى هو أشد شهور السنة برودة فى جميع انحاء اللواء ، الا ان شهر شباط عموما يبلغ نفس درجات كانون الثانى ، وتتراوح درجة الحرارة فى خلال الشهرين حوالى ٤٠° ف • ويحدث الصقيع خلال هذين الشهرين كما تسقط الثلوج بضعة مرات فى كل شهر • ويجدر بالذكر ان مدى الحرارة اليومى المتوسط

هو أقل ارتفاعا بكثير من مدى الحرارة اليومية الصيفي ، ذلك ان النهار يتلقى حرارة أقل في أيام الشتاء ، كما ان الاشعاع الذي يبدأ بعد الغروب لا يكون بنفس القوة بسبب تأثير الرطوبة النسبية العالية نوعا وكثرة اغيوم في السماء •

ولابد من الاشارة ايضا الى ان ارقام الحرارة التي ذكرت اعلاه لا توضح الحالة الحقيقية للحرارة في جميع انحاء اللواء • والواقع ان تلك الارقام لا توضح الا حالة المناطق التي تقع تحت مستوى الخط الكنتوري ٣٠٠٠ قدما فقط • وقد سبق ان ذكرنا بأن حوالى نصف مناطق اللواء تقع فوق مستوى خط الكونتور ٣٠٠٠ قدما ، وفي بعض الجهات يزيد ارتفاع الارض عن خط الكنتور ٦٠٠٠ قدما • وتتميز امثال تلك المناطق بشتاء أكثر برودة اذ يبلغ متوسط الحرارة حوالى ٣٢° ف خلال شهرى كانون الثانى وشباط ، كما تتصف بصيف أقل حرارة ، اذ يبلغ متوسط الحرارة حوالى ٧٠° ف في شهرى تموز وآب • وتأخذ درجة الحرارة بالهبوط كلما تقدمنا نحو الجهات الشمالية من اللواء او الجهات الشمالية الشرقية منه •

الضغط الجوى والرياح

تتركز في فصل الصيف منطقة ضغط مرتفع فوق هضبة الاناضول ، تقابلها منطقة ضغط واطىء فوق الخليج العربى وشبه القارة الهندية • لذلك تهبط خطوط الضغط خلال شهور الصيف مع ميل شديد من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ، وتصبح الرياح السائدة خلال الصيف شمالية غربية • وتتصف هذه الرياح بالجفاف والحرارة في العادة ، وتراوح سرعتها احيانا بين ٢٠-٤٠ ميلا في الساعة خلال النهار ، ولكنها تتلاشى اثناء الليل • (٢٤)

24. Redpath, C.H., Notes on the climate of Mesopotamia, Symon Meteorological Magazine, No. 54, 1919, P.90.

ويطلق على هذه الرياح في لواء السليمانية ، اسم (رشبا) ، بينما تسمى في الجهات الأخرى من العراق باسم (رياح الشمال) ، وهي تسبب أضرارا كبيرة لأشجار الفواكه في اللواء • وتبنى أسيجة سطوح البيوت في المراكز المدنية من اللواء بثقوب كثيرة لتيسر هبوبها دون أن تسبب أضرارا للمنازل • أما في وسط وجنوب العراق فهي تسبب أرواح ترابية وخاصة في شهر حزيران وتموز وآب •

وتتجه خطوط الضغط في فصل الشتاء من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، إذ تتركز منطقة ضغط مرتفع على بحر قزوين تقابلها منطقة ضغط منخفض فوق الصحراء العربية الكبرى والبحر الأحمر • وبما أن الأحوال الضغط غير مستقرة أثناء هذه الفترة وهي عرضة للتغير بين وقت وآخر بسبب تدخل أعاصير البحر المتوسط ، فإن الرياح تصبح متغيرة من يوم لآخر • وتعود ثلاثة أنواع رئيسة من الرّيح خلال فصل الشتاء هي : الرياح الشمالية الغربية والرياح الشمالية الشرقية والرياح الجنوبية الشرقية •

وتهب الرياح الشمالية الغربية من هضبة الأناضول حاملة الدفء والطقس الجاف • أما الرياح الشمالية الشرقية فصحبها طقس بارد جاف وسماء صافية جدا • وتعتبر الرياح الجنوبية الشرقية باردة نسبيا ورطبة ويصحبها في العادة غيوم وأمطار ، وتنشأ هذه الرياح أمام الانخفاضات الجوية المتحركة ويطلق عليها محليا اسم «الشرجية» • (٢٥)

الامطار

يتبع نظام الامطار في العراق عموما نظام البحر المتوسط الهامشي الذي

25. Al-Shalash, Ali, 'The climate of Iraq, P.17.

وهي رسالة ماجستير غير منشورة قسمت الى جامعة ماريلاند في الولايات المتحدة في عام ١٩٥٧ •

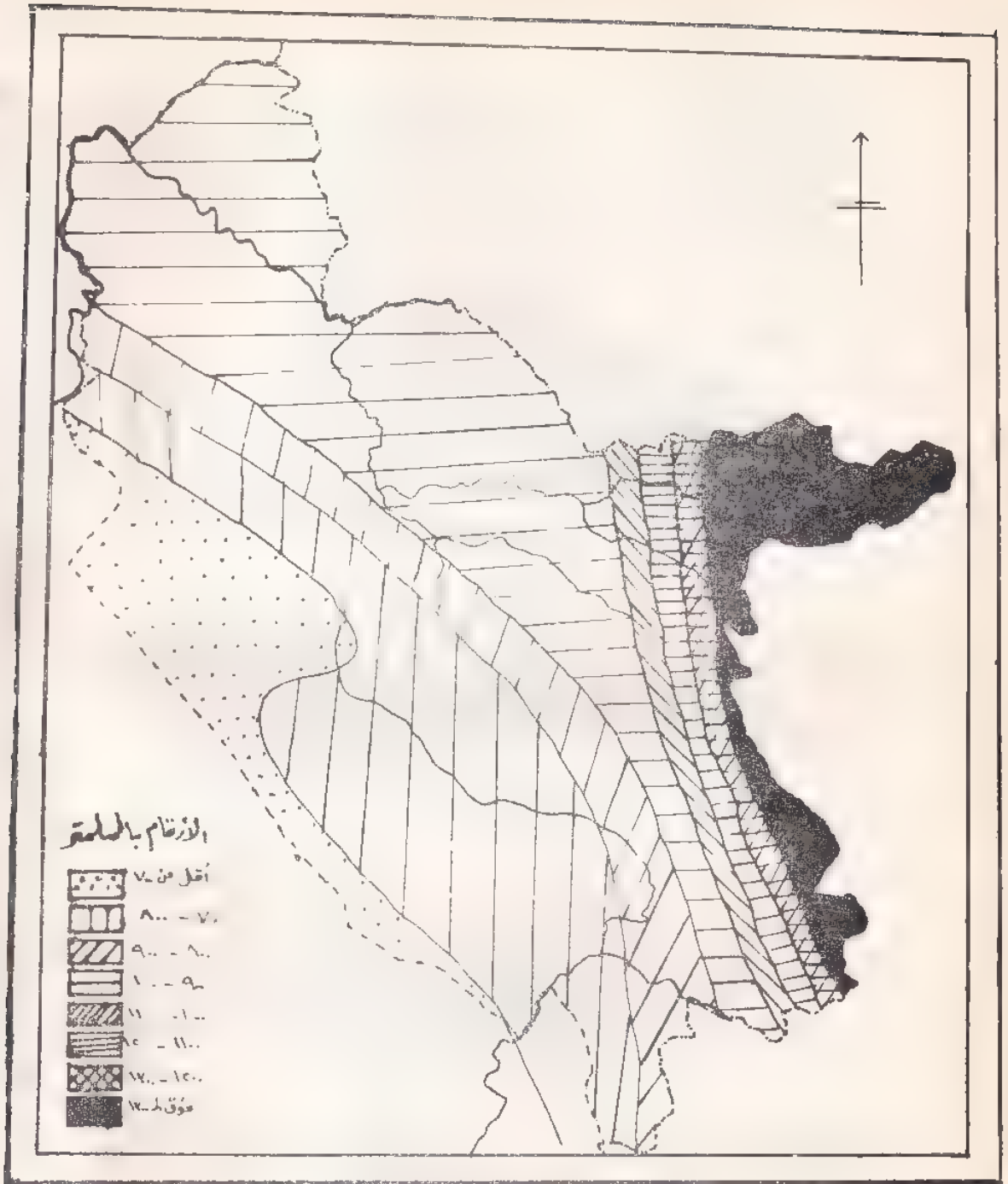
تسبب أمطاره في الغالب من الأعاصير التي تصحب الرياح الجنوبية الغربية .
وقد أشرنا الى ان العراق محط في فصل الشتاء بضغط مرتفع في جهاته
اشمالية والشرقية والغربية يمتد فوق هضبة الاناضول والهضبة العربية
والهضبة الإيرانية ، كما انه محاط من الجهة الجنوبية الغربية بضغط منخفض
فوق الخليج العربي . وتتوسط هاتين المنطقتين منطقة ضغط منخفض نسبيا
تحل حوض وادي الرافدين ، وتمتد امتدادا شماليا غربيا - جنوبا شرقيا
تربط منطقة الضغط المنخفض فوق البحر المتوسط بمنطقة الضغط المنخفض
فوق الخليج العربي . ان منطقة الضغط المنخفض هذه تيسر مرور انخفاضات
البحر المتوسط من الغرب الى الشرق . وفي اثناء مرور هذه المنخفضات تهب
رياح جنوبية شرقية دافئة من الخليج العربي ، وتسود البلاد أمطار غزيرة
وزوايح رعدية ، ثم تهب الرياح الشمالية الغربية الباردة في أعقاب تلك
الانخفاضات تصاحبها سماء صافية واحوال مناخية مستقرة . (٢٦) وترتبط
أعلى كمية من الأمطار عادة بحدوث أعلى مقدار من هذه الانخفاضات . ويتكرر
مرور هذه الانخفاضات عادة ثلاث مرات في الشهر فيما بين شهر تشرين
الثاني ومارت . (٢٧)

ويسقط بالإضافة الى الأمطار الأعاصرية مقدار محدود من الأمطار
الانقلابية (التصعدية) ، لاسيما في فصلي الربيع والخريف ، وهي تسبب
عن شدة تسخين الأرض .

وتدوم الأمطار من اواسط تشرين الاول حتى شهر ميس ، وتبلغ
أقصاها في كانون الثاني وشباط . وتنعدم الأمطار في بقية العام من شهر
حزيران حتى أوائل تشرين الاول .

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٢٠

(٢٧) هستد ، ص ٣٧



ويختلف متوسط المطر السنوي من منطقة الى اخرى من مناطق البلاد ، وهو يرتفع كلما تقدما من الجنوب الغربى نحو الشمال الشرقى .
وتصل كمية الامطار أقصاها فى المنطقة الجبلية وأدناها فى السهول المنخفضة الجنوبية . ويبلغ متوسط المطر السنوي للعراق عموما ٣٧٤ ملمترا ، بينما يقرب متوسط المطر السنوي للمنطقة الجبلية ٩٥٠ ملمترا ، أى انه اعلى من بقية مناطق البلاد بحوالى ٥٧٦ ملمترا .

وبما ان لواء السليمانية يقع كليا ضمن المنطقة الجبلية ، فانه يتلقى كمية من الامطار اكر مما تلقاه معظم الاوية . ويختلف مقدار المطر من شهر لآخر ، الا ان اقله يسقط اثناء شهر كانون الثانى وشباط ومارت ، حيث يسقط فى زخات ثقيلة . ويسبب تركيز كمية ضخمة من الامطار فى زخات ثقيلة اضرارا بالغة للتربة فى منحدرات الجبال الشديدة الانحدار ، لذلك فان لواء السليمانية يقاسى فى أغلب اجزائه من تعرية شديدة .
ويوضح الجدول التالى متوسط المطر الشهري فى محطات متعددة للواء سجلت فى سنين مختلفة :

الجدول رقم ٤ (٢٨)

متوسط المطر بالملمترات فى محطات بكرة جو وحليجة

والسليمانية وبنجوين

المحطة	ارتفاعها بالاقدام	كانون الثانى	شباط	مارت	نيسان	مايس	حزيران
١ - بكرة جو	٢٤٤٦	١٤٣٣	١١٧١	١١٦٩	٨١٢٨	٣٤٨٨	٠٥٠
٢ - حليجة	٢٣٠٠	١٧٢٦	١٥٠٤	١٤٠٤	٧٧٦	٣٣٥	—
٣ - السليمانية	٢٧٥٠	١٣٦٩	١١١٣	١١٨٦	١٠٧٦	٦١٩	—
٤ - بنجوين	٤٢٥٠	٣١١٢	٢٤٤٦	٢٣٩٣	١٠٥١	٥٣٧	—

(٢٨) دنيس ، ص ٤٣ .

حوز	آب	ابلول	تشرين الاول	تشرين الثاني	كانون الاول	معدل امطر عدد السنوات
١٢٦	—	١٣٣٣	٩٠—	١١٦٨	٨٢٥٢	١٢
—	٠٥٠	٣٣٣٧	٨٢٢	١٣٥٥	٨٢٧٤	١٨
—	—	١٤٦٦	٦٩—	١١٤٦	٧٣٤٥	١٥
—	—	٩٠٩	١٣٠٣	٢٠٤—	١٣٣٩١	١١

يبين الجدول السابق ان كمية المطر موزعة توزيعا جيدا على خمسة أشهر من السنة ، وهى شهر كانون الاول و كانون الثانى وشباط ومارت ونيسان . كذلك يوضح الجدول بأن الامطار الربيعية التى تسقط فى شهرى شباط ومارت مساوية تقريبا للامطار الشتوية التى تسقط فى شهر كانون لاول و كانون الثانى . ان هذه الصفة للمطر ذات أهمية خاصة لزراعة الجافة ، اذ تتلقى المحاصيل كمية كافية من امطر اثناء المرحلة الاحيرة . من نموها . وعلى أية حال فإن اشهر الشتاء كانون الاول و كانون الثانى وشباط هى أكثر شهور السنة مطرا . أما أشهر الربيع مارت ونيسان ومايس فتلقى كمية أقل من المطر . ويعزى هذا التناقص فى كمية المطر الى عوامل متعددة منها قلة الزوابع الاعصارية القادمة من البحر المتوسط وضعفها مما يقلل من قدرتها على التوغل فى المنطقة ، ومنها ترحل الضفط الاطلسى المرتفع الى الشمال مما يجعل الرياح الغربية تهب الى الشمال من مناطقها .

وتسبب أغلب الامطار الربيعية عن الزوابع الانقلابية . وتتلقى أشهر الخريف تشرين الاول وتشرين الثانى كمية من المطر أقل بكثير من أشهر الشتاء والربيع . ويعود ذلك الى الفترة القصيرة التى تستغرقها الايام الممطرة التى تنحصر ما بين اواسط تشرين الاول ونهية تشرين الثانى ، كما يعزى الى الفترة التى تنشط فيها انخفاضات البحر المتوسط التى تبدأ عند منتصف الخريف .

أما أشهر الصيف فهي عديمة الامطار كليا • ويعزى اختفاء المطر في هذه الأشهر الى انتقال مناطق هبوب الرياح الغربية نحو الشمال ، وبذلك تفقد انخفاضات البحر المتوسط تأثيرها على العراق ، كما يعزى ايضا الى وقوع المنظمة تحت تأثير الهواء القارى المدارى الذى يتصف بالجفاف والحرارة والاستقرار • وان الجفاف الشديد لهذه الكتل الهوائية يجعل حتى الزوابع المطرية القارية امرا شبيها مستحيل الوقوع •

وتشير دراسة امطار لواء السليمانية ايضا الى درجة عالية من الذبذبة • وتوضح هذه الظاهرة فى الجدول الدالى الذى يبين لنا متوسطات الامطار السنوية لعدة محطات خلال الفترة بين عام ١٩٣٧ الى ١٩٥١ •

الجدول رقم (٢٩)

معدل المطر السنوى بالملمترات لمحطات
السليمانية بؤكره جو وحلبجة وبنجوين

المحطة	ارتفاعها بالاقدام	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢
١ - السليمانية	٢٧٥٠	٨٧٨٠٦	١٠٢٤٠٤	٦٧٦٠١	٧٦١٠٥	٧٨٤٠٩	٤٦٥٠٤
٢ - بؤكره جو	٢٤٤٦	٤٣٠٠٩	١٠٣٠٠٤	٦٠٣٠٢	٧١٣٠٦	٥١١٠٨	١٤٧٠٣
٣ - حلبجة	٢٣٠٠	١٤٧٠٠٦	٢٢٥٠٦	٦٠٧٠٦	٨٦١٠٥	٧٠٧٠٥	٥٨٤٠٢
٤ - بنجوين	٤٢٥٠	-	-	٩٧٧٠٤	١٧٣٠٠٨	١٢٨٢٠٥	١١٧٥٠٩
١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠
١٩٤٣	٧٠١٠٢	٦٣٨٠٧	٧٩٠٠٧	٤١٤٠٧	٨٢٩٠٥	-	٤٢٩٠٣
٧٥١٠٢	٥٩٠٠٠	٨٥٨٠٦	٥١٨٠٧	٥٢٧٠٥	-	-	-
٦١٢٠٩	-	٥٨٠٠٧	٨٨٧٠٢	٥٢٩٠٥	٥٤٠٠١	٦٧٥٠١	٥٠٥٠٨
١٠٤٧٠١	٦٣٨٠٧	١٢٢٨٠١	١١٦٥٠٥	-	-	-	٩٣٥٠٦

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٤٤ - ٤٥

يوضح الجدول السابق ان بكره جو مثلاً قد تلقت كمية من الامطار قدرها ١٠٣٠٤ ملمترا في عام ١٩٣٨ ، و ١٤٧٣ ملمترا في عام ١٩٤٢ ، و ٥١٨٧ ملمترا في عام ١٩٤٦ . كذلك تلقت حلبجة كمية من الامطار قدرها - ٢٢٥٦ ملمترا عام ١٩٣٨ ، و ٥٦٤٢ ملمترا عام ١٩٤٢ ، و ٨٨٧٢ ملمترا عام ١٩٤٦ . وهذا يدل على ذبذبة عظيمة في سقوط الامطار . وتعزى هذه الذبذبة الى وقوع المنطقة على حافة الامطار الاعصارية مما يجعل كمية الامطار الساقطة أمراً لا يمكن الاعتماد عليه ^(٣٠) . ونسبب هذه الظاهرة احيانا اضرارا بالغة للمزروعات الشتوية .

ويوضح الجدول ايضا بأن كمية المطر تختلف من مكان الى اخر فسي اللواء تبعا لاختلاف الارتفاعات وتبعا لموضع محطات الرصد ان كانت فسي السفوح المواجهة للرياح ام في ظل المطر . لذلك فان كمية الامطار تأخذ بالزيادة كلما اتجهنا من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ، اذ ان ارتفاع الارض يأخذ بالازدياد كلما تقدمنا نحو الشمال الشرقي . وبناء على ذلك يتلقى قضاء حلبجة أكبر كمية من الامطار في اللواء يليه قضاء جوارته ثم قضاء بشدر على التوالي ، في حين ان قضاء السليمانية يتلقى أقل كمية من المطر في جميع جهات اللواء .

احوال الصيف :

يبدأ الصيف في أواسط مايس ويدوم حتى أواسط تشرين الاول . وتنقطع الامطار فيما بين شهر حزيران وآب ، لذلك تذوى أغلب النباتات التي تعتمد على المطر ، ولا تبقى الاعشاب الخضراء الا فوق المنحدرات المرتفعة للجبال الشاهقة .

30. Miller, A. Austin, Climatology, London, 1955, 5th edit., P. 167.

وتتصف درجة الحرارة اثناء النهار بالاعتدال الا انها تنخفض بشكل ملموس اثناء الليل ، لاسيما فوق المرتفعات ، بحيث يصبح البرد لاذعا • وتهب ارياح الشمالية الغربية القوية (الرشبة) غالبا ، اذ تهب حوالى عشرة ايام فى كل من شهر تموز واب وايلول • وتكون الشمس سطعة على العموم ، ولكن تظهر الغيوم المتفرقة العالية فى السماء غبا أيضا • وتسود بين السكان عادة القيلولة بسبب ارتفاع حرارة النهار و سطوع الشمس لفترة تراوح بين ٩-١٢ ساعة يوميا ، لكن هذه العادة تكاد تكون مجهولة فى جهات المرتفعات الشمالية الشرقية وفى الجهات الشرقية من اللواء •

وعلى العموم فان حرارة الصيف وفترته الزمنية تكفى لنمو عدد من المحاصيل المدارية كالبنج و الارز وانفطس • لكن فصل الصيف فى الجهات الشمالية الشرقية القصوى من اللواء قصير وبارد بحيث لا يسمح بنمو أمثال تلك المحاصيل المدارية وخصوصا الرز •

احوال الشتاء :

يتصف الشتاء بالبرودة المعتدلة فى الاودية والسهول ، الا انه يصبح قارس البرد نوعا فى الجبل والمرتفعات • لذلك يراعى السكان فى بناء بيوتهم أحوال الشتاء الباردة اكثر مما يراعون احوال الصيف ، ويفكرون قبل كل شئ بوجوب تجنب الرياح الباردة واثلوج • وتسقط الثلوج بغزارة فوق قمم الجبال ، وقد يؤدى سقوطها احيانا الى قطع جميع انواع المواصلات لفترة طويلة فتصبح القرى فى عزلة تامة • ويتراوح ارتفاع خط الثلج الدائم بين ٢٥٠٠ الى ٤٠٠٠ قدما •

وتظل جميع النباتات فى سبات خلال أشهر الشتاء حتى مايس ، الا ان حرارة السهول والاودية المحمية تتجاوز درجة التجمد مما يسمح بزراعة الفواكه الحمضية •

وتظهر فى السماء خلال شهور كانون الاول وكانون الثانى وشباط

ومارت غيوم عالية ، مما يقلل من ساعات اشعة الشمس * ، ويزداد مقدار الأيام الغائمة كما ازدادت كمية الأمطار ابتداء من تشرين الأول حتى كانون الثاني ، ومع ذلك فإن متوسط الغطاء الغمامي لاى شهر نادرا ما يتجاوز خمسة أعشار ، ^(٣١) ولهذه الظاهرة أهمية خاصة ، إذ ان كمية الفيوم تؤثر على مقدار الأمطار وعلى الحرارة وعلى فترات الاضاءة اليومية .

ويحدث الضباب بمعدل ٦ الى ١٠ أيام اثناء الفصل المطير ، ويبلغ انصه فى شهرى كانون الأول وكانون الثاني ، ويرتبط الضباب بمرور الهواء البارد اثناء الساعات المتأخرة من الليل والساعات المبكرة من الصباح ، اذ يهبط من الاراضى المرتفعة المجورة الى الاراضى الواطئة المجاورة . ويحدث الصقيع أغلب الليالى فى شهر كانون الثاني وشباط ١٠

الفصول الانتقالية :

يمثل الربيع والخريف فترات انتقالية ، ولا يطوران الى ما يمكن ان نسميه بالفصول الحقيقية الا فى الجهات الشمالية الشرقية القصوى والجهات الشرقية حيث يصبح الصيف قصيرا جدا * وفى اثناء هذين الفصلين الانتقاليين تصبح الحرارة المعتدلة ملائمة جدا للحياة البشرية . ويحل فصل الربيع فى شهرى نيسان ومايس ، وان كان من المفروض ان يبدأ فى أواسط مارت * وفى خلال هذا الفصل تكتسى الاودية وسفوح المرتفعات فى اللواء بسجادة حضراء وبأنواع عديدة من الزهور الجذابة ، وبلغ جمال المنطقة مداه ، يضاف الى ذلك نهار مشمس دافئ .

ويبدأ الخريف فى تشرين الأول ، ويمثل بشكل أكثر وضوحا الفترة الانتقالية بين الصيف الحار والشتاء البارد . وتختلف هذه الفترة عن فترة الربيع فى التغير الفجائى من الصيف الى أحوال شتائية واضحة ، بينما يحدث الانتقال من الشتاء الى الصيف خلال الربيع بشكل غير ملحوظ تقريبا .

(٣١) الشلش ، ص ٧٢ .

النبات الطبيعي

إن النبات الطبيعي ثمرة للتفاعل بين المناخ والضاريس والتربة • لذلك
تتمثل في العراق أربعة نماذج متميزة من النباتات الطبيعية هي :

١ - الغابات الجبلية :

وتتمثل في المنطقة الجبلية التي تتوافق مع خط المطر ٦٠٠ ملمترا •

٢ - حشائش السهول :

وتتمثل سهول خط مند من حديته إلى تكريت إلى قربل رباط ثم
إلى بكرة ، وتتوافق مع خط المطر ٢٠٠ ملمترا •

٣ - الأعشاب الصحراوية :

وتتمثل في الصحراء العربية في الجنوب والغرب •

٤ - الأعشاب النهرية :

وتتوزع على ضفتي دجلة والفرات في وادي الرافدين •

ويجدر بالذكر أن مناخ العراق غير مناسب عموماً لنمو الأشجار الضخمة
بسبب التفاوت العظيم بين متوسطات مدى الحرارة الصيفي والشتوي وسهول
مركز الأمطار في فصلي الشتاء والربيع فقط • لذلك أصبح الجزء الأعظم
من النباتات الطبيعية في البلاد عبارة عن حشائش وأعشاب • وتلاحظ هذه
المشكلة حتى في المنطقة الجبلية حيث الأمطار أكثر غزارة والحرارة أقل
ارتفاعاً، فلاشجار ليست ضخمة ولا كثيفة، ويرجع ذلك إلى التعرية الشديدة
التي تصيب منحدرات الجبال وإلى القطع المفرط للغابات • (٣٢)

وبما أن لواء السليمانية يقع ضمن المنطقة الجبلية كلياً ، فإن النوع
السائد من البت الطبيعي فيه هو النوع الغابي • وتتميز هذه المنطقة بصيف

فصير بارد وحرارة معتدلة • ويتراوح المطر اثنى عشر فيهما بين ٦٠٠ ملمترا و ١٤٠٠ ملمترا ، ويسقط جزء كبير منه على شكل ثلوج فى المناطق اىرفعة • وكما هو الحال فى أغلب المناطق الجبلية فان النباتات الطبيعية تختلف باختلاف الارتفاع ، ويمكن تصنيفها على النحو التالى :

١ - منطقة الجبال المرتفعة :

وهى منطقة شبه البية ، وتبدأ بالقرب على ارتفاع ٦٠٠٠ قدما وتمتد فوق منطقة الغابات البلوطية ، وتميز بغطاء من الغابات الكثيفة الواطئة الاشجار من اصناف مخلب العقاب الشوكية *Astragalus* • وان اكثر المجموعات الشجرية شيوعا فيما بين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ قدما هى الاشجار ذات ابوسادة الشوكية *Thorn Cushion zone* ، وان النباتات السائدة فى هذه المجموعات هى الاعشاب الواصة والشجيرات التى تنمو على شكل وسادات مقاربة ملاحظة يبلغ قطرها بعض الاحيان بضعة اقدام • وهذه الاشجار فى العادة شوكية جدا وتتصف اوراقها بالصغر ، وان منظرها العام شبيه بمنظر الاشجار الصحراوية • وتتأثر هذه الاشجار فوق التربة الصخرية نوعما يخالطها بين موضع واخر نباتات عشبية • (٣٣)

وتعتبر هذه اسطقة من مناطق الرعى الهامة ، اذ ان مراعيها تحتفظ بطرواتها اثناء الصيف ، فى الوقت الذى تستهلك فيه مراعى السهول والمنطقة شبه الجبلية وتجف بسبب الحرارة ، لذلك فان الرعاة وشبه المرحلين يهاجرون بقطعانهم الى هذه المنطقة فى بداية الصيف ويغادرونها فى بداية الخريف •

٢ - منطقة الغابات :

ان الجبال المنحصرة بين ٢٠٠٠ قدما و ٦٠٠٠ قدما مكسوة بأشجار



خارطة النباتات الطبيعية للواء السليمانية

ابلوط • وتعتبر هذه الغابات من الناحية الاكولوجية (البثوية) اقرب الى الغابات الاوربية - السبرية منه الى نوع غابات البحر المتوسط بالرغم من ان بعض اشجارها تمثل في حال الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، اذ لا توجد في هذه الغابات اشجار دائمة الخضرة • (٣٤)

ويمكن ان تقسم هذه المنطقة الى صنفين :

أ - غابات جافة ذات ارتفاع واطئ ، تكثر فيها اشجار القسوس ايمسى
Pistacia Kinkjك واشجار ابلوط الجاف الاعتيادى Quercus aegilops •

ب - غابات رطبة تكثر فيها اشجار بلوط الدندار Quercus Libani

وان كانت اشجار البلوط الجاف الاعتيادى كثيرة ايضا • (٣٥)

لقد بدأت عملية ازالة هذه الغابات من سنين طويلة ، ولم يبق فسى بعض المواضع سوى اشجار صغيرة • ولقد اخفقت غلات كثيرة كليا ونوع الحطابون وصاعوا الفحم عميقا فى هذه اسطة بحث عن اشجار حديدية • ولقد كئن القطع فى بعض الاماكن خطيرا بدرجة سم بعد باستطاعة الاشجار الجديدة ان تعوض عن الاشجار القديمة • والواقع ان الاشجار الجديدة - فـ واجهت وضعا صعبا لان اغلب التربة قد جرت بها الامطار والبلوج ، فلم تعد الصخور العارية قادرة على مد الاشجار الحديدية بالغذاء • فضلا عن ذلك فان المناخ لا يناسب نموا سريعا للاشجار •

ومن العوامل الاخرى التى أثرت على منطقة الغابات تأثيرا سيئا الزراعة الدائمة وارعى المفرط ، لاسيما رعى الماعز • ومن الملاحظ ان الجهات التى تجاور مدنا او قرى مكتظة بالسكان ، او تلك التى تخترقها الطرق والانهار

34. Zohary, M, "The flora of Iraq" Baghdad 1946, P.11

35. Chapman, P.3.

تتميز بغابات ذات اشجار صغيرة متفرقة ، اما الجهات الوعرة التي يتعذر الوصول اليها وانى تنخفض فيها كثافة السكان فانها تتميز بغابات ذات اشجار ضخمة وكثيفة نوعا . ومثال ذلك غابات وادي نهر شالار في ناحية بنجوين ، وكذلك غابات كانيل منجا وجو مرزى في جنوب ناحية بنجوين ، وغابات قوبى قره داغ في ناحية قره داغ ، وغابات مركه بلان في ناحية سورداس ، وغابات زيمناكو في قضاء حلبجة وغابات ناحيتي ماوت وسروجيك . ولقد تركت ازالة الغابات اثارا خطيرة لا على المنطقة الجبلية فحسب ، بل على المناطق السهلية في جنوب ابلاد ايضا ، فقد تعرضت تربة المناطق الجبلية الى تعرية شديدة ، بينما امتلأت قنوات الري والاحزاء الدنيا من نهر دجلة بما تحمله مجارى المياه من الطمي والحصى . لذلك بات من الضروري اعادة تشجير منطقة الغابات وتعويض الاشجار المقطوعة . وقد اتخذت الحكومة خطوات جدية في هذا الاتجاه فأصدرت قانون الغابات وحرمت القطع الاعباطى للاشجار . كما اتخذت وزارة الزراعة اجراءات ايضا الاجراءات العملية لاعادة زراعة بعض المنحدرات التي جردت من اشجارها .

٣ - الاشجار الجبلية واشجار المستنقعات :

يطلق على هذا النوع من الاشجار اسم الاحراش . وتمتد غابات الاحراش على ضفاف الأنهار في جهات السببس والجهات شبه الصحراوية . وتمتد على شواطىء الجداول الكبيرة شرائط من النباتات العائدة للمجموعات القصية Phragmitis Communities ، كما توجد في الغالب اشجار الصفصاف والدلب (الجنار) والعليق ، وكثيرا ما تتعلق اغصان الكروم فوق الاشجار الصغيرة (٣٦) ولقد قام شابمان بمسح تقريبي لمنطقة الغابات في شمال العراق واورد الارقام التالية لغابات لواء السليمانية :

36. "Iraq and the persian Gulf" P. 196.

الجدول رقم ٥ (٣٧)

مناطق الغابات في نواء السليمانية (بالكيلومترات المربعة)

ب - مراعى جبلية

١ - غابات درجة اولى

٢ - غابات درجة ثانية

٣ - غابات درجة ثالثة

القضاء	ب	١	٢	٣	المنجموع
السليمانية	٤٤٨٤	٢٠٠٣	٢٠٧١	٥٣٨٢	٩٩٠٠
حلبجة	١٤١٢	٢٤٧٦	١٥٦٨	٤٦٤٤	١٢٩٠٠
جوارته	٨٤٢	١٩٦٠	١٨٢٢	٩٦٢٦	١٤٢٥٠
بشدر	١٠٦٠	٧٥٦	٨٤٠	٢٤٤٤	٥١٠٠
المجموع	٣٧٥٨	٩٩٩٥	٦٣٠١	٢٢٠٩٦	٤٢١٥٠

اما المنطقة المغطاة بالاحراش من العراق فقد قدرها شابمان بحوالى ٤٤٨٨ دونما (٣٨) • هذا فيما يتعلق بأنواع الغابات التى تسود فى الاراضى المرتفعة من اللواء • أما ما يتعلق بالسهول الداخلية كسهل شهرزور وسهل مرگه وسهل السليمانية فتغطيتها نباتات السببس التى تمثل نوعا انتقاليا بين نوع الاستبس الحقيقى الذى يمثل فى المنطقة شبه الجبلية ونوع نباتات المنطقة الجبلية • وتشتمل هذه النباتات على أشجار صغيرة معمرة ذات جذور عميقة مثل خروب الخنزير *Anagyris fastida* ومعها انواع اخرى مثل أشجار الفستق والبُلوط *Quercus and pistacia* وحشائش طويلة • (٣٩) وتقل الحشائش فى فصل الصيف ما عدا المناطق القريبة من مجارى الانهار •

37. Chapman, Table 11.

38. Ibid, Table 11.

39. Ibid, P. 3.

الفصل الثاني

جغرافية السكان

- ١ -

اتجاهات النمو السكاني

لا يمكن ان يتم تقدير اتجاهات النمو السكاني الا بدراسة الاحصاءات السكانية الشاملة والطويلة المدى . وفي بلادنا لم تدرك أهمية الاحصاء الا في عهد متأخر ، فقامت الحكومة لأول مرة باجراء احصاء عام للسكان في عام ١٩٤٧ . وبما انها كانت التجربة الاولى فقد أحاطت بها العقبات واعتورتها نواقص كثيرة ولم تحقق الدقة المطلوبة ، وكانت أبرز تلك العقبات عدم تعاون السكان ، وهو موقف املته عليهم تجاربهم السابقة مع الدولة العثمانية التي كانت تقوم باحصاء السكان لأغراض الضرائب والتجنيد . وقد بلغ سكان لواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٤٧ حوالي ٢٤٠٠ نسمة^(١) .

(١) الحكومة العراقية : « الاحصاء في العراق - ١٩٤٧ » ، بغداد ١٩٥٤ ، ص ١٢٥ .

ولقد ورد في المجلد الاحصائي المذكور ان عدد السكان الاكراد قد بلغ

ويمكن ان يقارن هذا الرقم برقمين سابقين فقط ، الاول أوردته لجنة تنمية الامم التي تولت اجراء الاستفتاء في مصير ولاية الموصل ، وكان ١٩١٥٢٥ نسمة ، ^(٢) والثاني أوردته تقرير عن (الاحصاءات الحيوية) نشرته عام ١٩٣٥ مديرية الصحة العامة معتمدة على تسجيلات المراكز الصحية ، وكان ١٨٤٢٠٤ نسمة . ^(٣)

ان مقارنة هذه الارقام بعضها تكشف عن توقف في اتجاه النمو السكاني تقريبا ، فهو يزيد احيانا زيادة بسيطة وينخفض احيانا اخرى انخفاضاً طفيفاً .

ويمكن ان نرسم لاتجاهات النمو السكاني صورة اكثر وضوحاً ودقة بمقارنة رقم ١٩٤٧ برقم ١٩٥٥ الذي بلغ ٢٣٨٣٠٦ نسمة . ^(٤) وتكشف هذه المقارنة عن زيادة طبيعية قدرها ٩٩٪ في العام . ^(٥) وبما ان هذه الارقام ليست دقيقة ولا طويلة الامد ، فلا يمكن الاعتماد عليها في تحديد اتجاهات النمو السكاني . ويمكن تقديم صورة أفضل للنمو السكاني عن طريق مناقشة العوامل المؤثرة في نمو السكان ، وهي العامل السياسي

- ٩٠٠٠٠٠ نسمة موزعة على النحو التالي لواء السليمانية ٢٢٢٧٠٠ نسمة ، لواء الموصل ٢١٠٩٧٠ نسمة ، لواء كركوك ١٥١٥٧٥ نسمة ، لواء اربيل ٢١٨٩٩٥ نسمة ، وفي مدينتي مندلي وخانقين ٧٢٣٦٠ نسمة ، وفي بغداد والمدن الاخرى ٢٣٤٠٠ نسمة .

2. League of Nation, Question of the frontier between Turkey and Iraq, a report submitted to the council in 1927, P. 76.

3. Ministry of Interior, Vital statistics, Baghdad 1953.

4. Ministry of Economic, the monthly statistics bulletin, No. 7, 1956.

(٥) لقد بلغ سكان لواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٥٧ حوالي ٢٨١٣٦١ نسمة (ما عدا قضاء رانية) ، كذلك قدر عدد نفوس محافظة السليمانية لعام ١٩٧٢ بحوالي ٥٠٣٧٠٨ نسمة .

والاقتصادي والديموغرافي^(٦) ، ومدى تأثير كل منها على سكان اللواء .

العامل السياسي :

ان أبرز صفة للتاريخ السياسي للواء السليمانية هي عدم الاستقرار .
ويمكن ان تعزى هذه الظاهرة الى الموقع الجغرافي للواء ، فقد كان دوماً
حسراً للجيوش القادمة من الغرب نحو الشرق . ولقد دمرت جيوش القائد
اليوناني زنفون Xenophon المنطقة عام ٤٠١ قبل الميلاد ، كما دمرها ايضا
جيوش الاسكندر الكبير عام ٣٣١ قبل الميلاد . وبلغ عدم الاستقرار في
المنطقة قمته في بداية القرن الخامس عشر عند قيام الامم الطورانية من
العثمانية والمارسة . ونظراً لوقوع لواء السليمانية بين الدولتين المتنافستين ،
فقد كان يتعرض دائماً للإحتلال والدمار الحكام .^(٧) واواقع ان منطقة
السليمانية كانت ، شأنها شأن بقية اجزاء كردستان ، مسرحاً لمعارك بين
الامبراطورية الايرانية والامبراطورية العثمانية .^(٨) وقد تركت تلك
الحروب المتصلة أثراً عميقاً على سكان اللواء . فقد كان احشيش ، المنصر
وانخزل ، مدارس أقصى ما في امكانه من وسائل التدمير والقتل تجاه
مواطني المنطقة ، بما في ذلك حرق الحقول وتخريب القرى .^(٩)

ولم يؤد ظهور اماره مار في المنطقة خلال القرن السابع عشر الى اعادة

6 Lower, Ian, "Population", Cambridge, 1952, P. 13.
Oxford 1926.

7 Napier G S F, "The road from Baghdad to Bacco".
Geographical Journal, vol. 111, 1919, P. 1.

8 Mignan, R.M " A Winter Journey through Russia the
the Caucasian Alps. Georgia and Kurdistan" London 1839,
vol. 11, P. 5.

9. See: Longrigg, S.H., "Four centuries of Modern Iraq",

الاستقرار اليها • فلقد كان من ابرز صفات الحياة السياسية القصيرة للملك الامارة التنافس الداخلى والخارجى ، فشهدت المنطقة نتيجة لذلك حروباً عديدة ، وكان حكام الامارة مشغولين دائماً بالقتال أما مع الجانب العثماني او مع الجانب الايراني او ضد كلا الجانبين • كذلك أدى التنافس بين اعضاء الاسرة الحاكمة الى صراع مستمر • وقد علق المؤرخ الكردي محمد أمين زكى على أوضاع الحياة السياسية لامارة بابان واثارها على السكان بقوله :

«لقد ادى الصراع المستمر بين الحكومتين العثمانية والايرانية من جهة ، والتنافس المتصل بين الرؤساء البابائيين من جهة اخرى ، الى عرقلة ازدهار الامارة • ولم يكن التنافس الداخلى مسؤولاً عن انهيار الامارة واعادة السيطرة العثمانية فحسب ، بل كان مسؤولاً أيضاً عن تدمير وتخريب المنطقة مما نجم عن ذلك الفقر الشديد والتعاسة المرة » • (١٠)

ولقد شهد لواء السليمانية منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر فترة من الاستقرار النسبى تحت الحكم العثماني ، الا ان حلول القرن العشرين والاضطرابات ناز الحرب الكبرى الاولى كلف اللواء خسارة فادحة فى الارواح والاقتصاد • فلقد استنفر معظم شباب الاكراد فى الجيش العثماني وضم اغلبهم الى الفرقة الحميدية ونقلوا الى الخطوط الامامية ، ولم يبق فى القرى سوى الاطفال والنساء والشيخوخ (١١) • ان هذه الخسارة فى القوى البشرية قد أثرت على الزراعة تأثيراً سيئاً وأدت الى نقص فى المواد الغذائية • وتدهور الموقف تدهوراً عظيماً فى أواخر الحرب ، اذ اجتاحت

(١٠) « تاريخ السليمانية » : تأليف محمد أمين زكى ، ترجمه عن

الكردية محمد أمين بندقى الروزيباني ، بغداد ١٩٥١ ، ص ١٢٦ •

(١١) « تاريخ الكرد وكردستان » : تأليف محمد أمين زكى ، ترجمه

عن الكردية محمد على عوني ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ٢٣٧ •

المنطقة الاوبئة والمجاعة وحملت معها آلافا من السكان . (١٢)

ولقد اصبح لواء السليمانية فى أعقاب الحرب الكبرى الاولى جزءا من الدولة العراقية الجديدة ، الا ان الغليان السياسى ساد المنطقة فيما بين عام ١٩١٨ و ١٩٣١ . فلقد قام الشيخ محمود الحفيد مرات عديدة بشورات مسلحة ضد الحكومة أشاعت الاضطراب فى المنطقة . وقد تعلى الشيخ محمود عن نوراته منذ عام ١٩٣٢ فتمتعت المنطقة باستقرار نسبي . (x)

من الواضح اذن ان لواء السليمانية قد قاسى من الاضطراب السياسى قرونا عديدة . فترك هذا الوضع اثرا مزدوجا على السكان ، اقتصاديا وبيولوجيا . ويتمثل الاثر الاقتصادى فى تدهور الوضع الزراعى فى اللواء . فالزراعة عملية تستغرق وقتا طويلا وتتطلب عملا متصلا ، فكان من المتعذر على السكان أن ينصرفوا اليها فى ظل تلك الظروف التى يسودها عدم الاستقرار وتفقد الامن والسلامة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الاضطراب السياسى لم يشجع الزراع على بذل أقصى جهودهم لزراعة حقول واسعة وان توفرت لديهم حبوب كافية ، اذ أن تلك الحقول كانت عرضة للتدمير فى أية لحظة . وقد أدى التدهور الزراعى الى نقص دائم فى المواد الغذائية ، واثّر ذلك بدوره على صحة السكان الريفين ، فكان أغلبهم يعانى من سوء التغذية الحاد .

ويتمثل الاثر البيولوجى فيما كان يفقده اللواء من أبنائه اثناء الحروب وما تنطوي عليه تلك الخسارة من عرقلة لنمو السكان كما اوضحه كار سندرز Carr-Saunders . ويعتقد كار سندرز ان ما يفقد من السكان - فى امثال

12. Mason, Major Kenneth. "Central Kurdistan", Geographical Journal, vol. 54, December, 1919, PP. 389-90.

(x) توفي الشيخ محمود الحفيد فى احدى مستشفيات بغداد فى اواخر عام ١٩٥٥ .

تلك الظروف - ممن لم يبلغ درجة النضج بعد ، يؤدي الى عرقلة قوة
سكان السكينة بدرجة فعالة . (١٣)

العمل الاقتصادي :

زاول سكان لواء السليمانية الزراعة والرعى منذ عهود بعيدة . وكانت
الزراعة حرفة المستقرين والرعى حرفة الرعاة . الا ان كلا الحرفين كانت
عانيان من ظروف سيئة . ونعل الرعى كان أفضل حالا من الزراعة ، ورعاة
كاتبوا - ولا يزالون - يمارسون هجرة فصلية توفر لهم الكلاً بصورة
مسديمة . فهم يرحلون نحو المرتفعات الشمالية في فصل الصيف حيث
كلأ انعم وارواى ، ويهبطون الى السهول الجنوبية في أوائل الشتاء حيث
مراعى السهول الغنية . وبالرغم من ذلك فقد كان الرعى عرضة لاضرار
بسبب نجم عن الجفاف والافساح والصراع الدائم بين القبائل على حيازة المراعى .
سويمكن القول ان الزراعة كانت - رغم أهمية الرعى - العمود
المتحيز لاقتصاد المنطقة . وبما انها لم تكن مزدهرة في يوم من الايام ، فقد
كان اقتصاد المنطقة يعاني من تدهور مستمر . ويعزى فشل الزراعة الى
عامتين : الاول عدم ضمان الملكية الارضية والثاني سيطرة النظام العشائرى .
وقد سبق ان ذكرنا بان مصفة لواء السليمانية كانت مسرحا لحروب متصلة
انمرت عدم الاستقرار السياسى مما أدى بدوره الى تغيير الحكومات بصورة
مستمرة . وكانت ملكية الاراضى الزراعية تتغير بتغير احكام . كذلك كان
امتلاك الارض عرضة للتغير حسب قوة العشيرة المتحكمة فى المنطقة . وقد
دعت هذه الحالة انقلقة الملاكين الى اهمال اراضيهم ، كما ثبطت رغبة
الجماعات الرعوية فى مزاوله الزراعة . وقد ورث ملاكو لواء السليمانية صفة
عدم الاهتمام باراضيهم الزراعية حتى اليوم . فهم يمنحون حق تأجير اراضيهم

13. Carr-Saunders, A.M., "Population" London 1925, P. 14.

الى الفلاحين مقابل حصة معينة فى انتاجها ويتخلون عن جميع مسؤولياتهم تجاه الزراعة • وقد ترك هذا الوضع مصير الزراعة بين ايدي الفلاح المعدم الذى لا يملك مايقدمه للزراعة سوى قوته البدنية ممانتج عنه تدهور الزراعة • ولم يؤد عوز الفلاح الى فشل الانتاج الزراعى فحسب ، بل ادى ايضا الى تحديد مساحة الارض المزروعة • فالرى فى لواء السليمانية وفى بقية الاولوية الكردية يعتمد اعتمادا كبيرا على المياه الجوفية التى يستحصل عليها اما بواسطة العيون والياابيع الطبيعية او بواسطة ينابيع صناعية يطلق عليها محليا اسم (الكهاريز) • وبما ان حفر الكهاريز يتطلب نفقات باهضة هى فوق طاقة الفلاح المعوز ، فان مساحات واسعة من اراضى اللواء الصالحة للزراعة تظل بورا رغم تراثها بالماء الجوفية • وقد اثمر هذا الوضع حالة من التوازن بين عدد سكان القرية وكمية المياه المتوفرة للزراعة •

ان عدم الضمان فى ملكية الارض قد ثبتت رغبة الاقوام العشائريين فى الاستقرار واحتراف الزراعة • وهذه الظاهرة ذات اهمية خاصة بالسبب للواء السليمانية بالنظر لان جزءا كبيرا من سكانها كان يحترف الرعى المتجول وان الزراعة كانت فى حاجة الى الايدى العاملة • واقد برزت خطورة هذا الوضع واثره الملموس على الزراعة فى حوار جرى قبل حوالى قرن ونصف بين الرحالة الانكليزى ريج Rich وبين احد الرؤساء العشائريين فى لواء السليمانية • فقد قال الرئيس العشائرى للمستتر ريج : « ان الحاجة الى ضمان ممتلكاتنا هى اهم سبب فى خراب هذا البلد • فما دما نحن العشائريين غير واثقين من الاحتفاظ باراضينا الزراعية فلن نستطيع ان نعود انفسنا على الزراعة ، وحتى بحين الوقت الذى ننصرف فيه الى الزراعة فلن القطر لن يعرف الازدهار» (١٤) •

14. Rich, C.J., "A narrative of a residence in Kurdistan", London, 1836, vol. 1, P. 96.

اما سيطرة النظام العشائرى على لواء السليمانية ، والذي رافقه نظام
ارعى استجول ، فقد اثر على انزراعه فى المنطقة من خلال العداء الدائم بين
ارعة والزراع مستقرين . ولقد اوضح درايفر Driver هذا التأثير على
النحو التالى :

« ان عادات الرعاة الاكراد تضر بتطوير الارض الزراعية • فهى لا
تعوقهم عن مزاولة الزراعة فحسب ، بل تفرس فيهم ايضا احتقادا لنظم
الاستقرار • وان احتكاكهم المستمر بجيرانهم الاكثر تحضرًا يجعل الزراعة
عملا شاقا وغير مربح لدرجة ان مساحات واسعة من الارض الخصبة تظل
قاحلة بلا زرع ، (١٥) »

والواقع ان الفلاح فى نواء السليمانية لم يكن فى يوم من الايام واثقا
من الافادة من محاصيله الزراعية • فاذا لم تقع حروب تؤدى الى حرق
حفله ، فان العشائر المترحلة والعاثة ، وخاصة عشائر الجاف وهموند ،
تهاجم ارضه وتنهب محاصيله •

نخلص من استعراض الاحوال الاقتصادية للواء السليمانية خلال
العصور الماضية الى القول بأن اللواء كان يعانى من تدهور اقتصادى مستمر •
وقد ترك هذا التدهور اثره على السكان بخلق حالة من «النقص فى
الضروريات» ، أى نقص فى الغذاء الجيد الكافى وفى البيوت الصالحة وفى
الملابس الملائمة • ولا بد لمثل هذه الحالة ان تؤثر على السن الذى تكتمل
فيه مرحلة الحيض فتقصر بذلك فترة النضج • (١٦) فضلا عن ذلك فقد
اثر نقص الغذاء فى الوقوف حائلا دون نمو السكان فى اللواء • (١٧)

15. Driver, A.R., "Kurdistan and the Kurds" a report
published by the Royal Anthropological Institute, 1920, P. 16.

16. Carr-Saunders, A.M., "The Population problem", Oxford
1922, P. 22.

17. Carr-Saunders, "Population", P. 23-24.

العامل الديموغرافي :

ان دراسة اثر العامل الديموغرافي تقتضى دراسة الحركة الطبيعية لسكان اللواء التى تعتمد قبل كل شئ على الاحصاءات الحيوية . لكن الاحصاءات المتوفرة لدينا لمتوسطات المواليد والوفيات ومكوناتهما غير دقيقة وغير كافية ولا تغطى سوى فترة قصيرة .

ولا تستند دراسة الحركة الطبيعية للسكان على الارقام فحسب ، بل تعتمد على الوضع الحضارى ايضا . فالجانب الرياضى (الاحصائى) الذى تمثله متوسطات المواليد والوفيات والانجاب يوضح مقدار الخصوبة الفعلية للسكان ، بينما يوضح الجانب الحضارى التمثل بالاحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الامكانيات الفعلية للنمو السكانى . (١٨) وسنضطر فى دراستنا هذه للحركة الطبيعية لسكان اللواء ان نركز على الجانب الحضارى اكثر من تركيزنا على الجانب الرياضى عند تحليلنا لمتوسطات المواليد والوفيات .

المواليد

من الطبيعى ان تواجه عملية تسجيل المواليد مصاعب جمة ، وخصوصا فى الريف ، فى بلد يؤلف المتعلمون فيه نسبة ضئيلة ، وهم الذين يدركون أهمية تسجيل المواليد ، بينما يحاول الناس البسطاء جهدهم تجنب هذه العملية خشية من الخدمة العسكرية الانزامية . واذا ما اضطروا الى تسجيل مواليدهم حاول البعض منهم تضليل السلطات المسؤولة بتسجيل الذكور على انهم اناث ، أو عدم تسجيل الذكور بناتا والاقصاى على تسجيل الاناث . ولذلك يات متوقعا عدم دقة ارقام المواليد ولا سيما فى حالة الذكور . وعلى اية حال فان ارقام المواليد لا تتوفر لدينا فى الوقت الحاضر الا لثلاث سنوات فقط كما اوردها الجدول التالى :

18. Trewartha. Glenn, T., "A Case for population geography", Ann. of Assoc. of Amer. Geogr., vol. XI 111, No. 22, 1953, P. 91.

الجدول رقم (٧) (١٩) (خ)

الارقام والنسب المئوية للواء السليمانية خلال السنوات

١٩٥٣ و ١٩٥٤ و ١٩٥٥

الذكور		الاناث		المجموع	
العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
١٩٥٢	٥٧٥	٢٣٣	٤٨٣	٢٣٣	١٠٥٨
١٩٥٣	١١١٢	٣٥٢	٩٩٨	٣٣٣	٢١٢٦
١٩٥٤	١٠٦٢	٣٠٥	٨٠٥	٣٠٧	١٨٩٧

ان مقارنة متوسط المواليد للواء السليمانية البالغ ٢٩ بالالف بمتوسطات المواليد في بلدان نامية اخرى تبين لنا انه متوسط واطيء نوعما ، فهو يبلغ ٥١ بالالف في غواتيمالا و ٤٤ بالالف في مصر (عام ١٩٥١) و ٤٣٨ بالالف في المكسيك و ٣٩٣ في سيلان .^(٢٠) بيد ان هذا المتوسط يصبح مرتفعا نوعما اذا ما قورن بمتوسطات المواليد في البلاد المتطورة ، اذ يبلغ ١٥٧ بالالف في المملكة المتحدة و ١٤٨ بالالف في النمسا و ١٥٥ بالالف في السويد و ١٩٤ بالالف في فرنسا .^(٢١)

19. Statistical Abstracts, Baghdad 1954, Compiled from tables No. 264, 265 and 266, P. 263-65.

(خ) من الادلة على عدم دقة الاحصاءات المذكورة ما سجلته الاحصاءات اللاحقة للمواليد في لواء السليمانية على النحو التالي : ١٩٦٠ - (٦١٩٢) ، ١٩٦١ - (٣٧٥٤) ، ١٩٦٢ - (٣٤١٣) ، ١٩٦٣ - (٣١٨٣) ، ١٩٦٤ - (٣٣٩١) ، ١٩٦٥ - (٣٢١٠) ، ١٩٦٦ - (٥٢٢٧) ، ١٩٦٧ - (٥٥٦٩) . و احوال السكان في العراق ، للدكتور احمد نجم الدين - معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠ ص ١٦٣ .

20. United Nations, Statistical year-book 1954 , pp. 35-7.

21. Ibid.

ومع ان هذا الرقم الواطي نسبيا متوسط المواليد في اللواء يعزى جزئيا الى عدم الدقة في تسجيل المواليد ، الا ان المسؤول ا رئيسي عنه عوامل بيولوجية وحضارية . وتتضح هذه الفرضية عند مقارنة متوسط المواليد للواء السليمانية بمتوسطات المواليد للالوية الاخرى كما يبينها الجدول التالي :

الجدول رقم (٨) (٢٢)

النسب المئوية لمتوسطات المواليد في مختلف الالوية العراقية (X)

اللواء	النسبة المئوية
السليمانية	٢٢٣
بغداد	٣٤٢
البصرة	١٢٧
الموصل	١٦٩
العمارة	٣١
كربلاء	٤٧
الديلم (الرمادي)	٢٦
كر كوك	٥٥
المتفك (الناصرية)	٢١
الحلة	٤٢
الكوت	٢٧
الديوانية	٢٦
دياله	٣٥
أربيل	٢٩

22. Statistical Abstracts, 1954, p. 263.

(X) لقد اوردت الاحصاءات الرسمية نسبة الولادات (بالالف) لبعض الالوية لعام ١٩٦٧ على النحو التالي :

بغداد	٢٨٨
العمارة	١٠٦

ومن الملاحظ هنا بأن النسب المئوية لمتوسطات المواليد في مختلف ألوبة العراق تبدو منخفضة على العموم بشكل غير طبيعي ، مع ان منطق الامور يقتضي العكس ، فليس هناك اية عوائق اجتماعية امام الانجاب . ومهما يكن الامر فان الجدول المذكور يقدم لنا مقارنة معقولة لمتوسطات المواليد في الالوية المختلفة . ومن الممكن ان نقدم صورة أفضل لمتوسط المواليد الفعلي في لواء السليمانية بتحليل العاملين الرئيسيين اللذين يتحكمان فيه ، وهما متوسط الخصوبة ومتوسط سن الزواج .

الخصوبة :

ان فحص خصوبة المرأة الكردية يستدعي دراسة الجانب البيولوجي (الذي يتعلق بالخصوبة الكامنة) والجانب الحضاري (الذي يتعلق بالعوامل الاجتماعية التي تنظم الخصوبة الفعلية) . فالخصوبة الكامنة Fecundity هي التي يقصد بها مقدرة المرأة المطلقة على الانجاب، في حين يقصد بالخصوبة الفعلية Fertility مزاوله المرأة لامكانيات الخصوبة الكامنة بشكل عملي حسب العوامل الحضارية السائدة .

ان متوسط الخصوبة الكامنة Rate of fecundity هو مثار خلاف بين الكتاب . فهناك طائفة منهم مثل مalthus وداروين Darwin وكار سندرز Carr-Saunders تعتقد بأن للخصوبة الكامنة علاقة بالدرجة الحضارية . ويرى افراد هذه الطائفة انه كلما انخفض المستوى الحضاري كلما انخفض متوسط الخصوبة الكامنة ، وذلك لما يصيب الناس من مشقة

الفاصلية ٩١

الديوانية ٩٤

(احوال السكان في العراق) لاحمد نجم الدين ص ١٦٢

فى حياتهم وما يعانونه من نقص فى الغذاء • بينما تنهب طائفة اخرى ، وعلى رأسهم سبنسر Spencer ، بأن الخصوبة الكامنة تتناقص كلما تقدمت الحضارة • (٢٣) وهناك من يعتقد بأن الانسان مخلوق كسائر مخلوقات الطبيعة ولا يشذ عن بقية مخلوقاتها ، فلا بد اذن من ان يتصف بالقاعدة البيولوجية العامة وهى الخصوبة المرتفعة والتي قد تتراوح بين ١٥-٢٠ مولودا للمرأة • (٢٤)

وفى حالة المرأة الكردية تنعدم لدينا الاحصاءات لتبيان خصوبتها الكامنة ، لكن هناك أسبابا مقنعة تدعونا الى الاعتقاد بأن خصوبتها الكامنة قد تأثرت بشكل سلبى بالعوامل الطبيعية • فالنغذية الناقصة مثلا من العوامل الفعالة التى تؤثر على الخصوبة الكامنة تأثيرا سيئا • ويتصف طعام الريفيين الاكراذ بنقص واضح فى قيمته الغذائية ، فهو ادنى من المستوى اللائق فى سرعته الحرارية او مواده البناءة للجسم • وقد اثمر هذا النقص سوء تغذية حاد يتمثل فى النسبة العالية من الاصابات بمرض السل بين سكان اللواء •

ويمكن اعتبار المشاق والاعمال المتصلة المرهقة من العوامل الرئيسية الاخرى التى تؤثر فى الخصوبة الكامنة للمرأة الريفية الكرديه • والواقع ان المرأة الريفية الكردية مثقلة بالواجبات ، فهى تساهم - فضلا عن اعمالها البيتية وعنايتها بالحيوانات - فى جميع الاعمال الزراعية عدا الحراثة والحصاد • (وقد تشترك فى الحصاد احيانا) • وهذا يؤدى بلا ريب الى خلق حالة من الارهاق الجسدى الدائم •

23. Kuczynski, R.R., "Population movement" Oxford 1936, pp. 345.

24. Landis, Paul, H., "Population Problems", New York 1942, p. 52.

وهناك عامل بيولوجي آخر مسؤول ايضا عن المعدل المتوسط للخصوبة الكامنة في اللواء ، الا وهو مزاولة المرأة لوظيفتها الجنسية قبل الاوان *Premature cohabition* . فالعمر المثالي للزوجة الكردية الريفية يتراوح بين ١٧ و ١٤ عاما ، ومن المعلوم ان سن البلوغ في منطقة جبيه بارده كالسليمانية لا يتم في وقت مبكر ، وهو أمر قد يؤثر على خصوبة المرأة تأثيرا سلبيا . غير ان هذه المنطقة مازال في حاجة الى دراسة عميقة والى احصاءات مقنعة .

واخيرا ، فقد يحسن بنا ان نتساءل فيما اذا كان للمناخ اثر على الخصوبة الكامنة في اللواء ؟ ان مثل هذا السؤال لا يمكن الاجابة عليه باطبع اجابة قطعية في الوقت الحاضر ، نظرا لانعدام الاحصاءات التي توضح العلاقة بين الخصوبة والمناخ . بيد ان متوسطات المواليد المرتفعة في الاقطار الاستوائية والمدارية تشير الى قيام مثل هذه العلاقة وتؤيد وجهة النظر القائلة بان الخصوبة المرتفعة تواكب الحرارة المرتفعة والرطوبة النسبية المرتفعة . (٢٥) وينبغي ان نوضح هنا بان هناك علاقة أكيدة بين متوسط الامطار المرتفع وبين الكثافة العالية للسكان في اللواء ، الا ان مثل هذه العلاقة ذات وجه اقتصادي لا بيولوجي ، فالزراعة في اللواء تعتمد اصلا على الامطار والمياه الجوفية ، وبالتالي فان درجة توفر المياه تتحكم في كثافة السكان .

ان مناقشة العوامل المختلفة التي تؤثر في الخصوبة الكامنة لمسرة الكردية لا تقودنا الى معرفة متوسط الانجاب الفعلي لها . فالخصوبة الفعلية لا تتطابق الا نادرا مع الخصوبة الكامنة حتى في اكثر المجتمعات تأخرا . فالخصوبة الفعلية لاية مجموعة من الناس او لاي عنصر من العناصر او لاي شعب من الشعوب لا تعتمد على قدرتها الجنسية فحسب بل على تراثها

25 Carr-saunders, "The population problem" pp. 91-92.

الاجتماعى ايضا • ففي المجتمعات البدائية تتدخل عوامل متعددة دينية واجتماعية فى العلاقات الجنسية ، بينما يخضع الانجاب فى المجتمعات المتطورة لتقيدات عظيمة • ومن الممكن القول عموما بأن الفجوة بين الخصوبة الكامنة والخصوبة الفعلية أشد اتساعا فى المجتمعات المتطورة منها فى المجتمعات غير المتطورة ، ومرجع ذلك بالطبع الى استخدام وسائل منع الحمل فى المجتمعات المتطورة •

وتدل الاحوال الاجتماعية فى لواء السلیمانية على ان معدل الانجاب فيه قريب من النهاية البيولوجية القصوى • ففي دراسة الوضع الاجتماعى لاية منطقة من المناطق تعتبر عوامل معينة مناسبة للخصوبة الفعلية العالية • ومن تلك العوامل الاعتماد على الزراعة كأساس للحياة الاقتصادية اذ يساهم الاطفال فى هذه الحالة فى رفع دخل الأسرة ، ومستوى المعيشة المواتى • اذ لا يكلف اعالة الاطفال شيئا كثيرا ، والنظام الاجتماعى القبلى او الابوى الذى يرحب بالاسرة الكبيرة ، والميول الدينية القوية التى تنفر وضوابط النسل ، واختيار الجهل والايمان بالقدرية فى الحياة • (٢٦) وكل هذه العوامل ممثلة تمثيلا حسنا فى لواء السلیمانية •

فمن الناحية الاقتصادية تعتبر الزراعة المهنة السائدة فى اللواء • وبما ان الوسائل الزراعية المتبعة بدائية تماما ، وبما ان مكنة الزراعة تنحصر فى حيز ضيق كليا ، فان الايدى العاملة تصبح ذات أهمية بالغة • وقد خلق هذا الوضع من الاسرة الكردية وحدة اقتصادية يتوزع العمل بين افرادها بشكل منظم • ومما زاد فى أهمية حجم الاسرة الكردية تخصص البسواة بزراعة التبغ الذى يعتبر المورد الاقتصادى الرئيسى للمنطقة • وتحتاج

26. United Nations, "The determinants and consequences of population trends" New York 1953, P. 94.

زراعة التبغ الى أيد عاملة وفيرة • فنقل الشتلات والعناية بها ، وتنقية الحقول من الحشائش الضارة الكثيرة ، ثم لعلم الاوراق فى خيوط طويلة وجميعها ، واخيرا جمع الاوراق الجافة فى بالات ، كل ذلك يقتضى جهودا متصلة تبدأ بزراعة الشتلات وتنتهى باعداد البالات • ويحتاج الزارع لاداء هذه الاعمال الى معاونة فعالة • فاذا كان ذا عائلة كبيرة تيسر له الاكتفاء بما لديه من أيد عاملة ، والا اضطر الى استئجار العمال • لذلك يصبح لحجم العائلة أهمية اقتصادية •

ومن وجهة النظر الاجتماعية يرحب مجتمع القرية بالعائلة الكبيرة ويصبرها رصيذا اجتماعيا هاما • فالبناء الاجتماعى فى مجتمع القرية الذى اما ان يكون عشائريا بالفعل او ما يزال متأثرا بالعادات العشائرية ، يهتم اهتماما خاصا بحجم العائلة ، لا سيما بعدد الرجال فيها • فاذا تركنا جانبا الفروق فى المرتبة الاجتماعية التى تقرها درجة القرابة من الاسرة الحاكمة ودرجة الثراء ، فان التفاضل بين اسرة واخرى يقو على اساس زيادة افراد احدها من الرجال على الاسرة الاخرى • ويرجع ذلك بالطبع الى سيطرة العادات والقوانين العشائرية فى المجتمع الريفى الكردى • لهذا فان حجم العائلة الكبير يرفع من مركزها الاجتماعى •

وفضلا عن ذلك كله فان الام ترحب بأكبر عدد ممكن من الاولاد لاسباب كثيرة ، اضافة الى حكم الغريزة الطبيعية ، اذ ان ذلك يعزز مركزها تجاه الزوج • ومع ان مركز المرأة الكردية ليس متديا بوجه خاص ، الا انها بعيدة عن ان تكون مساوية للرجل • ولعل أهم الوسائل الفعالة لتعزيز مكانتها هو مقدار ما تلده من أطفال ، لا سيما الاولاد منهم • لذلك يمكن القول بدون تحفظ ان مكانتها تتناسب مع مدى حصوبتها. كذلك فان كثرة عدد أطفالها تحميها من نزوات زوجها الذى قد يفكر بالزواج من امرأة اخرى ،

كما يحميها من عصبه الذي قد يسوقه الى طلاقها • واخيرا من عدد الاطفال ، وخاصة الاولاد ، يمثلون بالنسبة للمرأة رصيذا اقتصاديا للمستقبل كما يمثلون ضمانا لايام الشيخوخة •

وهكذا يمكن القول بان الاب والام يرغبان رغبة قوية في اجاب اكبر عدد ممكن من الاطفال • ومما يعزز هذه الرغبة ان تربية الاطفال في الاسرة الريفية لا تقضي تكاليف كثيرة ، فالاسرة على العموم تعيش في مستوى منخفض جدا • لذلك فان الاسرة الكردية لا تتبع طرق منع الحمل ولا تلجأ الى الاجهض • وتحقيقا ان الفترة الوحيدة التي يتمتع فيها الزوجان عن الانصال اجسسي هي فترة احيض ، وكذلك الشهر الاول الذي عقب الولادة ، فضلا عن ذلك فان الجهل قد جعل وسائل منع الحمل بالنسبة للزوجين امرا غير معروف بتاتا •

وهذا تأثير ديني ايضا على الخصوبة يمثل في حث اقران الكرد على رعاية الاطفال ، فقد اشير الى هذا المعنى بالآلة الكرحة : (ولا تقلقوا اولادكم خشة املاق نحن نرزقهم واناكم) • وبما ان الاكراد ذوي ميول دينية قوية ، نذكر امزحت اوامر الاسلام وتعليمه بحياتهم اليومية امتزاجا شديدا ، وامنوا بأن الله يبعث مع كل مولود رزقه • هذا اضافة الى استسلامهم للقدرية المطلقة •

يمكننا ان نستخرج اذن بان الفجوة بين الخصوبة المطلقة والخصوبة الفعلية في لواء المسلمين لا وجود لها ، وان متوسط الخصوبة الفعلية يتطابق ومتوسط الخصوبة الكامنة • ولا يمكننا ان نحدد مقدار هذا المتوسط بدقة كما سبق ان ساءلنا عدم توفر الاحصاءات ، لكن باستطاعتنا ان نقرر باطمئنان انه متوسط مرتفع • ومع ان هذا الاستنتاج يستند بالدرجة الاولى الى العوامل الحضارية التي تلعب دورها في المنطقة ، الا ان توسعنا ايضا ان نستشهد

بالاحصاءات القليلة المتوفرة لدينا التي تؤيد استنتاجنا ، وخاصة : لارقام المتعلقة بنسبة الخصوبة Fertility ratio • (x) وقد حصد عند اجراء العملية الحسابية الخاصة بنسبة الخصوبة للمواء اسليمية على رقم (٧٨٩) • ويمكن مقارنة هذه النسبة بنسب الاقطار التالية :

(الجدول رقم (٩) (٢٧))

الخصوبة في بعض الاقطار المختارة فيما بين عام ١٩٤٥-١٩٥١
القطر والسنة

متوسط الخصوبة		
٨٥٦	١٩٤٤-	الفلسطينيون المسلمون
٧٤٦	١٩٥٠-	جزر ساموا الاميركية
٦٦٩	١٩٥٠-	الاردن
٦٣٥	١٩٥٠-	فرموزا
٥٣٨	١٩٤٥-	تركيا
٥٣٦	١٩٤٧-	مصر
٥١٩	١٩٥٠-١٩٥١	الاراضي المنخفضة
٥٢٥	١٩٥٠-	اليابان
٤٧٠	١٩٥٠-	الولايات المتحدة الاميركية
٤٣٣	١٩٤٩-١٩٥٠	السويد
٤٠٥	١٩٥٠-١٩٥١	انجلترا وويلز
٣٥٠	١٩٥١-	النمسا

(x) تستخرج نسبة الخصوبة بتقسيم عدد الاطفال تحت السن الخامسة على عدد النساء في سن الحمل ، اي فيما بين السن ١٥ الى ٤٥ عاما .

27 Adams, D, "Current population in Iraq" Middle East Journal, vol. 10, No. 2., 1956.

ينضح من الجدول السابق ان نسبة الخصوبة للنساء السليمانية أعلى من أقطار كثيرة ، وهذا دليل على أن نسبة امواليد عالية في اللواء • غير ان نسبة الخصوبة للنساء السليمانية هي ادنى من نسبة الخصوبة العامة للعراق النسبة تبلغ (٨٣٧) • (٢٨) وبذلك نسبة الخصوبة العالية للنساء على توفر متوسط عال للزواج ، كما تدل على أن الغالبية المطلقة من النساء يتزوجن بعد وصولهن الى سن البلوغ بوقت قصير •

متوسط الزواج :

ان الزواج يمثل بداية دورة الانجاب في المجتمع حسب التقاليد السائدة • لذلك فان متوسط الزواج Marriage-rate ، وسن الزواج Marriage-age هما عاملان هامان في تقرير متوسطات الخصوبة • ومما يؤسف له ان حالة الزواج في لواء السليمانية لا يسجلها في الاحصاء العام لسنة ١٩٤٧ الا جدول ناقص تماما كما يتضح في الجدول التالي :

الجدول رقم (١٠) (٢٩)

حالة الزواج في لواء السليمانية

الجنس	العزاب	المتزوجون	المطلقون	الارامل
الذكور	٢٥٢٨٤	٣٦٢٥٦	٨٦	١٧٣٨
الاناث	٢٩٢٤٣	٣٨٥٤٤	٣١١	١٢٨١٣

ان النظرة الاولى لهذا الجدول تدل على ان عدد الافراد العزاب من الرجال والنساء مرتفع جدا اذا ما قورن بعدد المتزوجين ، وخاصة فيما يتعلق بالرجال • وبعتبر الجدول من وجهة النظر هذه مضلل للغاية ، وهذا التضليل

28. Adams, Ibid.

29. Statistical abstracts, 1954, P. 12.

ناجم عن عدم ذكر سن الزواج • والواقع ان جزءا كبيرا من الاعداد المذكورة هو دون سن الزواج • وهذه المقطعة ذات أهمية خاصة بالنسبة للواء السلیمانیة ، ذلك ان حجم الفئة الفتية يمثل الجزء الاعظم من السكان ، كما يوضحه الجدول التالى :

الجدول رقم (١١) (٣٠)

نفوس سكان لواء السلیمانیة حسب جنسهم وفئات اعمارهم لعام ١٩٥٣

دون سن الخامسة	من ٥ - ٩ سنوات	من ١٠ - ١٩ سنة
ذكور	ذكور	ذكور
١٩٦٣٤	١٨٨٠٥	١٥٥٤٠
٢١٥٢٨	٢٢٩٩٦	٢٥٧٠٣
من ٢٠ - ٢٩ سنة	من ٣٠ - ٣٩ سنة	من ٤٠ - ٤٩ سنة
ذكور	ذكور	ذكور
٨١٨٩	١٠٧٥٢	١٢٥٨٤
١٤٥٨٥	١٣٧٠٤	١١٠٣٣
من ٥٠ - ٥٩ سنة	من ٦٠ - ما فوق	المجموع
ذكور	ذكور	ذكور
٧٥١٥	٨٧٨٤	١٠١٧٦٧
٦٩١٦	٦٩١٦	١٢٤٦٣٣

من الواضح ان جزءا كبيرا من سكان اللواء هم دون سن ١٩ ، وان عددا غير قليل من هؤلاء هم بين سن العاشرة والتاسعة عشرة • ولقد حذف الجدول السابق الذى بين حالة الزواج عدد السكان الذين هم دون العاشرة فقط ، وبما ان سن الزواج العام بالنسبة للذكور يبدأ من العشرين وبالنسبة للاناث يبدأ من الخامسة عشرة فان ذلك يعنى ان جميع افراد السكان الذكور بين ١٠-١٩ سنة والبالغ عددهم ١٥٥٤٠ شخصا ، ونصف افراد السكان الاناث بين ١٠-١٩ سنة والبالغ عددهم ٢٥٧٠٣ شخصا يجب ان نطرح من

رقم الأشخاص «العراق» • وعلى أية حال فإن الجدول السابق مفيد في
 أوضح العدد المرتفع نسبياً للارامل ، ولا بد أن تكون نسبة لا بأس بها منهن
 في سن الانجاب ، وعزى هذه الظاهرة الى عدم ارتياح المجتمع لزواج
 الارامل • ومع أن الجدول لا يمدنا بآية معلومات عن فترة الانجاب لدى
 المرأة ، فإن الخصوبة العالية في اللواء نقودنا الى الاستنتاج بأن فترة الانجاب
 البالغة (٣٠) عاماً (بين سن ١٥-٤٥ عاماً) تستثمر استثماراً كاملاً •

وبالرغم من أن جدول احالة ازواجية غير أهل لامدادنا بفكرة صحيحة
 عن وضع متوسط الزواج Marriage-rate في اللواء ، فإن الظروف
 الحصارية في اللواء تؤكد ما وجود متوسط عالٍ للزواج ، ذلك أن الدوافع
 الدينية والاجتماعية والاقتصادية جميعها تعزز الزواج (x) • فمن الناحية
 الدينية يشجع الاسلام ، وهو دين أغلبية المطلقه من سكان اللواء ، الزواج
 ويعتبره واجبا تجبه المجتمع أكثر من كونه مجرد شأن من الشؤون

(x) أن الإحصاءات اللاحقة تؤكد أيضاً انخفاض متوسط الزواج في
 اللواء كما يوضحه الجدول التالي :

جدول يمثل عدد حوادث الزواج ومعدلاتها في الوية العراق			
١٩٦٧		١٩٦٨	
العدد النسبة الى كل ١٠٠٠ من السكان			
السليمانية ١١٢١		٢٦	
١١٩٤		٢٨	

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ الجهاز المركزي
 للإحصاء •

ويمكن أن يعزى هذا النافض بين الرقم المنخفض لمتوسط الزواج
 والحالة الاجتماعية المشجعة على الزواج الى امتناع الكثيرين من أبناء الريف عن
 تسجيل حوادث الزواج في المحاكم المدنية •

الشخصية^(٣١) ولعل أكثر الأحاديث البوابة شيوعا بين الناس عن أهمية الزواج هو الحديث الشريف القائل : «الزواج نصف الدين» •

ومن الناحية الاجتماعية تعتبر العزوبة والسحر في الزواج من امراض انحطية التي يرفضها مجتمع القرية • وينعرض ارجال الذين يمتنعون عن ازواج بدون عائق قاهر الى الريه والنفد • وفضلا عن ذلك فإن اعراف الزواج لدى الاكراد تيسر امر الزواج ، لا سيما ذلك العرف المسمى «الزواج بالتبادل» • (زن به زن) • هذه الوسيلة من وسائل الزواج تختصر نفقات ازواج وذلك بالغاء مهر العروس الذي هو على العموم العائق الرئيسي تجاه الزواج •

اما من الناحية الاقتصادية فالزواج امر مرغوب فيه من جانب الرجل ، ذلك أن المرأة تشترك اشتراكا فعليا في الزراعة ، كما انها تمدد بأيدي عملة من الاولاد والبنات •

واخيرا فان الحياة البدائية للقرية بوسائل تسليتها المحدودة تحمل الرجال على ابحاث عن متعهم في الجنس • ولذلك يفق الرجل العزوب في رغبتهم الشديدة بالزواج حالما تسمح لهم صروفهم المالية • ولعل جبهتهم التقليدية للعائلة مسؤول ايضا عن تلك الرغبة القوية في الزواج •

ويمكن القول ان العائق الوحيد للزواج في المواء هو المهر المرتفع نسبيا والذي لا يتناسب مع امقدرة الاقتصادية للقرويين • الا ان هذه العقبة تذلل في العادة بوسائل متعددة تستنبط من صلب النظام الاجتماعي السائد • وهكذا يمكننا الاستنتاج بان متوسط الزواج مرتفع ارتفاعا معتدلا • وبما ان الخصوبة لا تحددها قيود ، وبما ان متوسط الزواج مرتفع ارتفاعا

31 Poponel, Paul, "Eugenic of Islam" in "Eugenics in races and states", Baltimore 1921, P. 444.

معقولا ، وبما ان متوسط الطلاق منخفض عموما ، اذ يعتبر الاكتراد الطلاق
مشينا (x x) ، فان من المنطق اذن ان نفترض ارتفاع درجة المواليد في
اللواء لا سيما وان العوامل الاخرى ذات الطبيعة البيولوجية وانفسية
كشمار الامراض التناسلية والشذوذ اجنسى والمشاكل العائلية لا تكاد تترك
اثرا مذكورا . وهكذا يمكن الحكم بأن المرأة الكردية قد تلد من الاطفال
بقدر ما تلد الامهات الصينيات او الهنديات ، واللواتي قد يلدن ٧ أو ٨
أطفال . (٣٢)

الوفيات

ان أهمية درجة الوفيات تكمن في ايضاح قيمة درجة المواليد ، ذلك
ان درجة المواليد المرتفعة التي تقابلها درجة وفيات مرتفعة ايضا لا تمهد
السييل لنمو السكان . والواقع ان في الامكان تحقق نمو سكاني بالرغم من
تطبيق طرق تحديد النسل شرط ان تنخفض درجة الوفيات انخفاضاً كافياً .
وقد اتبعت هذا الخط شعوب اوربا الغربية والشمالية خلال الخمسين عاما
الاخيرة .

ان أرقام الوفيات التي يمكن الركون اليها لم تتوفر في لواء السليمانية
الا مؤخرا . ومع ان تلك الارقام ليست كافية لعكس حقيقة الدرجة العامة
للوفيات في اللواء ، الا ان من المعتقد انها أكثر دقة من ارقام المواليد ، فالتاس

(x x) لقد سجلت في مدينة السليمانية ١٠٣ حوادث طلاق عام
١٩٦٧ و ٦٣ حادثة طلاق عام ١٩٦٨ .

(المصدر : الجهاز المركزي للإحصاء - المجموعة الإحصائية السنوية
لعام ١٩٦٩) .

32. Cook, C. Roberts, "Human Fertility" New York 1951,p.77.

لا يتهربون من تسجيل الوفيات كما يتهربون من تسجيل اولادات • ويوضح
الجدول اسالى متوسطات الوفيات فى لواء السليمانية لسنوات ١٩٥٢-١٩٥٣
و ١٩٥٤ •

الجدول رقم (١٢) (٣٣)

النسب المئوية للوفيات فى لواء السليمانية

السنة	الذكور	الاناث	المجموع
العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٥٢	٢٦٨	٢٧	٢٩٥
١٩٥٣	٧٩٨	٤٦	٨٤٤
١٩٥٤	٥٦١	٣٤	٥٩٥

ولا يمكن لهذا الجدول ، بطبع ان يوضح تطور الوفيات ، ذلك لانه
لا يشمل سوى فترة قصيرة ، لكنه يؤكد بما لا يقبل اشت ارتفاع درجه
الوفيات • واذا ما حسبت نسبة الوفيات خلال اسنوات الثلاث فانها
تبلغ ٢٦ فى الالف ، فى حين ان المستوى المعقول لدرجة الوفيات العامه
يحدد عادة بحوالى ١٤ فى الالف • (٣٤) ويتضح ارتفاع درجة الوفيات
اذا ما قارناها ايضا بدرجات أقطار أخرى لم تنزل فى صور انمو ، فهى بلغ
فى غامبيا ١٩٤ فى الالف ، وفى المكسيك ١٥٦ فى الالف • وفى شلى
١٣٢ فى الالف ، وفى سيلان ١٠٩ فى الالف ، وذلك حسب احصائه
عام ١٩٥٣ • (٣٥)

33 Statistical abstracts, tables 264,265 and 266.P.263-65, 1954.

34 Newsholme, A. "The measurement of progress in public health" Economica 1923, P. 193.

35. United Nations, "Demographic year-book 1956",
New York 1957.

وتختلف درجة الوفيات بين السكان حسب فئات السن ، اذ يفترض ان يرفع هذه المدة طرديا مع ارتفاع نسبة كبار السن ، الا ان الوضع الصحي في انواء يدعو الى الاعتقاد بان أعلى معدل للوفيات يحدث بين فئة سكان دون السنة الاولى . ومن المعتقد ان درجة وفيات الاطفال الرضع مسؤولة بشكل خاص عن رفع درجة اوفيات العامة ، لا سيما وان نسبة اشيوخ الى مجموع السكان واطئة جدا ، ومن المؤسف ان لا يمكن ان نستشير ارقام وفيات الاطفال الرضع لعدم توفرها بالنسبة للواء اسليمانيه . اما ارقام وفيات الاطفال الرضع للعراق عموما كما ذكرت في حولية هيئة الامم لعام ١٩٥٤ فلا يمكن قبولها لانها تبدو مغايرة للمنطق كليا . وقد وردت تلك الارقام على النحو التالي : ٩٧.٣ في الالف لعام ١٩٥٠ ، و- ٨٩.٠ لعام ١٩٥١ ، و- ٥٦ لعام ١٩٥٢ . وقد قدر ادمز Adams مثلا وفيات الاطفال في المناطق الريفية في العراق بما يتراوح بين ٢٥٠ الى ٤٠٠ في الالف .^(٣٦) ومن الممكن ان تشير الى تقدير اكثر دقة لدرجة وفيات الاطفال بالاستناد الى ارقام وفيات الاطفال في بغداد والموصل وابصرة (وهي الارقام الوحيدة المتوفرة لدينا لوفيات الاطفال) كما يوضحها الجدول التالي : (x)

الجدول رقم (١٣) (٣٧)

مواليد ووفيات الاطفال في بغداد والموصل والبصرة

بغداد :

السنة	المواليد	الوفيات	النسبة (في كل الف ولادة)
١٩٣٨	٨٨٦٣	٢٢٧٩	٢٥٧

36. Adams, Op. cit.

(٣٧) « مقدمة في كيان العراق الاجتماعي » لهاشم جواد ، بغداد

١٩٤٦ ص ٢٥ .

(x) ان الاحصاءات الحديثة قد اوردت الارقام التالية لوفيات الاطفال

الرضع في العراق :

=

«تابع» السنة	المواليد	الوفيات	(النسبة في كل ألف ولادة)
١٩٣٩	٩١١٩	٢١٣١	٢٣٤
١٩٤٠	٩٦٨٢	٢٤٣٧	٢٥٢
١٩٤١	٩٠٣٣	٢١٤٢	٢٧٣
١٩٤٢	٩٣٥٨	٢١٩٣	٢٦٢
١٩٤٣	١١٠٤٩	١٦١٦	١٤٦

جدول يمثل عدد الوفيات ووفيات الاطفال

المسجلة ومعدل وفيات الاطفال الرضع

المسنة مجموع الوفيات وفيات الاطفال معدل وفيات الاطفال
الرضع لكل
الف حتى

المسجلة	الف حتى	معدل وفيات الاطفال	مجموع الوفيات
١٩٥٧	٢٥٤٤٩	٢٢٤٤	٣٥
١٩٥٨	٢٦٨٨٤	٣٠٢٩	٣٩
١٩٥٩	٢٥١٤٤	٣٠٤٧	١٨
١٩٦٠	٢٩٨٦١	٣٤٧٤	١٨
١٩٦١	٢٩٠٦٦	٣٧٢٤	٢٧
١٩٦٢	٢٨٧٣٣	٤٠١٤	٢٩
١٩٦٣	٢٦٦٠٩	٢٩٧١	٢٢
١٩٦٤	٣٣٣١٤	٣٠٧٦	١٩
١٩٦٥	٣٣٨٩٢	٢٩٥٠	٢٤
١٩٦٦	٣٢٦٥٢	٢٦٦٥	١٨
١٩٦٧	٣٤٢٥٠	٢٥٩٨	١٦

المصدر : « احوال السكان في العراق » للدكتور احمد نجم الدين ، ص ١٦٦

« تابع »

الموصل :

السنة	الموايد	اوفيت	النسبة (فى كل ألف ولادة)
١٩٣٨	٣٧٦٥	٦٢٤	١٦٦
١٩٣٩	٣٨٨٨	٧٣٠	١٨٨
١٩٤٠	٣٨٤٩	٧٣٣	١٩٠
١٩٤١	٤٠٦١	٦١١	١٥٠
١٩٤٢	٣٧٣٦	٥٤٠	١٤٥
١٩٤٣	٣٨٧٩	٤٤٩	١١٦

البصرة :

١٩٣٨	١٧٧٠	٤٣٣	٢٥٠
١٩٣٩	١٧٩٦	٤١٥	٢٣١
١٩٤٠	١٦٦٣	٤٩١	١٣٩
١٩٤١	١٤٩٧	٣٠١	٢٠١
١٩٤٢	١٨١٨	٢٤٦	١٣٥
١٩٤٣	٢١٥١	٣٠١	١٣٦

ان الجدول المذكور اعلاه يوضح بان وفيات الاطفال الرضع فى المدن الكبرى الثلاث بغداد والموصل والبصرة قد بلغ ٢٥٠ بالالف ، مع العلم بأن هذه المدن تنعم بوجود المستشفيات والاطباء ، كما تنعم بمستوى مرتفع للحياة نسيا . ولا ريب بأن هذا المعدل هو أعلى من معدلات المناطق الريفية التى تتوفر فيها الخدمات الصحية بصورة محدودة جدا ، وقد تنعدم احيانا . صحيح ان متوسطات وفيات الاطفال اخذة فى الانخفاض ، حسب ارقام الجدول المذكور ، وان تلك المتوسطات قد ازدادت انخفاضاً الان بلا شك

في امدن الكبرى ، لكن هذا الامر يعود الى التقدم السريع الذي نحقق في
انسوايا الاخير في ميادين الصحة والتعليم ، مع ارتقاء واضح في مستوى
النعيش في المراكز المدنية . اما المناطق الريفية فلم تحرز سوى تقدم بطيء
جدا في حقول الصحة والتعليم . وعلى أية حال فمن الممكن تقدير متوسط
وفيات الاطفال في لواء السليمانية بحوالي ٣٠٠ بالالف . وهذا المتوسط
يزيد بكثير عن المتوسطات المعروفة في الدول المقدمة ، اذ تتراوح متوسطاتها
بين ٢٠ الى ٥٠ بالالف . (٣٨)

ونعزى اسباب ارتفاع متوسط وفيات الاطفال الى الاحوال الاجتماعية
والاقتصادية السيئة ، اذ ان متوسط وفيات الاطفال يرتبط عموما بالفقر
واحاجة الى الخدمات الصحية . وقد اعتبر بعض الكتاب متوسط وفيات
الاصفا المرتفع في العراق دليلا على نقص التغذية . فقد ذكر الدكتور
درهاكويان في دراسته عن الاحوال الصحية في العراق الاستنتاج التالي :
« بعد ملاحظة طويلة لوفيات الاطفال في مدينة الموصل بلغت سبعة عشر
عاما (بين ١٩٢٧ و١٩٤٣) وجدت بأن حوالي ٨٤ / من اسباب الوفيات تعود
الى نقص التغذية . فمن بين ١١٩٩٩ وفاة التي حدثت خلال تلك الفترة ،
كان سبب ١٠١٤٦ حالة منها سوء التغذية » . (٣٩)

ان هذا الاستنتاج يؤده ارقام الاحصاء الصحي السنوي الذي سجل

38. U.N., "The determinants and consequences of population trends", P.65.

(٣٩) « الاحوال الصحية في العراق » للدكتور م. درهاكويان ،

الموصل ١٩٤٧ ، ص ٧١-٧٢

الاسباب الرئيسة لوفيات الاطفال في العراق كما عرضها الجدول التالي: (×)

الجدول رقم (١٤) (٤٠)

سبب الوفيات	عدد الوفيات	النسبة المئوية	عدد الوفيات	النسبة المئوية
الهزال وسوء التغذية	١٠٤٩	٤٣	٩٠٠	٣٧
الاسهال والتهاب الامعاء	٤٩٧	٢٠	٥٠٠	٢١
ذات الرئة	٣١٢	١٢	٣٢٠	١٣
الكزاز	٤٦	٢	٨١	٣
الولادة قبل الاوان	٣٩	١٥	٢٧	١
الدفتريا	٢٩	١	٢٧	١
الالتهاب الشعبي الحاد	١٣	٥	٢٠	٠.٩
الجذري	٩	٤	١٦	٠.٨
التهاب السحايا	٢٢	٩	١١	٠.٥
حمى التيفوئيد	٩	٤	١٠	٠.٤
الحصبة	٣١	١	١٠	٠.٤
امراض غير مشخصة	٢٤٨	٩.٦	٣٢٢	١٤
امراض أخرى	١٩٩	٧.٧	١٦٢	٧
المجموع	٢٥٤٨	١٠٠	٢٤٠٦	١٠٠

ان اسباب وفيات الاطفال المذكورة في الجدول تطبق بشكل كبير على لواء السليمانية ، فلاحصاءات الخاصة باللواء التي تبين أسباب الوفيات

40. Annual bulletin of health and vital statistics, 1954, pp. 263-65.

(×) لقد اوضحت الاحصاءات الحديثة ان اسباب وفيات الاطفال تعود الى الامراض التالية :

تكشف عن نسبة عالية ايضا من الإصابة بالاسهال وذات الرئة . (١١)

وما دامت وفيات الاطفال الرضع تتأثر تأثرا عظيما بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، فإن من الممكن تحسينها بشكل ملموس بنشر التعليم وتعزيز الصحة العامة وتحسين الخدمات الصحية ورفع مستوى دخل الأسرة . ان تخفيض متوسط وفيات الاطفال يؤثر تأثيرا سريعا على درجة الوفيات العامة ، ذلك لانه اذا ما تجاوز الاطفال علمهم الثاني فإن فرصهم في الحياة تتسع بصورة اكبر .

41. Principal bureau of statistics - statistical abstracts 1954, pp. 263-65.

عدد وفيات الاطفال واسبابها للفترة من ١٩٦٧-١٩٦٠

	١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	١٩٦٤	١٩٦٣	١٩٦٢	١٩٦١	١٩٦٠	سبب الوفاة
٦١٤	٦٢١	٧٥٤	٧٣٠	٧٣٨	١١٢٠	٨٠٤	٧٣٥	٧٣٥	الالتهاب الرئوى
٣١٤	٥٥٣	٦٣٠	٦١٥	٧٠٩	٩٨١	١٥١٨	٩٣٤	٩٣٤	الاسهال
١٦٨٠	١٤٩١	١٥٦٦	١٧٣١	١٥٢٤	١٩١٣	١٤٠٢	٨١٠	٨١٠	امراض اخرى

المصدر : احوال السكان في العراق ، لاحمد نجم الدين ص ١٦٧

وعلى أية حال فان وفيات الاطفال هي ليست العامل الوحيد المسؤول
عن ارتفاع درجة الوفيات العامة . فنسبة الوفاة بين فئات السن الاخرى
مرتفعة ايضا كما يوضحها الجدول التالي :

الجدول رقم (١٥) (٤٢)

عدد الوفيات في كواء السليمانية حسب الجنس وفئات العمر

١ سنة		٢ سنة		٣ سنة		٤ سنة	
ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث
١٨	٨	١٣	٨	٦	١	٧	-
٥ سنة		٦-١٠ سنة		١١-١٥ سنة		١٦-٢٠ سنة	
ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث
٤	٢	٦٥	٢٠	٥٥	١٢	٦٥	١٠
١١	٦٨	١١	١١	١١	١١	١١	١١
٢٦-٣٠ سنة		٣١-٤٠ سنة		٤١-٥٠ سنة		٥١-٦٠ سنة	
ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث
٣٢	١٣	٤٦	١٧	٦٣	٢٥	٥٩	١١
٦١-٧٠ سنة		٧١-٨٠ سنة		٨١-٩٠ سنة		٩١ سنة فما فوق	
ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث
٧٤	١٠	٣٥	١٠	٥	٢	٣	-

42. Annual bulletin of health and vital statistics, Baghdad
1954, pp. 49,54,64 and 65.

اما الخضار واللحوم والفواكه فهي من الكماليات النادرة ولا يمكن تناولها الا في المناسبات الخاصة •

ويتعارض مثل هذا النظام الغذائي مع التغذية الصحيحة • فالنظام الغذائي الصحيح لابد وان يشمل على نوعين من الاطعمة ، النوعية الاولى وهى تلك التى تشمل على الاعذية المولدة للطاقة ، وتتكون من الكربوهيدرات والدهنيات والبروتينات كالحبوب واللحوم والسكر ، والنوعية الثانية وهى التى تشمل على الاعذية الوقائية وتكون غنية بالفيتامينات والاملاح المعدنية كالليب ومشتقاته والخضروات الخضراء والفواكه الطازجة والبيض • ولابد ان تحقق الوجبات الغذائية الصحيحة توازنا بين كلا هذين النوعين لكى تضمن مستوى معقولا لصحة الانسان من الناحية الطبيعية ومن ناحية مقاومته للأمراض • فالنوع الاول من الغذاء بولد الحرارة والطاقة الضرورية لحركة الجسم كما يمنع الجوع ، بينما يعمل الثانى على تعزيز التطور الطبيعى للأعضاء النامية فى الجسم ويحافظ على مستوى طيب للحالة الصحية • (٤٣)

ومن الطبيعى ان يتعذر تحقيق مثل هذا النظام الغذائى للسكان الريفيين لانه أعلى من امكانياتهم الاقتصادية ما دام دخلهم بهذا الانخفاض • ولقد قام الاستاذ ستاسى Stacy بدراسة امكانيات التغذية لدى السكان المدنيين فى العراق ووجد بأن الاسرة التى تتألف من خمسة اشخاص لا يمكن ان تغذى بشكل مناسب بأقل من عشرة دنانير شهريا (حسب اسعار ١٩٤٤) (٤٤)

43. Bigwood, Prof. E G., Guiding principles for studies on the nutrition of the population, League of Nations' publication, 1939, P.55.

44. Worthington, E B., "Middle East Science", London 1946, P. 143.

وهذا التقدير لا يزيد كثيرا عما تحتاج اليه الاسرة الريفية لمصاريف غذائها.
ان النتيجة المنطقية لهذا المستوى الغذائي هو سوء التغذية • ويمكن
ان يلمس سوء التغذية بين السكان بوجود نسبة عالية من وفيات الاطفال
واصابات مرتفعة بمرض السل (حوالي ١٣٧ اصابة خلال عام ١٩٥٤) ، (٤٥)
وكلا هذين المرضين يتأثران تأثيرا كبيرا بسوء التغذية • (٤٦)

اما المسكن القروي الكردي فهو مناقض كليا للشروط الصحية • ولعل
ابرز نقائصه بناء الاسطبل ملاصقا لغرف الجلوس • فالبشر والحيوانات
يتقاسمون الغرف جنباً الى جنب ، مما يجعل البيت مجعماً للقدارة والذباب •
ومن عيوبه ايضا تجاهله لاهمية النوافذ اتقاء لرياح الشتاء الباردة ، مما
يجعل الغرف مظلمة ومحرومة من أشعة الشمس • وفضلا عن ذلك كله
فان البيت الريفي الكردي لا يضم سوى غرفة واحدة ، مهما بلغ عدد افراد
العائلة ، الا فيما ندر • ويمكننا ان نحكم باطمئنان ان وضع المسكن الريفي
الكردي مسؤول عن ارتفاع الاصابات بمرض ذات الرئة وبأمراض عديدة
اخرى •

وتعتبر عدم كفاية الملابس سمة بارزة في الريف الكردي عموما ، وهي
نتيجة حتمية من نتائج الفقر • ومن البادر ان يشاهد المرء في الريف الكردي
فلاحا يرتدي ملابس مناسبة ، سوى الرؤساء والاعيان • ولا يغير الفلاحون
ملابسهم في العادة الا اذا تمزقت كليا ولم تعد صالحة للاستعمال • وبما ان
الطقس في لواء السليمانية يتطلب ملابس كافية ، حيث تنخفض درجة
الحرارة في الشتاء دون الصفر المئوي احيانا ، وبما ان الفلاحين بمضون
أغلب أوقات النهار في الحقول خارج بيوتهم ، فان عدم كفاية الملابس تصبح
ذات اثر خطير على الصحة العامة •

45. Annual report of the Institute of indemic diseases,
Baghdad 1954, P.96.

46. League of Nations, Nutrition, Geneva 1937, P.28.

نقص الخدمات الصحية :

ترتبط الاسباب المباشرة للموت بالامراض ، ولا سيما امراض معدية ، حسب كل منطقة من المناطق . فاذا ما حاول الانسان ان يسيطر على البيئة الطبيعية فإن تأثير الامراض يتضاءل الى حد كبير . ولهذا السبب فإن للاحيضات الصحية البشوية أثرا فعلا على اجاعات النمو السكاني . ولا يمكن على أية حال ان تتحقق السيطرة الصحية بتوفير الخدمات الصحية فحسب ، بل بتحسين الغذاء واحوال اسكن والملبس وارتفاع مستوى العادات العامة وخاصة فيما يتعلق منها بقواعد النظافة العامة .^(٤٧) ولقد ادى نقص الخدمات الصحية في انحاء ان ارتفع سببه الوفيات وقد تسببت عن الامراض التالية :

الجنول رقم (١٦) (٤٨)

الاسباب الرئيسية للوفاة في لواء السليمانية عام ١٩٥٣

سبب الوفاة	المجموع
ذات الرئة	٦٩
الملاريا	٦٦
الاسهال	٥٧
أمراض القلب	٣٤
التهاب الكلى	٣٠
السل	٢٣
الذئب	١٧
أمراض غير مشخصة	٢٦٤

47. Al-Witri, Hashim, "Health services in Iraq", Baghdad 1944, P. 23.

48. Annual bulletin of health and vital statistics, pp 59-61.

يوضح هذا الجدول الاسباب الرئيسية الثلاثة للوفاة في الملء وهى ذات الرئة والملاريا والاسهال • ويؤثر المرض الاول والثالث بشكل كبير على الاطفال دون سن الثانية ، فى حين ان الملاريا تؤثر بوجه خاص على الكهول والشيوخ • كذلك يوضح الجدول بأن الامراض المزمنة وغير المعدية لا تسبب وفيات عالية ، بالرغم من أن الرقم المرتفع للامراض غير المشخصة هو مفضل نوعا • ومن الواضح على أية حال بأن الامراض الرئيسية هى يثوية ، وان اسبابها هى التغذية الناقصة التى تؤدى الى الاسهال والنحول ، وعدم كفاية الملابس والسكن اللذين يؤديان بدورهما الى الاصابة بذات الرئة ، وكثرة المستقعات التى تشجع على انتشار الملاريا ، واخيرا نقص الاحتياطات الصحية الذى ينجم عنه انتشار مختلف الامراض •

ومما يجدر ذكره ان الجدول المذكور لا يوضح جميع الحقائق عن الاحوال الصحية فى الملء ، فبعض الامراض وان كثرت وفياتها قليلة الا ان اصاباتها واسعة جدا ، مما يؤثر على السكان بشكل غير مباشر • وتأتى الملاريا فى المقدمة من بين هذه الامراض • ويعتبر بعض الكتاب هذا المرض الجراثيمى العامل الرئيسى فى عرقلة نمو السكان • (٤٩) ولقد قضت الملاريا بالفعل على سكان بعض القرى الواقعة عند سفوح الجبال فى المنطقة الكردية ، ولا سيما فى ناحيتى شهرزور وبازيان ، قضاء تماما تقريبا • وقد حققت الملاريا فى هذه الجهات قمة عالية جدا فى اصاباتها ، فكانت بعض القرى تنقد سكانها بنسبة ١٠٪ فى العام • (٥٠) غير ان الاصابات بالملاريا انخفضت فى الاعوام الاخيرة انخفاضاً كبيراً فى مختلف جهات البلاد نتيجة للجهود الواسعة فى مكافحتها •

49 Ghalib, Dr. Ali, Malaria and Malaria in Iraq, 1944, P.33

50. Ibid, P. 87.

ان هذه الأحوال الصحية في اللواء تشير الى النقص البالغ في كل من الخدمات الوقائية والعلاجية . ومثال ذلك ان المياه البقية لا تتوفر الا في مراكز الاقضية والنواحي وبعض القرى الكبيرة . وتسقى مياه الشرب في العادة من نبع القرية العمومي الذي يستخدم في الوقت نفسه لغسل الملابس . اما الافدار فتنتشر في كل شارع وزقاق من أزقة القرية دون ان يكلف احد نفسه برفعها . ولا توجد مراحيض خاصة الا في بيوت قليلة جدا ، كما تكاد تنعدم المراحيض العمومية الا في قرى معدودة . وفضلا عن ذلك كله فان نصيب السكان من المستشفيات والقرى ضئيل للغاية . ففي عام ١٩٥٣ كان في لواء السليمانية ٥ مستشفيات و ٢١ مستوصفا و ٤ عيادات خارجية وصيدليتان و ١٠ أطباء .^(٥١) (x) وتركز هذه الوسائل الصحية في مراكز محدودة ، وخاصة في مدينة السليمانية ، في حين ان الغالبية العظمى من القرى ما تزال محرومة من أية خدمات طبية . فمدينة السليمانية مثلا تحظى بسبعة أطباء من مجموع الاطباء العشرة . ومما يزيد في صعوبة الحصول على العلاج الطبي ، بل ويجعل منه أمرا مستحيلا احيانا ، وسائل المواصلات البدائية ووعورة المنطقة . ومهما يكن الامر فأن لواء السليمانية يكاد يكون أفقر لواء في خدماته الصحية كما يوضح الجدول التالي :

الجدول رقم (١٧) (٥٢)

الخدمات الصحية في العراق

السليمانية	٢٢٦٤٠٠	٥	١٠	٢١٠
بغداد	٨١٧٢٠٥	٢٥	٥٥١	١٨٤٩
البصرة	٣٦٨٧٩٩	١١	٦٣	٢٧٩

51. Statistical abstracts 1954, pp. 284-8.

(x) بلغ عدد المستشفيات في لواء السليمانية حسب احصاء ١٩٦٨ خمس مستشفيات وتشتمل على ٤٦٥ سريرا كما بلغ مجموع ذوى المهن الطبية ٥١ شخصا .

52. Statistical abstracts, 1955.

« نابع »

عدد السكان	المستشفيات	الاطباء	اشخاص آخرون يحملون اجازة تطيب	اللواء
٥٩٥١٩٠	٨	٦٠	٤٣٤	الموصل
٣٠٧٠٢١	٦	١٧	١٠٤	العمارة
٢٧٤٢٦٤	٤	١٩	١٣٢	كربلاء
١٩٢٩٨٣	٥	١٣	٩٠	الدليم
٢٨٦١١٥	٥	٤٨	١٥٢	كر كوك
٣٧١٨٦٧	٦	١٥	١١٢	المتنك (الناصرية)
٢٦١٢٠٦	٦	١٧	١٤٨	الحلة
٢٢٤٩٣٨	٣	١٠	٨٥	الكوت
٣٧٨١١٨	٦	٢٠	١٥١	الديوانية
٢٧٢٤١٣	٣	١٩	١٨٦	ديالى
٢٣٩١٧٦	٥	١٢	١١٢	اربيل
٤٨١٦١٨٥	٩٨	٨٧٤	٣٩٣٦	المجموع

ان الجدول المذكور يوضح نقص الخدمات الصحية في اللواء حتى بالمقارنة مع الاولوية الاخرى ، كما يبين حاجة اللواء الشديدة الى الخدمات الصحية العلاجية والوقائية . (x) ولا بد ان تسد حاجة اللواء بعدد اكبر من الخدمات الصحية بما فيها المستشفيات والاطباء والمستوصفات والموظفين الصحيين . اما في القرى الصغيرة التي لا يمكن ان تقوم فيها المستشفيات لاسعاف السكان ، فلا بد من انشاء مستوصفات صغيرة تحتوى على عدد صغير من الموظفين الصحيين وعلى عدد من الاطباء الزائرين . ومن (x) ان نقص الخدمات الصحية في لواء السليمانية ما يزال قائما بالقياس الى الاولوية الاخرى كما يوضحه الجدول التالى :

جدول يمثل توزيع السكان وذوى المهن الطبية والنسبة المئوية لهم والمستشفيات وعدد الاسرة على محافظات العراق عام ١٩٦٥

عدد الاسره	عدد المستشفيات	نصيب كل محافظة من مجموع ذوى المهن الطبية %	عدد ذوى المهن الطبية	نسبة السكان الى عدد الكلي	المجموع السكان	عدد السكان	المحافظة
١٢٩٢	١٣	٧٥٠	٨٦	١١٤	٩٥٤١٥٧	الموصل ودهوك	
٦٣٥	٧	٢٥٠	٢٥	٤٣	٣٦٠٢٨٥	اربيل	
٣٩٥	٥	١٤٤	١٨	٤٩	٤٠٨٢٢٠	السليمانية	
٥٤١	١٠	٢٥٠	٢٥	٤٣	٤٦٢٠٢٧	كركوك	
٣٧٦	٨	٣٤٤	٤٣	٤٨	٤٠٠٠٤٩	ديالى	
٤٠٦	٩	٣٤٤	٤٣	٣٨	٣١٩٢٨٩	الرمادى	
٧١١٥	٤١	٥٠٠	٦٣٣	٢٦٢	٢١٢٤٣٣٣	بغداد	
٤١٠	٦	٢٣٣	٢٨	٤٠	٣٣٥٤٩٥	الكويت	
٧٠٨	٧	٤٨٨	٦١	٥٢	٤٤٨٠٢٣	الحلة	
٥٩٨	٤	٥٠٠	٦٤	٤١	٣٣٩٦٩٢	كربلاء	
٧٢٨	٩	٥٠٠	٣٦	٦٦	٥٤٨٨٣٠	الديوانية والسماوة	
٦٦٨	٦	٣٠٠	٣٨	٤٢	٣٤٦٦٦٣	العمارة	
٣٢٨	٩	٢٢٢	٢٩	٦٠	٥٠٠٠٣٣	الناصرية	
١٢٠٦	١٦	٨٢٨	١١٠	٨١	٦٧٣٦٢٣	البصرة	
		١٠٠	١٢٦٢	١٠٠	٨٢٢٠٧٠٩	المجموع	

المصدر : المجموعة الاحصائية السنوية للسنوات من ١٩٥٨-١٩٦٨ .

الضرورى توسيع التدابير الصحية الوقائية بالقدر الذى توسع به التدابير الصحية العلاجية . وهذه التدابير تشمل على تزويد القرى بإنشاء استنسية وبالمراحيض والحمامات العامة ، وعلى توسيع الدعاية الصحية والاعتماد بنظافة القرى . وسيؤدى اتخاذ التدابير الوقائية الى مقاومة كثير من الأمراض الوبائية وإلى التخفيف من وطأة الأمراض المستوطنة . (٥٣)

مقارنة بين درجة الوفاة فى لواء السليمانية وبغية ألوية العراق :

بالرغم من ان مثل هذه المقارنة تستدعى وجود احصاءات طويلة المدى ، الا ان الاحصاءات ذات الثلاثة اعوام المتوفرة لدينا قد تمدنا بمدره عامه فى الموضوع . ويوضح الجدول التالى نسب الوفيات فى جميع ألوية العراق للسنوات ١٩٥٢ ، و ١٩٥٣ ، و ١٩٥٤ .

الجدول رقم (١٨) (٥٤)

نسبة الوفيات (بالمئة) فى العراق لعام ١٩٥٢ و ١٩٥٣ و ١٩٥٤ حسب الالوية

اللواء	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤
السليمانية	٢١	٣٣	٢٣
بغداد	٤٠٣	٢٤٢	٢٦٢
البصرة	١١-	١٠٢	١١-
الموصل	١١٣	٨٢	٧٦
العمارة	٣-	٣٦	٤١
كربلاء	٧٣	٨-	٩٧
الديلم	١٢	١٤	٠٩
كر كوك	٢-	٢٦	١٧

53. Lord Salter, "The development of Iraq", Baghdad 1954, P. 10.

54. Statistical abstracts, pp. 263-65.

« تابع »

الوفاء	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤
المتك (الناصرة)	٢٢٦	١٠٠١	٩٠١
الحلة	٤٢٢	٥٠	٤٢٩
الكوت	٤٢٨	٥٢٦	٥٢٦
الديوانية	٥٢٦	١١٢٩	١٢٢١
ديالى	٢٢٢	٣٢١	٣٢١
اربيل	٢٢١	٢٢٨	١٢٧

يبين الجدول المذكور انخفاض واضحاً لنسبة الوفيات في لواء السليمانية بمقارنته بالولاية الأخرى . ففيما عدا واء الدليم ادى يتميز بأقل مقدار من اسكان، فان نسبة الوفيات في لواء السليمانية هي أشد النسب انخفاضاً (x) ولا تعود هذه الظاهرة الى نشر الاجراءات الصحية في اللواء اكثر من بقية الولاية الأخرى ، بل هي ثمرة لعوامل مختلفة طبيعية واقتصادية واجتماعية، ويمكن اجمالها بما يلي :

اثـر المناخ :

ان مناخ واء السليمانية يتطابق مع المناخ المثالي الذي حدده ماركهام Markham ، ^(٥٥) فهو يصف بشتاء بارد رطب ببلغ متوسط حرارته حوالي ٤٠ ف ، وصيف معتدل جاف ببلغ متوسط حرارته حوالي ٧٠ ف . اما بقية ألوية العراق الوسطى والجنوبية فتتصف بصيف حار جاف ببلغ متوسط حرارته حوالي ١٠٠ ف ، وشتاء دافئ ببلغ متوسط حرارته حوالي ٥٠ ف . وببلغ متوسط الرطوبة السبية في لواء السليمانية حوالي ٢٥ ٪ ، بينما يصل المتوسط في ألوية العراق الوسطى والجنوبية الى حوالي ٤٠ ٪ .

55. Markham, S , Climate and energy of Nations, London 1942, P.25.

(x) يمكن ان نلمس انخفاض نسبة الوفيات في لواء السليمانية بالنسبة للولاية الأخرى في الجدول التالي الذي يسجل الوفيات خلال الفترة من ٥٧ - ٦٧ =

المصدر : المجموعات الإحصائية السنوية للسنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٨ ، الجهاز المركزي للإحصاء .

المجموع	٢٥٤٤٩	٣٧٧٢٤	٣٣١٥٤	٢٩٦٢١	١٦٧٦٨	٦٠٦٦٨	٨٨٨٧٨	٢٩٦٨٨	٦٠٦٦٨	٣١٣٣٨	٨٦٧٨٨	٨٠٦٨٨	٣٠٦٨٨	٨٠٦٨٨
البصرة	٣٣٠٧	٥١٨٨	٣١٤٣٨	٧١٨٨	٣١٨٨	١٦٨٨	٣٠٦٨	٦٠٦٨	٣٠٦٨	٥٨٨٨	٨٠٦٨	٣٠٦٨	٦٠٦٨	٨٠٦٨
العمارة	١٦٨١	٣٨١١	٠٣٣١	٦٠٥١	٨٧٥١	٥٨٣١	٥١٥١	٥١٥١	٥١٥١	٨٠٦١	٨٦٧١	٥٠٧١	٧٨٦١	٧٨٦١
الناصرية	١٦٧٨	٨١٣٨	٧٦٦١	٦٧٨٨	٨٠٨٨	٣٨٣٨	٥٣٠٨	٣٧٠٨	٣٧٠٨	٨٧١٨	٨٧٨٨	٥٠٨٨	٦٣٨٨	٦٣٨٨
الديوانية	٢٤٣٥	٣٦٦٨	٠١٨٨	٥٨٦٨	٨٣٣٨	٨١٣٨	٣٧٠٨	٦٠٠٨	٦٠٠٨	٣٨٦٨	٨١٨٨	٦٦٥٨	٧٥٧١	٧٥٧١
كربلاء	٥٦٣١	٣٠٨١	٦٨٣١	٨١٣١	٦٦٦١	٣٨١٨	٦٠٠٨	٦٠٠٨	٦٠٠٨	٦٨٨٨	٦٠٦٨	٠٧١٨	٨١٠٨	٨١٠٨
الحلة	٨٥٠١	٥٨١١	١٦٨١	٦٥٨١	٥٠٨١	٣٨٠١	٥٦٦	٨٧٦١	٨٧٦١	٧٨٠٨	٣١٧١	٨٣٦	٨٣٦	٨٣٦
الكويت	٦٣٣١	٥٦٣١	٠٣٦١	٣٥٨١	٧٨٦١	٥٨٦١	٦٣٦١	٣٨٠٨	٣٨٠٨	٦٠٧١	٦٥٦١	٦٥٧١	٦٥٧١	٦٥٧١
الرمادي	٣١٨٣	٣٣٨	٨٦١	٣٣٨	٥٠٨	٦٨٨	٥٧٨	٨٦٨	٨٦٨	٥٥٣	٨٦٨	٦٧٣	٦٧٣	٦٧٣
ديالى	٦٧٧	٦٠٧	٣١٦	٥٦٧	٨٥٦	٥٦٣	٨١٨	٨١٨	٨١٨	٨١٨	٨١٨	٣٨٨	٣٨٨	٣٨٨
بغداد	٨٠٦٢	٨٨٦٨	٧٨٨٦	٨٥٠٦	٦٥٥٦	٨٥٦٦	٨٨٦٧	٣٠٨٠١	٣٠٨٠١	١٥٦١١	٧٦٨٠١	٨٨٠٨١	٨٨٠٨١	٨٨٠٨١
السليمانية	١٢٧	٦٠٧	٨١٥	٨٧٦	٦٨٦	٠١٥	٨١٨	١١٥	١١٥	٦٨٣	٠٧٦	٦٧٦	٦٧٦	٦٧٦
اربيل	٥٩	٦٠	٠٦١	٣٨٣	٣٦٨	٨٠٨	٧٦٨	٧٥٦	٧٥٦	٠٦٣	٨٦٥	١٠٦	١٠٦	١٠٦
كركوك	٤٠٧	٧٥٨	٦٦٨	٨٨٠١	٣٧٧	٠٠٠	٠٠٦	٨٨٦	٨٨٦	٥١٧	٨٧٨	٨٧٨	٨٧٨	٨٧٨
الموصل	١٧٦٥	٢٠٩٨	٢٢٩٤	٢٨٧٨	٢٣٦٠	٣٨٨٤	٦٤١٨	٣٦٦٨	٣٦٦٨	٦٥٥٨	٣٨١٨	٧٨١٨	٧٨١٨	٧٨١٨
الناحافة	١٩٥٧	٧٥٦١	١٩٥١	١٩٦٠	١٦٦١	١٦٦١	١٦٦١	٣٦٦١	٣٦٦١	٥٦٦١	٦٦٦١	٨٦٦١	٨٦٦١	٨٦٦١

جدول يبين عدد الوفيات المسجلة في العراق حسب المحافظات خلال الفترة من ١٩٥٧ - ١٩٦٧

ولا ريب ان مثل هذا النوع من المناخ يؤثر في تخفيض درجة الوفيات في لواء السليمانية ، بينما يؤثر في رفعها في الالوية الوسطى والجنوبية • وقد وجد هسجورون Huntington بأن الجو الحار الرطب يفتقر ونسبة الوفيات اعالية • ^(٥٦) كذلك يؤكد نوشولم Newsholme بأن الشتاء الدافئ والصيف المعتدل كلاهما يؤديان الى تخفيض نسبة الوفيات ، فاشتاء الدافئ ينفع الكهول والشيخوخ ، بينما يفيد الصيف المعتدل الجماعات اعينة ولا سيما الاطفال • ^(٥٧) ويبغى ان يذكر بأن نسبة وفيات الاطفال في لواء السليمانية هي بالفعل اوجها من مثيلاتها في الالوية الوسطى والجنوبية وانها مسؤولة الى حد كبير عن توسيع الفجوة بين درجة الوفيات العامة فيما بين لواء السليمانية وبقية الوية العراق •

اثر نظام الري :

ان نظام الري السبع في لواء السليمانية ، والذي يعتمد على المياه الجوفية ، قد انتد استغله من بعض الامراض اريفية الخطرة كالانكلستوما والبلهارزيا اما ان يكاد يعدم وجودهما في اللواء • ومن الملاحظ ان الاصابات بهسجين امريين عية جدا في الالوية الوسطى والجنوبية فمرا لاعتماد هذه الجهات في ربيها على دجلة والفرات وفروعهما وقنواتهما • ويوضح ذلك بالرجوع الى الاحصاءات امريضة لعام ١٩٥٣ في البلهارزيا والانكلستوما ، فقد بلغت في لواء الديوانية ٣٠٦ اصابة و ٢٠٦ اصابة على التوالي وفي لواء المنفك (الباصرية) ٨٧٨ اصابة و ٦٨٢ اصابة على التوالي ، بينما بلغت اصابات البلهارزيا

56. Huntington, E., "Weather and health", Washington 1930, pp 37-40.

57. Newsholme, Sir A , "Vital statistic", London 1923,P.296.

فى لواء السليمانية ١٧ اصابة ، ولم تحدث أية اصابة فى الانكلستوما . (٥٨)
ومما لا ريب فيه ان خلو اللواء من هذه الاصابات قد خفض درجة الوفيات
فيه ، بينما رفعها فى الالوية الاخرى . ان اثار هذين المرضين لا تحتاج الى
ايضاح ، فالبلهارزيا تسبب نحولا عاما يضعف مقاومة الجسم بينما تسبب
الانكلستوما الانيميا (فقر الدم) والهزال وضعف القلب . لذلك فان خطر
هذين المرضين لا يكمن فى ارتفاع وفياتهما فحسب ، بل فيما تسببانه من
امراض اخرى بصورة غير مباشرة .

اثر الملكية الارضية :

ان لنظام الملكية الارضية تأثيرا غير مباشر على السكان ، وهو تأثير
ايجابى نسبيا فى حالة لواء السليمانية ، وسلبى فى بقية ألوية العراق ولا سيما
الالوية الجنوبية . ومع ان نظام الملكية الارضية فى لواء السليمانية بعيد عن
الكمال ، الا انه أفضل حالا مما هو عليه فى الاجزاء الوسطى والجنوبية
من البلاد . (x) ويمكن ان نحدد هذه الافضلية فى ثلاث نقاط :

الاولى : وجود عدد اكبر من الزراع الصغار فى لواء السليمانية الذين
يملكون ارضهم ويتولون زراعتها بأنفسهم .

الثانية: وجود طبقة من الفلاحين المؤجرين فى لواء السليمانية تتمتع
باستقلال مشابه لاستقلال طبقة الملاكين الصغار . اما فى المنطقة العربية
فتحصّر المزايا التى يتمتع بها أفراد هاتين الطبقتين فى عدد محدود من السراكيل،
بينما يعامل بقية الفلاحين معاملة العمال الزراعيين .

58. Annual bulletin of health and vital statistics 1958, P.14 and 17.

(x) لقد تغير نظام الملكية الارضية تغييرا جوهريا لصالح الفلاح
منذ ثورة ١٤ تموز - ١٩٥٨ وذلك بتشريع قوانين اصلاح الزراعى .

الثالثة : ارتفاع نصيب الفلاح من المحصول فى لواء السليمانية بالقياس الى نصيبه فى الالوية الاخرى ، ولا سيما فى المنطقة الجنوبية .

وهكذا اصبح الوضع الاقتصادى للسكان الريفيين فى لواء السليمانية افضل من وضعهم فى معظم الالوية الاخرى ، ولا سيما الالوية الجنوبية ، وقد أثر هذا الوضع بالطبع فى تخفيض درجة الوفيات فى اللواء .

اثر التنظيم الاجتماعى والسياسى :

لقد أثر هذا العامل فى سكان اللواء تأثيرا ايجابيا نسبيا ، بينما كان ذو تأثير سلبى فى سكان معظم الالوية الاخرى . ولكى نفهم طبيعة هذا العامل لابد لنا ان نتذكر بان احفاد العشائرى قد ساد العراف لرمن طويل ، وقد ترك هذا النظام اثارا سيئة فى النواحي الاقتصادية والاجتماعية .

فمن الناحية الاقتصادية كان السكان العشائريون يعانون من عدم الثبات فى حرفتهم ، وكانوا يترجحون دائما بين الزراعة والرعى . بل ان الزراعة انفسهم كانوا يزاولون الزراعة شبه المتقلة وهى حرفة تشبه فى مظاهرها الاجتماعية حرفة الرعى . فضلا عن ذلك ، فقد كان هناك حالة من الصراع الدائم بين العشائر المختلفة نجمت عن طبيعة وضعها الاقتصادى ، وهو صراع بين الزراع المستقرين من جهة والرعاة الرحل من الجهة الاخرى ، وكذلك الصراع بين العشائر المختلفة حول المراعى والاراضى الزراعية .

أما من الناحية الاجتماعية فقد أثر النظام العشائرى على نمو السكان من خلال مزاوله العادات والتقاليد العشائرية التى ترتبط ارتباطا قويا بظاهرتى القتال والنار . ان هذه الصفات البارزة فى النظام العشائرى قد أثرت على استقرار السكان وزجتهم فى حروب متصلة .

ولقد عانى لواء السليمانية من مساوىء النظام العشائرى أقل مما عانت

منه بقية الالوية الاخرى ، لا سيما منذ اوائل هذا القرن ، كما ان حلال النظام العشائرى فى اللواء قد بدأ منذ وقت طويل نسبيا ، بينما طلت أغلب الالوية ، وخصوصا الجنوبية منها ، تعاني من مساوىء هذا النظام •

موازنة بين متوسطات المواليد والوفيات فى لواء السليمانية :

ان عدم توفر احصاءات ديموغرافية طويلة الامد قد جعل من المتعذر علينا ان نقرر اى عامل كان له الاثر الاكبر فى التحكم باتجاه النمو السكى فى لواء السليمانية خلال العهود الماضية • ومع ذلك ففى وسعنا القول بان بطء نمو السكان فى تلك الفترة يرجع الى الحروب المدمرة والابوثة الكاسحة والمجاعات الفتاكة وفقدان الاحتياطات الصحية فقدا تماما • وعلى اية حال فقد بدأ اتجاه النمو السكانى فى الارتفاع ببطء منذ عام ١٩٣٥ ، فقد حدثت زيادة صافية Net increase قدرها ٤٢١٩٦ شخصا فيما بين

عام ١٩٣٥ و ١٩٤٧م ، كما حدثت زيادة اخرى مقدارها ١١٩٠٦ شخصا فيما بين ١٩٤٧ - ١٩٥٥ • (×) من الواضح ان زيادة السكان مضطردة فى اللواء • فقد بلغ مجموع سكان اللواء حسب احصاء عام ١٩٦٥ حوالى ٤٠٨٢٢٠ نسمة وقد قدر عدد نفوس اللواء بحوالى ٤٧١٨٥٦ نسمة لسنة ١٩٧٠ و ٤٨٧٩٤٧٩ نسمة لسنة ١٩٧١ و ٥٠٣٧٠٨ نسمة لسنة ١٩٧٢ •

فاذا ما فحصنا فترة النمو هذه لوجدنا بان متوسطات المواليد لم ترتفع عن مستواها العام بالنظر لان العوامل التى تتحكم فى الخصوبة قد بقيت كما هى ، فى حين ان متوسط الوفيات قد انخفض بسبب الاستقرار السياسى وارتفاع المستوى الصحى • ان هذه النتيجة تقودنا الى

(×) من الواضح ان زيادة السكان مضطردة فى اللواء فقد بلغ مجموع سكان اللواء حسب احصاء عام ١٩٦٥ حوالى ٤٠٨٢٢٠ • وقد قدر عدد نفوس اللواء بحوالى ٤٧١٨٥٦ نسمة لسنة ١٩٧٠ و ٤٨٧٩٤٧٩ نسمة لسنة ١٩٧١ و ٥٠٣٧٠٨ نسمة لسنة ١٩٧٢ •

الاعتقاد بأن متوسط الوفيات كان العامل المؤثر في اتجاه النمو السكاني في اللواء . غير ان هناك عاملا اخر ايضا ربما كان له اثر فعال في زيادة سكان اللواء وهو عامل الهجرة الداخلية من الالوية الاخرى او الهجرة الخارجية من البلاد الايرانية بوجه خاص . وبما ان الارقام التي تسجل حالة الهجرة في اللواء غير متوفرة لدينا ، لذلك لا يمكن ان نعطي تقديرا صحيحا لهذا العامل . الا اننا يمكن ان نحكم باطمئنان على اية حل ان عامل الهجرة لم يكن ذو تأثير فعال في زيادة سكان اللواء (x) .

امكانيات النمو الطبيعي

ان لسكان لواء السلمانية امكانيات نمو واسع ، طبقا لما تظهره العوامل البيولوجية والاقتصادية .

ويتوقف على الناحية البيولوجية أهمية عظمى في تقرير نمو السكان . ويتحكم في هذه الناحية عدد النساء اللواتي في سن الحمل Child bearing age وقد أكد كثير من الكتاب أهمية هذا العدد باعتباره العامل الحاسم في نسبة

(x) في دراسة حديثة عن سكان العراق توصل الكاتب الى الاستنتاج التالي عن أهمية الهجرة في زيادة سكان الالوية المختلفة : « ان معدلات الهجرة الصافية كما وردت في هذا الجدول تشير الى ان حركة النقل بين الالوية الشمالية لم تكن نشيطة بالقدر الذي كانت عليه في الالوية الوسطى والجنوبية ، كما يظهر ايضا ان الالوية التي ازداد عدد سكانها نتيجة لهذه الحركة هي فقط على التوالي ، لواء بغداد والبصرة وكركوك ثم الموصل ، ومن بين الالوية التي تناقص عدد سكانها سنويا مساهم لواء العمارة بعدد اكبر في ارسال المهاجرين » .

المصدر : « سكان العراق » لفاضل الانصاري ، دمشق ١٩٧٠ ص ١١١

اما الاحصاءات التي توضح حركة الهجرة الى داخل اللواء وخارجه فقد وردت على النحو التالي :

جدول يوضح الهجرة الداخلية الى مراكز الاكاديمية

١٩٦٦	١٩٦٥	١٩٦٤	١٩٦٣	١٩٦٢	١٩٦١	١٩٦٠	١٩٥٩	١٩٥٨	الرواء
٢٢٧	٣٨٦	٣٦٧	١١٩٨	١١٣٥	١٠٣٢	٢١٧١	٢٥٨٢	١٦٧٩	السليمانية

جدول يوضح الهجرة من مراكز الاكاديمية الى المراكز الاخرى

١٩٦٦	١٩٦٥	١٩٦٤	١٩٦٣	١٩٦٢	١٩٦١	١٩٦٠	١٩٥٩	١٩٥٨	الرواء
١٧٢	١٦٨	٤١٧	٨٨٦	٢٠٧٢	٧٥٧	١٨٨٢	٥٥٣٢	١٨٥٩	السليمانية

المصدر : احوال السكان في العراق - للدكتور احمد نجسم الدين ١١٦-١١٧

مواليد Natanty وهو مسئول عن تعويض احصاءة فى الوفيات * (٥٩)

ان النساء اللواتى فى سن الحمل ، أى اللواتى تتراوح أعمارهن بين ١٥ - ٤٥ ، يكون الاغلبية فى لواء السليمانية ، ويزيد عددهن على عدد السكان الذكور من نفس فئات السن كما يوضح ذلك الجدول التالى :

الجدول رقم (١٩) (٦٠)

النسب المئوية لسكان لواء السليمانية حسب فئات السن والجنس

العمر بين	ذكور	اناث	كلا الجنسين
صفر - ٤	٨٧٨	١٠٧١	١٨٧٩
٥-٩	٨٧٤	١٠٧٢	١٨٧٦
١٠-١٩	٧٧١	٨٧٨	١٥٧٩
٢٠-٢٩	٣٧٩	٦٧٥	١٠٧٤
٣٠-٣٩	٥٧١	٦٧١	١١٧٢
٤٠-٤٩	٥٧٤	٥٧١	١٠٧٥
٥٠-٥٩	٣٧٥	٣٧٤	٦٧٩
٦٠- فما فوق	٤٧١	٣٧٥	٧٧٦
المجموع	٤٦٧٣	٥٣٧٧	١٠٠٠

59. Kuczynsky, R.R., "The measurement of population". London 1935, pp. 206-7.

Also: Carr-Saunders, "World population", London 1936, pp 117-18.

60. Computed from Statistical abstracts, table 6, P.10, 1954

ومع ان هذا الجدول قد تأثر تأثراً خفيفاً بصعوبات التي تكسفت احصاء النفوس العام ، ولا سيما ما يتعلق منها باخفاء حقيقة عدد الذكور في سن التجنيد ، الا انه مع ذلك يظهر زيادة واضحة للامث على الذكور ، وخاصة ممن في سن الانجاب . كذلك يوضح لنا الجدول بأن النسبة المئوية للامات اللواتي في أفضل سني حياتهن هي أعلى من نسبة الذكور (٧٠) وهذه الظاهرة لها أهمية خاصة من وجهة النظر البيولوجية . ويظهر الجدول أيضاً نسبة عالية من فئات السن الشباب من كلا الجنسين ، وهذا يدل على ارتفاع متوسط المواليد والوفيات ، كما انه دليل على المعدل ارضي لأمد الحياة expectation of life والذي قدره احد الكتب بحوالي ستة وعشرين عاماً (٦١) ومن الجدير بالذكر ان جمع هذه المتغيرات السلبية يمكن عكسها الى جوانب ايجابية وذلك برفع مستوى الاحوال الصحية ومستوى الحياة عموماً مما يفسح المجال امام النمو الطبيعي الواسع لسكان اللواء .

وتساهم أحوال اللواء الاقتصادية أيضاً في افساح المجال امام النمو الطبيعي للسكان ، ذلك انه يتمتع بإمكانات اقتصادية واسعة لم تستثمر بعد . فهناك اراضي زراعية واسعة مهملة وغير مستثمرة بالنظر لنقص مياه الري وفقر المزارعين . ولقد أصاب التخريب نطاق الغابات العظمى في اللواء نتيجة للاستثمار السيء ، في حين ان في الاستطاعة استغلاله في صناعات عديدة . ان تحسين وتطوير اقتصاد اللواء بانحاء النظام الاقطاعي والتعويض عنه بنظام الملكية الصغيرة ، وكذلك انشاء مشاريع الري وتمديد شبكة واسعة

Gl. Jewad, Hashim, "Social structure of Iraq", 1945, P. 17.

(×) ان احصاءات السكان اللاحقة قد اوضحت زيادة عدد الذكور على الاناث في اللواء كما يظهر الجدول التالي :

ومن المتوقع ان يحدث نمو واضح في السكان في المستقبل القريب (x x)

المصدر : المجموعة الإحصائية للجهاز المركزي للإحصاء ، عام ١٩٦٨ ، جلد ١ - رقم ٣١
(X X) من الواضح ان سكان اللواء قد تضاعفوا خلال العشرين سنة فيما بين ١٩٤٧ و ١٩٦٧ كما
يرضحه الجدول التالي غير ان نسبة الزيادة لم ترتفع كثيرا حسب الإحصاءات الرسمية .

السنة	عدد السكان	النسبة المئوية للزيادة	النسبة المئوية للزيادة %								
١٩٦٨	١٩٦٧	١٩٦٥	١٩٥٨	١٩٥٧	١٩٤٧	١٩٤٢	١٩٣٥	١٩٣٠	١٩١٩	السكان	السوية
٤٢٥	٤١٧	٤٠٨	٣٠٠	٣٠٥	٢٢٦	١٦٤	١٧٥	٩٤	١٥٥	السكان	السوية

المصدر : كتاب الحبيب السنوي للاحصاءات العامة .

وكذلك قفز عدد سكان اللوات حسب تقديرات عام ١٩٧٠ (٤٧١,٨٥٦ نسمة) و ١٩٧١ (٤٨٧,٤٧٩ نسمة) و ١٩٧٢ (٥٠٣,٧٠٨ نسمة).

وذلك بتطبيق منهاج واسع للاعمار الاقتصادي والاجتماعي تدعّمه واردات النفط • وسيؤدي التطور الاجتماعي الى تخفيض نسبة الوفيات بتوسيع الخدمات الطبية والصحية والتعليمية ، في حين ان نسبة المواليد ستظل ثابته لفترة طويلة ، بل وقد ترتفع ارتفاعا بسيطا عن وضعها الحالي نتيجة ارتفاع مستوى الحياة • وسيؤدي التطور الاقتصادي والاصلاح الزراعي الى رفع دخل الاسرة وبذلك يسبب انخفاضاً اخر في نسبة الوفيات • وعلى شتى بعض الدول الشرقية والاسيوية كاليهند ومصر فإن العراق يعاني من الانقار السكاني وان أى نمو في سكانه يعتبر كسباً اقتصادياً • والواقع انه اذا أريد تحقيق تطور اقتصادي كامل فلا بد من تحقيق نمو كبير في السكان لمواجهة مشكلة قلة الايدي العاملة • ومن جهة اخرى فان موارد البلاد الاقتصادية ، ولا سيما الموارد الزراعية ، ستكون قادرة على مواجهة النمو الكبير في السكان ما دامت كثافتهم المثلى ما تزال بعيدة عن الكمال • (٦٢)

- ٢ -

توزيع السكان

لقد اختلف الجغرافيون حول العوامل المتحركة في توزيع السكان • فلقد زعم البعض منهم ، مثل الانسة الين سمبل E. Semple بان العوامل الطبيعية هي المسؤولة الوحيدة عن انماط هذا التوزيع • (٦٣) وذهب البعض الاخر من اولئك الحتميين ، مثل هنتنغتون E. Huntington وويلدور G. Taylor الى القول بان عنصراً معيناً من عناصر البيئة الطبيعية ، وهو

62 Delton, Dr. Hugh, "The theory of population" Economica, vol. VIII, No. 22-24, March 1928, pp. 30-31.

63 See: Semple, Ellen, "Influences of geographical environment", London 1911.

منح • بحمل اسؤولية الكبرى فى هذا التوزيع • (٦٤) غير ان الجغرافيين
عموما يميلون الى الاعتقاد بأن العامل البشرى يخفف الى حد كبير من تأثير
العامل الطبيعى ، وان كليهما يتفاعلان بصورة معقدة للغاية • فبينما يمكننا
أن نلمس مفعول العامل الطبيعى فى تأثيرات المناخ والتضاريس والتربة
واموارد المعدنية ، فان مفعول العامل البشرى يتجلى فى أنماط النشاط
الاقتصادى وفى التنظيمات الاجتماعية والسياسية للسكان •

ويعتبر المناخ أهم عامل طبيعى يؤثر على السكان ، فهو يتحكم فى
موارد المياه ويؤثر على التربة ويقرر انواع النباتات والمزروعات • وتلعب
التربة دورا فى الحياة الاقتصادية للسكان حسب نوعيتها وطريقة تكونها •
اما التضاريس ونوعيتها فلها أثر واضح على السكان • فالارتفاع المتزايد
مثلا يصير بالنشاط البشرى عن طريق تقصير فصول الزراعة • كما ان اتجاه
المرتفعات يقرر فوائد او مضار المنطقة بالنسبة الى الامطار واشعة الشمس •
كذلك يتحكم شكل التضاريس فى الاستيطان البشرى ، وخصوصا فى المناطق
المرتفعة ، حسب درجة انحدار السفوح ووجود المدرجات على جوانب الوادى
ومدى توفر السهول • بينما تهيم المنحدرات البسيطة والسهول ارضا
صالحة للزراعة ، فان توفر المدرجات فوق الجبال يزيد من امكانية سكنى
المنطقة بتوفير تربة ذات تصريف جيد وارض مستوية صالحة للزراعة
والاستقرار • (٦٥) ويقرر الموقع الجغرافى علاقات المكان مع المناطق المجاورة
الافرى ومدى صلته بالاسواق •

64. See: Huntington, E. "Civilization and climate", New Haven 1915.

Also: Taylor, G. "Environment and race", London 1927.

65. Hannam, R. "The function of mountain settlement in relation to their physical environment", a thesis of M.A. submitted to London University in 1954, P.15.

وتمثل اثار العامل البشرى على السكان فى أنماط النشاطات الاقتصادية بوجه خاص . فنوع الزراعة ، ان كانت واسعة ام كثيفة ، ونوع المحاصيل ، وطرق الزراعة ، كل ذلك يقرر علاقة الانسان بالارض . ودرجه الصنيع توصح ايضا مدى تجمع السكان فى مناطق معينة . اما اثار النظم السياسى والاجتماعى على توزيع السكان فهى مهمة للغاية . فالاستقرار اسيسى والسيطرة الحكومية الفعالة تجعل بعض المناطق صالحة للاستقرار ، وبكس دات فقد يتعذر استيطانها . كما ان توفر الخدمات اصحية فى المناطق الموبوءة * كالجهاز التى تنشر فيها الملاريا مثلا ، قد تجعلها اكثر جاذبيه للسكان .

وهكذا نلاحظ بأن اثار العوامل الطبيعية والبشرية على درجة الاستقرار البشرى معقدة للغاية بحيث يتعذر الموازنة بينها . وسنحاول فى دراستنا لتوزيع السكان فى اللواء ان نتبع جهد الامكن اثار هذين العاملين .

ولابد ان نوضح بأن دراستنا لن تكون هائمة على الاساس الاقليمى بل على الاساس الادارى . وهذا المنهج بالطبع لن يعكس بدقة اثار العوامل الطبيعية ، لان الوحدات الادارية ليست متطابقة مع الاقاليم الجغرافية فى غالب الاحوال . وليس امامنا خيار ، لان الاحصاءات القليلة المتوفرة لدينا مرتبة كليا على اساس التقسيمات الادارية . ولكى نهرب جهد استطلاعنا الوحدات الادارية الى الوحدات الاقليمية الجغرافية فاننا سنحاول بالدراسة اصغر تلك الوحدات وهى « الناحية » . ويشتمل العراق على اربع عشرة وحدة ادارية كبيرة يطلق عليها اسم « لواء » (x) . كما شتمل كل لواء من تلك الالوة

(x) يشتمل العراق حسب التقسيم الادارى الجديد على ستة عشر وحدة ادارية كبيرة يطلق عليها اسم « المحافظات » . فلقد استحدثت محافظتين جديدتين هما « محافظة دهوك » و « محافظة السماوة » . كما غيرت اسماء بعض المحافظات القديمة على النحو التالى :

عن وحدات أصغر تحلف في عددها حسب مساحتها وأهميتها تسمى «الاقضية» .
ويقسم « القضاء » ايضاً الى عدة وحدات يطلق على كل منها اسم «ناحية» .
ولقد كان لواء السليمانية حتى عام ١٩٥٦ مقسماً الى اربعة اقسامية
واربعة عشر ناحية . وفي عام ١٩٥٦ ألحقت الحكومة باللواء قضاء آخر هو
قضاء « رائية » الذي ينقسم بدوره الى ثلاث نواحي هي « ناودشت »
و « جناران » و « ارانية » وفي هذه الدراسة سننضم بالتقسيم القديم للواء
بالنظر لان جميع الاحصاءات المتوفرة لدينا عنه قائمة على اساس التقسيم
القديم (x) . وقد وردت اقسامه الادارية ومساحتها وسكانها حسب احصاء
عام ١٩٤٧ على النحو التالي :

الجدول رقم (٢٠) (٦٦)

الوحدات الادارية في لواء السليمانية حسب مساحتها وسكانها وكثافتها

(احصاء عام ١٩٤٧)

القضاء الناحية	المساحة كم ^٢	السكان	الكثافة بالكيلومتر المربع
السليمانية	٣١٤٠	٧٩٨١٣	٢٥٢٤
سرجان	٦٧٥	٤٣٠٤٩	٦٣٢٧
تاجرو	٥٩٣	١٠٤٩٠	١٧٢٧

= العمارة = ميسان	، الديوانية = اقدسية
الكوت = واسط	، الناصرية = ذي قار
الحلة = بابل	، الموصل = نينوى
الرمادي = الانبار	، السماوة = المثنى

(x) حدثت تغييرات اخرى على التقسيمات الادارية للواء السليمانية
في الوقت الحاضر ، وبرزها تحويل « ناحية » بنجوين القديمة التابعة الى
قضاء حلبجة الى « قضاء » .

(٦٦) « اطلس العراق الاداري » للدكتور احمد سوسة - مطبعة
المساحة بغداد ١٩٥٢ ، ص ٢٥ .

الكثافة بالكيلومتر المربع	السكان	المساحة كم ^٢	انقضاء الناحية
١٤٣٣	١٠١١٧	٧٠٥	قره داغ
١٦٣٨	١١٩٥٧	٧١١	سورداش
٩٣٢	٤٢٠٠	٤٥٦	بازيان
٢٢٣٣	٧٤٤٩٣	٣١٥٣	حلبجة
٢٤٣٩	٢٢٧٤١	٩١٠	شهرزور
٢٦٣٩	١٩٥٧٧	٧٢٨	خورمال
١٥٣٣	٦٨٥٧	٤٥٨	وارماواه
٢٠٣٣	٢١٣١٨	١٠٥٧	بنجوين
١٩٣١	٣٨٩٩١	٢٠٤٣	شهر بازار
١٦٣١	١٧٣٤١	١٠٧٤	جوارته
٢٢٣٤	١١٥٩٤	٥٢٥	ماوت
٢٢٣٦	١٠٠٥٦	٤٤٤	سروجك
٢٩٣٧	٣٦١٠٣	١٢١٦	بشدر
٤٤٣٢	٢٢٦٣٢	٥٠٩	قلعة دزة
١٩٣٣	١٣٤٧١	٧٠٧	مرکه (بنجرد)
٢٣٣٧	٢٢٥٤٠٠	٩٥٥٢	المجموع العام

اما احصاء عام ١٩٥٧ فقد وزع سكان اللواء على الوحدات الادارية المذكورة على النحو التالي :

ملحق لجدول رقم ٢٠

سكان نواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٥٧

المجموع	عدد الاناث	عدد الذكور	الناحية	انقضاء
١٠٨٧٨٨				السليمانية
	٢٨٧٢٠	٣١٦٦٠	سرجانار	
	٦٢٠٣	٦٤٥٦	تانبجرو	
	٧١٢٣	١١٤٢٦	قره داغ	
	٥٥٩٩	٥٩٠٩	سورداش	
	٢٧٢٠	٢٩٧٢	بازيان	
٧٤٥٥٠				حلبجة
١٦١٥٨	٧٨١٢	٨٣٤٦	حلبجة	
١١٠٠٠	٨٨٤٠	٩٣٨٢	خورمال	
< ١٥٥٢	١١٢٧٩	١٠٢٧٥	نجوين	
١٩٠٠	٤٤١٧	٤٥٣٢	شهرزور	
١٦	٤٤٦٣	٥٢٠٤	وارماوه	
٧١٠٦٢				شهر بازار
٤١ ٦٠	٥٣٨٩	٥٦٣٢	جوارته	
	٦٠٧٥	٦١٣٤	ماوت	
	٤٦٦٩	٤٨٥٧	سروجك	
	٢٧٤٤	٥٥٦٦	سيوبل	

« تابع »			
القضاء الناحية	عدد الذكور	عدد الاناث	المجموع
بشدر			٣٤٣٥٩
بشدر	٢٥٠٨	٢٣١٠	
قلعة دزة	٨٤٨٨	٧٧٠٩	
بنجرود (مرکه)	٦٨٩٨	٦٤٤٦	
رانيه			٣٧٠٦٠
رانيه	٩٥٢٧	٩٠٩٠	
جاناران	٣٦٦٣	٤٣٨٢	
ناوداشت	٥٣١٠	٥٠٨٨	
المجموع	١٥٤٧٤٦	١٤١٠٧٦	(x) ٢٩٥٨٢٢

(x) لقد اورد احصاء عام ١٩٦٥ الارقام التالية عن سكان لسواء
السليمانية واقسامه الادارية :

=

۱۳۴۴	۲۳۲۲	۲۴۵۷	۵۳۰۳۹	۹۵۱۹	۱۴۸۲۸	۴۲۷	قضاء پنجونین
۰۹	۱۵۰۵	۱۶۴۴	۲۲۴	۱۰۳۱۵	۱۰۵۳۹	۶۴۲	م. ق. پنجونین
							ن. کریمک
۲۳۳	۱۷۰۹	۲۱۰۲	۲۳۳۶	۱۳۶۳۷	۱۴۹۶۳	۷۰۳	قضاء شهر بازار
۲۳۳	۲۶۰۹	۲۷۰۹	۱۱۳۷	۱۴۵۸۹	۱۵۷۳۶	۵۵۹	م. ق. جوارته
۲۳۶	۲۳۰۵	۲۷۰۲	۱۷۰۹	۱۱۰۵۹	۱۲۷۶۸	۴۶۹	ن. سرورجک (م. ن. برزنجه)
۰۷	۱۳۰۷	۱۴۰۲	۲۳۰	۶۵۶۴	۶۸۸۴	۴۷۹	ن. سیوریل (م. ن. باستی)
							قضاء بشلو
-	-	-	۶۳۵۰	-	۶۳۵۰	-	م. ق. قلعه دزة
-	۴۰۳۷	۴۰۳۷	-	۲۱۰۸۵	۲۱۰۸۵	۵۱۷	ن. قلعه دزة
۱۳۲	۲۳۳۷	۲۴۰۷	۶۰۵	۱۵۳۶۸	۱۶۱۷۲	۶۴۹	ن. مرکه (م. ن. بنکورد)
							قضاء وانیة
-	-	-	۴۰۹۰	۵۶۴۷	۹۵۷۳۷	-	م. ق. وانیة
۱۰۹	۱۰۳۲	۱۲۰۲	۱۰۷۸	۶۷۹۴	۷۸۷۲	۵۵۵	ن. جتاران (م. ن. خلکان)
۰۳	۱۳	۱۳۳۳	۴۳۳	۱۳۱۹۹	۱۳۶۳۱	۹۸۹	ن. نازدشت (م. ن. سنکمی)
-	۱۵۰۷	۱۵۰۷	-	۱۵۵۵۷	۱۵۵۵۷	۹۸۹	ن. وانیة (م. ن. جوارقورته)
۱۰۹	۲۳۳۱	۲۴۰۲	۱۳۱۳۴۸	۲۷۶۹۷۲	۴۰۸۲۲۰	۱۱۹۹۳	مجموع المحافظات

المصدر : احوال السكات فی العراق ، للدكتور احمد نجم الدين ، القاهرة ۱۹۷۰ ص ۳۵ - ۳۶

ولعل من المفيد ان نفحص بشكل اولى كثافة السكان في لواء السليمانية
 نكن قبل ان نفحص كثافة «نواحيه» واحدة واحدة . فالكثافة العامة للواء
 السليمانية (التي تبلغ ٢٣٣٧) للكيلومتر المربع تمثل كثافة منخفضة حتى
 بالنسبة لاقليم جيل (x) . ويمكن ان نقارن ذلك الرقم بارقام مناطق جبلية
 اخرى في العالم ، فنجد ان الكثافة في اسكتلندا مثلا بلغت ٦٥ نسمة
 الكيلومتر المربع ، وفي لبنان ١٣٠ نسمة للكيلومتر المربع (حسب احصاء عام
 ١٩٥٢)^(٦٧) . اما اذا درسنا كثافة لواء السليمانية ، باعتبارها لواءا كرديا فانه
 لا يعتبر منخفض الكثافة اذا ما قورن بالاولوية الكردية الاخرى . فكثافة
 السكان في لواء اربيل ، وهو لواء كردى محض ، بلغت ١٣٣٣ نسمة
 للكيلومتر المربع ، في حين ان كثافة لوائي الموصل وكر كوك ، اللذين يكون
 الاكراد نسبة كبيرة من سكانهما ، بلغت ٢٠٨١ نسمة للكيلومتر المربع ، و-١٤
 نسمة للكيلومتر المربع على التوالي^(٦٨) . واذا ما قورنت كثافة لواء السليمانية
 بكثافات بقية الاولوية السهلية التي تعتمد على الرى الصناعى ، حيث توفىر
 فيها المياه والاراضى الزراعية الواسعة ، وجدنا كثافة لواء السليمانية
 متوسطة عموما^٢ كما يتضح من الجدول التالى :

الجدول رقم ٢١ (٦٩)

الوحدات الادارية للعراق حسب مساحتها وسكانها وكثافتها

(احصاء سنة ١٩٤٧)

اللواء	المساحة كم ^٢	السكان	الكثافة فى الكيلومتر المربع
السليمانية	٩٥٤٣	٢٢٦٤٠٠	٢٣٣٧

(x) يمكن ان نأخذ فكرة اكثر دقة عن كثافة لواء السليمانية اذا ما
 اخذنا بنظر الاعتبار الكثافة الزراعية فيها باعتبارها منطقة زراعية بالدرجة
 الاولى . (تمثل الكثافة الزراعية نسبة عدد سكان الارياف الى المساحة
 الصالحة للزراعة) . وتبلغ فى حالة اللواء (٨٠) نسمة ، كما اوردها
 الاحصاءات الحديثة .

67. Statistical year-book 1954, United Nations, PP-22-31.

68. Principal bureau of statistics - statistical abstracts, 1954, P.4.

69. Statistical abstracts, 1954. PP. 1-4.

« تابع »

اللواء	المساحة كم ^٢	السكان	الكثافة في الكيلومتر مربع
بغداد	١٢٧٥٢	٨١٧٢٠٥	٦٤ر-
البصرة	١٢٢٩٥	٣٦٨٧٩٩	٣٠ر-
الموصل	٢٩٥٦٨	٥٩٥١٩٠	٢٠ر-
العمارة	١٨٣٧٧	٣٠٧٠٢١	١٦ر٧
كربلاء	١٠٦٠	٢٧٤٢٦٤	٤٥ر٢
الديلم	٤٠٧٩٤	١٩٢٩٨٣	٤ر٧
كر كوك	٢٠٣٥٥	٢٨٦٠٠٥	١٤ر-
المتنك (الناصرية)	١٤٨٠٠	٣٧١٨٦٧	٢٥ر١
الحلة	٥٤٤٧	٢٦١٢٠٦	٤٧ر٩
الكوت	١٦٥٥٤	٢٢٤٩٣٨	١٣ر٥
الديوانية	١٥٠٨٦	٣٧٨١١٨	٢٥ر-
ديالى	١٦١٢١	٢٧٢٤١٣	١٦ر٨
ارسل	١٧٩٨١	٢٣٩٧٧٦	١٣ر٣
المجموع	٢٣٥٧٣٣	٤٨١٦١٨٥	-

من الواضح ان هناك فروقا كبيرة بين كثافة لواء السليمانية وكثافة بعض الالوية العربية في وسط وجنوب العراق • وبما ان الزراعة هي الحرفة الاولى لغالبية سكان البلاد فان في وسعنا ان نستنتج بأن العوامل الطبيعية المتعلقة بالتربة والمياه يتحكمان بشكل رئيسي في كثافة السكان • اما العوامل البشرية الاخرى ، كشكل الملكية الارضية ، والاماليب الزراعية ، والتنظيم الاجتماعي والسياسي ، فقد لعبت دورا ثانويا في تكييف الكثافات المذكورة في الجدول اعلاه • غير ان الجدول يكشف ايضا عن انخفاض

كثافة السكان في بعض ألوية المنطقة العربية • ذلك ان توفر الاراضي الزراعية والمياه في تلك الالوية السهلية لا يعنى باضرورة ارتفاع كثافة اسكان فيها ، لان متطلبات الزراعة الناجحة قد لا تكون موفرة فيها • فمشايخ اوى والصرف والسيطرة على المياه هي العامل الحاسم في تقرير مدى صلاحيتها للزراعة ، وبالتالي مدى ازدهار السكان فيها • ولهذا فان ارتفاع كثافة سكان المنطقة السهلية من العراق القديم يعزى بالدرجة الاولى الى قيام مشاريع ري واسعة (٧٠) • ومن المعلوم ان اراضي السهول اوسطى واجيوبية لانها في الزراعة في الوقت الحاضر الا بقدر محدود نظرا لعدم كثافة مشاريع الري والصرف (x) •

70 Soura, A, "Irrigation in Iraq" 1945, P. 22 f.f.

(x) لقد طرأت تبدلات واسعة على الاوضاع الزراعية والاقتصادية في البلاد منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وقد تغيرت تبعاً لذلك كثافات السكان في الالوية المخلطة ، وقد وردت احصاءاتها في احد المراجع الحديثة على النحو التالي :

عدد السكان والكثافة والنسب المئوية لمحافظة العراق حسب احصاء ١٩٦٥

المحافظة	الكثافة كم ^٢	عدد السكان	النسبة المئوية للمساحة كم ^٢ النسبة المئوية	لجميع السكان الى المساحة العامة
بغداد	١٠٨٨	٢١٢٤٣٢٣	٢٦٢	١٩٩٢٢
الحلة	٦٥٥	٤٤٨٠٣٣	٥٢	٦٨٨٩
كربلاء	٤٧٣	٣٣٩٦٩٢	٤١	٧١٧٠
الديوانية	٤٣٤	٤٠٥٦٨١	٤٩	٩٣٥٩
البصرة	٣٧٣	٦٧٣٦٢٣	٨١	١٨٠٢٢
الناصرية	٣٤٥	٥٠٠٠٣٣	٦٥	١٤٤٥٢
السليمانية	٣٤	٤٠٨٢٢٠	٤٩	١١٩٩٣
ديالى	٢٥	٤٠٠٠٤٩	٤٨	١٥٧٤٢
كركوك	٢٣٦	٤٦٢٠٢٧	٥٥	١٩٥٤٣

المصدر : احوال السكان في العراق ، لاحمد نجم الدين ص ٦١

أربيل	٢٣٥	٣٦٠٢٨٥	٤٣	١٥٣١٥	٣٥
الكويت	٢٢٦	٣٣٥٤٩٥	٤٣	١٤٨١٤	٣٤
الموصل	١٩١	٩٠٠٧	٩٦	٤٠٩٥٥	٩٤
العمارة	١٨٩	٣٤٦٦٦٣	٤٢	١٧٩٤٥	٤١
دهوك	١٥٣	١٥٣٣١٣	١٨	٤٠٩٥٥	٩٤
الرمادي	٢٣	٣١٩٢٨٩	٣٨	١٣٧٩٦٩	٣١٥
السماوة	١٩	١٤٣٠٤٩	١٧	٧٣٩٨٤	١٦٩

المصدر : « احوال السكان في العراق » لـاحمد نجم الدين، ص ٦١.
ويمكن ان نأخذ فكرة اوضح عن الكثافة الحقيقية لسكان لواء
السليمانية بالنسبة لقبلة الالوية وذلك عن طريق معرفة الكثافة الزراعية
التي اوردها الاحصاءات الحديثة على النحو التالي :-

الكثافة الزراعية لمحافظة العراق

المحافظة المساحة الصالحة للمجموع العام الكثافة الزراعية عدد سكان الكثافة الزراعية
للزراعة كم^٢ للسكان عام ٩٦٥م بالنسبة للمجموع الارياض عام ٩٦٥م بالنسبة للسكان
الارياض بالكم^٢ السكان بالكم^٢

موصل ودهوك	١٧٥٣٨	٩٥٤١٥٧	٥٤	٥٦٤٤٧٧	٣٢
أربيل	٥٩٨٤	٣٦٠٢٨٥	٦٠	٢٢٦٠٦٨	٣٧
السليمانية	٣٤٥٣	٤٠٨٢٢٠	١١٨	٢٧٦٩٧٢	٨٠
كركوك	٨٧١٩	٤٦٢٠٢٧	٥٣	٢٣٨٠٢٢	٢٧
ديالى	٧٣٤٢	٤٠٠٠٤٩	٥٤	٢٦٣١٢٢	٣٦
الرمادي	١١٤١	٣١٩٢٨٩	٢٨٠	١٩٥٨٨٩	١٧١
بغداد	٥٥٣٨	٢١٢٤٣٢٣	٢٨٥	١٠١٥٨٣٦	١٨٣
الكويت	٦٠٣٠	٣٣٥٤٩٥	٥٦	٢٣١٦٤٦	٣٨
الحلة	٣٤٩١	٤٤٨٠٢٢	١٢٥	٢٨٤٢٩٠	٨١
كربلاء	٤٦٠	٣٣٩٦٩٢	٧٣٨	٩٢٩٠٩	٢٠٢
الديوانية					
والسماوة	٥٥٣٤	٥٤٨٨٣٠	٩٩	٣٦٧٧٧٧	٦٦
الناصرية	٥١٩٣	٥٠٠٠٣٣	٩٦	٣٦٤١٣١	٧٠
البصرة	٨١٦	٦٧٣٦٢٣	٨٢٥	٦٧٣٦٢٣	٣٠٧
العمارة	٤١٢٣	٣٤٦٦٦٢	٨٤	٢٤٢٤٠٧	٥٨

المصدر : « احوال السكان في العراق » للدكتور احمد نجم الدين ص ٩٠

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن نظام الفيضان لنهرى دجبه وانفرا
الذين يؤثران بشكل رئيسى على الزراعة فى المنطقة الوسطى والجنوبية من
البلاد، هو فى غير مصلحة الزراعة عموما • فهو يبدأ فى أوائل شهر شباط
(فبراير)، وينتهى فى أوائل مايس، حيث تكون المزروعات الشتوية فى
حاجة ضئيلة لمياه الانهار بالنظر لتوفر الامطار • وإذا بلغ الفيضان قمة عالية
بصورة غير اعتيادية أدى الى اتلاف المحاصيل الزراعية وهى ظاهرة تكرر
كل ثلاث او اربع سنوات • وفى خلال فترة الصيف التى تبدأ من شهر
حزيران (يونيو) حتى نهاية ايلول (سبتمبر) يبلغ النهار اشد مستويتهما
انخفاضاً، فتعانى الزراعة من نقص شديد فى المياه • ويصبح عجز المياه اشد
تأثيراً فى الزراعة نظراً لانقطاع الامطار فى هذا الفصل • ان
هذه الصورة العامة للحالة الزراعية فى المنطقة السهلية تفسر ما
اسباب انخفاض كثافة السكان فى بعض ألوتها، حيث تعانى تلك الألوة من
نقص فى الجهود البشرية المبذولة •

أما ما يتعلق بلواء السليمانية فإن نقص الجهود البشرية المبذولة لم
يؤثر على الزراعة وبالتالي على كثافة السكان تأثيراً رئيسياً، نظراً لتوفر
بعض الظروف الجغرافية الصالحة • فقيما يخص المياه يعتمد لواء السليمانية
على الطبيعة أكثر من اعتماده على الجهود البشرية • فهو يتلقى كمية أكبر
من مياه الامطار، كما تدوم فترة سقوطها زمناً أطول • كذلك تمون الينابيع
الكثيرة المزروعات الصيفية بحاجتها من المياه • أما فيضان دجلة فلا يكاد
يترك على الحالة الزراعية فى اللواء أى تأثير • ولا تشكو اراضى اللواء
الزراعية من ظاهرة ملوحة التربة المتفشية فى المنطقة الوسطى والجنوبية،
الا فى مناطق محدودة جداً •

وهكذا نرى انه بالرغم من ان اللواء يشكو من نقص فى الجهود
البشرية المبذولة فى ميدان الزراعة فإن نسبة الاراضى الزراعية فيه اعلى
من نسبتها فى الألوية العربية السهلية فى وسط وجنوب البلاد • وبوضح
الجدول التالى هذه الظاهرة •

الجدول رقم (٢٢) (٧١)

الأراضي الصالحة للزراعة والأراضي غير المزروعة في الأولوية (عام ١٩٥٢)

اللواء	مجموع المساحة ٢ كم	الأراضي الصالحة ٢ كم	الأراضي الزراعية ٢ كم	النسبة المئوية للأراضي المزروعة إلى مجموع المساحة. /
السليمانية	٩٥٥٢	٣٥٥١	٢٥٥٠	٣٧
بغداد	١٢٧٨٠	٤٨٧٠	٢٧٧٨	٢١
البصرة	١٢٣٠٣	٧٨٠	٥٤٤	٤
الموصل	٢٩٧٧٠	١٥٠٤٠	٢٩٠٥٨	٥٣
العمارة	١٨٣٩٥	٦٦٨٠	١٤١٢	٨
كربلاء	٦٠٦٥	٦٨٠	٢٢٢	٤
الدليم	٤٠٨٩٨	١٥٧٠	١٠٩١	٣
كر كوك	٢٠٣٧٦	١٥٢٦٠	٥٧٤٣	٢٨
المتفك (الناصرية)	١٤٨١٤	٥٠٨٠	٣٩٥٣	٢٦
الحلة	٥٤٥١	٦٥٣٠	٢٥٦٤	٤٧
الكوت	١٦٣٠٩	١٠٧١٠	١٠٧٧٤	٦٦
الديوانية	١٥١٠٠	١١٤٧٠	٣٦٨٦	٢٤
ديالى	١٦١٣٧	٣٨٢٠	٣٠٠٢	١٨
اربيل	١٨١٧٠	٧١٦٠	٤٥٥٧	٢٥

وهكذا يوضح الجدول اعلاه ان نسبة الأراضي المستغلة في الزراعة من مجموع مساحة اللواء هي اعلى من نسبة جميع الأولوية الأخرى عدا الموصل والحلة والكوت (x) ولا ريب ان العوامل الطبيعية الصالحة

71 Computed from statistics derived from Sosa's "Administrative Atlas of Iraq" 1952, P.3, and Dawson's "Inquiry into land tenure", P. 11, 1930.

(x) ان الإحصاءات الحديثة تبين بان هذه الظاهرة ما تزال متمثلة في لواء السليمانية كما يوضحها الجدول التالي :

جدول يمثل المساحة الكلية والزراعة والمصالحات العراقية المصالحات العراقية

المحافظة	المساحة الكلية للمحافظة	المساحة المصالحات للزراعة	نسبة الاراضي المزروعة الى المساحة المصالحات للزراعة %
	كم ^٢	كم ^٢	مشاركة
الربيعل ودھوك	٢٠٣٥٢٤٠٠	٧٠١٥٤٦٢	٨٨٩١
اربيل	٦١٢١٠٠٠	٢٣٩٣٩٠٣	٥٩٨٤
السليمانية	٤٧٩٧٢٠٠	١٣٨١٢٥٢	٣٤٥٣
كركوك	٧٨١٧٢٠٠	٢٤٨٧٧٢٥	٨٧١٩
ديالى	٦٢٩٦٨٠٠	٢٩٣٦٩١٩	٧٣٤٢
الرمادي	٥٥١٨٧٦٠٠	٤٥٦٤٥٨	١١٤١
بغداد	٧٩٦٨٨٠٠	٢٢١٥٥١٣	٥٥٣٨
الكويت	٥٩٢٥٦٠٠	٢٤١٢٢٧٢	٦٠٣٠
الحلة	٢٧٥٥٦٠٠	١٣٩٦٧٠٠	٣٤٩١
كربلاء	٢٨٧٠٨٠٠	١٨٤٠٤٧	٤٦٠
الديوانية والسماوة	٣٣٣٣٧٢٠٠	٢٢١٣٨١٠	٥٥٣٤
الناصرية	٥٧٨٠٨٠٠	٢٠٧٥٤٩٣	٥١٩٣
العمارة	٧١٧٨٠٠٠	١٦٤٩٤٨٧	٤١٢٣
البصرة	٧٢٠٨٨٠٠	٢٢٦٥١٥	٨١٦
			مشاركة
			كم ^٢
			١٧٣٥٨
			٥٩٨٤
			٣٤٥٣
			٨٧١٩
			٧٣٤٢
			١١٤١
			٥٥٣٨
			٦٠٣٠
			٣٤٩١
			٤٦٠
			٥٥٣٤
			٥١٩٣
			٤١٢٣
			٨١٦

المصدر : داحوال السكان في العراق لاجد نجم الدين ، ص ٨٢

لعبت دورا رئيسيا في هذه الظاهرة ، غير ان العوامل البشرية كانت ذات أثر كبير ايضا • ويشمل التأثير الايجابي للعامل البشرى في نظام الملكية الزراعية السائد في اللواء • فالممتلكات الصغيرة أكثر عددا مما هي عليه في معظم الالوية الاخرى كما يوضح الجدول التالى :

الجدول رقم (٢٣) (٧٢)

عدد ومساحات الملكيات حسب الالوية (عام ١٩٥٤)

المواء	مساحة الاراضى المكونة للملكيات كم ^٢	عدد الملكيات	معدل حجم الملكيات بالهكتار
السليمانية	٢٦٨٥	١٧٦٢٨	١٥
بغداد	٣٨٨٧	٣٨٢٣	١٠٢
البصرة	١١٢١	١٨٠١٣	٦
الموصل	١٠٠٦٦	٣١٥٣٢	٣٢
العمارة	٨٣١٢	٤٨٣	١٧٢١
كربلاء	٦٥٣	١٠٠٣	٦٥
الدليم	١٢٣٩	١٦٧٢	٧٤
كر كوك	٨٥٦٢	٧٤٠٩	١١٦
المنتفك (الناصرية)	٤٤٣٣	٢٥٠٢	١١٧
الحلة	٣٤٠٨	١١٤٣٨	١١٩
الكويت	٤١٦٢	١٥٣١	٢٧٢
الديوانية	٥٠٧٢	٤٥٩٥	١١٠
ديالى	٥٢٤٩	٨٢١٧	٦٤
اربيل	٤٩٩٥	١٥١٩٩	٣٣

وهكذا فقد ترك نظام الملكية الزراعية الصغيرة في لواء السليمانية اثارا ايجابية على الاحوال الزراعية ، وعلى احوال فلاحى اللواء . ويتمتع الفلاح الكردى ايضا بمزايا اخرى حرم منها الفلاح في المنطقة العربية . فالفلاح العربى لا يعدو عن كونه عاملا زراعيا يعمل هذا العام في هذه الارض وقد يعمل في ارض اخرى في العام المقبل ، بينما يكتسب الفلاح في لواء السليمانية حقا تقليديا في الارض التى يزاول زراعتها ، وهذا الحق خاضع بالطبع لاتفاق خاص مع الملاك ، ولا يجوز للمالك عرفا تأجير ارضه الى فلاح اخر ، كما ان من حق ورثة الفلاح ايضا تولى زراعة تلك الارض . وفضلا عن ذلك فمن شروط الايجار في لواء السليمانية افضل بكثير من الشروط السائدة فى الالوية العربية . فبينما يحصل الزارع فى لواء السليمانية عموما على ١٠/٩ المحصول الشتوى و ٣/٢ المحصول الصيفى ، فان الزارع فى المنطقة السهلية يحصل على ٥/٢ المحصول الصيفى واثنوى (x) . وقد شجعت هذه الشروط المجحفة الفلاحين فى الالوية الجنوبية على ترك الاريساف والهجرة الى المدن الكبرى بحثا عن اعمال خارج ميدان الزراعة .

هذا ما يتعلق بكثافة السكان العامة فى لواء السليمانية . اما ما يتعلق بكثافة السكان فى الوحدات الادارية المختلفة للواء فقد تأثرت بكلا العاملين الطبيعى والبشرى . وتختلف تأثيرات العامل الطبيعى حسب نوع التربة والتضاريس والمناخ فى الوحدة الادارية ، بينما يمتد تأثير العامل البشرى الى امور متعددة تتعلق بنظام التصرف بالارض ونوع المحاصيل الزراعية وكفاءة المواصلات ومدى التطور الاجتماعى والسياسى والثقافى . ولقد

(x) لقد غيرت قوانين الاصلاح الزراعى التى شرعت بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ العلاقة بين المالك والفلاح تغييرا اساسيا .

تعرضت كل (ناحية) من نواحي اللواء الى عدد من تلك العوامل المتشابكة التي أدت الى رفع او خفض كثافة السكان فيها •

وتمثل اعلى كثافة للسكان في ناحية سرجنار ، اذ تبلغ ٦٣٧ نسمة للكيلومتر المربع • ولا ريب ان العامل الحاسم في رفع كثافة هذه «الناحية» هو درجة التحضر فيها (أى عدد السكان المدنيين) فمن مجموع سكان الناحية البالغ عددهم ٤٣٠٤٩ سمه ، يبلغ عدد نموس سكان مدينة السليمانية - وهي مركز الناحية - حوالى ٣٣٥١٠ نسمة (٧٣) • وان المزايا الجغرافية التي أدت الى خلق هذا المركز المدني الذى هو اعظم مركز في اللواء تكمن فى موقعها المتوسط وفي وقوعها على الطريق الذى يربط بين بغداد وايران • كذلك اسهم العامل السياسى اسهاماً فعالاً فى نمو مدينة السليمانية ، فقد كانت مركزاً لامارة بانان منذ ما يزيد على قرن ونصف ، وقد بقيت مركزاً للواء حتى الوقت الحاضر •

وينعكس تأثير العامل الطبيعى الايجابى على مكان ناحية سرجنار فى اتساع الاراضى الصالحة للزراعة ووفرة المياه • فهناك سهل واسع يمتد فى جنوبى مدينة السليمانية ، حتى يتصل بسهل شهرزور ، بينما يمون نهر جمى شقلاوة وروافده العديدة المحاصيل الزراعية بمياه كافية ، وساهمت كفاية المواصلات بدور ايجابى ، اذ يسرت نقل المحاصيل الزراعية من الحقول المجاورة الى مدينة السليمانية •

وتأتى ناحية قلعة دزة الثانية فى كثافة سكانها ، اذ تبلغ ٤٤٢ نسمة فى الكيلومتر المربع • والواقع ان العامل الجغرافى لا يبرر مثل هذه الكثافة المرتفعة لولا تأثير العامل البشرى الفعال • فموقع «الناحية» من وجهة النظر

(٧٣) « اطلس العراق الادارى » ل احمد سوسة ، ص ٣٥ •

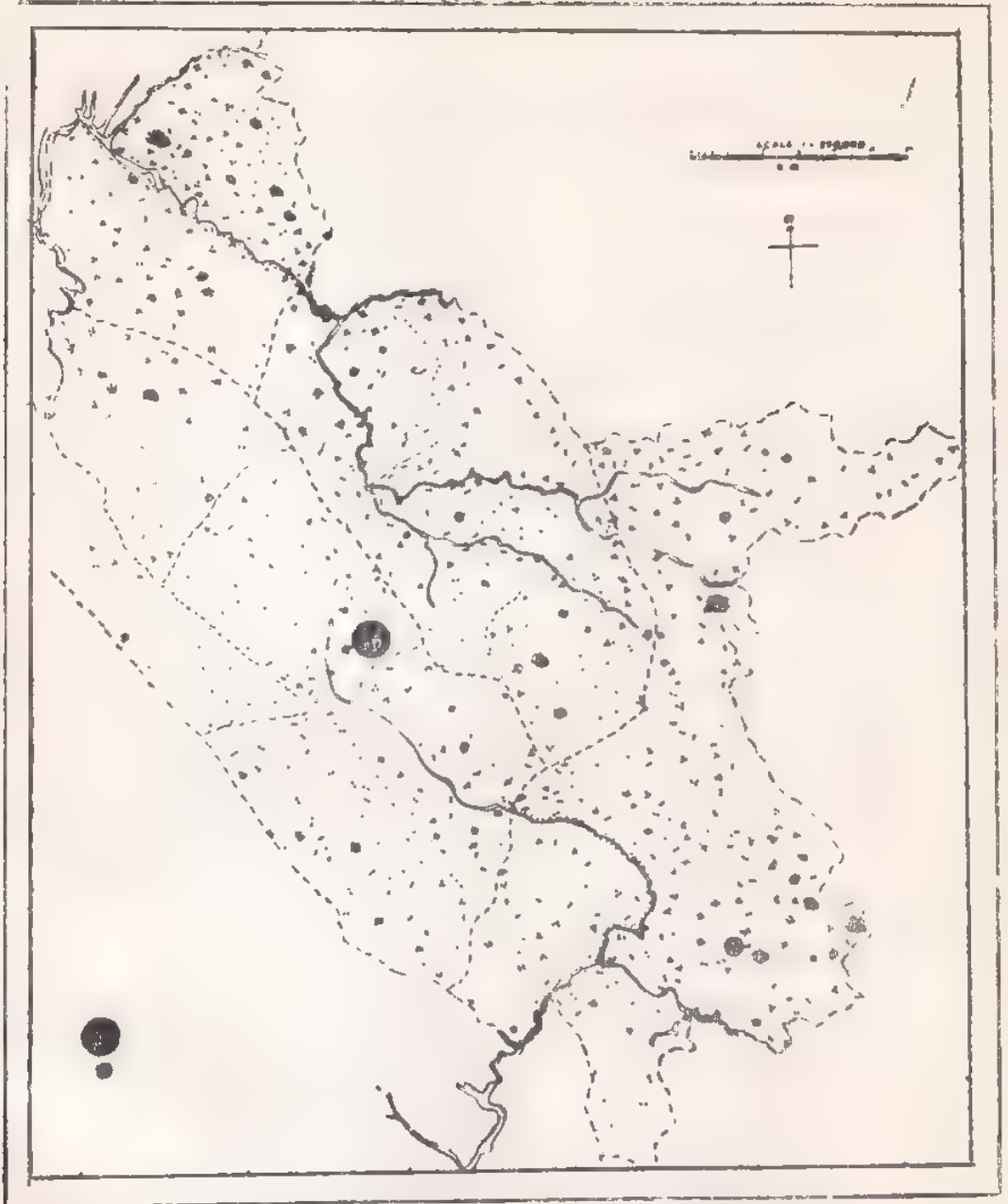
الجغرافية لا يعتبر جذاباً ، اذ انها تقع فى أقصى الطرف اشمالى لنواء ، وقد أصبحت بذلك أشد نواحى اللواء انعزالاً . وبالرغم من وفرة المياه فيها ، لا ان اراضيها الصالحة للزراعة محدودة لوعورة سطحها . غير ان ناحيه قلعه دزة نمت بمزية بشرية هامة هى الاستقرار السياسى . فقد ظلت هذه « الناحية » قروناً طويلة موطاً للزراع المستقرين حتى اجتاحها عشيرة رعويه هى « عشيرة مير أو دلى » قدمت من ايران . ولم يشتبك السكان فى صراع مع تلك العشيرة الغازية بل استسلموا لسيطرتها ، واندمجوا عميق فيها . وقد أصبحت العشيرة الغازية ، التى سميت « بشدر » ، كبيرة ومزدهرة ، كما أصبحت تتألف من طبقتين ، هما طبقة المحاربين الذين كانوا من القوة بحيث لم تكن تجرأ العشائر الاخرى على محاربتهم ، وطبقة الزراع الذين صرفوا الى مزاوله حرفتهم باطمئنان . وقد اثر هذا الاستقرار السياسى على اقتصاد « الناحية » تأثيراً ايجابياً . وبما ان التبغ كان دائماً العمود الفقرى لاقتصاد اللواء فقد تميز بالازدهار . وقد ساعد على نجاحه عوامل طبيعية اخرى هى اثرته الملائمة والمياه الوفيرة . لذلك انفردت « الناحية » بأكبر نصيب فى استخصيصات الحكوميه لرعاية التبغ من بين نواحى « اللواء » . فقد بلغت حصه قضاء بشدر لعام ١٩٥٤ (بناحيته قلعه دزة وبنگرد) حوالى ٦٠٠٠ دونما ، بينما بلغت حصه قضاء السليمانية ، بنواحيه الخمس ٧٧٥٠ دونما ، كما بلغت حصه قضاء شهر بازار بنواحيه الثلاث ٣٠٠٠ دونما ، وخصص لقضاء حلبجة بنواحيه الاربع ٤٦٠٠ دونما ^(٧٤) . وهكذا لعب ازدهار المحصول الرئيسى فى ناحيه قلعه دزة دوراً رئيسياً فى رفع كثافة سكان الناحية .

(٧٤) مستقاة من احصاءات غير منشورة لمديرية انحصار التبغ العامة

(لعام ١٩٥٥) .

وتبلغ كثافة سكان ناحية حورمال حوالى ٢٦٦٦ نسمة فى الكيلومتر مربع • وتضم هذه الوحدة الادارية اقليمين طبيعيين ، منطقة هورمان الجبلية ومنطقة شهرزور السهلية •

فاما ما يتعلق بالمنطقة الاولى ، أى منطقة هورمان ، فان ظروفها الطبيعية معاكسة للزراعة • فأراضيها الزراعية محدودة للغاية بسبب وعورة السطح ، كما ان تربتها ضحلة عموما نتيجة للتعرية الشديدة • لكن مياهها وفيرة بسبب غزارة الامطار • وتتلقى المنطقة بالاشتراك مع ناحية بجوس القسم الاعظم من الامطار الساقطة فى لواء السليمانية ، ويبلغ معدل المطر السنوى فيها حوالى ١١٥٠ ملمترا • فضلا عن ذلك فان الثلوج التى تكمل هامات جبال هورمان اشاهقة تمون الجداول العديدة التى تخترق المنطقة بمياه دائمة • غير ان وفرة المياه لم تكن مسؤولة بدرجة رئيسية عن ارتفاع كثافة السكان • ويمكن القول ان العامل الاقتصادى لعب دورا حاسما فى رفع كثافة سكان المنطقة • وقد درس فعائنه من خلال نمط الملكية الارضية السائد وتأثيره من المجال الاقتصادى • فملكية اصغيرة هى الصفة المميزة للملكية الارضية فى منطقة هورمان • وقد فرص هذا النمط نتيجة للظروف الجغرافية • فاما ان تضاريس المنطقة تشمل على كتل من الجبال التى تقطعها الودبة العميقة ، فان الارض الزراعية اصبحت عزيزة جدا • والمغلب على بكرة الارض عمد الزراعة الى بناء المدرجات ، وهكذا اصبحت الملكيات الكبيرة أمرا غير عملى • اما ضغط المجال الاقتصادى فقد زاول تأثيره على السكان عن طريق قلة الاراضى الزراعية التى دفعتهم الى البحث عن اعمال خارج ميدان الزراعة • فنشأت فى المنطقة نتيجة لذلك صناعات محلية كصناعة الاقمشة وصناعة السجاد وصناعة الاحذية • ونشأ مركزان مديان كبيران فى المنطقة هما الطويلسة ،



خارطة توزيع السكان في لواء السليمانية
 حسب احصاء عام ١٩٥٧ (كل نقطة تمثل ١٠٠٠ نسمة • وتمثل النقطة
 الكبرى نفوس مدينة السليمانية البالغ ٣٣٥١٠ والنقطة الوسطى نفوس
 مدينة حلبجة البالغ ٦٢٩٢)

التي يبلغ عدد سكانها ٢٩٣١ نسمة وبيارة التي يبلغ عدد نفوسها ١٤٣٢ نسمة (٧٥) .

ولقد اسهم الاستقرار السياسي لهذه المنطقة ايضا في نمو سكانها • ومع ان اغلب سكانها يرجعون الى عشيرة معينة ، هي عشيرة هورامان ، لكن اغليتهم الساحقة اهملوا ارتباطاتهم العشائرية من زمن طويل بسبب وعورة المنطقة وتطورها الاقتصادي • ولقد وقى هذا الاتجاه المنطقة من اثار الصراع والحروب العشائرية وضمن للسكان استقرارا دائما • لهذا فقد وجدت فيها قرى بعيدة القدم ، يرجع عمر بعضها الى اكثر من الف عام ، وهي صعبة لا يمكن تلمسها في قرى لواء السليمانية •

اما المنطقة الثانية من مناطق ناحية خورمال فتضم جزءا من سهل شهرزور • وخلافا لما عليه الحال في منطقة هورامان ، فان هذه المنطقة تضم اراضي واسعة صالحة للزراعة تروى بمياه كافية • والواقع ان البيئة الطبيعية صالحة جدا لنمو السكان ، الا ان الكثافة هنا مع ذلك اقل من كثافة المنطقة السابقة • ويرجع ذلك الى عوامل بشرية سنعرض لها عند الحديث عن كثافة سكان ناحية شهرزور • والحقيقة ان المسؤول عن الكثافة العالية نسبيا لناحية خورمال هي منطقة هورامان وليست منطقة شهرزور •

وتبلغ كثافة السكان في ناحية شهرزور حوالى ٢٤٠٦ نسمة للكيلومتر المربع بالرغم من ان مزاياها الطبيعية تتفوق على جميع «نواحي اللواء» ، وكان المفروض ان تمثل فيها اعلى كثافة للسكان • ولقد وصفت بعض المراجع

75. Census of Iraq, 1947, P. 118. P. 166.

التاريخية المنطقة قبل ما يزيد على ألف عام بانها مليئة بالقرى المزدحمة بالسكان وانها تشتمل على حكام عظام (٧٦) .

وتتميز هذه الناحية بوفرة الاراضي الزراعية ، فهي تضم اعظم سهول النواء وهو سهل شهرزور . وتمون هذا السهل بالمياه مجارى وجداول عديدة دائمة الجريان ، كما يتجاوز معدل مطره السنوى ١٠٠٠ ملمترا . وتصف ترته بالخصوبة العالية . وقد ادرج جيبس Gibbs اراضي هذا السهل في تصنيفه العام لاراضي العراق مع الصنف رقم ١- ورقم ٢- . ووصف الصنف رقم ١- بقوله : (ان اراضي هذا الصنف عرضة لتحفظات طميفة جدا في استعمالها ، انها ارض جيدة جدا ويمكن زراعتها باطمئنان بالاساليب الاعتيادية) .

كما وصف الصنف رقم ٢- بقوله : (ان ارض هذا الصنف عرضة لتحفظات معتدلة في استخدامها لانتاج المحاصيل . انها ارض جيدة ويمكن ان تزرع بأمان على ان تتبع في زراعتها اساليب خاصة يمكن تطبيقها بسهولة) (٧٧) . ان هذه المزايا الطبيعية في ناحية شهرزور قد قوبلت بعيوب خطيرة عرقلت نمو السكان نجمت عن الاحوال الصحية والوضع السياسى للمنطقة . ولقد لعبت الاحوال الصحية في سهل شهرزور دورا رئيسا في عرقلة استثمار السهل في الزراعة . فهناك مناطق منخفضة تتجمع فيها مياه الامطار فتحول الى مستنقعات واسعة . وقد ادت هذه المستنقعات الى تفشي الملاريا في المنطقة بدرجة خطيرة . وتدل احصاءات مديرية صحة لواء السليمانية ان حوالى ٨٠٪ من سكان شهرزور كانوا يصابون بالملاريا . واذا كانت نسبة

(٧٦) « معجم البلدان » للطبرى ، الجزء الخامس ، ص ٣١٢

77. Gibbs, op. cit.

الوفيات الناتجة عن الملاريا منخفضة عموما بين فئات السن القية والكهولة ،
فانها كانت عالية بين الاطفال ، اذ بلغت حوالى ٧٠٪^(٧٨) . هذا فضلا عن
تأثيرها غير المباشر على الصحة العامة .

اما الوضع السياسى فى المنطقة فقد ترك بالمثل آثارا سلبية على السكان .
فلقد وقع اختيار قبيلة الجاف على سهل شهرزور حينما هجرت السواد
الايرائية فى اواخر القرن الثامن عشر واتخذت العراق مسكنا لها^(٧٩) .
وقد زاوت حياتها الرعوية المألوفة ، ولم تستفد الا بدرجة محدودة جدا من
اراضى السهل الزراعية . وانعكست اثار حياتها الرعوية على الزراعة
المستقرين فى المناطق المجاورة الذين زهدوا بدورهم فى استثمار اراضى
السهل لما كانوا يلاقونه من اضطهاد افرادها . ففضلا عن الغارات المتصلة
التي كان يمارسها ابناء العشيرة على اراضى الزراعة المستقرين وقت الحصاد ،
فقد كانت قطعانهم تسبب تلفا عظيما للمزروعات اثناء هجرتها الربيعية
والخريفية . وهكذا اضطر غالبية الزراعة الى التروح عن سهل شهرزور .
فلم يكن يضم السهل حتى نهاية القرن التاسع عشر سوى قرى قليلة
متناثرة^(٨٠) .

وهناك عامل اخر اثر على كثافة السكان ايضا تأثيرا سلبيا وهو السياسة
الزراعية المضطربة ، فالتبغ كما سبق ان ذكرنا هو المحصول الرئيسى فى
جميع أنحاء اللواء ، غير انه فى حالة سهل شهرزور لم يكن مزدهرا فى يوم

(٧٨) مستقاة من احصاءات غير منشورة لمديرية صحة لواء السليمانية
(لعام ١٩٥٥) .

79. Soane, E.B. "To Mesopotamia and Kurdistan in disguise",
2nd, edit., London 1926, P.217.

80. Manwell, "Kurdistan", Geog. Jour., vol. 111, Feb. 1894,
P. 22.

من الايام ، لا في نوعه ولا في غلته • وقد أدى ذلك الى عدم اتباع الزراعة سياسة زراعية مستقرة • فقد انصرفوا في بعض السنوات كلياً عن زراعة التبغ واتجهوا الى زراعة القطن • وبما ان القطن نبات حساس فقد كان يتعرض في غالب الاحيان الى اضرار خطيرة بسبب جهل الفلاح والاهمال العام • وقد عرقلت هذه السياسة الزراعية المتقلبة ازدهار اقتصاد المنطقة •

وعلى أية حال فقد اخذت كثافة السكان في «الناحية» بالارتفاع مؤحراً، اذ ان معظم أفراد عشيرة الجاف قد استقروا وانصرفوا الى احتراف الزراعة، كما تقلصت حوادث الاغارة على المزارعين حتى باتت نادرة • ولا ريب ان نجاح مشروع مكافحة الملاريا الذي تقوم به منظمة الصحة العالمية سيحقق ارتفاعاً ملموساً في كثافة السكان •

اما ناحيتي ماوت وسروجك (وكلتاهما تتبعان قضاء شهر بازار) فقد بلغت كثافة السكان في كل منهما ٢٢٥ نسمة و ٢٢٦ نسمة في الكيلومتر المربع على التوالي • وقد تأثرت كثافة هاتين الناحيتين بالعامل الطبيعي على وجه الخصوص • فكلتاهما تتصفان بطوبوغرافية وعرة ولا يمتلكان من الارض الزراعية سوى قدراً محدوداً • الا ان هذا التأثير السلبي قد خففت من وطأته عوامل ايجابية تمثل في وفرة المياه في المنطقة وفي خصوبة التربة وملائمتها لزراعة التبغ • كما ان شيوع الملكية الارضية الصغيرة بسبب ندرة الارض الزراعية قد رفع من مستوى الزراعة • وبالرغم من أهمية المنطقة كمركز سوقي للمناطق المجاورة ، الا ان تخلف طرق المواصلات قد عرقلت تطورها الاقتصادية •

ولعل اخر «ناحية» في اللواء تتصف بكثافة مرتفعة نسبياً هي ناحية «بنجوين» ، وتبلغ كثافتها ٢٠١ نسمة في الكيلومتر المربع • ويمكن القول ان المياه الوفيرة هي العامل الايجابي الوحيد في «الناحية» فهي تنال اعلى حصة

من التساقط في اللواء (حوالي ١٢٠٠ ملمترا في العام) ، كما ان الثلوج التي
تكلل قمم الجبال الشامخة تمون جداول وينابيع «الناحية» الكثيرة بمياه
دائمة ، غير ان وعورة السطح قد حدثت بدرجة خطيرة من التوسع الزراعي .
واذا التفتنا الى «النواحي» المنخفضة الكثافة فان ناحية بازيان ستجذب
انتباهنا بوجه خاص ، فهي اشد نواحي اللواء انخفاضا في كثافة سكانها حيث
تبلغ ٩٢ نسمة للكيلومتر المربع . ومما لا ريب فيه ان العوامل الطبيعية
ليست مسؤولة عن انخفاض الكثافة . «فالناحية» غنية بمياهها التي تتمثل
بالينابيع الوفيرة والجداول العديدة وابرزها نهر تاينال . كما انها غنية ايضا
بأراضيها الزراعية . فبالرغم من انتشار التلال فيها الا ان تلالها قليلة الارتفاع
وذات سفوح بسيطة الانحدار تسمح بقيام الزراعة . وتتخلل تلالها ايضا
عدة سهول هامة ابرزها سهل بازيان . فالعوامل الطبيعية اذن ذات جانب
ايجابي الا ان العوامل البشرية لعبت دورا سلبيا خطيرا . وتمثل هذا الدور
في الوضع السياسي المضطرب وفي الاحوال الصحية المتدهورة . فلقد خضعت
منطقة بازيان لفترة طويلة لارهاب عشيرة الهموند التي كانت تكسب عيشها
عن طريق النهب والسلب . ولم يستطع الزراع حماية محاصيلهم بالرغم من
انهم كانوا يدفعون الضرائب لزعماء العشيرة . وقد اثر انعدام الامن والاستقرار
في المنطقة تأثيرا سيئا وهجرها غالبية الفلاحين .

اما اسباب التدهور الصحي في «الناحية» فنعود الى تفشي الملاريا بين
السكان على نطاق واسع . فقد اظهرت احصاءات مديرية صحة لواء السليمانية
بان حوالي ٧٠٪ من سكان الناحية كانوا عرضة للإصابة بالملاريا ، كما
كشفت عن نسبة عالية للوفاة بينهم . وفضلا عن ذلك ، فقد أدى انتشار
الملكيات الكبيرة في المنطقة وفرض شروط باهضة لايجارها الى نفور الزراع
من خارج المنطقة ، مما أضاف سببا اخر لانخفاض كثافة سكانها .

وتبلغ كثافة ناحيتي سورداش وقره داغ (وكلتاها تابعتان الى لسواء السليمانية) ١٦٥٨ نسمة و ١٤٣٣ نسمة في الكيلومتر المربع على التوالي • وقد أثر على كثافة الناحيتين عاملا الضاريس والندخ • ففي ناحية قره داغ تمتد بضعة سلاسل جبلية ولا تكاد تترك سوى اراضى سهلية محدودة صالحة للزراعة ، وابرز تلك السلاسل جبال قره داغ ، وفي ناحية سورداش تنتشر كتل جبلية عظيمة مقطعة في جميع جهات الناحية ، وابرزها جبل يره مكرو و جبل سرمند •

وتعاني كلتا الناحيتين ايضا من نقص المياه ، فلا تكاد تشتمل أى من الناحيتين على مجرى مائى دائم الجريان ذى قيمة حقيقية • كما ان حصتهما من المطر السنوى منخفضة نوعما ، فاحية قره داغ تتلقى حوالى ٧٠٠ ملمترا فى العام ، وتتلقى ناحية سورداش حوالى ٧٥٠ ملمترا ، وقد أدى ذلك الى فقرهما فى المياه الجوفية •

وتعزى كثافة ناحية وارماوه المحفظة البالغة ١٥٠ نسمة فى الكيلومتر المربع الى كل من العامل الطبيعى الذى تمثل فى ندرة الاراضى الزراعية والى العامل البشرى الذى يمثل فى ممارسة حياة شبه رعوية • ولقد تأثرت كثافة ناحية جوارته البالغة ١٦٩١ نسمة فى الكيلومتر المربع بالوضع الطبوغرافى • فسلال الجبال التى تخترق «الناحية» من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ، والتلال العديدة التى تنتشر فى كل مكان فيها ، لا تكاد تترك سوى مساحة محدودة جدا للزراعة • ومما زاد فى تدهور اقتصاد المنطقة ندرة المواصلات ووعورة المنطقة •

اما ناحية تانجرو فيمكن اعتبارها ذات كثافة منخفضة اذا أخذت بنظر الاعتبار مزايها الجغرافية • فأراضيها الزراعية ويرة وخصبة ، لا سيما وادى تانجرو ، ومياهها غزيرة ودائمة ، ومع ذلك فلا تتجاوز كثافتها ١٧٧٧ نسمة

للكيلومتر المربع • ومن ابرز عواملها السليبية النظام الانقطاعى السائد فسى المنطقة والذى فرض شروطا مجحفة على الزراعة لايجار الارض • كذلك أدى انتشار الملازبا بين السكان الى اضعاف جاذبيتها ، وتشير احصاءات مديرية صحة لواء السليمانية ان حوالى ٧٠٪ من السكان كانوا عرضة للاصابة بهذا المرض •

ولقد أثر على كثافة سكان ناحية مرگه البالغة ١٩ نسمة لكليلومتر المربع عاملا التربة والمياه ، فمعظم جهات «الناحية» قد تعرضت لتعرية شديدة أدت الى تعذر زراعة سفوح الجبال • هذا فضلا عن خشونة التربة وضحالتها فى معظم الاودية المنحصرة بين المرتفعات ما عدا سهل مرگه •

كذلك لعبت قلة المياه دورا فعالا فى تضيق المجال الاقتصادى للناحية • فلا يكاد يروى الناحية سوى مجار مائية قليلة جدا ، عدا نهر الزاب الصغير الذى يستغل بشكل محدود للغاية فى الري ، اضافة الى فقرها فى المياه الجوفية •

- ٣ -

استيطان السكان

تتحكم فى استيطان السكان فى لواء السليمانية نفس العوامل التى اشرنا اليها عند الحديث عن توزيع السكان • والواقع ان دراسة نمط الاستيطان وشكل القرية وطراز البيت يوضح بجلاء تظافر العوامل الطبيعية والبشرية •

النمط السكنى

يتبع النمط السكنى الريفى فى لواء السليمانية نموذج السكنى المتجمعة
Concentrated habitat التى تتخذ شكل قرى صغيرة متراصصة
Compact villages وتبعثر هذه القرى فى اللواء فى غير نظام ، وتبعد

عن بعضها البعض الاخر عدة كيلومترات • ومن الصعب ان نقرر العامل المتحكم في خلق هذه التجمعات ، غير ان في استطاعتنا الاشارة الى عاملين مختلفين في طبيعتهما هما العامل الهيدرولوجي والعامل التاريخي •

ويكتسب العامل الهيدرولوجي أهمية خاصة لا سيما وان الاستيطان الدائم في لواء السليمانية يعتمد كلياً على مدى توفر المياه الباطنية • وهذه حال معظم المناطق شبه الجافة التي لا تتوفر المياه في كل موضع فيها او في كل وقت • فمعدل المطر السنوي في اللواء لا يزيد على ٦٠٠ ملمتراً ، وهو ينحصر بخمسة أشهر فقط • كما ان الانهار التي تخترق اللواء ، كنهر الزاب الصغير ونهر سيروان ، ذات أهمية ثانوية في الري بالنظر لكونها تجري في اخاديد وأودية عميقة • لذلك أصبحت الينابيع المراكز الوحيدة للاستيطان ، حيث يعتمد عليها كليا الانسان والحيوان والزراعة • ولعل أهمية دور الينابيع في اللواء تتضح في مدى عمر القرية الكردية • فعمر القرية الكردية في لواء السليمانية قصير عموماً ولا يتجاوز بضعة عشرات من السنين • وهذا العمر القصير يعزى بشكل رئيسي الى طبيعة موارد المياه ، اذ يضطر السكان بسبب شحة مياه الينابيع الى الانتقال من منطقة الى اخرى من وقت لآخر • ولعل أسلوب الزراعة شبه المتنقلة مسؤول ايضا عن هذه الهجرة الدورية •

وهناك ظاهرة اخرى توضح اثر العامل الهيدرولوجي على الاستيطان الريفي ، وهي ظاهرة التوازن بين طاقة مورد المياه وعدد سكان القرية • فلا بد ان يتناسب عدد سكان القرية دائماً مع كمية المياه المتوفرة ، مما يضطر الزيادة في السكان الى الزواج الى أماكن اخرى • لذلك فان القرية الكردية في اللواء قد حافظت على عدد ثابت تقريباً من السكان وكأن سكانها لا ينمون ابداً • ولقد مارس العامل الهيدرولوجي تأثيره في تركيز الاستيطان عن طريق موضع مصدر المياه ومدى امكانية الوصول اليه • ويتخذ موضع

مصدر المياه أهمية خاصة فى اللواء من حيث تأثيره على الزراعة • فمن المعلوم ان رى المحاصيل الصيفية يعتمد كلياً على المياه الجوفية التى تستقى اما من الينابيع الطبيعية ، او من الينابيع الصناعية (الكهاريز) • لذلك اصبح من الضرورى مراقبة تلك الينابيع بدقة لضمان توزيع المياه بين الفلاحين وحمائهم من سيطرة رجل معين • وقد شجع ذلك على استيطان الفلاحين بالقرب من مصدر المياه • هذا فضلاً عن ان أراضي الزراعة الصيفية تحيط عادة بمصدر المياه • لذلك فان حقول المزروعات الصيفية تمتد امام وحول بيوت القرية وتكون جزءاً لا يتجزأ منها • لهذا فان تعبير (القرية) او (الجربة) الكردية يشمل كلا من البيوت والاراضى الزراعية المحيطة بها ، وليس المركز السكنى وحسب • وهكذا اصبحت الزراعة الصيفية المعتمدة على الرى الصناعى مسؤولة عن نمط الاستيطان المتجمع فى اللواء • والحقيقة ان هذا النمط هو الشائع فى جميع المناطق التى يسودها مناخ البحر المتوسط ، حيث يتجمع السكان فى قرى متراسة او فى مدن صغيرة تقع بجوار مورد المياه • ومن الممكن القول بأن المطر الفصلى يصاحبه نمط السكنى المتجمعة ، بينما يمثل فى المناطق ذات المطر الموزع على فصول السنة توزيعاً منتظماً نمط السكنى المتفرقة (٨١) •

ويرتبط تأثير مدى امكانية الوصول الى المياه بالحياة اليومية للقرويين • فالحصول على المياه فى المناطق الريفية لا يتم الا بالوسائل المباشرة لعدم توفر الامكانيات الحديثة • لذلك تنجمع بيوت القرية فى العادة بجوار الينابيع الطبيعية او الكهاريز الذى يستخدم للشرب والاستحمام والغسل • ومرة ثانية نرى بأن عدم توزيع المطر على فصول السنة وتركزه فى فصل معين قد

81. Fawcett, C.B., "Distribution of rural settlement", Geog. Journ., vol. XC111, No. 2, Feb., 1939, P. 154.

حدد امكانية الوصول الى المياه بمواضع معينة ، بينما تتوفر المياه دائما في المناطق ذات المطر الدائم للانسان وقطعانه على السواء (٨٢) •

وهناك عوامل طبيعية اخرى ذات اثر ثانوى على النمط السكنى • فشكل التضاريس مثلا لم يلعب دورا رئيسيا في حالة اللواء لان الاراضى الزراعية التى لا تتوفر فيها المياه لا تجتذب السكان • ولعل ابرز الامثلة على ذلك منطقة هورامان ، فمع ان الاراضى الزراعية فيها محدودة للغاية ، الا انها مع ذلك ذات كثافة عالية نسبيا بسبب توفر المياه •

كذلك كان للتربة تأثير ثانوى على توطن السكان ، اذا لم نأخذ بعين الاعتبار علاقتها بالعامل الهيدرولوجى • فمن المعلوم ان التربة الجيرية - التى تكون غالبية تربة اللواء - تؤدى عموما الى السكنى المتركرة بسبب ندرة المياه السطحية فيها • وعلى أية حال فان تربة اللواء الفقيرة لم تختلف سوى اثارا بسيطة على السكنى ، وذلك بسبب النظام الزراعى السائد و نوع المحصول الرئيسى فى اللواء • فالنظام الزراعى المتبع ، وهو زراعة البور ، والمحصول الزراعى السائد ، وهو التبغ ، لا يستهلكان خصوبة التربة • ومع ذلك فان التربة الجبلية الفقيرة فى اللواء قد اضطرت السكان الى التجمع فى الاحواض السهلية والادوية حيثما تتوفر تربة غنية وعميقة •

اما العامل التاريخى فقد اثر على نمط الاستيطان عن طريق انعدام الامن الذى كان صفة ملازمة للحياة الريفية لعصور طويلة • وقد سبق ان اوضحنا بأن التنافس بين الامبراطورية العثمانية والدولةالارانية من جهة ، وسيادة النظام العشائرى بما يرافقه من حروب متصلة من جهة اخرى ، قد خلق حالة دائمة من انعدام الامن • ولم تكن مثل هذه الحالة مساعدة بالطبع على تفرق السكنى • فلم يكن الزارع قادرا على الصمود أمام غارات العشائر

(٨٢) المصنذر السابق •

الرحالة بمفرده ، كما لم يكن باستطاعته مواجهة عصابات قطاع الطرق فى مثل هذه الاراضى الوعرة المحرومة كليا من حماية الحكومة • لذلك اضطر ان ينشد الحماية بالانضمام الى الجماعة • ولعل هذا العامل كان من اهم احوال التى دعمت النظام العشائرى ، اذ ضمن الفرد عن طريقه حماية جماعية • وحتى فى القرى غير العشائرية يعتبر «المجتمع» نفسه مسؤولا بالتضامن عن حماية أى فرد من افراده تجاه اى اعتداء يقع من الخارج •

وهناك عوامل بشرية اخرى اثرت بالمثل على نمط الاستيطان الريفى ومن أهمها عامل الملكية الارضية الذى يتمثل بسيادة النظام الاقطاعى فى المنطقة • ففضلا عن الاقطاعيات التى كان يمتلكها الاغوات ، فان الاراضى الزراعية التى تعود ملكيتها اسما الى مجموع العشيرة ، كانت فى واقع الحال عبارة عن اقطاعيات كبيرة لرؤساء العشائر • ولم يكن انزراع سوى مؤجرين يتولون زراعة بضعة قطع من اراضى متناثرة • ولقد أدى النظام الاقطاعى الى نشوء نظام الحقول المفتوحة الذى تنعذر فيه السكنى المنفرقة • صحيح ان كل زارع يمتلك حقا موروثا متعارف عليه فى زراعة مساحة من اراضى القرية ، الا ان تلك المساحة ليست محددة بقطعة معينة من الارض ، وفى كل عام تقريبا يعاد توزيع اراضى القرية بين الفلاحين • ولذلك فلم يكن ممكنا ان تتطور الحقول المستقلة المنعزلة عدا حقول قليلة يمتلكها زراع مستقلون ، ولم يكن ممكنا ان يسود فى اللواء نظام الحقل استقل Homestead الذى يبنى بمقتضاء كل زارع بيته فى حقله • وهكذا اسهم النظام الاقطاعى اسهاما فعلا فى نمط السكنى المتجمعة لان الزارع لا يمتلك الحرية ولا الاستقلال الاقتصادى ولم يكن فى حقيقة أمره سوى عامل زراعى بشكل او باخر •

واقدر توصل الاستاذ ياسوتى Biasutti فى دراسته لنمط السكنى الريفى

فى ايطاليا الى ان المقاطعات الواسعة مرتبطة بالسكنى المتجمعة (٨٣) • كما وجد ايضا بأن (نظام الحقل المفتوح قد يسر تجمع السكان الريفين فى قرى متراصة حيث اصبحوا تحت سيطرة المالك بشكل اكبر ، وفى ذات الوقت توجب عليه ان يوفر لهم الحماية) (٨٤) •

واخيرا فلا بد ان نضيف الى العوامل المذكورة العامل الاجتماعى الذى شجع على التجمع فى قرى متراصة عن طريق التنظيم الاجتماعى القائم والتقاليد الاجتماعية السائدة • فروح مجتمع القرية بالتزاماته الاجتماعية القوية تسود بشكل ملفت للنظر فى جميع قرى لواء السليمانية خاصة وبقيه الاولوية الكردية عامة ، وهى ظاهرة معروفة فى جميع المناطق التى لم تسكمل تطورها الاجتماعى بعد • ولقد اثرت هذه الروح بلا شك تأثيرا عظيما على انماط السكنى ، وكانت عقبة تجاه تطور السكنى حسب الاحوال الفيزيوجرافية • وقد اقتبس اورويسو Aurousseau الاستنتاج التالى من الدراسة الجغرافية التى قام بها كريفيث تايلور G. Taylor لمنطقة Prevet Deschanel والتى تبين بشكل واضح اثر هذا العامل ، فقد ذكر :

اثر هذا العامل ، فقد ذكر :

(يميل كل اقليم طبيعى فى البلدان المتحضرة التى تمتلك درجة عالية من الحرية الاجتماعية الى تطوير شكل خاص متميز لسكانه الريفين ، بينما يصبح عامل التنظيم الاجتماعى فى الاقطار الاكثر تخلفا اقوى من العامل الفيزيوجرافى • وكلما تقدم سكان الاقليم فى رتب الحضارة كلما ضعف سلطان العامل الاجتماعى واستميض عنه بتكيف اكثر مطابقة للاحوال

83. Biasutti, Prof. R. "rural settlement in Italy", Inter. Geog. congress, Cambridge 1928, P. 358.

84. Fawcett, op. cit., P. 154:

الفيزيوغرافية (٨٥) •

وللتقاليد الاجتماعية ايضا اثر واضح على تجمع السكان الريفيين ففى
قرى متراصة • ومع ان بعض المناطق قد منحت سكانها حرية استيطانها كما
يشاءوون ، لكنهم مع ذلك تشبثوا بطريقتهم القديمة المألوفة فى التجمع •
وقد اشار الاستاذ بياسوتى الى امثال هذه الحالات بقوله : (ويظل الامر
فى الغالب غير مفهوم لماذا احتفظت بعض المناطق بقراها القديمة المتراصة ،
بينما تخلت مناطق اخرى عن هذا النمط السكنى او هى فى سبيلها الى التخلّي
عنه) (٨٦) • ولا ريب ان قوة التقاليد هى المسؤولة عن هذا الغموض الذى
اشار اليه الاستاذ بياسوتى فى امثال تلك الحالات •

وهناك عامل اجتماعى اخر لعب دوره فى تشكيل النمط السكنى فى لواء
السليمانية وهو العامل الدينى • ويكتسب هذا العامل أهمية خاصة فى قرى
ناحية قره داغ حيث تستوطن اسر دينية بأعداد كبيرة يطلق عليها اسم
«الشيوخ» • وقد اجتذبت هذه الاسر عددا من الفلاحين من جهات مختلفة
من اللواء لما تتمتع به من مكانة دينية • والواقع ان هذه الظاهرة مألوفة على
نطاق واسع فى كردستان العراق ، لكنها غير معروفة فى المناطق العربية • ولا
تكاد تخلو أية ناحية من نواحي لواء السليمانية من قرى - بعضها كبير
نسبيا - قد نشأت فى الاصل عن تجمع الفلاحين حول المركز الذى استوطنته
اسرة دينية معينة •

منظر القرية

تشابه قرى لواء السليمانية تشابها كبيرا فى مظاهرها الطبيعية • وتنصف
بصفتين واضحتين : الاولى موضع خاص ، والثانية هندسة معينة •

85. Aourousseau. M., "Arrangement of rural population".
Geog. Rev., No. 4, October, 1920.

86. Biasutti, op. cit., P. 358:

موضع القرية :

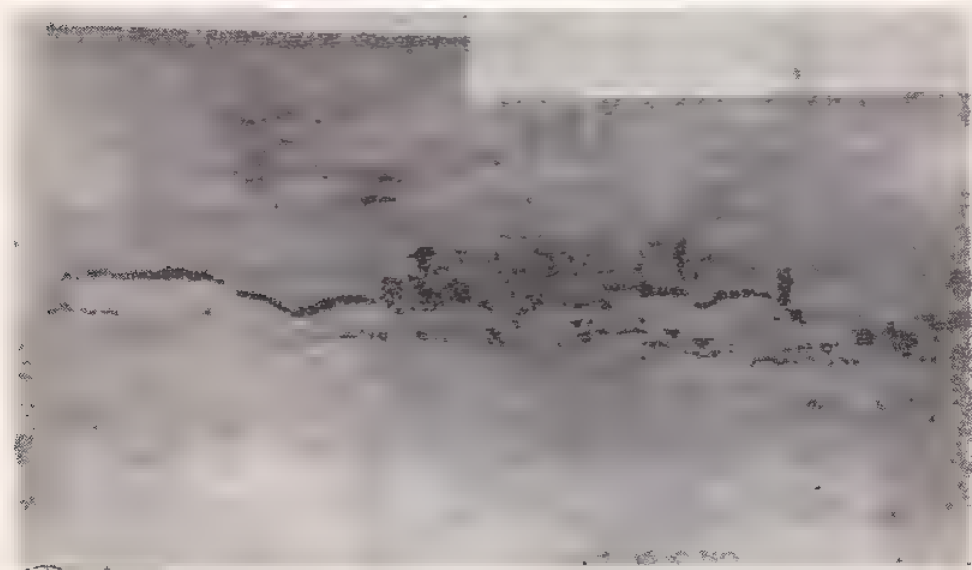
ينشئ اموضع الخاص للقرية الكرديه الجليليه باحتيـاسار مكان مرتفع فوق منحدر جبل او ربوة • ولا شك ان طبيعة البناء اخووغرافي للواء مسؤولة جزئيا عن اختيار مثل هذا الموضع ، الا ان سكان المناطق السهلية يشيدون قراهم فوق رابية صناعية ايضا • ولقد عزـا ليـحـ Leach هذه الظاهرة عند دراسته لمنطقة ذات طوبوغرافية مشابهة هي منطقة راوندوز في لواء أربيل الى ندرة الارض الزراعية ^(٨٧) • ويبدو هذا التعليل معقولا لأول وهلة ، لكن دراسة النظام الزراعي لتلك المناطق تثبت بأن ندرة الارض غير معروفة فيها • فالماء هو العامل المتحكم في الزراعة في لواء السليمانية وليس الارض (وكذلك حال قضاء راوندوز) ، وبما ان مياه الري لا تكفي لجميع الاراضي الصالحة للزراعة في القرية ، لذلك يترك جزءا كبيرا من اراضي افريقية بورا كل عام • ومن المعلوم ان النظام الزراعي المتبع في العراق ، بما في ذلك المنطقة الكردية ، هو زراعة البور او الزراعة شبه المسقاة ، وهو دليل على عدم وجود نقص في الاراضي الزراعية • اما المناطق التي تقاسى من ندرة الارض الزراعية ، كمـنطقة هورامان وبعض جهات قضاء شهربازار ، فلا تتبع نظام زراعة البور بل تضطر الى استغلال كل قطعة صالحة من الارض على مدار العام •

ان اختيار مثل هذا الموضع للقرية الكردية لا يرجع الى اسباب اقتصادية اذن ، بل يهدف الى تحقيق الحماية من عوادي الطبيعة ومن اعتداءات الانسان • فالحماية من الطبيعة امر يقتضيه مناخ المنطقة ، وتهدف الحماية الى تجنب عوادي الرياح الباردة والامطار والثلوج • وتحقق الحماية من الرياح

87. Leach, Dr. E.R.. "Social and economic organization of the Rawanduz Kurds", published by London School of Economic and Political Science. 1940, P. 48.



صورة تمثل النظام الهرمي لبيوت القرية الكردية الجبلية



منظر قرية من القرى السهلية في تواء فرحوك

الباردة ببناء البيوت على المنحدرات المواجهة للجنوب ، وهي الجهة المعاكسة لهبوب الرياح الباردة ، بينما تدفن ظهورها المواجهة للرياح الباردة الى النصف تقريبا . وهذه الهندسة قد اكسبت البيوت القروية الجبلية في كردستان العراق مظهرا متميزا ، فظهورها تبدو من الخارج مرتفعة بضعه أقدام فقط عن الارض ، بينما يصل ارتفاعها من الداخل قرابة ثلاثة أمتار .

وسوفر الحماية من الثلج بواسطة هندسه سطح البيت ، فاستطوح عبارة عن جزء من طرقات القرية او شرفات للبيوت التي تعلوها ، وهذا الوضع ييسر التخلص من الثلوج عند تراكمها . كذلك تتوفر الحماية من سيول الامطار بتوجيهها نحو الوادئ الذي يمتد في أسفل القرية ، وذلك عن طريق قنوات طبيعية او صناعية تصب فيه .

واما الحماية من الانسان فأمر فرضه الوضع السياسي المضطرب في المنطقة ، وقد سبق ان أوضحنا بأن حالة انعدام الامن ظلت سائدة لقرون عديدة في لواء السليمانية نتيجة للحروب الخارجية والغزوات العشائر الرحالة . لذلك اصبح «الدفاع» حاجة ضرورية لابد من توفرها لسكان القرية . ومع ان القرية الكردية لا تبنى على قمة المرتفع لاعتبارات عديدة (منها صعوبة وصول الانسان والحيوان الى البيوت) ، الا انه ليس من الصعب الفرار الى قمة المرتفع اذا اقتضت الضرورة . ولقد أكد ريج Rich اهمية «الدفاع» كهدف اساسي للقرويين لدى اختيارهم لمواقع قراهم ، فقد قال :

(لقد لاحظت ان أغلب القرى في كردستان قد انشأت في أودية بعيدة عن محط الانظار ، او في زوايا محمية ، وذلك لتجنب الوقوع في طريق قطعات الجيش الرائحة الغادية . غير ان ذلك قد لا يؤدي الغرض المطلوب . فمنطقة قرلجة مثلا ، وهي ولاية حذود ، عرضة للنكبات الاعتيادية التي تسببها الحروب الشرقية . فلقد خربت كليا مرارا عديدة في غضون السنوات

العشرين الماضية من قبل الفرس وامان الله خان ، كما ان جماعات الاكراد
 الماويين ليسوا أكثر رافة من الفرس تجاه قرى الجماعات المعادية) ^(٨٨) .
 وهناك عوامل متعددة أخرى ، اضافة الى هدف الحماية ، اثرت في
 اختيار «موقع» القرية الكردية ، واهمها عامل مصدر المياه . وقد سبق ان
 اوضحنا ضرورة بناء البيوت بجوار أو بقرب مصدر المياه . وبما ان الينابيع
 او الكهاريز هي أكثر توفرا على منحدرات الجبال ، حيث تتواجد حفات
 صخرية جيرية ذات طبقات مائلة او ذات انكسارات ، فقد بات من المفضل
 اختيار موضع القرية فوق المنحدر بجوار الينبوع . وتتضح اثار هذا العامل
 في انتقال القرية الى أكثر من موضع في المنطقة ذاتها بسبب جفاف مصدر
 المياه . فكثيرا ما تهجر القرية موقعها القديم فوق سطح الجبل وتهبط الى موضع
 جديد مجاور . ولذلك فمن المألوف وجود قرى عديدة في اللواء باسمين ،
 الاول باسم «العلياء» وتوجد عادة فوق منحدرات الجبل ، والثاني باسم
 «السفلى» وتوجد في السهل المجاور . وتكون الاولى عادة اما مهجورة تماما
 او في طريقها الى الانقراض ، بينما تكون الثانية مزدهرة . وان المثل الذي
 ذكره فيدال دي لا بلاش La Blache عن منطقة البرانية وهو (انتقل دائما
 الى الاسفل ولا تنقل الى الاعلى مرة ثانية ابدا) ^(٨٩) يطبق تماما على لواء السليمانية .
 وهذا الانتقال نحو الاسفل ناتج عن تناقص مستوى المياه الجوفية بسبب زيادة
 استعمال المياه .

هندسة القرية :

ان هندسة القرية الجبلية الكردية على نسق واحد في اغلب جهات
 لواء السليمانية . وتتخذ هيئة شرفة غير منتظمة ذات شكل مستطيل . وتبدأ

88. Rich, op. cit., P. 175.

89. Ahlmann, H.W., "The geographic study of settlement".
 Geog. Journ., No. 18, 1928, P. 110.

الابية قرب الوادى وتأخذ بالارتفاع فوق المنحدر وعلى شكل صفوف من المدرجات حتى منتصف المنحدر او اعلى قليلا • ونظرا لوعورة المنحدر وبسبب هندسة البيت الخاصة تصبح اغلب السطوح جزءا من طرق القرية او مساحات امامية للبيوت العليا • وتتجمع البيوت أحيث فى صف طويل واحد يحتل جميع المدرج ، الا ان من المألوف ان يشتمل كل مدرج على عدة مجموعات تفصلها طرق ضيقة • ويشتمل كل مجمع على بضعة بيوت متصلة تختلف فى عددها ، لكنها تتراوح على العموم بين ٤ و ٦ بيوت • وتقض هذه البيوت اسر تربط بينها قرابة قوية ، الا ان اعتبارات القرابة ليست مسؤولة بشكل رئيسى عن هندسة البيوت • ويعزى طراز الهندسة الى اسباب اقتصادية ودفاعية فى آن واحد • ويتمثل الباعث الاقتصادى باستخدام جميع جدران وحواجز البيت استخداما مضاعفا ، وبذلك تنخفض نفقات البناء ، كما يتحقق الهدف الدفاعى بالوحدة المتراسة التى تنشأ نتيجة لهندسة القرية والتى تساعد بشكل فعال على صد الهجوم الخارجى •

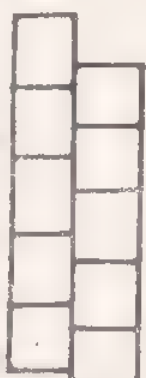
ان المدرجات المشتملة على تجمعات البيوت تأخذ فى التقصص كلما ارتفعنا الى اعلى ويتناقص عدد بيوتها حتى يصبح المدرج الاعلى عبارة عن مجمع واحد يشتمل على بيوت قليلة • وهكذا تأخذ القرية شكلا هرميا او مثلثا قاعدته بالقرب من الوادى وقمته او رأسه فى منتصف المنحدر • ويمتد طريق عرضى وسط القرية يشطرها الى قسمين ويصل بين الوادى وقمة المرتفع • وتوجد فى القرية أزقة ضيقة ملتوية تفصل بين مجموعات البيوت ، بينما يمتد طريق عرضى اخر فى امتداد المدرجات يشطر القرية الى قسم علوى واخر سفلى • ويوجد الى جوار القرية نبع محاط بجدار حجرى واطى • يستقى مياهه من ينبوع طبيعى او صناعى (كهريز) • وتحول مياه ينبوع فى الغالب بواسطة قناتين الى حوضين ، يستخدم النساء احدهما للاستحمام والغسيل ويستخدم

الرجال الآخر للاستحمام • ويحيط بحوض النساء سياج أكثر ارتفاعاً • أما مياه الشرب للبشر والحيوانات فتستقى من العين الأصلية مباشرة • وتشتمل أغلب القرى على ساحة فسيحة تقوم مقام الميدان ، كما تستخدم زربسة لحيوانات القرية في فصل الصيف والربيع • أما حقول القرية فتقع عند أقدام البيوت ، وتمتد أراضي الري الصناعي في بطن الوادي ، بينما تتناثر حقول الحبوب التي تروىها الأمطار فوق السفوح البسيطة الانحدار ، وتزرع بعض القطع الصغيرة المبعثرة بين البيوت بالخضروات • وهناك مظهر مألوف في جميع القرى وهو اكوام فضلات الحيوانات واكوام البرسيم التي تتناثر امام البيوت •

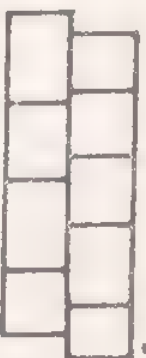
ومما تجدر الإشارة اليه ان القرية الكردية في لواء السليمانية ، وجميع قرى المناطق الجبلية الكردية ، تختلف عن القرى الكردية السهلية في لوائى اربيل وكركوك في موضعها وفي هندستها • فالقرية السهلية تختار دائماً موضعاً منخفضاً من السهل لتيسر العثور على المياه في أعماق معقولة ، فالأبار هي مصادر المياه الوحيدة في امثال هذه القرى ، ان لم تكن واقعة على ضفاف نهر • وتتخذ هذه القرى شكلاً مستطيلاً وتشتمل على عدة مجمعات طويلة ذات بيوت متفرقة تخرقها أزقة ضيقة ، بينما يشطر القرية دائماً طريق عرضي رئيسي •

أما القرية العربية في وسط وجنوب العراق فهي تختلف كلياً عن القرية الكردية الجبلية والسهلية • فهي تقع في العادة بجوار نهر أو جدول ، ولا تتميز بأي شكل هندسي على الإطلاق • وإذا كانت القرية كبيرة وقديمة امتدت فيها مجمعات من البيوت المتصلة ، على شكل خطوط ملتوية تخرقها أزقة ضيقة • إلا ان القرى الحديثة ذات بيوت متناثرة في غير نظام وغير متصلة بعضها في غالب الأحيان • ولا يكون نظام «المجمعات» الصفة المميزة في امثال هذه القرى •

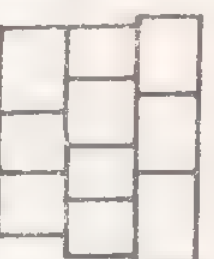
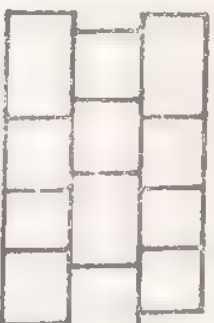
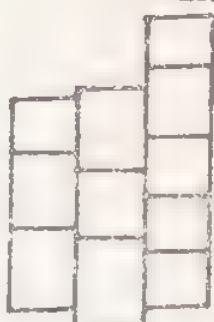
قمة الطل



الطريق



الطريق



الطريق

مفاتيح الحيوانات (موت)

الطريق

الطريق



تخطيط يمثل هندسة القرية الكردية الجبلية

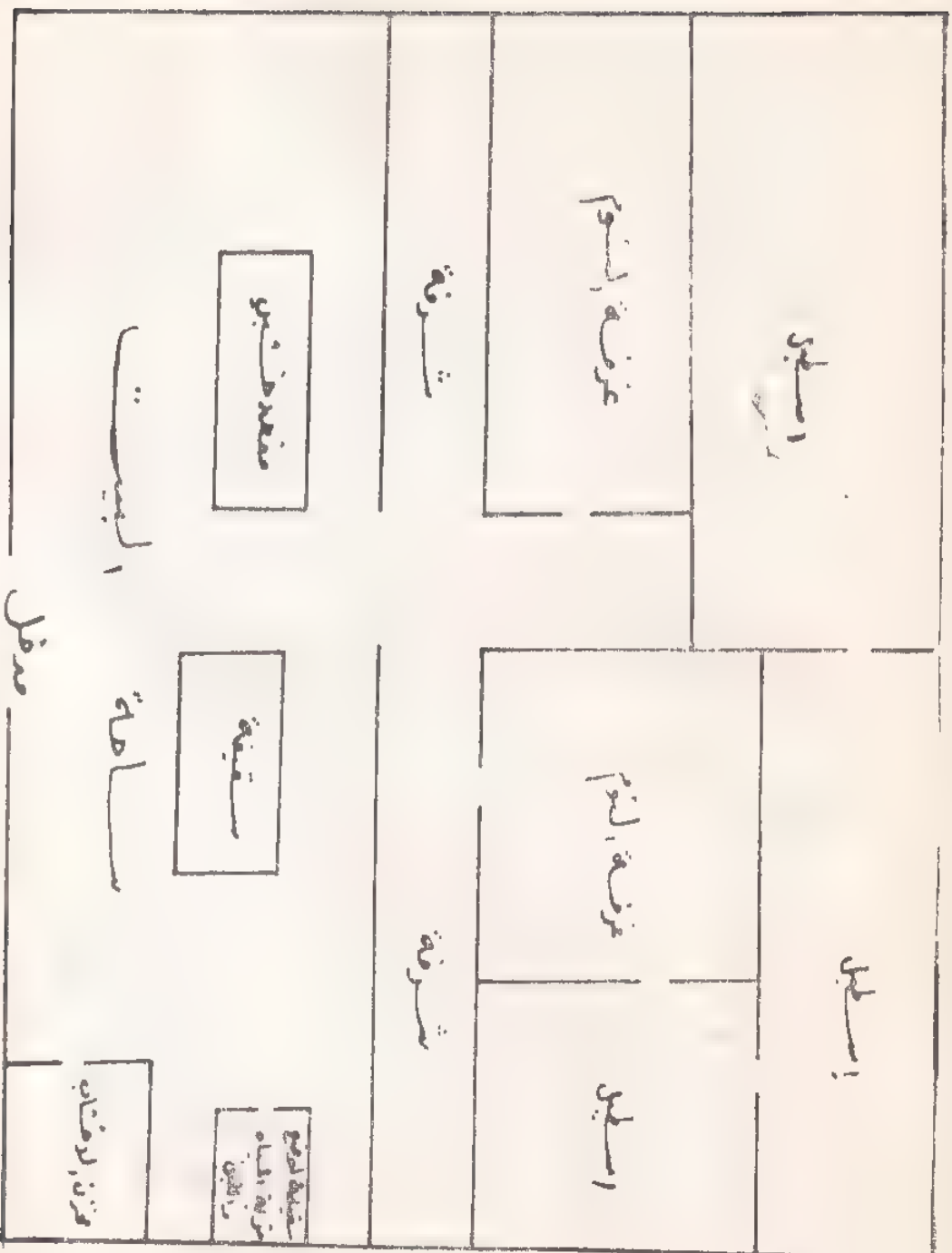
ولابد ان نذكر اخيرا بأن اغلب قرى لواء السليمانية تقع بعيدة عن الطرق العامة • والواقع ان توزيع القرى في اللواء مستقل تمام الاستقلال عن نظام المواصلات فيه • ويعود ذلك الى حداثة طرق المواصلات في المنطقة والى اهتمامها بربط المدن الرئيسية فحسب ، فضلا عن كونها تهدف الى اغراض سياسية أكثر مما تنبغية من فوائد اقتصادية • لذلك فان أغلب القرى تتبع طرقا وعرة للوصول الى اقرب مركز مدنى، وهو اما ان يكون مركز «الناحية» او «القضاء» او «اللواء» • ويفضل سكان معظم القرى القربة من مدينة السليمانية الاتصال المباشر بها بدلا من الاتصال بمركز «الناحية» او «القضاء» بالرغم من ان الرحلة اليها قد تستغرق يومين او اكثر • وأهم وسائل النقل القروى الحيوانات ، وخاصة البغال والحمير ، وفى اثناء فصل الصيف يقوم القرويون بالرحلة الى اقرب مركز مدنى كل يوم ، الا ان تلك الرحلات اليومية تصبح اسبوعية فى فصل الشتاء ، وقد تحدث مرة واحدة كل اسبوعين حسب الاحوال الجوية • وقد تنزل بعض القرى عن مدينة السليمانية لأكثر من ثلاثة أشهر فى بعض السنوات •

نموذج البيت

تشابه نماذج البيوت القروية الجبلية فى اغلب جهات لواء السليمانية، وهى تكشف عن تأثير العوامل الطبيعية والبشرية فى هندستها وموادها واثاتها •

هندسة البيت :

فاما ما يتعلق بهندسة البيت ، فان هناك شكلا عاما متميزا فى جميع انحاء اللواء ، بالرغم من وجود بعض الاختلافات المحلية • ويتخذ البيت عادة شكلا مستطيلا ، وتؤدى الباب الرئيسة الى سفح التل ، ويرتفع الجدار الخلفى بضعة اقدام فقط • وتحمى هذه الهندسة البيت من الرياح الباردة والأمطار



تخطيط بيت هندسة البيت القروي الكروي



من جهة ، كما تيسر وصول الانسان والحيوان اليه من الجهة الاخرى .
ويميل السقف ميلانا مسيطا ليسان على انحدار الامطار والثلوج ، الا انه
يكون مستويا عموما . وبالرغم من ان طبيعة المناخ في المنطقة كانت تقتضي بناء سقوف
هرمية او منحدره ، الا ان موضع البيت فوق منحدرات التلال ، التي قد
تكون شديدة احياا ، اقتضى اقامة سطوح مستوية لتوفر مساحة اضافية الى
ارض المنحدر ، وهكذا اصبح من المألوف ان يعتبر سطح البيت القروي جزءا
من الطريق العام او ساحة للبيت الذي يعلوه .

ويشتمل البيت على بضعة غرف تختلف بعددها حسب امكانية القروي ،
الا ان غرفة الجلوس واليوم واحدة دائما مهما بلغ عدد افراد الاسرة . وقد
تخصص غرفة صغيرة للضيوف في بعض الاحيان . وتستخدم بقية الغرف
لايواء الحيوانات ولحفظ المؤونة . وتبلغ مساحة غرفة الجلوس حوالي عشرين
مترا مربعا (٤م × ٥م) ، وهي اكبر الغرف عادة . واذا ما استخدمت لحفظ
المؤونة ، كما يحدث احياا ، اتسعت مساحتها وقسمت بجدار نصفى الى
قسمين : احدهما وهو الاوسع للاستخدام البشري ، والثاني لحفظ المؤونة .
اما اذا استخدمت للانسان والحيوان والمؤونة ، كما هو الحال في كثير من
قرى ناحية بنجوين ، فان مساحتها تتجاوز عندئذ الستين مترا (٩م × ٧م) ،
كما انها تقسم الى اقسام ثلاثة بحوائط نصفية . وتناز غرف البيت بثقوب
صغيرة تقوم مقام النوافذ وهي عارية من الزجاج ، وتنفذ منها احزمة ضئيلة
من نور الشمس ، لذلك تبدو الغرف مظلمة تقريبا في جميع اوقات النهار .
اما ابواب الغرف فضغيرة على العموم ، ولا تسمح بمرور الشخص الاعتيادي
من دون ان يخفى قامته .

ولقد صممت غرف البيت الريفي الكردي بمساحاته المحدودة ونوافذه
الضيقة وابوابه الصغيرة لتحقيق الحماية ايضا من الطبيعة والانسان : فالشتاء

الطويل برياحه الباردة وتلوجه يفرض هذا النمط الخاص من الغرف الضيقة المقفلة ، بينما تتخذ الاحتياطات ضد غارات الاعداء بنضيق المداخل الى البيت والغرف • ويعزى صغر مساحات الغرف الى عامل اقتصادى ايضا ، فأعمدة السقوف الخشبية الضخمة باهضة التكاليف نسبيا ، وقد لا يتيسر للقروى شرائها • ويتم تدفئة غرفة الجلوس بواسطة موقد يحفر فى وسطها ، ويعطوه ابواب يحترق السقف لخروج الدخان • وقد تستخدم فى احوال نادرة مدافئ حديدية • ومهما يكن الامر فان هواء الغرفة يبدو خائفا ومشعبا بالرطوبة دوما •

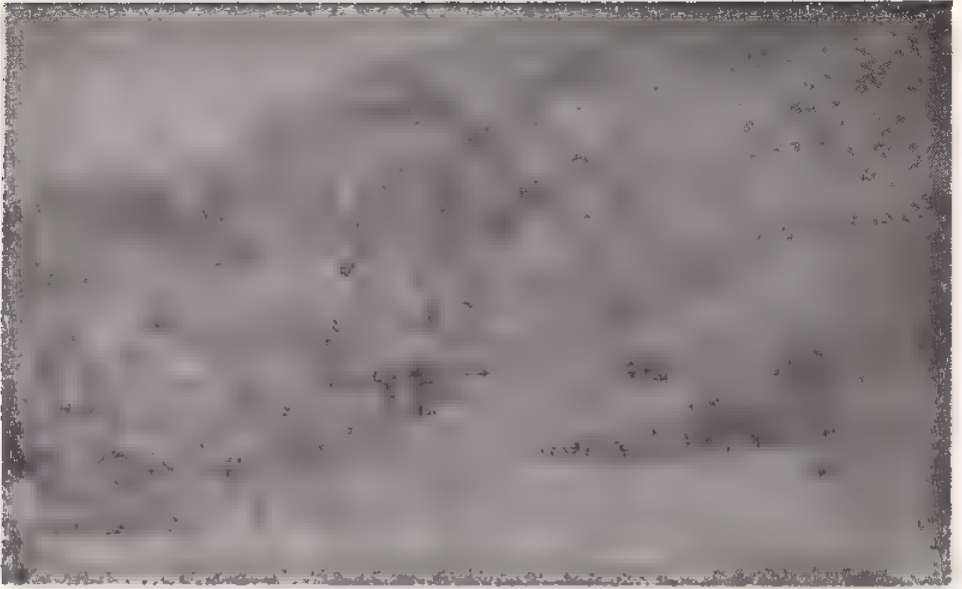
وتختلف الغرف الاخرى فى احجامها وعددها ، غير انها صغيرة عموما ولا تتجاوز الاربع • وتستخدم احداها لحفظ المؤونة ولخزن الحبوب والاصواف والفاكهة ، والثانية لخزن العلف ، والثالثة لايواء الحيوانات الكبيرة كالابقار والبغال والحمير ، والرابعة لايواء الاعمام والماعز والحيوانات الصغيرة • وفى حالات قليلة تشارك الحيوانات الكبيرة القرويين غرفة نومهم • اما الحصان فيحتل موضعه - ان وجد - فى غرفة النوم دائما • وتتميز غرف الحيوانات بهندسة خاصة ، فهى ذات ابواب داخلية تؤدى احداها الى الاخرى ، اى ان لجميع الغرف مدخلا واحدا يطل على باحة البيت • وقد تبدو هذه الهندسة غريبة للوهلة الاولى ، غير انها فى الحقيقة ثمرة لعوامل طبيعية وبشرية • فما دام القروى يعتبر حيواناته ائمن ممتلكاته ، ولعل ذلك تقليد ورثه عن حياته الرعوية القديمة ، فهو يحاول اقصى جهده ان يضمن سلامتها من عوادي الطبيعة واعتداء الانسان • ولا ريب ان هندسة الاسطبلات الحالية تعيق الوصول الى الحيوانات كما تمرقل سرقها • ولقد اضعف التطور السياسى وسيادة الامن فى المنطقة الخوف التقليدى فى نفس القروى على مصير حيواناته وانعكس هذا الاطمئنان النسبى فى التغيرات الطفيفة التى حدثت فى

هندسة البيت ، فأصبحت ابوابه ونوافذه اكبر حجما ، كما اتخذت اسطبلاته
مداخل مستقلة •

ويلحق بالبيت القروى الكردى شرفة او باحة يختلف اتساعها حسب
مذى انحدار الارض • ونمضى الاسرة فى هذه الباحة طوال النهار اثناء
الصيف مستفيدة من النسائم الباردة التى تهب عبر الجبال ، كما يستخدم جزءا
منها زريبة صيفية كما هو الحال فى قرى ناحيتى قره داغ وبنجوين • وقد
تسيج هذه الباحة فى بعض القرى بسياج خشبى يفصلها عن باحات البيوت
الاخرى • وقد تشمل الباحة ايضا على مقعد حجرى طويل يستعمل لنسوم
ارجال صيفا ، وعلى سقيفة مرتفعة من اغصان الاشجار تخصص لنوم النساء
فى فصل الصيف ايضا •

ومن المؤلف ان يهجر سكان القرى الكردية الجبلية بيوتهم عند حلول
فصل الصيف ويهبطون الى السهل او الوادى المجاور ويشيدون لهم اكواخا
مؤقتة من اغصان الاشجار يطلقون عليها اسم «كبر» • وتتجمع هذه
«الكبر» بجوار بعضها البعض على شكل دائرة كبيرة ، وتأوى حيوانات القرية
الى الباحة التى تطوقها «الكبر» حماية لها من المصوص • ويتميز «الكبراء»
بسهولة اقامته وسهولة رفعه ، وهو مصمم للاستفادة من النسائم الباردة التى
تهب عبر الجبال المجاورة • ولا تكاد مساحته تتجاوز خمسة عشر مترا مربعا
(٣٥ × ٥) • وشطره عادة حائط من «الجينج» الى نصفين ، يستخدم احدهما
للساء والطبخ وحفظ الاثاث ، ويخصص الثانى للرجال والضيوف •

ويختلف البيت القروى الكردى فى سهول لوائى اربيل وكر كوك كليا
عن النموذج الجبلى المذكور الذى يسود فى لواء السليمانية • فهو يتميز
شكل مربع وبسقف مقوس ، وغرفه مستقلة عن بعضها • وتحتل غرفة
النوم والجلوس الجزء الرئيسى من البيت ، وتبلغ مساحتها حوالى اربعين مترا



مجموعة من الكبريات

مربعا (٨ × ٥ م) ، وهي تقسم الى اقسام ثلاثة بحوائط ضخمة ، ر = ٢٠ سم. كل قسم منها مستقلا بذاته . ومن المآدر ان شارك الحيوان القرويين غرفته نومهم . وتعتمد النوافذ الحقيقية في هذه الغرف ، لكن الثقوب الكبيرة تتأثر بعند كبير في الجدران فتسمح باضاءة الغرفة اضاءة جيدة نسبيا . وتتميز بقية غرف البيت بصغرها ، وقد لا تزيد مساحة أى منها على ثلاثة أمتار مربعة، وهي تستخدم لايواء الحيوانات والطيور ، كما تستعمل مخازن لحفظ العلف والوقود . وتتأثر الحفر في باحة البيت وهي مداخل لاقية تحسب الارض تخزن فيها الغلال .

اما البيت القروي العربي الشائع في وسط وجنوب العراق فيختلف عن كلا النموذجين المذكورين اعلاه . فهو ذو شكل مستطيل وسطح مسستو ويشتمل على غرفة واحدة فقط غير مجزأة تستخدم للانسان ولايسواء

الحيوانات ولحفظ المؤونة • وقد يخصص القروى غرفة مستقلة لحيواناته
اذا اقتنى منها عددا غير قليل • وفى معظم القرى العربية ينحدر مستوى
البيت الرفي الى مجرد كوخ بسيط يقم من الطين والحصران ولا تتجاوز
مساحته بضعة امتار • ومن المؤكد ان البيت القروى العربى اسوء حالا من
البيت القروى الكردى ، ولعل مرد ذلك الى حاة عدم الاستقرار التى يعانها
الفلاح العربى الناتجة عن النظام الاقطاعى وعن التنظيم الاجتماعى العشائرى
السائد •

من الواضح اذن ان البيت القروى الكردى ردىء على العموم ومناف
فى هندسته وبنائه للشروط الصحية • وهذا امر طبيعى نظرا لما يقاسيه الفلاح
من فقر مدقع يدفعه الى الاقتصاد فى مواد البناء والاكتفاء بأبسطها ، كما يحمله
على الاعتماد على نفسه فى بناء بيته دون معاونة من البنائين المختصين • وما لم
تساهم الدولة فى تطوير وتحسين المستوى الحالى للبيوت القروية بمنح
القرويين قروضا خاصة ، فان هذا المستوى المتدهور سيدوم لوقت طويل •
ان مساهمة الدولة فى امثال هذه المشاريع امر مألوف فى اقطار متقدمة كثيرة ،
اذ تمنح الحكومة قروضا خاصة لبناء بيوت للاسر الريفية ^(٩٠) • ويتطلب
الامر كذلك انشاء دائرة للاسكان تأخذ على عاتقها تخطيط السكنى الريفية •
وهذه الناحية ذات أهمية خاصة ما دامت احوال السكنى مسؤولة الى حد كبير
عن تدهور صحة السكان الريفيين •

مواد البناء :

تناسب مواد البناء فى البيت القروى الكردى الجبلى كليا مع البيئة
الطبيعية • فالجدران تبنى من حجر يقطع من الجبال المجاورة ، ويستخدم

90. League of Nations. "Urban and rural housing", Geneve,
1939, P. XXXVI.

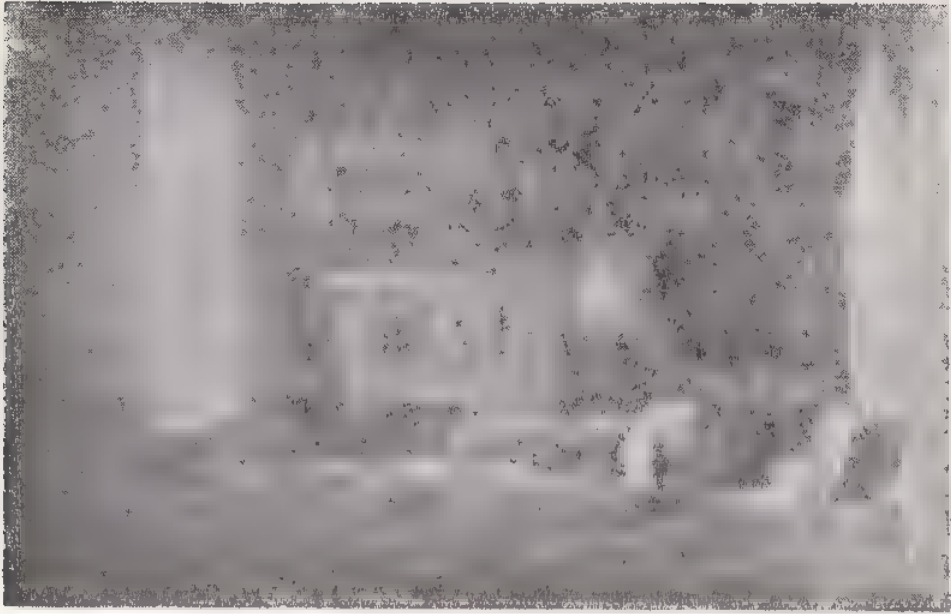
لتماسكها طين يصنع من اتربة السهول • وفي معظم قرى منطقة هورامان ،
لا سيما قرى الطويلة وبارز ، يستغنى عن الطين نهائياً ، ولعل مرجع ذلك
الى طبيعة المنطقة الصحرية والى ندرة السهول فيها • وفي سهل شسرزور
والسهول المشابهة الاخرى تبنى جدران بمض البيوت من الطابوق ، او من
الطين والحجارة الصغيرة • اما البيوت القروية الكردية فى المناطق السهلية
من لوائى اربيل وكركوك فتبنى جدرانها من اللبن فقط • ويستخدم اللبن
ايضا فى بناء القرى العربية فى وسط وجنوب البلاد •

اما سقف البيت الجبلى الكردى فيتكون من ألواح خشبية ذات مناسنة
محدودة • ويعتمد حجم الغرفة عادة على تلك الألواح ، وهى تستحصل من
اشجار البلوط او الزان • وتستخدم هذه الاخشاب لبناء سقف البيوت فى
جميع المناطق الكردية ، السهلية منها والجبلية • اما ستوف البيوت القروية
العربية فتصنع من اخشاب النخيل •

وتغطى الواح السقف بطبقة من الاغصان الرفيعة تملوها طبقة من الطين
وبقايا اوراق الاشجار ، وتعلو هذه الطبقات جميعا طبقة من الحجارة الصغيرة •
ولا ريب ان الطبقة الاخيرة تجعل بناء السقف صلبا ومتينا • وبما ان الألواح
الخشبية هى ائمن مواد البناء لذلك يعتمد القرويون الى انتزاع السقف كما
هجرُوا بيوتهم •

اثاث البيت :

يتميز اثاث البيت القروى الكردى بالبساطة المتناهية ، وهو يعكس فقر
اقروى وحياه البدايه • وتشتمل غرفة الجلوس على عدة أبسطه من الشعر
ذات صنع محلى تستخدم للجلوس واليوم • وتطوى هذه الابسطه اثناء النهار
مع بضعة بطانيات ووسائد وتحفظ فى احدى زوايا الغرفة • وهناك صندوق
خشبى طويل مزين بالصور واثاثا بالمرايا ، يستعمل منضدة للزينة وخزانة
للملاس • ولا يخلو أى بيت قروى من سرير خاص للاطفال الرضع •



اثاث البيت الكردي الريفي

وتعتبر ادوات الشاي من ابرز اثاث البيت القروي ، وتحفظ في العادة فوق رف في غرفة الجلوس ، وتشتمل على أقداح صغيرة للشاي وسلطانية خشبية للسكر و «سماور» صغير • اما بقية اثاث البيت فيشتمل على أدوات المطبخ التي تتألف من قدور نحاسية وبضعة صحون معدنية وسلطانية خشبية لحفظ اللبن الرائب •

ومن اللوازم التي يحتفظ بها كل بيت ريفي (المشكه) و (الكنو) • و (المشكه) عبارة عن قرية من الجلد تحفظ فيها المياه ، كما تستعمل لصناعة اللبن الحامض • وهي تعلق في بناء مفتوح يقام في باحة البيت • اما (الكنو) فيصنع من الصلصال على شكل مستطيل ذي فتحة في اعلاه وثقب في قاعدته ، ويستخدم لحزن الفلال • ونظرا لقسوة الشتاء في المنطقة الجبلية وصعوبة المواصلات فيها ، فإن القروي الكردي يهتم بتوفير مؤناته لفصل الشتاء اهتماما عظيما •

ولا يخلو أى بيت ريفى من كومة من الاخشاب تستخدم للوقود ،
ولا تستعمل فضلات الحيوانات المجففة الا على نطاق ضيق ، بعكس الحال فى
القوى العربية •

ومن لوازم البيت الريفى ايضا الكيوسين الذى ينحصر استخدامه فى
المصابيح الزيتية • غير ان القروى يقتصد عادة فى استعماله لتلك المصابيح
الخافتة الضوء ، وكثيرا ما يتجمع أفراد الاسرة حول النار لتناول طعام العشاء
بينما يفرق البيت فى ظلام دامس •



الفصل الثالث

أنماط الحياة الكرّدية

- ١ -

الرعاة

كانت البداوة ، وهي بالمعنى الجغرافى التنقل من موضع الى اخر ، مرحلة فى التاريخ البشرى صاحبت الرعى • وكان الرعاة مضطرين الى اتباع قطعانهم اثناء تجوالها للبحث عن مراعى جديدة لسد حاجاتها الطبيعية الى الغذاء • وقد انتهت هذه المرحلة فى اغلب اجزاء العالم بتبنى الزراعة^(١) • اما فى كردستان فقد كانت عملية الانتقال من الرعى الى الزراعة عملية بطيئة مر خلالها السكان بمرحلة وسطى هى شبه الترحل • غير ان الاكراد برهنوا - على أية حال - بانهم على استعداد للتخلى عن حياة البداوة حالما تنهأ لهم حرفة بديلة مناسبة • وقد رسم هاى Hay مقارنة بينهم وبين البدو العرب فى هذه الناحية وتوصل الى الاستنتاج التالى :

1. Martrou, Louis, "A study in nomadism", Scottotish Geographical Magazine, 1910, P.488.

(هناك هذا الفرق الواضح بين العرقي والكردي ، فبينما يكون العربي - في أغلب الحالات - مترحلا بمحض اختياره ، يكون الكردي مترحلا استجابة للضرورة او لضغط العادة ، وهو على استعداد للاستقرار حالما يجد الظروف المناسبة) (٢) •

ومع ان هاي Hay لم يخطئ الحكم بصدد موقف الاكراد الترحل الا انه لم يكن مصيبا في احكامه على البدو العرب • فميل البدوي العربي الى الترحل يس عريضة متصلة فيه تنبع من تكوينه العنصري ، بل هو استجابة لمطالب البيئة الطبيعية اصلا ، ثم ترسخ هذا الميل في نفسه بفعل العادة والتقليد السياسي القبلي • ولقد شجعت بيئة الطبيعة في كردستان الاكراد على ترحل الترحل ، بينما كان لبيئة الصحراوية اثر عكسي على العرب • ففي كردستان تتوفر المياه للزراعة الحميمية ، كما تتوفر الامطار للزراعة الشتوية • وفضلا عن ذلك فن طريقة ترحل الاكراد لعبت دورا في سهولة تحولهم الى الاستقرار • فالترحل الكردي هو نوع من الانتقال الفصلي الذي يختلف تمام الاختلاف عن التنقل الدائم الذي يتميز به ترحل عرب الصحراء • فالزراعة الاكراد يمضون فصل الصيف فوق روابي الجبال حيث يجدون بانتظارهم مراعى جديدة ، ثم يهبطون بقطعانهم ثانيا الى السهول في نهاية الصيف حيث تكون المراعى الشتوية قد استعادت حيويتها x (٣) • وهكذا تميز الترحل

2. Hay, W.R., "Two years in Kurdistan", London 1921. P. 44.

x (٣) ان هذا الانتقال الفصلي المنظم للرعاة الاكراد في كردستان العراق ينطبق على الرعاة الاكراد في جميع جهات كردستان • فقد وصف راولنسون Rawlinson تحركات قبائل البختيارى في كردستان ايران على النحو التالي : (ان ابناء تلك القبائل ينفرون بطبعهم من الزراعة ، ولغاية خمسة عشر عاما خلت كانوا يرحلون في مجموعات الى المراعى الدافئة في كردستان لدى اقتراب الشتاء ، وعند حلول الربيع يعودون الى مراتعهم =

الكردي بحركة منظمة محدودة وبمناطق ثابتة • اما الترحل العربي فلا يخضع مثل هذه القيود • صحيح ان ترحل البدو العرب يخضع نظام معين تقرره حالة المياه في منطقة الرعى ، الا ان حالة المياه في منطقة ما من الصحراء لا يمكن تحديدها سلفا نظرا لتمييز المطر الصحراوي بذبذبه تيه • ومع ذلك فان حركة البدو تتجه عموما نحو قلب الصحراء في فصل الشتاء والربيع ، حيث يتواجد الكلاً نتيجة للمطر الربيعي والشتوي ، وتكمش نحو هوامش الصحراء في فصلي الخريف والصيف حيث تتوفر مياه الابار والادوية والانهار •

وهكذا يتضح بان هناك فروقا واضحة بين الرعاة الاكراد والرعاة العرب • فبينما يمتلك الرعاة الاكراد مناطق شتوية وصيفية ثابتة ، يطسوف الرعاة العرب في الصحراء حسب تغيرات الفصول (٤) x • لذلك فان الرعاة

في بلكاس حول كوه وعلى حواف السلاسل الجبلية العظيمة من اصغهان حتى بروجرد •

Rawlinson, H.C., "Notes on March from Zahab to Khuzistan in 1836", J.R.G.S. vol. 1X, 1836.

x (٤) هناك فروق اخرى تميز الترحل الكردي عن الترحل العربي • فالترحل الكردي خاضع لمواقيت معينة تقريبا • اما الترحل العربي فيحدد مواعده رئيس العشيرة حسب الظروف • وقد وصف البعلبي طريقة بدء اسرحل العربي على النحو التالي: (يجتمع مجلس الشيوخ في الخيمة الكبرى ليقرر بدء الرحيل ، اذا لم يترك الامر لرغبة شيخ العشيرة نفسه • ويرسل الشيخ في العادة شخصا او اكثر لفحص المرعى الجديد ويقوم جيران الشيخ بمراقبة خيمته ليروا متى تبدأ نساؤه بطوبها • وحينما تطوى خيمة الشيخ يدرك افراد العشيرة بان قرار الرحيل الى مرعى اخر قد اتخذ ، وتبدأ النساء برفع اعمدة الخيم ثم طوبها ثم جمع الاعمدة في حرمة • واذا بقيت خيمة الشيخ قائمة الى ما بعد الغروب بات مفهوما ان قرار الارتحال قد اتفق) (الغي) •

Baali, F., "The Southern Bedwines of Iraq", a thesis of M.A. submitted to the University of Kansas in 1957, P. 26.

الأكراد يتركون بعض ممتلكاتهم مع اقربائهم الذين يستقرون بشكل دائم في مراتعهم الشتوية بينما يحمل البدو العرب جميع ممتلكاتهم معهم أثناء تجوالهم . وهناك فرق آخر بينهما يتمثل بمزاولة الرعاة الأكراد للزراعة في مراتعهم الصيفية ، وان كانت على نطاق ضيق ، بينما يمتنع البدو العرب عن الزراعة امتناعا كليا ، بل ويحتقرون الاقوام التي تمتعها . وهكذا فقد يبدو مفهوما التطور السريع الذي شهده الرعاة الأكراد نحو الاستقرار .

تطور الأكراد الرحل نحو الاستقرار :

لقد اخذ ميل الأكراد الرحل نحو الاستقرار ، والذي تميزه العوامل الجغرافية والبشرية ، يتوضح منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وأثمر حتى اوائل الثلاثينات من هذا القرن ، فانخفض عدد الرعاة الرحل في كردستان العراق انخفاضاً عظيماً . ولم يتبق من العشائر الكردية المترحلة في الوقت الحاضر سوى عدد قليل ابرزها اجزاء من عشيرة الهركي في لواء اربيل وعشيرة السورجي في لوائي الموصل وأربيل وعشيرة آكو في لواء السليمانية . اما العشائر الاخرى فهي اما ان تكون قد استقرت نهائياً او انها في طريقها الى الاستقرار (شبه رحل) . ولقد ادرج مارك سايكس Sykes اسماً عدد من عشائر لواء السليمانية في اوائل هذا القرن باعتبارها عشائر مترحلة ، وقد اشتمل جدولته على العشائر التالية :

الجدول رقم (٢٤)

عشائر لواء السليمانية (٥)

العشيرة	أقسامها	عددنا	طريقة حياتها
هوراماني	هوراماني ، تاخت ، اوهوراماني ،	٤٠٠٠ عائلة	مستقرة
ميريواني	لاهور	١٢٢٥	=

5. Sykes, Mark, "The Kurdish tribes of the Ottoman Empire", Jour. Roy. Anthr. Inst., vol., 8, London 1908.

« تابع »

طريقة حينها	عددها	اقسامها	العشيرة
رحل	۳۰۰	-	شنجيني
=	۸۰۰	هاروني	ابجاف
=	۲۰۰۰	عز نزي ميكنلي	
=	۱۵۰۰	اسماعيلی	
=	۵۰۰	برخاي	
=	۳۰۰	ساداني	
=	۲۵۰	باداغي	
=	۳۰۰	باشكي	
=	۴۰۰	أمالا	
=	۵۰۰	يوسف حاني	
=	۵۰۰	كمالي	
=	۹۰۰	يزدان بخنق	
=	۲۰۰۰	جلالي	
=	۵۰	بشت ماله	
=	۲۰۰	بيسماري	
=	۲۰۰	يارو نزي	
=	۱۰۰۰	شيخ اسماعيلي	
=	۳۰۰	عيسايي	
غاليتهم مستقرون	۱۰۰۰	ريشو بوري	
=	۱۸۰۰	شاطري	
مستقرون	۱۵۰	نورالي	
=	۲۰۰	تاوغو نزي	
=	۶۰	صوفياوند	

بالرغم من ان بشدر قد ذكرت مع القبائل المرحلة الا ان غالبية اعضائها قد أصبحوا مستقرين • وقد قدر التقرير عدد السكان الرحل في اللواء بحوالي ٤.٠٠٠٠ نسمة • وفي عام ١٩٣٠ ، اى بعد مضي عشرة أعوام ، قدر دوسون Dawson السكان الرحل في اللواء بحوالى ١٥٠٠٠ نسمة فقط (٧) •

ولم يتبق في الوقت الحاضر من العشائر الرحل سوى افخاذ صغيرة ، وهى تمارس حياة شبه مستقرة • وبالرغم من عدم توفر الاحصاءات الرسمية اتى توضيح اعداد العشائر الرحل ، الا ان من المحتمل الا يتجاوز عددهم في الوقت الحاضر ثلث الرقم الذى اوردته دوسون أو ربما اقل بكثير •

ولقد وصف تقرير لعصبة الأمم عملية تحول العشائر الكردية المرحلة نحو الاستقرار على النحو التالى :

(تقوم العشائر الرحل بشراء الارض في مناطق مراعيها الشستوية والصيفية • فمع ان العشائر الرحالة تعتص بمراعى ثابتة تقريبا ، أى ان تلك المراعى تشتمل على بقاع محددة تحديدا تقريبا ، الا ان ملكيتها لا تعود الى العشيرة باضرورة بل تقوم باستئجارها من مالكيها الحقيقيين • وقد تعود ملكية تلك المراعى في بعض الاحيان الى رئيس العشيرة نفسه • ان هذه العملية تشجع على تحول جزء من تلك العشائر التى تتبع سنة التطور الى الاستقرار ، بينما تبقى جزؤها الآخر مترحلا • ويمضى الجزء المرحل فصل الشتاء فى اراضى الجزء المستقر من العشيرة • وقد تنحول بعض العشائر المرحلة بأجمعها الى الاستقرار فى مناطق معينة • وفى بعض الحالات يستقر جزء من العشيرة فى المراع الشتوية ، بينما يستقر الجزء الآخر منها فى المراع الصيفية • ثم يبدأ الجزء المرحل من العشيرة بالاضمحلال تدريجيا بمرور الوقت حتى

7. Dawson, Sir Ernest, "Inquiry into land tenure and related questions", 1932, P. 112.

يقتصر عدده على اسر معدودة لا يمكن ان تعتبر ممثلة للعشيرة • ويحافظ افراد تلك الاسر على حرفتهم الاصلية اى حرفة الرعى ، فيتولون مهمة رعى حيوانات العشيرة ثم يوسعون نطاق عملهم برعى حيوانات سكان القرى فى مراع العشيرة الشتوية او فى المناطق المجاورة • واخيرا يتولى هؤلاء الرعاة رعى حيوانات الملاكين الكبار المقيمين فى المدن المجاورة (٨) •

ولقد تأثر تطور الرحالة الاكراد نحو الاستقرار بموامل جغرافية وبشرية • وقد تمثل تأثير العامل الجغرافى بتوفر الارض والمياه فى المناطق الكردية مما يسر للعشائر الرحالة التحول الى الزراعة •

اما العامل البشرى فقد مارس تأثيره فى عملية التحول الى ازراعة نتيجة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية • ويمكن ان نعزو للتطور الاقتصادى الدور الرئيسى والمباثر • فمن المعلوم ان السبب الرئيسى الذى يحمل العشائرى على مزاوله حياة الترحل هو حيواناته • فاذا ما فقد تلك الحيوانات لسبب او لآخر فانه لا يجد ما يدعوه للتمسك بذلك النمط من الحياة • وهو لا يرفض الفرصة التى تتاح له للاستقرار واحتراف الزراعة • غير ان تلك الفرصة لم تكن تتيسر له فى العهود الماضية ، فقد كانت ملكية معظم اراضى اللواء تعود اما الى رؤساء العشائر عمليا او الى الدولة ، ولم يكن أى منهما بولى الزراعة ادنى اهتمام • فرؤساء العشائر لم يكن فى مصلحتهم تشجيع اتباعهم على مزاوله الزراعة اذ انها كانت تعود عليهم بربح قليل ، فى حين ان مكاسبهم من الضرائب المفروضة على حيوانات العشيرة اعظم بكثير • ولم يكن ممثلو السلطة الحكومية العشمانية يهتمون بالزراعة ايضا اسوة بما كان سائدا من اهمال عام فى جميع مرافق الدولة • لذلك كان الفرد

8. League of Nations, "The question of the frontier between Turkey and Iraq", P. 41.

العشائري المترحل يضطر الى عرض خدماته على الزراع المستقرين اذا ما
فقد حيواناته ليقوم بمهمة رعى حيواناتهم وبذلك يواصل حياته المترحلة .
ولقد اصبحت الزراعة في مطلع هذا القرن حرفة مربحة بعد ان ساد
نوع من الاستقرار السياسي واتسعت المواصلات وتوفرت التسهيلات لتصدير
الفائض الزراعي الى خارج المنطقة . وقد أثر هذا التغير على نظرة رؤساء
العشائر الى الزراعة ، واخذوا يشجعون اتباعهم على زراعة اراضي العشيرة
بمدهم بالآلات والجوب وباستثمار امكانات المياه الجوفية . وعمدت الدولة
بدورها الى توزيع جزء من الاراضي العائدة لها على الافراد العشائريين ومنحهم
حقوق ملكية بعض اراضي اللواء . وقد رحب الرعاة الذين يمتلكون عددا
قليلا من الحيوانات بهذا التغير في حياتهم ومالوا الى حياة الاستقرار والى
ممارسة الزراعة . وبمرور الزمن انضم عدد اكبر من افراد العشائر المترحلة
الى طائفة الزراع بعد ان توضحت لهم المكاسب المادية والمعنوية في حرفة
الزراعة .

وقد لعب العامل الاجتماعي دورا مهما في عملية التحول الى الزراعة
ايضا ، وقد مارس تأثيره عن طريق انحلال النظام العشائري ، فمن المعروف
ان الرعي المتنقل يقترن دائما بالتنظيم العشائري ، لان طبيعة حياة الرعاة تتطلب
مسؤولية جماعية . فضمن مراعى غنية يورط الرعاة المترجلين في صراع
دائم مع بعضهم البعض ، والاقوى هو الغالب دائما . فالمرعى الجيد اذن يتطلب
عشيرة قوية ترد كيد المنافسة . وفي الوقت ذاته فلن طبيعة حياة الراعي
ترج به في مشاكل دائمية مع الزراع المستقرين ، لما توقعه حيواناته من اضرار
بالمحاصيل الزراعية . فاذا لم يضمن حماية العشيرة تعرض هو وحيواناته
لانتقام الزراع . وينطبق هذا الكلام على رعاة كردستان بشكل خاص ورعاة
الجبيل بشكل عام . وفضلا عن ذلك فلن الراعي الكردي انسان بسيط ومادج ،

وهو عاجز عن مراجعة السلطات الحكومية فى شؤونه الخاصة • كما انه عاجز ايضا عن عقد الصفقات التجارية مع التجار • ولذلك فهو يفضل ان يسلم مقاليد اموره الى رئيس العشيرة الذى يتولى بدوره حماية مصالحه •

غير ان توطد السلطة الحكومية فى مواطن العشائر وفرض هيبة القبول قد اضعف من حاجة الفرد الى حماية العشيرة ، وبالتالى اضعف من التصاقه بها • ومما زاد فى هذا الضعف سلوك رؤساء العشائر انفسهم • فقد وهنت روحهم العشائرية وضعفت مقدرتهم على الارتحال ، فمالوا الى الاستقرار فى المدن الكبيرة والى العيش فى منازل مشيدة من الحجر • بل لقد غالى البعض فى اهماله لعشيرته فاخذ يتعاون مع التجار ومع ممثلى السلطات الحكومية ضد مصالح افراد عشيرته • ولقد ساهم هذا السلوك مساهمة فعالة فى انحلال العشائر وتشتت اجزاها واستقلالها فى بعض الاحيان استقلالاً تاماً عن العشيرة الام •

ان ضعف الارتباطات العشائرية من جهة ، وتوطد السلطة الحكومية من جهة اخرى ، شجع الرعاة العشائريين على الاستقرار ومزاولة الزراعة • وحيثما ارتبط العشائري بالارض ، تضاعف ولاؤه للعشيرة وغلب عليه مصالحه فى الارض •

ويتحمل العامل السياسى مسؤولية كبيرة فى تشجيع الرعاة المرحلين على الاستقرار • وقد استمد هذا العامل فعاليته من طبيعة الحياة الاقتصادية للنظام الرعوى • فالرعاة مضطرون الى التنقل من مكان الى اخر وراء قطعانهم بحثاً عن الكلاء ولا يعترف الرعاة بالحدود السياسية بين الدول المتجاورة ، لا سيما اذا كانت مراعيهم ممتدة عبر الدولتين • وكان هذا شأن الرعاة الاكراد فى كردستان العراق • فقد كانت معظم العشائر تمتلك مراعى تقع ضمن حدود الدولتين العثمانية والبرانية • وقد اعتادت تلك العشائر عبور الحدود بين

الدولتين أثناء هجراتها انفصلية دون اكتراث ، لاعتبارات السياسية x (٩) .
وكانت كل من الدولتين تغض الطرف عن تحركات تلك العشائر ، الا في
حالة قيام الحرب بينهما . والواقع ان معاهدة تخطيط الحدود التركية
الايرانية لعام ١٩١٣ اشتملت على فقرات خاصة لتنظيم تحركات العشائر
الكردية المترحلة والتي نصت على ما يلي :

« من الواضح ان العشائر التركية التي اعدت قضاء الصييف في هذه
الادوية عند منابع نهر ددر Gadyr ولا فن Lavene سوف يستمرون
على استخدام هذه المراعى كما اعتادوا ان يفعلوا ذلك من قبل ، (١٠) .

وقد ازداد اهتمام كل من الدولتين بخط الحدود بينهما في بداية هذا
امرن ، وبدأ يحدثان من التحركات العشائرية . وقد ازداد الامر تعقيدا
في نهاية الحرب العالمية الاولى بظهور دولة العراق الجديدة التي ضمت

x (٩) فقد علق بورتر Porter على نظرة العشائر الكردية الى
الحكومين العثمانية والايرانية في اوائل القرن التاسع عشر بهذه الكلمات :
(بالرغم من ان كلا من ايران وتركيا بزعمان في الوقت الحاضر السيطرة
على ولايات واسعة يسكنها هذا الشعب ، فان هذا الزعم ما هو سوى ادعاء
باطل . فالاكراذ الذين يقيمون على جانبي حدود كلا الدولتين ليسوا رعية
لاى منهما في الحقيقة بل هم حلفاء لهما ، فهم يقومون باعداد قوة مسلحة
ذات عدد معين كلما دعت الضرورة لامداد جيش اى من الدولتين اللتين
يدينان لهما بالولاء . وبناء على هذا الادعاء تعتبر تركيا المقاطعات الكردية
الخمسة تبليس وعمادية وجولمرك وقلاجوالان او السليمانية جزءا من
اراضيها) -

Porter, R.K., "Travels in Georgia, Persia, Armenia and
ancient Babylonia", London 1822, vol. 11, pp. 456-7.

10. League of Nations, "The question of frontier between
Turkey and Iraq", P. 4.

الدولتين أثناء هجراتها الفصلية دون اكتراث بالاعتبارات السياسية x (٩) .
وكانت كل من الدولتين تقض الطرف عن تحركات تلك العشائر ، الا في
حالة قيام الحرب بينهما . والواقع ان معاهدة تخطيط الحدود التركية
الايرانية لعام ١٩١٣ اشتملت على فقرات خاصة لتنظيم تحركات العشائر
الكردية المرحلة والتي نصت على ما يلي :

« من الواضح ان العشائر التركية التي اعدت قضاء الصيف في هذه
الادوية عند منابع نهر آدر Gadyr ولا فن Lavene سوف يستمرون
على استخدام هذه المراعي كما اعتادوا ان يفعلوا ذلك من قبل ، (١٠) .

وقد ازداد اهتمام كل من الدولتين بخط ا حدود بينهما في بداية هذا
امر ، وبدأ يحدان من الحركات العشائرية . وقد ازداد الامر تعقيدا
في نهاية الحرب العالمية الاولى بظهور دولة اعراف الجديدة التي ضمت

x (٩) فقد علق بورتير Porter على نظرة العشائر الكردية الى
الحكومتين العثمانية والايرانية في اوائل القرن التاسع عشر بهذه الكلمات :
(بالرغم من ان كلا من ايران وتركيا نزعمان في الوقت الحاضر السيطرة
على ولايات واسعة يسكنها هذا الشعب ، فان هذا الزعم ما هو سوى ادعاء
باطل . فالاكراذ الذين يقبمون على حابي حدود كلا الدولتين ليسوا رعية
لاى منهما في الحقيقة بل هم حلفاء لهما ، وهم يقومون باعداد قوة مسلحة
ذات عدد معين كلما دعت الضرورة لامداد جيش اى من الدولتين اللتين
يدينان لهما بالولاء . وبناء على هذا الادعاء تعتبر تركيا المقاطعات الكردية
الحمس تبليس وعمادية وجولوك وقلاجـوالان او السليمانية جزءا من
اراضيها .) -

Porter, R.K, "Travels in Georgia, Persia, Armenia and
ancient Babylonia", London 1822, vol. 11, pp. 456-7.

10. League of Nations, "The question of frontier between
Turkey and Iraq", P. 4.

جزءاً من وطن الاكراد . وفي عام ١٩٣٤ اغلقت تركيا حدودها امام القبائل الكردية المرحلة وهددت بتوجيه العقاب لكل من يخالف الانظمة الجديدة . فاضطرت القبائل الكردية في شمال العراق الى هجر مراعيها الصيفية في جنوبى بحيرة وان والاستعاضة عنها بمراعى الجبال الشمالية في لوائى الموصل واربيل .

وفي حوالى عام ١٩٣٥ حذت ايران حذو تركيا واعلقت حدودها امام القبائل الرحل لجنوبى كردستان . وقد اثر هذا الاحراء تأثيراً بعيداً في قبائل لواء السليمانية ، فمعظم مراعيها الصيفية تقع ضمن الحدود الايرانية ، ولا سيما في منطقة اردلان . ولم تجد قبائل السليمانية بدا من الاكتفاء بمراعى اللواء في المشرق المرتفعة ، وخاصة مراعى هضبة بجوين . غير ان هذا الاجراء اثر على عشائر اللواء تأثيراً حوالياً ، اذ حددت حر كاتهم وقلل عدد حيواناتهم ، بالنظر لقلص مساحة المراعى . وقد اضطر عدد كبير من افراد العشائر الرعوية الى البحث عن وسائل اخرى للمعيشة . وقد واجهت قبائل البشكير مثل هذا الموقف حينما اضطرتها الحكومة الروسية الى الاستقرار وبند الترحل (١١) .

وعلى اية حال فان التخفيض في عدد العشائر الكردية المرحلة لا مرمى كليا الى عملية استقرارها فحسب بل الى ظروف اخرى ايضا . فتقرير عصبة الامم يعزو هذا الامر الى المصاعب الاقتصادية التى واجهتها العشائر المرحلة والى النكبات التى اصابتها اثناء الحرب الكبرى الاولى من خلال القتل والمجاعة والابوة . وقد ساهمت الظروف الجوية المعاكسة ايضا في القضاء على عدد كبير من حيوانات العشائر . كذلك خلق تبلور دولة العراق الحديث في أعقاب

11. Haddon, A C., "The influence of natural condition", Geog. Teach., No. 9, 1917-18, P. 289.

الحرب الكبرى الاولى مصاعب جديدة للعشائر الكردية المرحلة نتيجة لسيادة
انقانون وانظام وم صاحب ذلك من توسع الرقعة الزراعية فى الاراضى
الكردية •

وعلى اية حال ، فما دامت الحياة المرحلة تخلق للاقوام الرعاة مشقات
عظيمة ، فقد بات من الضروري اعداد خطة مدروسة للاسراع فى توطينهم •
ولا بد لتلك الخطة ان تجعل الاستقرار اكثر جاذبية لاولئك الرعاة المرحلين •
وقد تكون الخطة مغرية لهم فيما لو بنى اقتصادهم على الزراعة وتربية
الحيوانات فى آن واحد ، وفيما لو تهيأ لهم الاحتفاظ بعدد صخيم من الحيوانات •
فالترحل ، على اية حال ، ليس عادة عريضة من الصعب قهرها كما يزعم
بعض الكتاب ، غير ان التحول من الترحل الى الاستقرار يقتضى مرحلة
انتقالية • فاذا ما تمت السيطرة على البيئة الجغرافية ، بدرجة تضمن للرعاة
مراعى دائمة فى منطقة معينة ، فاهم حينئذ لن يضطروا الى الهجرة من مكان
الى آخر • والواقع ان اجتذاب الرعاة الاكراد الى الاستقرار لن يواجه
صعوبة كبيرة نظرا لانهم يتبعون كل عام نفس الطرق ويقصدون نفس
المراعى ، وهم يزاولون بذلك حياة مشابهة لحياة الزراع المستقرين من
وجوه عديدة • وفى اثناء ذلك لابد من بذل عناية اكبر للرعاة وذلك بالمحافظة
على مراعيهم وتحسين احوالها ، وبتموينهم بموارد كافية للمياه لكل من
الانسان والحيوان ، وبناء مراكز لايوائهم على طول طرق هجراتهم •

ان عملية تحول الرعاة المرحلين فى لواء السليمانية قد ادت الى خلق
مجموعات ضخمة من شبه المرحلين الذين يمارسون الزراعة وتربية الحيوانات
فى آن واحد • وبما ان حياة اشباه المرحلين تمثل تطورا نحو الاستقرار ،
لذلك تميزت بسمات اجتماعية واقتصادية هى مزيج من سمة الرعاة والزراع •
ويمكن ان تلخص ابرز الفروق فى حياة الرعاة المرحلين والرعاة شبه
المرحلين فى النقاط التالية :

١ - تصنف التنظيم الاجتماعى للرعاة المترحّلين بالسّمات العشائرية المحضّة ، وسود روح العشيرة وقوانينها بين أفراد المجموعة الرعوية سيادة مطلقة •
اما التنظيم الاجتماعى لشبه المترحّلين فهو تنظيم عشائرى مائع ومتفكك ، ويتميز بزيادة استقلال الاسرة والقرية تجاه نفوذ العشيرة ، وبضعف الروابط والالتزامات العشائرية ، وبالتحلال نظام الرئاسة العشائرى •

٢ - يعتمد اقتصاد الرعاة المترحّلين بدرجة رئيسية على تربية الحيوانات •
اما شبه الرحل فيقرب نظامهم الاقتصادى من نظام الزراعة المختلطة ، فهم يعتمدون على الزراعة وتربية الحيوان بنفس الدرجة •

٣ - تمثل الخيمة النموذج الوحيد للبيت الرعوى ، اما شبه الرعاة فيمتلكون بيوتا شتوية ثابتة بالإضافة الى خيامهم الصيفية •

٤ - يمارس الرعاة المترحّلون حياة بسيطة للغاية ، اما شبه الرحل فيظهرون ميلا نحو الرفعية والوسائل الحديثة •

٥ - وهناك فرفاخير بين الرحل وأشباه الرحل تتعلق بموعد رحلتهم الصيفية •
فالمترحّلون يبدؤون رحلتهم الصيفية فى اواخر الربيع ، بينما يبدأ شبه الرحل رحلتهم الصيفية فى اواخر شهر حزيران بعد ان يفرغوا من حصاد غلاتهم الشتوية بينما يكون رعاتهم قد سبقوهم فى شهر مايس ، وهم يعودون الى مرابعهم الشتوية فى اوائل الخريف ليستعدوا لزراعة الشتوية ويلتحق بهم رعاتهم فيما بعد ، بينما يعود المترحّلون فى اوائل الشتاء •

اقتصاد الرعاة (*)

يعتمد اقتصاد المجموعات الرعوية فى اللواء على الزراعة والرعى •

(*) ان الحديث عن المجموعات المترحّلة فى الصفحات التالية يشمل كلا من الاقوام المترحّلة وشبه المترحّلة ، فليس هناك سوى فروق ضئيلة فى نظامهما الاقتصادى وبنائهما الاجتماعى وطريقة حياتهما •

وتمتلك كل مجموعة من المجموعات الرعوية موطئا شتويا يطلق عليه اسم « گرميان » (الشنى) ، وتضى فيه حوالى سبعة أشهر • وتعود ملكية اراضى هذه المواطن اما الى رئيس العشيرة او الى ملاكى المدن • وتنصرف كل عائلة خلال فصل الشتاء الى ازراعة وتربية الحيوان • ويتخصص بعض افراد العائلة او المجموعة برعى الحيوانات فى المراعى الشتوية ، بينما ينصرف بقيتهم الى حراثة الارض واعدادها لزراعة القمح واشعير والذرة ، وعند حلول الربيع تعد حقول الزراعة الصيفية للموسم التالى • وما ان ينتهى الحصاد حتى تكون الهجرة الصيفية نحو اماطق المرتفعة (كوستن) قد بدأت • وتعود ملكية اراضى المراعى الصيفية اما الى العشيرة بمجموعها او الى مالك اجنبى تقوم العشيرة متضامنة باستئجار الارض منه • وبالرغم من ان حقوق المرعى محترمة من قبل العشائر ومن السلطات الحكومية ، الا انها كثيرا ما اثارت النزاعات بين العشائر فى العهود الماضية • وكادت السلطة الشمانية تستخدم حقوق المرعى العشائرية وسيلة لبث المارقة والنزاع بين العشائر المختلفة لتنفيذ من خلال ذلك الى السيطرة عليها •

وعند بدء الهجرة الصيفية الى مناطق (الكوسنيان) يختلف بعض افراد الاسر المرحلة فى اراضى المراعى اشنوية (لگرميان) يتولوا زراعة المحاصيل الصيفية • اما الاسر التى لا يسمح عدد افرادها بالانقسام فلا تشترك فى الهجرة الصيفية بل تستأجر خدمات احد رعاة العشيرة وتأمينه على حيواناتها، وتنصرف الى الزراعة الصيفية • واذا كانت الاسرة متمسكة بتقاليدها الرعوية وتمتلك عددا عظيما من الحيوانات اشتركت بكليتها فى الهجرة الصيفية •

وينصرف افراد المجموعات المرحلة فى مناطق (الكوستيان) كليا تقريبا الى الرعى ، ولا يمارسون الزراعة الا فى نطاق محدود جدا • فقد تسزرع مساحات صغيرة بالتبغ ، كما قد تحرث بعض الحقول الصالحة وتبذر فيها

الجبوب الشتوية لبتم حصادها اثناء الهجرة الصيفية المقبلة • ومن الجسددير بالذكر ان اختيار المراعى الصيفية (مواطن الكوستيان) يتوقف على درجة ثرائها بالمراعى ، بينما يعتمد اختيار المراعى الشتوية (مراعى الكرمين) على درجة توفر الاراضى الصالحة للزراعة •

وتحتل الاعمى والماعز مكانة الاولى بين حيوانات الرعة ، بينما تنسى الابقار بالدرجة الثانية • ولا تقتنى الخيول الا لاغراض شخصية ، ويندر ان تدخل فى التجارة ، وكلما زاد عددها ارتفعت مكانة الفرد العشائرى • وتقتنى الحمير والبغال باعداد كبيرة وتستخدم لحمل الاثقال • وقد تصل ثروة الفرد العشائرى الى بضعة مئات من الاعمى والماعز ، والى بضعة عشرات من الابقار • غير ان ثروة الفرد العشائرى الفقير لا تتجاوز بضعة عشرات من الاعمى والماعز وعدد قليل من الابقار • ويتوقف عدد حيوانات الغنمة ، على أبة حال ، على اتساع مراعيها وراثتها •

وتلعب الاعمى والماعز دورا رئيسيا فى اقتصاد الرعة ، وهى تعود على العشائرى بمكسب متنوعة • فهو يستثمرها قبل كل شىء كتحارة حية • وهو يستغل منتجاتها من اصواف والبان فى الصناعات الرعوية • وتعتمد صناعة الاجبان والسمن - وهما يؤلفان موادا اساسية فى التجارة الرعوية - على حليب الماعز بالدرجة الاولى • وتصنع الخيمة البدوية من شعر الماعز • وهناك صناعات رعوية اخرى يستهلك معظمها محليا كالسجاجيد والجوارب والملابس الداخلية ، وهى تقوم على اصواف الاعمى وشعر الماعز • وتولى المرأة بشكل رئيسى القيام بتلك الصناعات •

يتضح اذن بان تجارة الرعاة لا تقتصر على الحيوانات الحية فحسب ، بل تشمل ايضا صناعات بيتية متنوعة • غير ان الحيوانات تمثل عماد الاقتصاد من وجهة النظر التجارية • وتتخذ تجارة الحيوانات الحية طريقة الصفقات

التي تعقد بين رئيس المجموعة الرعوية وتجار المدن • اما الفرد العشائري فلا يحرأ على مواجهة ناجر المدينة بنفسه لئلا يقع في حباله • وتتولى النساء المتاجرة بمنتجات الحيوانات ، ويحملن تجارتهم الى القرى الكبيرة او المدن القريبة من المخيم ويقمن سوقا مؤقتة • وتقام تلك الاسواق اثناء المكوث في المراح الشتوية (الكرمان) •

البناء الاجتماعي للرعاة

يعتمد البناء الاجتماعي للرعاة النظام العشائري اساسا له • وقد اوضحنا حاجة الرعوى الملحة الى قوة جماعية تضمن له المرعى الجيد وتحميه من اعتداءات العشائر والمجموعات الرعوية الاخرى • وارثسة في هذا النظام هي رئاسة فردية ، وهي وراثية في العادة ، وان كانت الصفات الشخصية ذات قيمة خاصة • ويتمتع الرئيس العشائري بسلطات واسعة تكفل له السيطرة على شؤون العشيرة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، كما تكفل له ايضا مرانا اقتصادية عظيمة • ويستعين الرئيس في ادارته لشؤون العشيرة بمجلس يتألف من شيوخ يطلق عليهم اسم « الاختيارية » ، وتقتصر وظيفة هذا المجلس على الاستشارة وتقديم النصح ، فسلطات الرئيس مطلقة وهو غير ملزم بتنفيذ نصائح المجلس • ويمكن القول عموما بان النظام العشائري الكردي لم يطور سمات خاصة متميزة شأن النظام القبلي العربي (x) •

ويتصف الكردي المترحل بالنزاهة ، وهو يمثل بساطة الطبيعة ، ويميل الى الارتياح بالغرباء وهو أمر طبيعي فهو هدف دائم لهجوم مفاحي في أي وقت • وقد غرست فيه طريقة حياته الصبر والجلد وتحمل الجوع والعطش والتعب ، فالركوب الطويل والهجرة المتصلة جزءا اساسيا من حياته اليومية •

(x) سنأتي على شرح النظام العشائري الكردي بالتفصيل في موضع آخر من الكتاب •



عائلة كردية شبه مترحلة



خيمة الاكراد شبه الرحل

وتمتع الرجل الكردي اشرحل بسلطة مطلقة ضمن اطار عائلته، وهي ليست مثار
نقاش او جدل • ويميل الى تعدد الزوجات لضرورات اقتصادية واجتماعية،
الا ان تكاليف المهر تضطره في الغالب الى الافناع بزوجه واحدة ، وتقتصر
وظيفته على حراسة الحيوانات •

اما المرأة الكردية المترحلة فهي رصيد عظيم للحياة الرعوية • فهي
شبيطة موفورة الصحة وذات خلق عال • ويعتمد هنسكون Hunington
بحق بان صفات وخلق المرأة المترحلة في الشعوب المسلمة هي ادوى واسمى
من صفات وخلق المرأة لدى الاقوام المستقرة • وبمزو هذه الماهرة الى
ابئة الطبيعة للاقوام امترجلين ، حيث تضطر المرأة الى العمل والعيش حسب
الى جنب مع الرجل ، مما يضطرها الى الاعتماد على نفسها والى اخذ زمام
المبادرة ، وقد طور ذلك شخصيتها واكسبها الاستقلال والقوة (١٢) •

وتتصف حياة الاسرة المترحلة على العموم ببساطة متناهية ، وهي نتيجة
منطقية لطريقة حياتها • فافرادها يستمدون طعامهم الرئيسي من منتجات
حيواناتهم ، لا سيما الماعز والابقار التي تمويهم بالحليب والزبدة والجبنه
والبن الخفض • ويساهم القمح ايضا مساهمة فعالة في غذائهم ، اذ يصنعون
منه الخبز ، كما يصنعون منه نوعا شائعا من الاطعمة يطبق عليه اسم (بالو) •
اما اللحوم فلا يتناولونها الا في المناسبات ، فالحيوانات اساس ثروتهم ولا
يجوز التفريط فيها •

وتعتمد ملابس الرعاة على الحيوانات ايضا ، وهي مكيمة للبيئة الطبيعية
تكيفا تاما من حيث المادة والطرز • فهي تشتمل على ثوب طويل عريض
وسترة من الشعر وعمامة صغيرة • وتشابه ملابس الرجال والنساء في هيئتها،
غير ان عمامة المرأة اكبر حجما واكثر بهرجة •

12. Huntington, E. "The pulse of Asia", 1907. P. 125.

وترتبط عادات الاكراد الرحل بحياتهم غير المستقرة • فالضيافة مثلاً سمة بارزة من سمات حياتهم، وهي صفة لها دلالتها في بيئهم القاسية المنعزلة • فالضييف يهيىء افرصة لتدعيم مكانة الرجل المترحّل ، كما انه في الوقت ذاته واسطة لتقلّ اخبار العالم الخارجى اليه •

وترتبط احتفالاتهم ايضاً بطبيعة حياتهم الرعوية • ومن امثلة ذلك الاحتفال الذى يطلق عليه اسم (شره بران) ، ويتم في المرحلة النهائية من الهجرة اقصية ، لا سيما الهجرة الصيفية بالذات • فبعد الفراغ من اقامة المخيم الصيفى في معقده (الكوستين) يذبح عدد كبير من حيوانات العشيرة وتوزع لحومها على الفقراء من افراد العشيرة (١٣) •

مسيرة وتخييم الرحل

لقد سبق ان وصفنا هجرة الرعاة الاكراد بأنها نوع من الانتقال الفصلى يتحكم فيه المناخ • فالرعاة الاكراد شأنهم شأن الكثيرين من المجموعات الرعوية الجبلية ، مضطرون الى تغيير موطن اقامتهم مرتين في العام على الاقل ، فهم يرتقون المناطق المرتفعة في الصيف ويهبطون الى السهول المنخفضة والاوادية المحمية في الشتاء • ومع ان خط الثلج الدائم يتحكم بهذه الحركة بشكل رئيسى ، فان توفر المراعى ونوعيتها يلعب دوراً فعالاً ايضاً • وهناك من يعتقد بان هذه الحركة لا يمكن اعتبارها ترحلاً حقيقياً ما دامت المجموعات المترحلة تعود في كل حين الى نفس مواضعها او الى الاماكن المجاورة مهما بعد بها المطاف (١٤) • وهذا القول صحيح الى حد كبير ، غير ان السمة الرئيسية

13. Nikitine, Basile, "Le Kurdes", Paris 1956, P. 53.

14. Hoover, J.W., "Navago nomadism". Geog. Rev., vol: XX1: No. 3, 1939, P. 439.

للحياة المترحلة ، ونعني بها عدم الاستقرار ، هي ايضا اصفة الرئيسية في حياة هذه المجموعة الرعوية •

ان بدء الهجرة بتقرر من قبل الرئيس ومجلس الاختيرية في العشيرة ، بالرغم من ان موعد الهجرة موقت توقيتا قد حدد سلفا حسب فصول السنة • وبما ان كل مجموعة من المجموعات الرعوية تنتمي الى عشيرة معينة ، فان كلا منها يتبع قرار عشيرتها الخاصة ببدء المسيرة • وتقرر العشيرة في العادة بدء مسيرتها في يوم معين ، الا ان المجموعات العائلية تصل الى مراتب الصيفية في مواقيت مختلفة حسب المسالك التي اتخذتها وحسب عددها وسرعتها في المسيرة • وتتخذ هجرة الرعاة الاكراد مظاهر تنظيمية معينة • اذ يسير جميع افراد الاسرة على اقدامهم • وتدرع الرجال ببادقهم ويتمنقون بأسلحتهم ، بينما تحمل النساء صغارهن على ظهورهن • اما الاطفال والشيوخ فيمتطون ظهور الحيوانات ، وتحمل البغال والحمير الامتعة التي تتألف من الخيم والافرشة وبعض الحاجيات اليومية الضرورية • وترك الحاجيات الثقيلة ، ومنها الخيمة الشتوية ، في حراسة الاقرباء او المعارف المستقرين من ابناء العشيرة نفسها لتكون احمال الحيوانات خفيفة قدر الامكان • وتنتشر قطعان الحيوانات على منحدرات التلال تحت حراسة الرعاة •

وتتم الرحلة بين المناطق الشتوية والاربع الصيفية في مراحل متعددة ، وتستغرق كل مرحلة منها بضع ساعات • ويبدأ السير في العادة منذ الصباح المكر حوالى الفجر ، ويتوقف عند الظهر ، ثم يستأنف ثانية حال غياب الشمس ، لا سيما في الليالي القمرية • ولا تنصب الخيام اثناء المسيرة ، بل يلتف كل فرد بما لديه من ملابس وافرشة وينام تحت قبة السماء ، اللهم الا اذا استقر الركب في موضع ما بضعة ايام •

ومن الجدير بالذكر ان مسيرة الرعاة الاكراد لا تخضع لنظام

معين كذلك الذي يتمثل في مسيرة البدو العرب (x) (١٥) •

وكانت مسيرة الرعاة الاكراد تخلق لهم وللمزارعين متاعب حمة • بل ان موعد ارتحالهم من الاوقات التي كان المزارعون يحسبون له ألف حساب • وقد وصف ديكسون Dickson احوال العلاحين الاكراد في تلك الاوقات بقوله : (ان موعد ارتحال الرعاة الاكراد هو وقت عصيب لكل انسان في القرية • فالنساء يسكنن في بيوتهن المغلقة الابواب ، اما الرجال فيتوزعون حول البيوت وفي النقاط الاستراتيجية وهم يحملون بنادقهم وكل منهم في حالة انفعال ونأهب ، وكثيرا ما ينبعث سيل من الاطلاقات المتقطعة المختلطة) (١٦) •

x (١٥) لقد وصف الرحالة بوركهارت Burkhardt في منتصف القرن الماضي مسيرة البدو العرب (عشيرة عنزة) على النحو التالي ، وما يزال وصفه ينطبق على الوقت الحاضر الى حد كبير : (يتقدم العشيرة المهاجرة كوكبة من الفرسان تتألف من خمسة او ستة اشخاص على بعد حوالي سبعة اميال تقوم بدور الاستطلاع • ويتألف الجزء الرئيسي من العشيرة المهاجرة من خط يتقدم العشيرة بحوالي ثلاثة اميال على الاقل • ويشتمل هذا الخط على عدد من الرجال المسلحين ومن راكبي الجمال يبعد كل منهم عن الاخر بحوالي مائة او مائة وخمسين خطوة وينتشرون على امتداد الخط الامامي بأكمله • وينبع هذا الخط صفوف عريضة تتألف من النوق وصفارها وهي ترعى ما تصادفه من اعشاب واشواك • ويلبي صفوف النوق الجمال المحملة بالاروبة والحيام ، ثم الجمال ذات الهودج التي يمتطيها النساء والاطفال ، وينتشر الرجال في غير نظام بين تلك الصفوف بأجمعها ، ويحاول اغلبهم ان يسير في مقدمة الصفوف • ويتولى بعض الرجال قيادة الخيول من مقاوردها وقلما يمتطونها • ويمكن ان يقدر طول الموكب الذي تكونه امثال هذه العشائر المترحلة بما لا يقل عن ميلين ونصف •)

Burkhardt, J.L., "Notes on Bedwins and Wahabys tribes", London 1831, P. 35.

16. Dickson. B. "Journey in Kurdistan". Geographical Journal. vol. 35, 1910, P. 374.

والواقع ان الرعاة الاكراد لم يكونوا يعبؤون فى الماضى بما يحدث بينهم وبين المزارعين من صدام فقد كانوا يعلمون انهم الاقوى دائماً ، وان المزارعين سيسكنون على مضض مهما سببت حيواناتهم للمزارع من اضرار . لهذا فقد شاع فى منطقة ترحل قبيلة الجاف المثل القائل (حول ررعتك عن الطريق) . فحينما كان الفلاحون والمزارعون يشتكون الى امرأ الجاف ما يسببه افراد عشيرتهم من اضرار لمزارعهم كانوا يردون عليهم بهذه القول . اما اليوم ، وبعد ان تواجدت سلطة الحكومة فى مختلف جهات كردستان واصبح الملاكون اشد بأساً وقوة ، كما ان القبائل الرحالة قد ضعف شأنها وتناقص افرادها واقصر المهاجرون منها على اعداد قليلة ، فقد اخذ الرعاة الاكراد يتجنبون المزارع متخذين طرقهم بعيدا عن الحقل . وسرعان ما من محاولاتهم تجنب الاحتكاك بالمزارعين فان تعذر السيطرة على حيواناتهم لابد وان يؤدى الى الاضرار بالمزارع وبالتالي الى خلق المشاكل بينهم وبين المزارع . وكانت هذه النقطة من جملة العوامل التى اضطرت عددا كبيرا منهم الى الافلاخ عن حياة الارتحال والاستقرار فى الارض منى ما توفرت الفرصة لذلك .

وتقع مسؤولية نصب المخيم ورفعته لدى الرعاة الاكراد على عاتق النساء . ولقد وصفت المسز بيشوب Bishop عملية نصب المخيم على النحو التالى :

(حينما تصل العشيرة الكردية المرحلة الى مرابعها فى الصباح المبكر او بعد الظهر تهيأ الامور بنظام تام . ويوضع الاطفال قبل كل شئ فى مهادهم بينما يتعهد الرجال تنظيف الارض اذا ما اقتضت الحال . ثم يدقون اوتساد الخيم ويرفعون اعمدها ، واذا ما توفرت الاشجار اقاموا سياجا من الاغصان حول المخيم . ثم تتولى النساء الاعمال البقية التى تمثل فى الواقع الواجبات الرئيسية فى نصب المخيم ، بينما ينصرف الرجال الى التدخين والثرثرة .

وتحتل الخيم نفس مواضعها السبية ، أكان المخيم على شكل صفوف او نصف دائرة او شوارع متقاطعة لتستطيع الحيوانات التعرف على مواضع اصحابها بدون قيادتها •

وتستخرج الخيام المصنوعة من شعر الماعز ، ويقوم النساء بتنظيفها ثم بشرها على الاعمدة ، ويكررن تنظيفها من الداخل قبل تثبيتها على الاوتاد • وتنصب حواجز من القصب فى الخيام الكبيرة لتقسمها الى عدة اقسام ، بينما تقوم بعض العشائر بنصب سياج من القصب حول المخيم بإجمعه ولا يترك سوى مدخل واحد ، وتستخدم الارض التى يضمها السياج حظيرة للحيوانات • وتجمع الاغصان الصغيرة لاستخدامها وقودا • وينصرف النساء الى احضار المياه بينما يتولى الاولاد العناية بقطعان الحيوانات (١٧) • ومع ان هذا الوصف قد سجل لمخيم عشيرة رحالة من عشائر القرن الماضى لكنه لا يزال ينطبق على مخيمات العشائر الكردية الحالية (x) (١٨) •

17. Mrs. Bishop, J., "Journey in Persia and Kurdistan", London 1891, vol. 1, P. 371-75.

x (١٨) نفذ وصف بوركهاردت في منتصف القرن الماضى عملية تخييم عشيرة عنزة العربية على النحو التالى :

« يختلف المخيم عادة في عدد خيامه ، وتتراوح بين عشرة الى ثمانمائة خيمة • فاذا كان عدد الخيام قليلا نصبت على شكل دائرة واطلق عليها اسم «دوار» • واذا كان عددها كبيرا نصبت على شكل خطوط مستقيمة او على شكل صف من الخيام ، لا سيما اذا اقيم المخيم على ضفاف جدول ، وقد تمتد بعض الاحيان ثلاثة او اربعة صفوف وراء بعضها البعض ويطلق على مثل هذا النوع من المخيم اسم (نزل) • وحينما يتوفر الكلا والماء في فصل الشتاء فان شكل المعسكر يختلف عما وصفناه • اذ تنتشر العشيرة على امتداد السهل في مجموعات تتألف من ثلاثة او اربعة خيام ، وتبعد كل مجموعة عن الاخرى بمسيرة نصف ساعة • ويطلق على مثل هذا النوع من المخيم اسم (فريق) » •

Burkhardt, op. cit., P. 33, vol. 1.

ويتألف المخيم الكردي من عدد من المجموعات العائلية التي تربط بينها رابطة القرابة ، وفي بعض الأحيان تمثل أسرة واسعة Extensive Family وتشارك تلك المجموعات العائلية في حقوق المرعى ، كما انها قد تقوم بأجير عدد من اراعة بصورة مشتركة • ويتزعم المخيم عادة رجل متقدم في السن ذو مكانة اجتماعية عالية وذو مقدرة اقتصادية متميزة ، وربما كان رب الاسرة الواسعة •

ان عملية التخييم لعدد من الخيام يزيد على (٧٠) خيمة يستغرق حوالى ساعتين ، ويحدث اثناء ذلك ما يوقف العمل عدة مرات ، بينما يستغرق تقويض نفس العدد من الخيام حوالى ساعة فقط •

وتتصف الخيمة الكردية بصغر حجمها نسبيا كيما تكيف نفسها للجو البارد • وبلغ طولها حوالى ٣٥ مترا وعرضها حوالى ٢٥ مترا وارتفاعها حوالى ٢٥ مترا ايضا • وتتألف من «الدوار» وهو سقف الخيمة ويصنع من شعر الماعز ، ومن «الجيج» الذى يمثل جدران الخيمة ويصنع من القصب المربوط بخيوط من شعر الماعز ، ومن بضعة اعمدة واوتاد •

وتقسم الخيمة القياسية عادة بواسطة «الجيج» الى ثلاثة اقسام ، يستخدم الاول منها - وهو اوسمها - غرفه لجلوس والاستقبال الضيوف ، ويستخدم القسم الثانى منها للنساء والعمل المنزلى وتلحق به شرفة ، ويخصص القسم الثالث منها ، وهو الاصغر ، لخزن الاثاث والمؤونة وتلحق به شرفة ايضا لحفظ الابلان •

وتستند الخيمة الى عدد من الاعمدة الفليضة يتراوح بين ٤ الى ٦ اعمدة ، يبلغ ارتفاع كل منها حوالى ٢٥ مترا • وتشت الخيمة بحوالى ١٤ وتدًا ، تدق كل خمسة منها على جانب ، بينما شبت وتدان فى كل طرف من اطراف الخيمة • وتفتح الابواب على كلا جانبي الخيمة •

وهناك فرق واضح بين خيمة الاقوام شبه الرحل فى لواء السليمانية وخيمة الاقوام الرحل فى لوائي اربيل والموصل (دهوك) ، لا سيما حية قبائل الهركى والسورجى • فخيمة القبائل المذكورة صغيرة عموما ، ويبلغ طولها ٢٥ مترا وعرضها ٢ مترا وارتفاعها ٢ مترا ، ولا تشتمل على اية تقسيمات داخلية ، وهى تستند على عمود واحد • ويثبت غطاؤها بالارض من ثلاث جهات ، بينما تظل الجهة الرابعة مرفوعة لتكون مدخلا للخيمة • ويحول مدخل الخيمة عند الضرورة لتجنب الرياح الباردة او الشمسديدة (وهى الشمالية الغربية او الشمالية الشرقية) • وتصنع خيمة الرحل من نفس المواد السابقة الذكر •

ويمكن ان تعزى الفروق بين خيمة الرعاة الرحل فى لوائي اربيل والموصل ، وخيمة الرعاة شبه الرحل فى لواء السليمانية الى تطور شبه الرحل نحو الاستقرار ، فقد اقتربت خيمتهم من البيت الصيفى الموقت الذى يستخدمه الزراع فى فصل الصيف والذى يطلق عليه اسم «كبر» •

وهناك بعض الفروق ايضا بين الخيمة الكردية والخيمة العربية • فالخيمة الكردية هى اصغر حجما على العموم وتكاد تكون ذات شكل مستطيل ، كما ان جميع اطرافها مرفوعة الى الاعلى ، اما الخيمة العربية فهى اكبر حجما وذات شكل دائرى تقريبا ، ويربط ثلاثة من اطرافها الى الارض (x) (١٩) •

x (١٩) لقد وصف داريل فورد Daryl Ford الخيمة العربية على النحو التالى : « تصنع الخيمة العربية من عدد من الاشرطة الطويلة المصنوعة من شعر الماعز والتي يبلغ عرضها قدما ، وتشترى من نساج القرية وتخيطنها نساء الاسرة ، ويتراوح طول الاشرطة بين (١٠) الى (٤٠) ياردة ، ويعتمد عدد الاشرطة التى تؤلف غطاء الخيمة على مقدار سعة الخيمة ، غير ان من النادر ان يتجاوز طول غطاء الخيمة العادية ١٠ ياردات وعرضه =

وعلى أية حال ، فإن حجم كل من الخيمة الكردية والعربية يخضع للمكانة الاجتماعية والاقتصادية للرعى ، فخيمة الرؤساء الاكراد او العرب اكبر حجما واكثر فخامة . وقد ذكر لايارد Layards بان خيمة الرؤساء الاكراد متميزة في حجمها واثرائها بالسجاد والاثاث ، وان البعض منها قد ينقسم الى اربعة او خمسة اقسام (٢٠) . كذلك ذكر بعض الكتاب بانه بينما تشتمل خيمة البدوي العربي الفقير على عمود واحد ، بل وقد تنصب على اطراف المخيم ، فإن خيمة شيخ العشيرة قد تشتمل على اربعة او خمسة اعمدة (٢١) . وقد ذكر كتاب اخرون بان اعمدة خيمة الشيخ العربي قد تتجاوز السبعة (x) (٢٢) .

= ٤ ياردات .

ويستند عطاء الخيمة الى ثلاثة او اربعة ازواج من الاعمدة ، ويرتبط بحبل طويل منن يشد عند شر عطاء الخيمة وتثبيت الاعمدة في مواضعها . ويمكن تغيير مدخل الخيمة بسهولة لاستقبال النساء الباردة او لاتقاء عواصف الرمال ، وذلك بتغيير الاعمدة ونقل الشريط الخلفي الى الجانب الاخر . وفي الايام الباردة يمكن علق الحبة بوضع اشرطة اضافية مصنوعة من شعر الماعز .

Ford, C. Daryl, "Habitat, economy and society" London 1956, (11th. ed.) PP. 314-18.

20. Layards, Sir Austin Henry, "Discoveries in ruins of Nineveh and Babylon, with travels in Armenia, Kurdistan, etc." London 1853, P. 310.

(٢١) « البدو والقبائل الرحالة » لكي الجميل ، بغداد ١٩٥٦ ،

ص ٩٣ .

x (٢٢) ذكر عبد الجبار الراوي بان بعض الخيم قد ترفع بثلاثة اعمدة او باربعة او بخمسة او بستة او بسبعة وقد تزداد ، وان الخيم التي ترفع على اقل من ثلاثة اعمدة تسمى «مكرون» ، والتي ترفع على ثلاثة اعمدة تسمى « مثولت » وهكذا مروبوع ومخومس .

كما ذكر بان الخيم الكبيرة تقسم الى شبه غرف مستقلة بينها الحواجز المصنوعة من الشعر او القصب ، ويخصص كل قسم لغرض معين ، فواحد للضيوف والآخر للنوم والثالث للطبخ . وقد يكون الحاجز بين قسم =

واخيرا لابد من الاشارة الى الفرق بين الخيمة الصيفية والخيمة الشتوية لدى الرعاة الاكراد • فكلاهما يصنعان من نفس المواد ، الا ان نسيج الخيمة الشتوية يكون اكثر سمكا ومتانة ليقاوم الامطار والثلوج • كذلك يضاعف غطاء الخيمة لثلاث تسرب منه مياه الامطار • وتطوق الخيمة بجدار حجري يعلو حوالى نصف متر عن الارض ، كما يحاط هذا الجدار بسياج من الخج ليصد ما قد تعرض له الخيمة من سيول •

- ٢ -

الزراع

لو حاولنا تحديد رقم معين للسكان الريفيين فى لواء السليمانية ، او للسكان الريفيين فى البلاد عموما ، لجابهنا صعوبة كبيرة ، اذ يكاد يكون من المستحيل تمييز الاقوام الذين يرتبطون بحرف مدينة عن اولئك الذين يرتبطون بحرف ريفية. غير ان من الممكن ان نورد هنا تقديرا عاما على اساس عدد السكان الذين يستقون دخلهم مباشرة من العمل فى الارض • ويتوزع هؤلاء القوم على اقصية اللواء المختلفة على النحو التالى :

الجدول رقم ٢٥ (٢٣)

السكان الريفيون فى لواء السليمانية

القضاء	السكان الريفيون	مجموع السكان
السليمانية	٤٦٣٣٨	٧٩٨١٣
حلبجة	٦٦٥٣١	٧١٤٩٣

= وآخر داخل الخيمة جدارا من اكياس الذخيرة كالدقيق والرز والشعير وغسيره •

• البادية ، لعبد الجبار الراوى ، بغداد ١٩٤٩ ، ص ١٢٨ •

23. Census of Iraq, 1947. PP. 153-200.

« تابع »

القضاء	السكان الريفيون	مجموع السكان
شهر بازار	٣٨٩٩١	٣٨٩٩١
بشدر	٣٣٣٢٤	٣٦١٠٣
المجموع	١٨٤٥٤٥	٢٢٦٤٠٠

ومن الجدير بالذكر ان مجموع اسكان الريفيين في الجدول المذكور يشتمل على كل من الزراع المستقرين وشبه المترحلين • وقد وصفنا حياة الاقوام شبه الرحل في القسم السابق ، وسنخصص هذا القسم كلياً للحديث عن الزراع المستقرين • ومع ان مجموع الزراع المستقرين في الوقت الحاضر اعظم بكثير من مجموع الاقوام شبه الرحل ، الا ان هذه الكثرة لم تتحقق على ما يبدو الا في عهد حديث جداً (x) • وليس لدينا احصائيات تؤيد هذا الزعم بشكل ثابت ، الا ان مذكرات الرحالة وملاحظاتهم التي سجلوها في القرن الماضي عن جنوبي كردستان تؤكد ان غالبية السكان كانوا يعيشون في حالة غير ثابتة ، أي اما ان يكونوا رحلاً او شبه رحل • وقد نتجت تلك الحالة غير المستقرة عن عوامل طبيعية وبشرية •

فاما العوامل الطبيعية فقد لعبت دورها في تشييط الاستقرار من خلال الحاجة الى مياه الري • فبالرغم من ان الامطار الشتوية تسد حاجة الزراعة الشتوية ، الا ان الزراعة الصيفية تفتقر الى المياه الكافية مما ادى الى اقتصارها على مساحات محدودة حيثما توفرت الينابيع • وكانت تلك الينابيع عرضة للتقلبات

(x) لقد بلغ عدد السكان الريفيين في لواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٦٥ حوالي ٢٧٦٩٧٢ نسمة من مجموع سكان اللواء البالغ عددهم ٤٠٨٢٢٠ نسمة ، وتبلغ نسبتهم ٦٨٪ « احوال السكان في العراق - ص ١٠٣ »

المناحية ، وكثيرا ما جفت كليا • ولهذا كان من الضروري الاعتماد على ايباييع الصناعية (الكهاريز) لارواء الزراعة الصيفية ، ومن المعلوم ان حصر (الكهاريز) يتطلب مبالغ باهضة • وهكذا اصبحت الزراعة حرفة مكلفة ، بينما لا تتطلب حرفة الرعى مثل تلك التكاليف •

اما اثار العامل البشرى على استقرار السكان فى اللواء فقد انبثقت من طبيعة النظام العشائرى السائد الذى عاق الجهود البشرية فى الاستثمار الزراعى • فقد ارتبط هذا النظام بشكل رئيسى بالاقتصاد الرعوى ، وكان الرعاة يسيطرون على مساحات واسعة من اراضى اللواء لمراعيهم الصيفية والشتوية ، كما انهم كانوا يضايقون الزراع المستقرين بغزواتهم الدائمة •

ونقد ضعف اثر العامل البشرى بنشوء ادارة حكومية قوية منذ اوائل اقرن الحالى حدثت من سطوة العشائر • كذلك ضعف اثر العامل الطبعى بانحلال نظام الاقتصاد المحلى فى مقبل هذا القرن وارتفاع شأن التجارة الخارجية مما رفع من قيمة المحاصيل الزراعية وجعل من الزراعة حرفة مربحة • وقد أدى ذلك الى تخفيض عدد الرعاة المتنقلين وتحولهم نحو الزراعة والاستقرار •

وهناك مشكلة ترتبط بالسكان الريفيين الاكراد وردت فى كتابات بعض الرحالة والمهتمين بالشؤون الكردية • فمن المعلوم ان هناك طائفتين متميزتين تعيشان فى لواء السليمانية خاصة وجهات كردستان عامة ، وهما العشائريون واللاعشائريون • وينتمى الرعاة الرحالة بأجمعهم الى العشائريين ، فى حين ان غالبية الزراع المستقرين هم من اللاعشائريين • وقد اثار اصل الزراع اللاعشائريين الجدل بين نفر من الرحالة الغربيين • فقد زعم طائفة منهم بان الزراع المستقرين هم فى الحقيقة سكان كردستان الاوائل • وقد اوضح ريج Rich فى كتابه (قصة اقامة فى كردستان) الفروق بين الرعاة العشائريين والزراع اللاعشائريين على النحو التالى :

(ان الفرق فى الملامح بين انزراع والرعاة الاكراد واضح تماما . فالزراع المستقرون عادة ذوى ملامح اكثر انتظاما واعتدالا ، بل ان قسماتهم تبدو أحيانا اغريقية تماما . اما الراعى المترحل او العشائرى فملامحه قوية صلبة ، وهو ذو جبهة عريضة بارزة وعيان غائرتان ذات نظرة ثابتة حادة ، والشئع فى لون العيين الرمادى الفاتح ، بل وحتى الازرق الفاتح أحيانا . ويمكن ان يميز العشائرى بما له من عادات صرسحة وجريئة ، كما ان من الممكن ان يدرك المرء منذ الوهلة الاولى انهم سادة البلاد) (٢٤) .

ثم خلاص ريج Rich الى القول بان انزراع قوم يختلفون عن الرعاة ، وان بين الاثنين نوع من القرابة الا انهما لا يتمييان الى نفس العنصر . اما والتر هاريس Harris فقد اعتقد بان الزراع والرعاة يمتون الى عنصر واحد ، لكنه اقر فى الوقت نفسه بوجود اختلاف بينهما فى الملامح والعادات ، وعزا ذلك الاختلاف الى طبيعة الحرفة التى يزاولها كل منهما ، وقد اوضح رأيه على النحو التالى :

(ليس من الصعب التمييز منذ النظرة الاولى بين الاكراد الزراع والاكرد الرعاة ، فالرعاة هم العشائريون الذين يدون كقطاع الطرق ، ومن الواضح انهم محاربون اشداء ، اما الزراع وهم اللاعشائريون فقد جعلت حياة الاستقرار ملامحهم خسنة وقد فقدوا نشاطهم وروحهم المعنوية العالية) (٢٥) .

ان اعتقاد الرحالة الغربيين فى القرن الماضى بوجود فروق عنصرية بين

24. Rich, C.J., "A narrative of a residence in Kurdistan", London 1836. vol. 1, P. 230.

25. Harris. Walter, "Wandering in Persian Kurdistan", Blackwood's Magazine, vol. CLV111, Decem., Nov. 1895.

اعشائريين الرعاة واللاعشائريين الزراع مرجعه كما يبدو الى نظرة الرعاة المتعالية وموقفهم المعادى من الزراع . فهم يطلقون على الزراع اسم «گوران» (x) ، ولم يكونوا يعترفون باسمائهم الى نفس عنصرهم . ففي محاوره دارت بين القنصل الانكليزى ريج عام ١٨٢٠ وبين احد رؤساء اعشائريين فى منطقة السليمانية زعم الرئيس العشائري ان «الكورانيين» ليسوا اكرادا ، فالاكراد لابد ان يكونوا عشائريين ، وحرقتهم الوحيدة - على زعمه - هى القتال ، اما الكورانيين فليسوا عشائريين ، كما ان حرقتهم الوحيدة هى الزراعة (٢٦) .

ان العداء بين الرعاة الرحل والزراع المستقرين ظاهرة معروفة ونها مرراتها ، وتعزى الى الاقتصاد غير المستقر الذى يزاوله الرعاة يقابله الاقتصاد الثابت الذى يمارسه الزراع . فكلما انحبت الأمطار وجمعت المراعى وهلكت الحيوانات هجم الرعاة على جيرانهم الزراع واستولوا على حاصلاتهم . هذا فضلا عن ان المناوشات بينهم وبين الزراع قائمة على الدوام كلما قادوا حيواناتهم نحو مراعيهم الصيفية والشتوية فماتت فى الحقول فسادا . وهكذا فان القتال الدائم مظهر طبيعى ومنطقى فى القرون الماضية فى الجهات التى يعيش فيها الرعاة والزراع جنبا الى جنب . وقد خلف هذا النزاع المستمر عداوا مستحكما بينهما . ولقد ازدادت العلاقات سوءا بسبب الرعاة والزراع المستقرين الاكراد نظرا لانعدام الروابط التجارية القوية بينهما ، فالاقتصاد المتشابه الذى يزاوله كل منهما ، حيث يقوم كل منهما

(x) ان مصطلح «گوران» هذا لا علاقة له بعشيرة «گوران» ، وهى عشيرة تسكن فى كردستان ايران . ومن الجدير بالذكر ان مصطلح «گوران» يستعمل فى سنه وكرمنشاه فى كردستان ايران ويقابله فى لواء اربيل والموصل مصطلح «كرمايح» كما يقابله فى كردستان تركيا «رعية» .

26. Rich, vol. 1, P. 230.

زراعة الجبوب وتربية الحيوانات كما لاحظنا ، أدى الى اضعاف العلاقات الاقتصادية بينهما •

ولقد أكد كثير من رحالة القرن التاسع عشر حالة الحرب المتصلة بين الزراع والرعاة الاكراد كما أوضحها مورغان فليبس Phillips مثلاً بقوله :

(وهكذا فإن الحرب بين الرعاة والزراع المستقرين مستمرة على طول الحدود ، وانها ليست حرباً دينية ، ولاكراد هم مسلمون والزراع المستقرون مسلمون ايضاً ، ولكن الزراع الاكراد في ارمينيا يكرهون الرعاة الاكراد اكثر مما يكرهون الارمن • ويسود هذا النوع من الحروب الاجتماعية جميع هذه المناطق من الشرق الاوسط وهي عبارة عن صدام بين حضارتين متعارضتين ، الرعاة والزراع المستقرين • وهذه الحرب اقتصادية اكثر مما هي دينية) (٢٧) •

ان انكار العشائريين الاكراد صلة القربى بينهم وبين «الكوران» امر ليس له دليل • والواقع ان هناك ادلة قوية تثبت بان «الكوران» وان لم يكونوا في حاضرهم يمتون الى عشيرة معينة ، الا انهم كانوا يوماً ما من العشائريين • ومثل ذلك انه بالرغم من ان اصل الزراع الذين يستوطنون في الوقت الحاضر في جنوبي لواء السليمانية معروف ، حيث انهم كانوا يمتون الى عشائر معينة منذ قرن ونصف مضي ، الا انهم يعتبرون انفسهم حالياً من «الگوران» ويرفضون الاعتراف انهم كانوا يوماً ما عشائريين • وعلى أية حال فان مصطلح «گوران» قد بدأ يتلاشى بسرعة منذ بداية القرن العشرين حينما تغير الوضع

27. Price, Morgan Phillips, "A journey through Azerbaijan and Persian Kurdistan", 1895, P. 19.

Also: "Armenia and Kurdistan", published by Foreign office, PP. 77-78.

الاقتصادى للمنطقة واصبحت الزراعة حرفة مفضلة، وعمد كثير من الرعاة الى هجر حرفتهم السابقة واستقروا واخذوا يزاولون الزراعة • وقد حل محل مصطلح «گوران» تعبير جديد هو «مسچين» ، واصبح هذا المصطلح سائدا في كل مطلق جنوبى كردستان ، وهو ينطبق على جميع الزراع العشائريين والاعشائريين • ويبدو ان هذا المصطلح مستقى من الكلمة العربية «مسكين» اتى معنى «معوز» • لكن المصطلح الكردي اعطاها معنى جديدا هو «مستخدم» او «اجير» • ويتضح ذلك في طريقة استخدام الزراع لهذا المصطلح • فاذا ما سئل احد الزراع ان يبين هويته ، لا سيما في المناطق العشائرية كمنطقة بشدر او شهرزور ، اجاب بانه (مسچين فلان) ، ذاكرا اسم ملاك الارض الذى يعمل فيها • ولا بد ان نوضح هنا بان مصطلح «مسچين» لا ينطبق على الزراع اصغار الذين يمتلكون اراضيهم ، بل ينطبق على ازراع الذين نزرعون الارض بالاستئجار وعلى العمال الزراعيين فقط •

وما يزال مصطلح «گوران» سائدا في جنوبى كردستان العراق • ويعود ذلك الى التطور التاريخى الذى مرت به المنطقة والى الظروف السياسية الملائمة التى شجعت الزراعة والزراع فى تلك الجهات • فمنذ النصف الثانى من اقرن التاسع عشر سيطرت اماره البابين على منطقة السليمانية وما جاورها وامتد نفوذها جنوبا حتى زنجاباد ومندلى والتون كوبرى وبدره الحصان ، كما امتد نفوذها نحو الشمال الغربى حتى حدود لواء اربيل (٢٨) • وفى اثناء سيطرة حكام هذه الامارة حصل الملاكون على تأييد عظيم • وقد اجتذبت حالة الامن والاستقرار فى المنطقة عددا كبيرا من الرعاة الذين تحلوا عن حرفتهم وشرعوا فى مزاولة الزراعة لا سيما اولئك الذين ارغموا

على الاتصال عن عشائريهم لسبب أو لآخر • فلما انصرفوا الى الفلاحية
ضعفت صلاتهم بعشائريهم تدريجيا حتى انقطعت نهائيا بمرور الزمن واسم
يعودوا يعتبرون انفسهم عشائريين • ولم يكونوا بحاجة للحماية العشائرية
نظرا لتوفر سلطة ادارية قوية تهيمن على المنطقة •

ولقد كان هناك في الوقت نفسه عشائر قوية خارج نطاق سيطرة الامارة
ابابيه ، ولم ينجح الامراء البابانيون في احضاها لسيطرتهم ، وكان على
رأس تلك العشائر عشيرة الجاف التي كانت تسيطر سيطرة تامة على سهل
شهرزور وما جاوره • وقد ادى هذا الحال الى ارتباط الزراع الذين يقطنون
لك المنطقة بعشيرة الجاف ، وكان من مصلحتهم ضمان حمايتها ، لذلك فقد
اعتبروا انفسهم عشائريين ولم يسد بينهم مصطلح «گوران» • وهذا ما حدث
ايضا في منطقة بشدر ، فقد سيطر الاغوات الميراوليين على اراضي المنطقة
 واصبح زراعا تحت حمايتهم واعتبروا انفسهم اعضاء في عشيرة بشدر ، ولم
يسد بينهم ايضا مصطلح «گوران» • ان ذلك يوضح لنا سبب بقاء التماسك
العشائري بدرجة عالية نسبيا في بعض جهات كردستان العراق ولا سيما
الاقسام الشمالية والشمالية الشرقية منه بينما اخذت الروابط العشائرية
بالانحلال منذ وقت بعيد في جنوبي كردستان عموما وفي الاجزاء الجنوبية
والغربية من لواء السليمانية بشكل خاص •

البناء السياسي والاجتماعي للزراع

يعتمد البناء السياسي والاجتماعي للزراع على اصلهم ، فيما اذا كانوا
عشائريين او غير عشائريين ، غير ان ملامح (مجتمع القرية) تنطبق على كل
من الطائفتين المذكورتين • وتمثل (القرية) او ما تسمى (الجربة) الوحدة
الاجتماعية ، ويتراوح عدد سكانها بين ١٠٠ الى ١٠٠٠ نسمة • ويتولى رئاسة
القرية في القرى العشائرية رئيس اكبر مجموعة من الاقرباء او الاغصا

(وهو احد افراد الاسرة الحاكمة عادة) ، ويعتبر الحاكم الفعلي للقرية • فهو يحافظ على القانون ويحل الخلافات التي تحدث بين ابناء القرية ، ووظيفته اجتماعية وسياسية في آن واحد • اما في القرى غير العشائرية فالحاكم الحقيقي هو مالك الارض ، الا ان سكان القرية ينتخبون «مختاراً» يقوم بمهمة صبط الارتباط بين ابناء القرية والملاك ، ويكون كذلك ممثلاً للقرية امام السلطة الادارية الحكومية • وفي كلا المجتمعين ، العشائري وغير العشائري ، تحكم روح «مجتمع اقرية» Village Community في تصرفات السكان في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية •

اما اسرة الزراع فهي اسرة ابوية Patrilineal محضة • فالاب هو رئيس العائلة الذي لا تناقش سلطته • وتحتل المرأة مركزاً ثانوياً بالنسبة للاب ، بالرغم من انها تسيطر على الشؤون الداخلية للأسرة • ويقوم الابناء في نفس البت بعد زواجهم [Patrilineal] • ويشارك جميع ابناء العائلة في النشاطات الاقتصادية ، وبذلك تكون العائلة وحدة اقتصادية •

ويتصف مستوى معيشة الزراع بالانخفاض الشديد • فطعامهم يكشف عن نقص شديد في العناصر الغذائية الضرورية • ولباسهم لا يتناسب وقسوة مناخ الشتاء • ومساكنهم مناقضة للشروط الصحية كلياً ، وهم يتقاسمون المأوى مع حيواناتهم • وفوق ذلك كله ، فهناك نقص واضح في التدابير والوسائل الصحية (x) •

البناء الاقتصادي للزراع

يتأثر البناء الاقتصادي للزراع بكل من العوامل البشرية والجغرافية • فنوع التضاريس ودرجة توفر المياه وشكل التنظيم السياسي للمجتمع القروي ،

(x) سنأتي على شرح نظام الاسرة الريفية بالتفصيل في موضع آخر من الكتاب •

يقرر الى حد كبير طراز الملكية الارضية (x) • وبالرغم من ان الطراز السائد للملكية الارضية في اللواء هو الملكية الكبيرة ، الا ان الزراعة يمكن ان يصنفوا على أية حال الى ثلاث فئات هي : الملاكون الصغار ، والزراع المستأجرون والعمل الزراعيين (x x) •

وتشمل فئة الملاكين الصغار الزراع الذين لا تتجاوز ملكياتهم مائة دونم • وتروى معظم اراضي هذه الفئة من الملاكين ديماء ، ولا يمتلكون في العادة سوى بضعة دونمات تروى صناعيا • ولا يشكل افراد هذه الفئة سوى نسبة ضئيلة من مجموع الزراع في اللواء •

اما الزراع المستأجرون فهم يمثلون الفئة الغالبة في اللواء ، ومعظمهم يزرع الارض على اساس نظام المحاصة • وتختلف حصتهم من الحاصل حسب نوع الحاصل وقيمة الارض ، وان كانت حصتهم لا تكفي الالحياء شطفة • ويتمتع الزارع المستأجر بالحرية المطلقة في الانتقال من ارض الى أخرى أو من قرية الى أخرى متى شاء ، الا ان هذا الانتقال لا يتم في اعادة الا اذا كان الملاك او (الاعلى) جائرا بشكل غير اعتيادي • وتتمتع المزارع المستأجر في المنطقة الكردية عموما بحقوق تفوق حقوق زميله في المنطقة العربية ، فهو يمتلك ضمانا اكثر ، كما ان حصته من المحصول اكبر • ومثال ذلك ان له حقا موروثة متعارف عليه في الارض التي يزرعها ، ويمكن ان ينقل هذا الحق الى ورثته • وما لم يكن المالك شخصا مستبدا فانه في العادة يحترم هذا الحق • ان هذه المزية قد جعلت الفلاحين الاكراد اكثر استقرارا من الفلاحين العرب في الارض • وبالرغم من هذه المزايا فان الزراع المستأجرين في لواء السليمانية يواجهون مصاعب اقتصادية جمة • ففوق كل

(x) لقد غيرت قوانين الاصلاح الزراعي بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تفسيرا اساسيا نظام التصرف بالارض مما اثر على البناء الاقتصادي للزراع تأثيرا جوهريا •

(x x) لا يشمل هذا البحث فئة الملاكين الاقطاعيين •

شيء يترك الزارع المستأجر لشأنه ليواجه بمفرده مسؤولية العناية بالأرض والآنفاق عليها ، أما المالك الأصلي فنادراً ما يستثمر أي مال في أرضه • وبما أن دخل الفلاح بالكاد يكفي لاعالة أسرته ، فإنه يعاني باستمرار من الحاجة إلى المال الضروري لانفاقه على الأرض مما يؤثر على حاصلاته الزراعية • ومما يزيد من سوء موقفه عدم توفر الجمعيات التعاونية وتعذر حصوله على قروض من المصرف الزراعي ، وهذا الوضع يجعله مديناً على الدوام لتجار المدن وامرابين • (×) ويتفقم وضع ازارع المستأجر أثناء الفصول الرديئة اسي سببها الجفاف النسبي او الافات الزراعية ، اذ يجد نفسه اسير ديون باهضة وبدون حيوانات حقلية ولا حبوب • وحينئذ يضطر الى مغادرة الأرض والهجرة الى المدينة او ينضم الى فئة العمال الزراعيين • اما في الاحوال الاعتيادية فإن امكانياته المحدودة تضطره الى الاكتفاء بزراعة مساحة صغيرة من الحقول الشتوية بالرغم من توفر الأرض الزراعية بمساحات شاسعة •

اما فئة العمال الزراعيين فلا يشكلون سوى نسبة صغيرة من العاملين في الزراعة في اللواء • غير ان حجمهم في الواقع مائع جدا ، فكثيراً ما تتحول عدد كبير من الزارع المستأجرين الى عمال زراعيين أثناء الفصول السيئة • كذلك يمكن ان ينضم العامل الزراعي الى فئة الزارع المستأجرين اذا ما توفر له المال لشراء الحبوب والادوات الزراعية والحيوانات الحقلية • وفضلاً عن ذلك فإن عدداً غير قليل من الزارع المستأجرين يعملون في بعض فصول السنة كعمال زراعيين ويساعدون الفلاحين الآخرين في الحراثة والحصاد • ان فئة العمال الزراعيين يمثلون أفقر طبقات المجتمع الريفي الكردي ، وهم الممون الرئيسي لعمال المدن غير المهرة ، اذ ان غالبيتهم يهاجرون الى

(×) لقد بلغ عدد الجمعيات التعاونية الزراعية التي تأسست في مناطق الاصلاح الزراعي في لواء السليمانية حتى اوائل ١٩٧٠ حوالي ٢١ جمعية وبلغ عدد اعضائها ٢٢٩٥ فلاحاً ، وعدد المستثمرين ١٧٩٤ مزارعاً • (المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ، ص ١٧٠) •

امدن المجاورة في اوقت البطالة الزراعية • فيما ان عملهم ينحصر في الحراثة والحصاد ، فمن الطبيعي ان يقاسوا من البطالة الموقته • ويتطلب وضع العمال الزراعيين منهم نوعا من الهجرة الدائمة التي تبدو بشكل اكثر وضوحا في اوقات الحصاد • فقبل ان يحين موعد الحصاد يبدؤون بالطواف في انحاء اللواء ليعرضوا خدماتهم على الزراع ، ثم يستقرون حيثما تدعو الحاجة الى خدماتهم •

اقتصاد الزراع

يعتمد اقتصاد الزراع على الزراعة اولا ثم على الحيوانات • وبالرغم من ان الحيوانات تشكل جزءا هاما من ممتلكات الزارع ، الا ان وظيفتها الزراعية تقتصر على العمل في الحقل • اما فضلاتها فتستخدم للوقود وقلما تستخدم للتسميد • ويحتفظ الزراع بأنواع متعددة من الحيوانات كالأغنام والماعز والابقار ، وحيوانات الحمل كالحمير والبغال والخيول ، الا ان الماعز والأغنام يحتلان مكان الصدارة • وهي على العموم تقاسي من فقر الغذاء ورداءة المأوى وسوء الإدارة •

ويكاد يقتصر الزارع في استثماره لمنتجات حيواناته على استهلاكه الشخصي • فهو يستفيد من البانها في غذائه ، ومن اصوافها في صناعاته البنية كصناعة الملابس والاعطية • اما ارباحها التجارية فمحدودة تماما •

اما النشاط الزراعي فيتأثر بكل من العوامل الطبيعية والبشرية • فالتضاريس والمناخ ومدى توفر مياه الري وشكل الملكية الارضية تتظايفر جميعا في تحديد درجة الاستثمار الزراعي ونوع المحاصيل • وتزاول الزراعة الصيفية في الاودية والسهول المنبسطة ، بينما تزاول الزراعة الشتوية فوق منحدرات التلال غير الحادة • وحيشما شحت الارض الزراعية لجأ الفلاح الكردي الى زراعة المدرجات ، كما هو الحال في منطقة هورامان • وتستثمر المنحدرات الحادة في زراعة الفواكه ولا سيما الكروم • اما الاراضي المرتفعة

فترك للمراعي عدا قطع صغيرة يستثمرها الرعاة في الزراعة الصيفية .
ويزاول الزراع ايضا نوعا من الهجرة الصيفية المحدودة الشبهة بهجرة
الرعاة . فهم ينتقلون في اعقاب فصل الحصاد الى الاراضي المرتفعة المجاورة
بصحبة حيواناتهم حيث ينصرفون الى رعي حيواناتهم واستثمار قطع صغيرة
من الارض . غير ان الزراع الذين يمتلكون مساحة لا بأس بها من الحقول
الصيفية التي تروى صناعيا لا يغادرون قراهم ويرسلون قطعانهم مع اقربائهم
او مع رعاة القرية للرعي في المناطق المرتفعة . وبالرغم من ان اغلب الخبائث
في كردستان العراق قد تعرضت للإفناء ، الا ان بعض الجهات الوعرة المائية
ما تزال تحتفظ بأشجارها ، وفي مثل تلك الجهات يزاول بعض الزراع الفقراء
مهنة التحطيب على نطاق محدود . وتستخدم الأخشاب للوقود ولصناعة الفحم
وللتجارة . وهكذا فان اقتصاد الزراع في لواء السليمانية وبقية جهات
كردستان العراق يشابه في نواح كثيرة الاقتصاد الالبي الذي تمارس فيه
الزراعة وتربية الحيوانات والتحطيب بدرجات متفاوتة .

وتنحكم الاحوال الاقتصادية والظروف الجغرافية في نوع المحاصيل
الزراعية المنتجة في اللواء . فحيثما شحت مياه الري وتعذر الوصول الى
الاسواق بسبب بعد المسافة او الصعوبات الطبوغرافية او لعدم توفر المواصلات ،
ساد الاقتصاد الاستهلاكي واتجه الزراع الى زراعة الحبوب (القمح والشعير) .
وحيثما توفرت مياه الري وكان الوصول الى الاسواق اكثر سهولة ، ساد
الانتاج التجاري وركز الزارع جهوده على انتاج المحاصيل الصيفية .

وتعتبر الزراعة الصيفية العمود الفقري في اقتصاد اللواء . ويحتل
التبغ المركز الرئيسي في الزراعة الصيفية ويشكل مفتاح اقتصاد اللواء .
والواقع ان البيئة الطبيعية في اللواء تصلح لانتاج محاصيل صيفية اخرى ربما
تجود أكثر من التبغ ، وخصوصا الرز ، الا ان جهل الزراع وانعدام الارشاد
الزراعي وجه الجهود بكليتها نحو انتاج التبغ . وبلى التبغ في اهميته القطن

في جهات كثيرة من اللواء، لكن الرز يحل المركز الثاني في مناطق عديدة ايضا .
وتهدف الزراعة الشتوية بالدرجة الاولى الى سد الاحتياج المحلي .
ويبدو على أية حال بان البيئة الطبيعية لا تصلح بدرجة عالية لانتاج الحبوب ،
اذ ان كلا من القمح والشعير يتصفان بانتاجهما المنخفض نسبيا للدونم الواحد .
ولا ريب ان هناك عوامل اخرى تؤثر في انخفاض انتاج الدونم ، في الزراعة
الشتوية او الصيفية على السواء ، ومنها سوء استخدام التربة والمياه والاساليب
الزراعية المتخلفة . وهذا لا يعني على اية حال بان المزارع الكردي هو فلاح
سيء ، فبالرغم مما يواجهه المزارع الكردي من مصاعب جمة في ارض جبلية
ككردستان ، غير انه كثيرا ما وصف بانه فلاح بارع ^(٢٩) . واذا شاعت
الدولة ان تحسن انتاجه الزراعي فلا بد لها من اتخاذ خطوات فعالة لرفع
دخله ومستوى حياته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وبدون اتخاذ مثل
هذه الاجراءات لن يكون الفلاح الكردي - او العربي - قادرا على تطبيق
الاساليب الحديثة والطرق العلمية في زراعة ارضه . هذا فضلا عن ان رفع
المستوى الاقتصادي للفلاح سيؤدي الى ايقاف تدفق السكان الريفيين الى
المراكز المدنية ، وبالتالي القضاء على حالة الفقر السكاني في الريف .

- ٣ -

المدنيون

ان محاولة التمييز بين السكان المدنيين (الحضر) والسكان الريفيين تكشف عن
مرونة هذين التعبيرين ، وخاصة عند تطبيقهما على منطقة غير متطورة كلواء
السليمانية . فتعريف «السكان المدنيين» ينطبق عموما على اولئك الذين يزاولون

29. Sykes, M. "The last Caliphate heritage", London 1915,
P. 427.

See also: Nikitine, B., "Le Kurdes". P. 55.

حياة المدينة في تجمع شديد (٣٠) . غير ان المشكلة تكمن في الاختلافات القائمة بين الاقطار المختلفة في تعريفهم «للمدينة» . فبعض الاقطار تعترف المدينة بانها عبارة عن مجموعة صغيرة جدا من الناس بحيث يمكن ان يكون عددها حوالى (٢٥٠٠) شخصا كما هو الحال في اوكرانيا . وهناك أقطار اخرى تشترط عددا اكبر لسكان «المدينة» ، فالولايات المتحدة تشترط ٢٥٠٠ نسمة ، وبلجيكا ٥٠٠٠ نسمة ، ومصر ١١٠٠٠ نسمة ، واليابان ٢٤٠٠٠ نسمة (٣١) . اما اوروسو Aurrousseau فقد اقترح ان يشتمل مصطلح السكان الريفيين على اولئك الجماعات من الناس الذين ينتشرون في الريف والذين يزاولون انتاج الحاجات الاولى من التربة ، بينما ينبغي ان يشتمل مصطلح (السكان المدنيين) على اولئك السكان الذين يعملون في المواصلات والتجارة والصناعة والتعليم والادارة الحكومية (٣٢) . غير ان هذا الاقتراح لا يحل المشكلة في منطقة يختلط فيها السكان الذين يمارسون الزراعة والاعمال المدنية المذكورة اختلاطا عظيما ، بحيث يتعذر تعيين حدود فاصلة بين مراكزهم .

ويمكن ان يكون تعيين كوشينج Cushing للحدود الفاصلة بين السكان «الريفيين» و «المدنيين» في المكسيك اكثر انطباقا على لواء السليمانية، فقد اعتبر المركز الذي يحتوي على ٢٠٠٠ نسمة او اكثر بانه «مدينة» على اساس ان مثل هذا المركز (لابد وان يشتمل على بنايات حكومية وسوق هام وكنيسة كبيرة وشوارع معبدة ، وتلك هي في العادة ملامح المدينة في دول

30. Jefferson, Mark. "Distribution of the World City folk", Geog. Rev., vol. XXI, No. 3. 1939, P. 448:

٣١ . المصدر السابق .

32. Aurrousseau, M.. "The distribution of population; a constructive problem" Geog. Rev., vol. XI, No. 4, October 1921. P.568.

امريكا اللاتينية ، في حين ان المراكز التي يقل فيها عدد السكان عن ٢٠٠٠ نسمة هي ريفية على اساس انها تشمل بشكل رئيسي على بيوت يسكنها فلاحون يخرجون كل يوم الى الحقول) (٣٣) •

وبناء على هذا الرأي يمكن ان نرسم خطا عريضا يفصل بين السكان «المدنيين» و «الريفيين» في لواء السليمانية على النحو التالي :

الجدول رقم ٢٦ (٣٤)

السكان المدنيون في لواء السليمانية (حسب احصاء عام ١٩٤٧)

المركز	القضاء	عدد السكان
السليمانية	السليمانية	٣٣٤٧٥
حلبجة	حلبجة	٤٩٠٠
قلعة دزة	بشدر	٢٧٨٩
المجموع		٤١١٦٤

ان تصنيف سكان لواء السليمانية طبقا لرأى كوشينج Cushing لا يعكس بشكل دقيق درجة التمدن في المنطقة • فهناك عدة مراكز اخرى تشمل على العناصر المدنية السالفة الذكر ، الا ان سكانها يقلون عن ٢٠٠٠ نسمة • لذلك فمن الممكن ان نضيف نوعا اخر من المراكز تتمتع بسمات كل من المراكز الريفية والمدنية نطلق عليها اسم «المراكز شبه المدنية» ، ويتراوح عدد سكانها بين ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ نسمة • وتلك المراكز هي التالية :

33. Cushing, Summer, W.. "The distribution of population in Mexico", Geog. Rev., vol. XI. 1921. P. 227:

34. Census of Iraq 1947, P.11 & PP. 153-200, Baghdad 1954.

الجدول رقم ٢٧

المراكز شبه المدنية في لواء السليمانية

المركز	القضاء	عدد السكان
الطويلة	حلبجة	٢٩٣١
برزنجة	شاهار بازار	١٧٦٨
بنجوين	حلبجة	١٤٧٣
يارا	حلبجة	١٤٣٢
هيرو	بشدر	١٠٩٢
هليستو	بشدر	١٠٠٦
المجموع		٩٧٠٢

وهكذا يبلغ مجموع سكان اللواء المدنيين ، اضافة الى شبه المدنيين ، حوالى ٤٩٨٦٦ نسمة ، بينما يبلغ مجموع سكان اللواء ٢٢٦٤٠٠ نسمة (×) . ولا بد ان تؤكد على أية حال بان هذا الرقم لا يعكس الصورة الحقيقية للسكان المدنيين في اللواء ، ذلك لان جزءا كبيرا منه يشتمل على زراع ، لا سيما في المراكز شبه المدنية . وبما ان التجارة هي السمة الرئيسة لحياة المدينة فان هيرو وهليستو مثلا لا يمكن على هذا الاساس اعتبارهما مراكز مدنية ، اذ لا تضمان سوى بضعة حوانيت صغيرة لخدمة السكان المحليين .

(×) لقد بلغ مجموع سكان لواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٦٥ حوالى ٤٠٨٢٢٠ نسمة ، ويبلغ عدد السكان المدنيين ١٣١٢٤٨ نسمة كما يبلغ عدد سكان الريف ٢٧٦٩٧٢ نسمة . وقد اشتمل اللواء على مدينة واحدة فقط من فئة (٦٠ - ٩٠ الف) نسمة ، واخرى من فئة (١٠ - ٢٠ الف) نسمة ، وثلاثة من فئة (٦ - ١٠ الف) نسمة ، وعلى ثمانية عشر قرية زراعية (مراكز نواحي) يقل نفوسها عن (٦ آلاف) نسمة . وقد اورد احصاء عام ١٩٦٥ الجدول التالى لتوزيع سكان الريف والحضر فى محافظات العراق المختلفة :

جول يبين توزيع سكان الريف والحضر (المدن) في محافظات

العراق حسب احصاء ١٩٦٥ والنسبة المئوية

المحافظة عدد سكان الريف النسبة المئوية الى عدد سكان الحضر النسبة المئوية الى نسبة
(الضواحي) مجموع سكان المحافظة (المدن) مجموع سكان المحافظة سكان
المدن
الى الكم

	%		%		
٨	٤٢	٣٣٧٩٦٤	٥٨	٤٦٢٨٢٥	الموصل
٥	٣٣	٥١٦٧١	٦٧	١٠١٦٤٢	دهوك
١٢	٣٢	١٣١٢٤٨	٦٨	٢٧٦٩٧٣	السليمانية
٩	٣٨	١٣٤٢١٧	٦٢	٢٢٦٠٦٨	اربيل
١١	٤٨	٢٢٤٠٠٥	٥٢	٢٣٨٠٢٢	كركوك
٨	٣٤	١٣٦٩٢٧	٦٦	٢٦٣١٢٥	ديالى
٩	٣٨	١٢٣٤٠٠	٦٢	١٩٥٨٨٩	الرمادي
٥٥	٥٢	١١٠٨٤٩٧	٤٨	١٠١٥٨٢٦	بغداد
٧	٣١	١٠٣٨٤٩	٦٩	٢٣١٦٤٦	الكويت
٢٣	٣٦	١٦٣٧٣٣	٦٤	٢٨٤٢٩	الحلة
٣٥	٧٢	٢٤٦٧٨٣	٢٨	٩٢٩٠٩	كربلاء
١٢	٣١	١٢٩٥٦٩	٦٩	٢٧٦١١٢	الديوانية
٧	٣٦	٥١٩٧٣	٦٤	٩١١٧٦	السماوة
٩	٣٠	١٣٥٩٠٢	٧٠	٣٦٤١٣١	الناصرية
٥	٣٨	١٠٤٢٥٦	٧٣	٢٤٢٤٠٧	العمارة
٢٩	٦٢	٤٢٣٠٠٧	٣٨	٢٥٠٦١٦	البصرة
١٥	٤٤	٣٦٤٧٣٧٥	٥٦	٤٦١٤١٥٤	المجموع

المصدر : « احوال السكان في العراق » ل احمد نجم الدين ص ١٠٣ .

نمو السكان المدنيين

قد نمت السكان المدنيون في اللواء نمواً سريعاً في السنين الأخيرة ، فلم يكن عددهم يتجاوز في عام ١٩٣٥ نصف الرقم الحالي . ولا ريب ان الاحصاءات الرسمية المتوفرة تعرقل التوصل الى احكام دقيقة ، غير أنه أمكن التوصل الى النتائج التالية عن المراكز المدنية الرئيسية في اللواء :

الجدول رقم ٢٨ (٣٥)

سكان المراكز المدنية الرئيسية في عام ١٩٣٥ و ١٩٥٢

المدينة	١٩٣٥	١٩٥٢
السليمانية	٢٤١٨٦	٣٣٥١٠
حلبجة	٤٨٥٠	٦٣٩٥
قلعة دزة	١٩٣٠	٢٧٩٥

ومما لا ريب فيه ان النمو السريع للسكان المدنيين لم يكن ثمرة للزيادة الطبيعية فحسب ، بل نجم بشكل رئيسي عن الهجرة من الريف الى المدينة . ويمكن ان نحكم باطمئنان ان الريف كان الممول الرئيسي للسكان المدنيين ، وان عامل الهجرة كان العامل المتحكم في نموهم .

ان الدوافع الرئيسية وراء هجرة ابناء الريف الاكراد الى المدن هي اقتصادية محضة وترتبط بنظام الملكية الارضية السائد . فالزراع الكردي ، وخصوصا المزارع المستأجر ، مسؤول مسؤولية مطلقة عن ادارة حقله والانفاق عليه . فاذا ما فقد بذوره في احد المواسم الزراعية الفاشلة ، او خسر حيواناته اثناء موجة من موجات الاوبئة او المحل ، هبط رصيده الاستثماري

(٣٥) ان سكان عام ١٩٣٥ لجميع المراكز المدنية المذكورة ، عدا مدينة السليمانية ، قد قدرتهم حسب استقصاءات المؤلف التي اعتمدت على عدد البيوت . اما سكان عام ١٩٥٢ لنفس المراكز فقد استقيت من كتاب :

Sousa, A., "Administrative Atlas of Iraq" P. 35-6.

الى العصر • هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان نظام الري الصيفي السائد في اللواء الذي يعتمد اعتمادا رئيسيا على المياه الجوفية مهدد دائما بالعجز • فكثيرا ما تجفب الينابيع في المواسم ذات الشتاء الدافئ والامطار القليلة • وفي العادة يتأثر المزارع المستأجر تأثرا كبيرا بنقص المياه لان المحاصيل الصيفية تمثل حجب الزاوية في حياته الاقتصادية • ويحدد الضغط الاقتصادي الذي يتعرض له الفلاح في قرينته موقفه من الزراعة • وبطبيعة الحال فانه يجد نفسه متجها نحو المدينة حيث تتوفر له امكانية العمل ، وحيث يتلقى اجورا أعلى مما يكسبه من الزراعة (٣٦) •

ولقد لعبت عوامل اخرى ذات طابع اقتصادي - اجتماعي دورا فعلا ايضا في تشجيع الهجرة من الريف الى المدينة • فقد كانت المجتمعات الريفية في لواء السليمانية قبل الحرب الكبرى الاولى تعيش بمعزل عن مظاهر الحضارة الحديثة • وكان مجتمع القرية يمون نفسه بجميع احتياجاته تقريبا • غير ان هذه الحال اخذت بالتغير البطيء بانتشار وسائل المواصلات الحديثة وفتح الطرق وتسلسل اثار المدنية الحديثة الى المجتمعات القروية المنعزلة • وقد تزايد بالتدرج استهلاك بعض المواد التي كانت تعتبر من قبل موادا كمالية حتى باتت من ضروريات الحياة اليومية • ومن امثلة تلك المواد السكر والشاي اللذان اصبحا يستهلكان اليوم معظم ميزانية الاسرة • ولم تعد الملابس المصنوعة محليا تستهوي النساء ، وحتى الرجال ، وارتفع استهلاك الاقمشة البابتية والاوربية • وقد لخص احد القرويين للمؤلف نتائج انفراج مجتمع القرية على العالم الخارجي بقوله : (كنا نعيش في الماضي افضل مما نعيش حاليا بما كان يقسم الله لنا من رزق شحيح • اما اليوم فان مواردنا القليلة بالكاد تقيينا احياء ، فالسكر والشاي وملابس النساء تستهلك كل مواردنا) • ولقد أدى

36. Pearson, Dr. S. Vere, "Causes of rural depopulation",
Int. Geog. Congress, Cambridge. 1928, P. 347.

استهلاك مجتمع القرية المتزايد للحاجيات اليومية المستوردة الى توسيع المجال الاقتصادي للمراكز المدنية وانعاش الأعمال التجارية • وقد شجع هذا الانتعاش بعض القرويين المقتدرين على الانتقال الى المدن وتوسيع مواردهم بالعمل في التجارة والخدمات العامة •

كذلك أدى اتصال مجتمع القرية بالاسواق الخارجية الى ظهور الحاجة الى عدد اكبر من الوسطاء ليتولوا مهام جمع وتوزيع الانتاج الزراعي • وقد انمر ذلك ايضا تزايد عدد الافراد الذين يعملون في النقل والخدمات المشابهة • وقد ساهم العامل الاجتماعي ايضا بدرجة محدودة في تشجيع الهجرة من القرية الى المدينة نتيجة لما يحدث من مشاحنات • فكثيرا ما تخصص العوائل داخل القرية بدرجة تؤدي الى هجرة عائلة او عدة عوائل بكاملها الى المراكز المدنية او القرى البعيدة • كما ان الخصومات مع (الاعا) او رئيس القرية تؤدي في أغلب الحالات بالشخص او الاسرة المعنية الى الهجرة من القرية •

كذلك ساهم العامل السياسي ايضا في نمو المراكز المدنية في اللواء ، وذلك من خلال توسع الادارة الحكومية • وبما ان جميع المراكز المدنية هي عواصم ادارية ، فقد اجتذبت وظائفها السياسية عددا اكبر من السكان لخدمة احتياجات الموظفين ، وبذلك وسعت من مجالها الاقتصادي • والواقع ان عددا كبيرا من سكان تلك المراكز يعملون في الادارة الحكومية والتعليم والشرطة • وفضلا عن ذلك فهناك عدد كبير من الغرباء ممن يفد على هذه المراكز لتمشية شؤونه المرتبطة بالادارة الحكومية وهؤلاء يخلقون بدورهم الحاجة الى مزيد من الخدمات •

واخيرا لا بد لنا ايضا من الاعتراف بدور العامل السايكولوجي في نمو المراكز المدنية • فمما لا ريب فيه ان حياة المدينة تستهوي سكان الريف ، لا سيما الشباب منهم • وتكمن جاذبية حياة المدينة للمرء فيما توفر له من

حرية نسبية ودرجة اكبر من الامن وتنوع اوسع في المهن وفرص اقتصادية اعظم ، وكذلك فيما تقدمه من مجال واسع في الراحة والنسبية^(٣٧) . وللمزية الاخيرة تأثير خاص على الشباب من سكان الريف ، فاضواء المدينة بمقاهيها واجوائها الحية تمثل لهم صورة مناقضة تماما لحياة القرية الكثيرة المملة . وكثيرا ما كشف اولئك الشباب للمؤنف عن رغبتهم القوية في العيش في المدرس ، حيث تتوفر فرص المتعة والمهوى اكثر مما تتوفر في القرى ، غير انهم كانوا يجابهون بمعارضة قوية من قبل الشيوخ الذين كانوا يعبرون عن احتقارهم الشديد لحياة المدن .

صفات ووظيفة المراكز المدنية

يتحدد المظهر والصفات المعمارية لكل مدينة باقليمها الجغرافي ، بينما يتحدد حجمها ووظيفتها بالاحوال الاقتصادية للمنطقة المحيطة بها . وتشترك المراكز المدنية في لواء السليمانية على العموم في صفاتها المعمارية . فلكل مدينة ميدان مربع ، بينما تكتظ بناياتها في شوارع وأزقة ضيقة . ويمكن القول ان طبيعة الاراضي الجبلية ، اضافة الى عامل الحماية ، مسؤولة عن هذا الازدحام . وتتألف البيوت من طبقة واحدة في الغالب ، وهي ذات سطوح مستوية ليتمكن استخدامها للنوم وقت الصيف . وتبنى جدرانها من صخور اللامستون المخلوط بالطين ، اما سقوفها فتتألف بدرجة رئيسة من اخشاب البلوط . ويضم البيت فناء دائريا يستخدم في الطبخ والغسيل ، وله مدخل واحد الى الشارع .

ويعتبر السوق اهم جزء في المدينة ، ويتألف من شبكة من الازقة ، ويقع عادة بجوار او قرب جامع المدينة . ويشتمل على حوانيت صغيرة تعرض مختلف البضائع الاجنبية والمحلية .

37. Ashby, A. "The effect of Urban growth on the countryside", Social Rev., vol. XXXI, No. 4, 1939, P. 348:

وتقوم في قلب المنطقة المزدهمة مستشفى المدينة ، وتتأثر بجوارها بضعة مدارس • ولا تخلو أية مدينة من «مركز» للكهرباء وآخر للمياه تديرهما البلدية • ولكل مدينة أيضا مركز بلدي يشرف على تخطيط المدينة وشؤونها • والواقع ان «البلديات» تعتبر ابرز مميزات المراكز المدنية • وتعتمد وظيفة المدينة كما اسلفنا على المناطق المحيطة بها وعلى خطط تطورها • وبما ان جميع المراكز المدنية في اللواء قد تطورت من مراكز اسواق محلية ، لذلك فان وظيفتها الرئيسية في الواقع هي وظيفة تجارية • ويوضح هذه الحقيقة الجدول التالي الذي يبين مهن المراكز المدنية الرئيسية وعدد الاشخاص الذين يعملون في كل منها :

الجدول رقم ٢٩ (٣٨)

مهن المراكز المدنية حسب عدد الاشخاص (حسب احصاء عام ١٩٤٧)

المهن	السليمانية	حلبجة	قلعة دزة
الاتاج الزراعي والحيواني	٥٧١	٤٠٥	٩٤
الصناعات المرتبطة بأغذية الحيوانات	٢١٠	١٦	٩
الصناعات الخشبية والاثاث وماشابه	١٥٣	١٨	٥
صناعات الاحذية والسروج والمنتجات الجلدية الاخرى	١٠٥	١٠	٤
صناعات الاقمشة	٥٢	١٢	٤
الخياطة وصناعة الالبسة	٤٩٣	٧٠	٣٨
الصناعات المعدنية	١٦٦	١٨	١٦
بناء الطرق وصيانتها والاعمال العامة	١٦٠	٢٦	٥
المواصلات (عدا السكك الحديدية)	٢٠٧	٥٥	١٤
الاعمال الصيرفية	٣٧	٤	

« تابع »

المهن

السليمانية	حليجة	قلعة دزة
١٢٩	٣٨	٢١
٤٧	٧	٥
٢٢٤	١٩	٦
١٨١	٥٨	٢٣
٤٥٨	١١٢	٢٠٦
٢٩٥٩	٥٧١	٢٨٢
١٤٧٩	٣٤٥	١٣٢
٩٧٠	١٥٧	٦١
٤٧٦	٩٨	٢٢

عمال تحت سن العاشرة (الصبيان المعنونون)

يوضح الجدول المذكور بان التجارة هي المهنة الرئيسة للسكان المدنيين • وهذا أمر طبيعي ، فالصناعة ذات اهمية ثانوية جدا في المنطقة ، كما ان طبيعة اللواء الزراعية قد وجهت عددا كبيرا من سكان المدن الى العمل في تسويق المنتجات الزراعية والى تموين السكان الزراعيين باحتياجاتهم •

كذلك يوضح الجدول بان عدد الافراد الذين يعملون في النقل والزراعة كبير نسبيا ايضا • وكلا هاتين الحرفتين ملازمين للمراكز التجارية في المناطق الزراعية • فخدمات النقل ضرورية لجمع وتوزيع المنتجات الزراعية ، بينما تقوم الزراعة بتموين السكان غير الزراعيين بحاجتهم من الغذاء •

وبما ان المراكز المدنية في اللواء تخدم بصورة مباشرة احتياجات المناطق الريفية المجاورة ، فان التبادل التجاري فيما بينها وبين تلك المناطق يخضع

لعوامل عديدة • وقد اخص أشبي Ashby تلك العوامل على التوجسه
التالى (٣٩) •

- ١ - نوع المركز المدني •
- ٢ - نوع السكان الريفيين •
- ٣ - وسائل النقل والمواصلات ومدى اتساعها •
- ٤ - مدى ما بلغه السكان المدينون والريفيون من درجة اتمدن والرفاه
المادى •

ان جميع هذه العوامل ذات اثر سلبي على التبادل التجاري بين مدن
وقرى اللواء ، لا سيما العاملان المتعلقان بالمواصلات ودرجة الرفعية •
فانقص في المواصلات صفة مميزة للواء ، حتى ان عددا كبيرا من قرى اللواء
تظل معزولة لشهرين او ثلاثة خلال فصل الشتاء • اما الدخل الشديدي
الانخفاض فهو سمة رئيسة من سمات اقتصاد السكان الريفيين ، وهذا الدخل
كفيا لابقائهم على قيد الحياة فحسب • وبما ان البضائع المستهلكة تعتمد على
القوة الشرائية للفلاحين وعلى درجة حركتهم المحلية التي يدعمها توفر
المواصلات ، فان هناك حواجز فعالة امام حركة التبادل التجاري بين مدن
اللواء وطهيرها في المسطق الريفي • ولا ريب ان انخفاض نسبة التفاعل بين
امدن والقرى في لواء السليمانية يتحمل مسؤولية كبيرة في عرقلة التطور
الصاعى في اللواء • ويتضح ذلك في انخفاض نسبة العاملين في الصناعة في
اللواء • فقد ذكر الاحصاء الصناعي لعام ١٩٥٤ ان مجموع العاملين في الصناعة
قد بلغ ١٧٧٤ نسمة من مجموع سكان اللواء البالغ عددهم ٢٢٦٤٠٠
نسمة (٤٠) x •

39. Ashby, P. 349.

(٤٠) الاحصاء الصناعي للعراق ١٩٥٤ ، بغداد ١٩٥٦ •

(x) لقد بلغ عدد العاملين في المؤسسات الصناعية الصغيرة والكبيرة -

اصل وتطور المراكز المدنية

بما ان صفات ووظيفة المراكز المدنية في لواء السليمانية متشبهة تقريبا ، كذلك شأن العوامل التي أدت الى خلقها • ولعل من ابرز تلك العوامل وجود عقبة تتيج عن حاجز جبلي ^(٤١) • وتتضح اثار هذا العامل في موقع حلبجة وقلعة دزة وبنجوين ، وجميعها تقع على حدود حواجز جبلية • ويدين عدد من المراكز المدنية الاخرى بتطوره الى تحكمه في ممرات جبلية هامة مما يساعده على السيطرة على التجارة المارة من خلالها ، كما هو حال مدينة السليمانية مثلا ^(٤٢) • وكلا هذين النوعين من المواقع يكسب المراكز المدنية في اللواء صفة المدن التجارية • وهذا امر طبيعي ، فالجبال تمثل عقبة بالنسبة لطرق المواصلات مما يؤدي الى ايقاف البضائع عند نقاط معينة ، فتصبح تلك النقاط اشد حركة في نشاطها التجاري اذا ما قورنت بالمناطق المحيطة بها ^(٤٣) •

ان موقع المراكز المدنية على طرق رئيسية او ثانوية ودرجة تطوّر الاحوال الاقتصادية في طهرها الريفي يؤثر تأثيرا عظيما على نموها • وبما ان الزراعة في لواء السليمانية تتطور ببطء شديد ، وبما ان هناك نقصا شديدا في مواصلات اللواء ، لذلك بقيت جميع المراكز المدنية في مرحلتها الطفولية ، على حد تعبير تايلور Taylor ^(٤٤) ، عدا مدينة السليمانية التي يمكن ان تعتبر في طور شبابها •

= في اللواء لعام ١٩٦٨ حوالى ٣٦٩٦ شخصا ، بينما بلغ مجموع سكانه حوالى (٤٧٠) ألف نسمة •

(المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ، ص ٤٨٢) •

41. La Blache. Vidal, "Principles of human geography" (English Translation) London 1956, P. 443.

42. Page, J.W., "The geographical factors controlling the sites of towns" Geog. Teacher, vol. 6. 1911-12. P. 226.

43. Hanman, P. 57.

44 Taylor, Griffith, "Urban Geography". London 1949, P.9.

وبالرغم من ان جميع المراكز المدنية في اللواء تدين بوجودها وتطورها الى عوامل متشابهة كما أسلفنا ، الا ان هناك عوامل اخرى ايضا ساهمت بدرجة ثانوية في تطور كل منها على انفراد ^(٤٥) كما ستوضحه الدراسة التالية .

تطور المراكز المدنية :

السليمانية :

تعتبر مدينة السليمانية (او سليمانى كما تسمى محليا) المدينة الرئيسة في كردستان الجنوبي ، وهي عاصمة اللواء . وتقع على سفح جبل ازمر بين قمتين . وتحكم في الطريق المؤدي الى سهل شهرزور شرقا ، والطريق المؤدي الى سهل كركوك غربا من خلال ممر بازيان . وقد احار هذا الموقع ابراهيم باشا ، وهو احد الحكام العظام لامارة البابين ، في اواخر القرن الثامن عشر ، كعاصمة جديدة للامارة بدلا من العاصمة القديمة قره جوالان . وقد فسر حفيد مؤسس المدينة لريج Rich اختيار ذلك الموقع على اساس انه موقع صالح للصيد الذي كان ابراهيم باشا مولما به بشكل خاص ، وبـ على توفر موارد المياه فيها ^(٤٦) . وكانت في طورها الاول عبادة عن قرية كبيرة تشتمل على حوالى الف بيت ^(٤٧) . وكانت تنمو ببطء شديد نتيجة لتمسك سكانها بعاداتهم الرعوية ، اذ كانوا يهجرون المدينة في أغلب فصول السنة (عدا الشتاء) ويتشرون في الريف المجاور اما لزراعة الارض او للتمتع بمباهج الحياة الرعوية ^(٤٨) .

٤٥ - المصدر السابق .

46. Rich, vol. 1, P. 120.

47. Shiel. J., "Notes on journey from Tabriz through Kurdistan via Van, Bitlis, Selret and Arbil to Sulaimaniya in July and August 1836". J.R.G.S. vol. 8, 1836, P: 101:

48. Felix Jones, "Memories of a journey to the frontier of Turkey and Persia" Bombay 1857, P. 207.

ثم أخذ سكانها يميلون الى الاستقرار تدريجيا ويتجهون الى حرف
مدينة ، لا سيما التجارة • وفي عام ١٨٣٠ طورت مدينة السليمانية العلاقات
التجارية التالية :

١ - السليمانية - بغداد :

كانت القوافل التجارية متصلة ما بين السليمانية وبغداد ، تحمل الى
السليمانية التمور والقهوة والاقمشة والحاجيات الهندية والاوربية ، وتعود
الى بغداد محملة بالحبوب والتبوغ والجبن والسماق والصمغ والصابون •

٢ - السليمانية - كركوك :

كانت القوافل التجارية متصلة ايضا ما بين السليمانية وكركوك ، تحمل
من كركوك الاحذية والجزم وبعض انواع الاقمشة القطنية الخشنة • وتنقل
من السليمانية الحبوب والعسل والاعنام والجوز والسماق والفواكه والرز
والقطن والعفص •

٣ - السليمانية - الموصل :

كانت القوافل التجارية دائمة التنقل ما بين السليمانية والموصل •
وكانت تجلب من الموصل الجزم والاحذية والاقمشة القطنية (الجيوت)
والانواع الاخرى ، والبضائع الدمشقية والديار بكريه وتحمل اليها الجوز
والفواكه المجففة والعفص •

٤ - السليمانية - همدان وسنه :

كانت ترد الى السليمانية مرة واحدة في كل شهر قافلة تحمل من سنه
وهمدان الصمغ والفواكه المجففة والعسل والحديد •

٥ - السليمانية - تبريز :

كانت تمر بالسليمانية قاصدة تبريز كل شهر قافلة تحمل التمور
والقهوة ومواد اخرى من بغداد ، وتعود منها اخرى تحمل الحرير الطبيعي
والمواد المشابهة الاخرى الى بغداد •

٦ - السليمانية - اضروم :

كانت تنطلق من السليمانية كل شهر قافلة واحدة على الاقل تحمل الى اضروم التمور والقهوة ، وتستورد منها الحديد والنحاس والبغال^(٤٩) . من الواضح اذن ان موقع السليمانية على الطرق الرئيسية التي تربط الشرق بالغرب وسيطرتها على ممرات هامة (ممر بازيان وممر ازمري) ، كان العامل الاول المسؤول عن نموها . فقد أدى هذا الموقع الى نشاط التجارة فيها ، كما ادى ايضا الى تطوير صناعات معينة كصناعة السرج وحاجيات النخيل واقمشة السرج والاسلحة على اختلافها^(٥٠) . وكانت اغلب تلك الصناعات مكرسة لسد حاجة العشائر الرعوية التي اصبحت مدينة السليمانية سوقهم الرئيسي . وقد اتخذت صناعة الاسلحة بالذات اهمية خاصة في مدينة السليمانية بالنظر لتكالب كل من الرعاة والزراع على شرائها .

وقد تطورت صناعات المدينة وتنوعت في اعقاب الحرب الكبرى الاولى ، فقد ذكر التقرير الاداري عن المدينة لعام ١٩١٩ بأن من جملة صناعاتها صناعة الصابون والصباغة والحدادة وصناعة الاحذية والسرج ونسج الحرير وصناعة الانسجة والسجاد والسكاكين والصناعات النحاسية والسمكية^(٥١) . ولقد اثر تطور هذه الصناعات تأثيرا فعالا في نمو المدينة .

واخيرا لا بد من التأكيد على أهمية الوظيفة الادارية للمدينة كعاصمة للواء ومساهمتها مساهمة فعالة في نموها . فلقد ادت هذه الوظيفة الى خلق مجالات اقتصادية جديدة ، فكثر فيها المقاهي والفنادق والمطاعم .

49. Rich, vol. 1, PP. 305-6.

50. Manswell, "Kurdistan". Geog. Jour, Feb., 1894. P. 92:

51. Administrative report on Sulaimaniya Division. 1919,P.23.

حلبجة :

وهي تلي مدينة السليمانية في عدد سكانها ، وتقع على بعد (٥١) ميلا الى الجنوب اشرقي منها بالقرب من الحدود الايرانية . ويمثل موقعها مدينة حدود نموذجية ، اذ تقع على طرف التقاء سهل واسع (سهل شهرزور) بسلسلة جبال شاهقة (جبال هاورامان) . لذلك اصبحت حلبجة المركز التجاري لمنتجات منطقتين جغرافيتين مختلفتين ، منطقة شهرزور السهلية ومنطقة هورامان الجبلية . وازضافة الى ذلك فهي تقع على طريق من اهم الطرق القادمة من الغرب متجها الى ايسران مارا بالسليمانية . وهكذا كان موقعها ولاشك العامل الحاسم في نموها .

وقد ساهم في نموها ايضا اتخاذها مركزا تجاريا لعشيرة الجاف ، وهي اكبر عشيرة رعوية في اللواء . وكان افراد هذه العشيرة ينتقلون اثناء هجرتهم السنوية بين مرتفعات سنه في ايران صيفا وسهول شهرزور وكر كوك شتاء . وكانت مدينة حلبجة اكثر المراكز ملائمة لنشاطاتهم التجارية اذ تقع في الوسط بين مراتبهم الصيفية والشتوية . فكان افراد العشيرة يبيعون في حلبجة حيواناتهم من الاعمام والابقار والخيول ومنتجاتها ، وشترن ما يحتاجون اليه من الحبوب والاقمشة والاسلحة والحاجيات الضرورية الاخرى .

كذلك ساهم في نمو المدينة اتساع وتقدم الزراعة في سهل شهرزور ، اذ ان موقعها قد جعل منها السوق الرئيسي لحاصلات السهل .

قلعة دزة :

تكاد قلعة دزة تشابه حلبجة في موقعها ووضعها ، ويعود اختيار هذا الموقع الى عامل عسكري ، فقد استهدفت السلطة السيطرة على عشيرة بشدر التي تستوطن المنطقة . وقد ابنت الادارة العثمانية قلعة حصينة على قمة جبل في تلك المنطقة في النصف الثاني من القرن الماضي لتكون مقرا للحامية

العسكرية ، فتمت المدينة تدريجيا حول تلك القلعة • وفي وسعنا ان نعتبر قلعة دزة مدينة دفاعية حسب تصنيف اوروسو Aourousseau للمدن^(٥٢) . وقد ساهمت عوامل اخرى فيما بعد في نمو المدينة وتطورها ، اذ اصبحت السوق الرئيسي لمنتجات منطقة بشدر ، لا سيما التبغ والحيوانات الحية ، وكذلك منتجات سهل مركه ، لا سيما الجبوب • وساعد على نمو المدينة ايضا قربها من الحدود الايرانية ، فكانت اسواقها تشمل على البضائع العراقية والايرانية •

المراكز شبه المدنية :

قامت المراكز شبه المدنية كمدن اسواق بالدرجة الاولى ، الا ان عوامل اخرى شاركت ايضا في نموها وتطورها ، ولا سيما في حالة الطويلة وببارة • وتعتبر الطويلة اكبر مركز شبه مدني ، وهي تستحق اهتماما خاصا • وتقع هذه المدينة في اقصى الطرف الجنوبي الشرقي للواء السليمانية على منحدرات جبال هورامان الوعرة • وقبل افتتاح الطريق الذي ربطها بحلبجة (وقد تم افتتاحه عام ١٩٥٥) ، كان الوصول اليها عسيرا للغاية بسبب وعورة المنطقة • ومن الواضح ان مثل هذا الموقع لا يصلح لنمو مدينة تجارية • كذلك لا يمكن ان يكون العامل السياسي مسؤولا عن نمو المدينة ، فلا توجد فيها اية ادارة حكومية ، عدا مركز للشرطة ومركز بلدي صغير • ولعلنا نجد التفسير الوحيد لنمو المدينة وتكاثر سكانها في عوامل الضغط الجغرافي التي تنوء بها • فمنطقة الطويلة جبلية وعرة تتكون من سلاسل جبلية ذات حواف حادة تفصل بينها وديان عميقة • ونظرا لندرة الارض الصالحة للزراعة فقد لجأ السكان الى بناء المدرجات واستخدامها في زراعة اشجار الفواكه • واصبح الجوز والكروم والتوت والخوخ وفواكه اخرى الانتاج الرئيسي للمدينة •

52. Aourousseau, op. Cit.

وقد أقامت المنطقة علاقات تجارية مع سهل شهرزور للحصول على الحبوب ، فكانت تصدر اليه الفواكه مقابل استيراد الحبوب . فليس من المستبعد ان نفترض بان نشاطها التجاري هذا قد فرضه الضغط الجغرافي وطورته ظروف ملائمة . فالسكان الهاورامانيون ، لا سيما ابناء الطويلة ، مشهورون بمقدرتهم التجارية . ولقد اقاموا علاقات تجارية مع جميع انحاء لواء السليمانية ومع بعض اجزاء لواء كركوك ، وكانت احوالهم على العموم مزدهرة جدا . وساعد على نشاط المدينة التجاري موقعها الجغرافي على الحدود العراقية الايرانية ، فقد توفرت الفرص للسكان للعمل في التجارة المشروعة وغير المشروعة عبر الحدود العراقية الايرانية .

ولقد واجه نمو السكان في مدينه الطويلة عقبة خطيرة وهي ضيق المجال الاقتصادي . وكان هناك احتمالان امام زيادة السكان : فاما ان يهاجروا الى منطقة اخرى او ان يفتشوا عن عمل خارج نطاق الزراعة والتجارة . وفعلا ، تمثلت في مدينه الطويلة هتان الطاهرتان ، وهما طاهرة الهجرة الى المناطق المجاورة وطاهرة الازدهار الصعي . وقد اعتمدت الصناعات الحديدية على المصادر الطبيعية في المنطقة ، وكانت مساهمتها تصدر الى جميع جهات اللواء . وبالرغم من ان الاحصاءات ارسمية اسي توضح حرف السكان في مدينة الطويلة غير متوفرة ، غير ان استقصاءات المؤلف قد امدته بالمعلومات التالية :

الجدول رقم ٣٠

حرف السكان في مدينة الطويلة لعام ١٩٥٥

الحرفة	عدد الاشخاص
الصناعات الخشبية (الاثاث وما شابه)	١٠
صناعات الاقمشة	٤٠
الخيطة وصناعة الملابس	٦٠

« تابع »

عدد الاشخاص	الحرفة
٥٠	صناعات الآلات والادوات المعدنية
٥٠	المواصلات (عدا السكك الحديدية)
١٠٠	التجارة
٦٠	صناعة الاحذية
٢٠٠	عمال ذوي حرف غير مصنفة

ويعكس الجدول المذكور جزءا من حرف السكان خارج نطاق الزراعة ، الا اننا لا بد ان نتذكر بان غالبية سكان الطويلة يعملون في الزراعة ، شأنهم شأن بقية سكان المراكز شبه المدنية .

اما حالات المراكز شبه المدنية الاخرى فتعكس اثار عوامل متنوعة . فحالة مدينة بياره التي تقع في منطقة هورامان ايضا شبيهة الى حد ما بحالة الطويلة . اما برزنجة فقد اثرت عوامل عديدة في نموها ، منها وقوعها في قلب منطقة وعرة ، ومنها كونها مركزا اداريا لناحية سروجك ، غير ان العامل الديني كان اكثرها فعالية ، فقد كانت منذ البداية موطنًا لعائلة دينية مشهورة التف حولها عدد كبير من الفلاحين المريدين .

وتدين بنجوين بنموها الى موقعها الجغرافي . فهي تقع بالقرب من الحدود الابراية في موقع يتوسط اقليمين مختلفين ، اقليم جبلي واخر سهلي . وقد اصبحت سوقا لمنتجات كلا الاقليمين .

اما هليستو وهيرو فهما اقرب الى قرى كبيرة منهما الى مدن صغيرة . وتدين هاتان القريتان بنموهما الى ازدهار زراعة التبغ ، وهو المحصول الرئيسي في المنطقة . وتشتمل كل منهما على عدد ضئيل من الحوايت التي تسد الاحتياجات اليومية للقرويين .

تطور المراكز المدنية :

من المتوقع ان تسو المراكز المدنية وشبه المدنية المذكورة بتطور سريع تحت تأثير عاملين ، هما التقدم الزراعي والتقدم الصناعي • ولا يحتاج اثر العامل الاول الى تأكيد ، ذلك ان نمو المراكز المدنية التي تطورت عن منشأ ريفي يعتمد اعتمادا رئيسيا على الحالة الاقتصادية لمنطقتها الريفية • ان تقدم الزراعة اذى يؤدي بدوره الى ارتفاع القوة الشرائية للفلاحين يخلق الحاجة الى مزيد من البضائع والخدمات ، بما فى ذلك شراء الآلات الزراعية وتسويق الانتاج الزراعي • لذلك فان تحسين الزراعة ، واختيار وتهجين النباتات والحيوانات ، وتطبيق افضل الوسائل في المزاوجة بين التربة والمحاصيل ، والحيوانات والمحاصيل ، واحلال الحيوانات محل القوى البشرية ، ومكنة الزراعة ، وتطوير تنظيم الانتاج الزراعي ، كل ذلك سيؤدي الى زيادة القدرة (الانتاج) البشرية ، كما يؤدي الى تنوع ونبات المحاصيل الزراعية ، وهذا بدوره يؤثر على تنوع الحرف في الصناعات المساعدة ، وبالتالي يؤدي الى ارتفاع درجة التمدن (التحضر) (٥٣) •

اما العامل الثاني المتعلق بالتطور الصناعي فيمارس تأثيره عن طريق توسيع المجال الاقتصادي للمراكز المدنية • وقد شرعت الحكومة بالفعل في القيام بمشروعات صناعية في اللواء هو بناء مصنع لانتاج السجائر يستهلك حوالى مليون كيلو من التبغ سنويا ، وسيرتفع استهلاكه تدريجيا الى حوالى (٣٥٠) الف طن في العام (x) • وما تزال هناك فرص اخرى لتطويع

53. Ashby, P. 347.

(x) بلغ مجموع الاشخاص الذين يعملون في مصلحة صنع السجائر في السلیمانية حتى اواخر عام ١٩٦٥ حوالى ٧٥٠ شخصا ، كما بلغ مجموع العاملين في مصلحة سمنت سرجنار حتى اواخر العام نفسه ٤٥٧ شخصا • (الدكتور نوري خليل البرازي : الصناعات ومشاريع التصنيع في العراق - معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة - ١٩٦٧ ص ٩٨ و ١٤٨) •

صناعات اللواء حسب مقتضيات اجغرافيه الجبلية ، كقائمة الصناعات اخشبيه وصناعة تجفيف الفواكه ، وكذلك الاهتمام بصناعة السياحة • فاللواء غني بعاباته التي تصلح اساسا لصناعات خشبية متنوعة • كما يصلح اللواء ايضا لزراعة انواع عديدة من الفواكه تكون مادة اولية لصناعات متنوعة • ومن الممكن ايضا تشجيع صناعة السياحة باشاء المصايف واقامة المصحات في اللواء • ومن المؤمل ان يكون مصيف قوبي قره داغ ، الذي انشيء مؤخرا ، بداية طيبة في هذا الحقل ، شريطة ان تبذل له السلطات المسؤولية الاهتمام والعناية اللازمة (x) • كذلك فان من الممكن ان تكون سرجنار مصيفا ناجحا •

ومن الممكن ايضا اقامة صناعات جلدية وصوفية تعتمد على الانتاج المحلي من الجلود والاصواف ، كما يمكن تطوير اصناعات التي تسند الاحتياجات الزراعية للواء كصناعة الآلات الزراعية مثلا • ومن الممكن الاستفادة من حزامي دوكان ودريندخان في تموين صناعات اللواء بمسورد رخيص للطاقة • ولكن ما لم تشارك الدولة في عملية التصنيع ، ولا سيما عن طريق البنك الصناعي ، فسيكون من الصعب اجتذاب السكن الى المشاريع الصناعية ذلك لان نفقهم ضعيفة بالاستثمار الصناعي (x x) •

ان الوصف السليم لاقتصاديات اللواء يقتضي ان يسير تطور الزراعة يدا بيد مع تطور الصناعة ، فيسما تهيه الزراعة الكفوء المواد الخام باسعار رخيصة ، كما تهيه في الوقت نفسه المواد الغذائية والاسواق الجيدة للانتاج الصناعي ، فان الصناعة المتطورة تزود الزراعيين بالآلات والقوى والمخصبات الزراعية ،

(x) من المؤسف ان السلطات المسؤولة لم تستمر في تطوير هذا المصيف ، وهو مهمل في الوقت الحاضر •

(x x) من المشاريع المطبقة حديثا انشاء مصنع للسكر في مدينة السليمانية •

كما وانها تهيء الفرصة لتشغيل فائض العمال الزراعيين (٥٤) •

المظاهر الاجتماعية للحياة المدنية

تمثل المظاهر الاجتماعية للحياة المدنية في لواء السليمانية باختلاف عادات وتقاليد السكان المدنيين عن عادات وتقاليد السكان الريفيين • فقد اصبح السكان المدنيون تحت سيطرة السلطات الادارية المباشرة مما اضطرهم الى الاقلاع عن كثير من عاداتهم القبلية • ولعل من ابرز مظاهر الحياة المدنية تبلور طبقات اجتماعية تستند عموماً على الحالة الاقتصادية لكل فئة من السكان • اما نظام العائلة الابوي فلم يعد يحتفظ بصرامته وحدته ، وقد تضاعفت سلطة الاب ضمن نطاق الاسرة واصبحت رهناً بميول الابناء ومستوى ثقافتهم • غير ان الاب على أية حال ما يزال الرئيس المطلق للعائلة •

اما مركز امرأة المدنية فهو أدنى بكثير من مركز المرأة في المجتمعات الريفية ، وان حريتها ان كانت تملك في واقع الامر اية درجة من الحرية - مقيدة للغاية • وهي ترتدي العباءة والبرقع خارج المنزل ، ولا ينظر الرجل لظهورها في السوق لغرض التسوق نظراً لارتياح •

وعلى العموم فان مستوى الحياة في المراكز المدنية اعلى من مستوى حياة السكان القرويين • فجميع المراكز المدنية تمتلك مدارس ومستشفيات ومياه نقية وكهرباء •

وتتمركز الحياة الاجتماعية حول المقاهي • وهناك تطور سريع نحو الاخذ بمظاهر المدنية الحديثة في الملابس وطريقة الحياة والتفكير وتكساد تلك المظاهر تكسح السكان المدنيين •

54. Alwan, A.S.H., "Agricultural policy in Iraq", a thesis of Ph.D submitted to University of Wisconsin in 1956, P. 26.

الفصل الرابع

الفعاليات الاقتصادية

- ١ -

الزراعة

تتصف الزراعة في لواء السليمانية بصفات الزراعة الاقطاعية المتخلفة وهي التمسك بنمط معين ثابت ، والتركيز على محاصيل معينة ، والتأكيد على انتاج المحاصيل لاجل الاستهلاك^(١) . ولقد أنحق هذا النمط البدائي بالزراعة ثلاثة عيوب خطيرة هي : عدم تنوع المحاصيل ، والغلة المنخفضة ، والتفريط بالارض .

وتمثل عدم تنوع المحاصيل بتخصيص الزراعة الشتوية لانتاج القمح والشعير ، وقصر الزراعة الصيفية على انتاج التبغ . ولا تكاد المحاصيل الزراعية الاخرى تحتل مكانا مرموقا في اقتصاد اللواء . ان هذه السياسة تنطوي على

1. Conrad H. Hammar. "The role of the landlord in tenure reform", F.A.O. centre on the land problems in the Near East, Salahuddin, Iraq, Oct. 1955, P.9.

مخاطر عديدة اهمها التعرض للذبذبات المناخية والاصابة بامراض النباية .
 فالتعرض للذبذبات المناخية يهدد زراعة الحبوب تهديدا مباشرا ، ذلك انها
 تعتمد كليا على الامطار . ومن المعلوم ان الامطار في هذه المنطقة الهامشية
 من مناطق البحر المتوسط تنصف بذبذبة عالية . ففي بعض السنوات تتلقى
 فترة تشرين الاول - مايس (اكتوبر - مايو) مطرا قليلا يضر بزراعة
 الحبوب ويخفض من انتاجها . وفي سنوات اخرى تهطل امطار غزيرة في
 شهر نيسان او مايس مما يؤدي الى تلف المحصول بأكمله . ومن الامثلة
 على هذا التذبذب ما اصاب محصول عام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ . فقد كانت الامطار
 مبشرة بمحصول ممتاز في اوائل الفصل مما شجع الزراع على توسيع الرقعة
 المزروعة بالقمح والشعير . غير ان الامطار انجست في بقية الفصل لدرجة
 الجفاف التام ، فأصيب محصول الحبوب باضرار فادحة . وقد اضعف نقص
 المياه مقاومة النباتات لهجوم الحشرات والاورثة مما زاد في تلف المحاصيل^(٢) .
 ويمثل خطر الحشرات والاورثة كذلك تهديدا دائما لمحاصيل الحبوب ،
 ولا سيما القمح . ويؤثر كل من الجراد والسناج وحشرة السونة ومرض
 الصدأ على مساحات واسعة كل عام . وقد شملت امراض السونة والصدأ
 والسناج لمحصول عام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ مساحه تراوح بين ١٠٪ الى ٣٠٪ من
 المحصول الكلي^(٣) .

وتتعرض الفلات الصيفية ايضا الى اخطار النقص في المياه والى تهديد
 الاورثة . فانجباس المطر الشتوي او قلته ، وكذلك الدفء غير الاعتيادي ،
 يؤدي الى انخفاض مستوى المياه الجوفية والى جفاف الينابيع الصغيرة . ويزيد

2. Ministry of Agriculture "Report of the Iraqi delegation to
 the 8th session of the F.A.O. conference in Rome", Nov. 1955. P:3.

(٣) المصدر السابق ، ص ٣

من حدة هذا الخطر اعتماد الزراعة الصيفية كلياً على المياه الجوفية • ومع ان الغلات الصيفية هي عموماً اقل عرضة للاوبئة ، الا انها تقاسي ايضاً من بعض اضرارها ، لا سيما التبغ •

ان عدم تنوع المحاصيل يضر ايضاً بمستوى دخل الفلاحين اذ يخلق لهم نوعاً من البطالة الموقته • ذلك ان الاعتماد على غلة معينة يؤدي الى تركيز العمل في اوقات محدودة من العام • ويظل الفلاحون عادة بلا عمل تقريباً في اربعة بين فصل اشته وفصل الصيف • وهذه البطالة الموقته تؤدي حتماً الى تخفيض دخلهم • اما اذا وزع عملهم على فصول السنة بالتساوي فسيترفع ايرادهم •

واضافه الى ذلك كله فان سياسة الاعتماد على غلة واحدة -ضرة بالتربة ، لانها تستهلك خصوبتها • اما اذا استُخدم الحقل لاسح محاصيل متنوعة فسيستهلك كل محصول كميات متفاوتة من غذاء النبات ، كما ان جذورها تنفوذ الى اعماق مختلفة من التربة ، مما يؤدي الى المحافظة على خصوبتها ، بل والى اعادة الخصوبة اليها في بعض الحالات •

اما اعنة المنخفضة ، فهي سمة مميزة للإنتاج الزراعي في لواء السليمانية على الخصوص وفي بقية انحاء البلاد على العموم • ومن الملاحظ ان غلة المحاصيل في العراق هي ادنى بكثير من غلة محاصيل الاقطار المتقدمة بالرغم من خصوبة تربته • ويوضح الجدول التالي غلات المحاصيل الرئيسية في العراق بالمقارنة مع غلات بعض اقطار الشرق الاوسط وغربي اوربا :

الجدول رقم ٣١ (٤)

الغلة في الهكتار الواحد (لكل ١٠٠ كيلو) لعام ١٩٥١

القطر	القمح	الشعير	الرز	القطن	التبغ
العراق	٥٣٥	٤٥	١١٨ (×) ١٤	١٩٨	١٩٨

4. U.N., "Year-book of food and agricultural statistics".
F.A.O., Rome 1953. vol. VI, part I, PP. 26-27, table 7.

(×) ينص هذا الرقم الاحصاء الزراعي لعام ١٩٥٠ •

« تابع »

القطر	القمح	الشعير	الرز	القطن	التبغ
المملكة المتحدة	٢٧٣٣	٢٥٥٥	-	-	-
الولايات المتحدة	١٠٠٨	١٤٠٦	٢٦٠١	٣-	١٤٠٦
الارجنتين	٧٨٨	٩٠٩	٣٤٠٢	٢٠٧	٩٠٤
مصر	١٩٠٢	١٨٠٦ (x)	٣٠٠٢	٤٠٤	-
تركيا	١١٥٥	١٣٠١	٣٥٠٣	٢٠٤	٦٠٨
إيطاليا	١٤٠٦	١٠٠٨	٤٦٠٦	١٠٩	١٣٠٨

ويعزى انخفاض الغلة في اللواء الى اسباب عديدة اهمها عدم كفاية المياه وتخلف الوسائل الزراعية • فنقص المياه الناتج عن تقلبت المناخ كثيرا ما يؤدي الى تدهور المحاصيل • كما تضر بالمحاصيل ايضا الزواجع وعواصف البسرد •

ويلحق بتخلف الوسائل الزراعية ايضا بالغة اضرارا فادحة • فعدم تطبيق الدورة الزراعية وقلة استخدام المخصبات واعدام قنوات اصرف امور تخل بالتربة وتستنفذ خصوبتها وترفع نسبة الملوحة فيها • كذلك تعجز الآلات الزراعية المستخدمة حاليا عن مواجهة متطلبات التهيئة الجيدة للحقل • وقد سبق لنا ان اشرنا الى تأثير الاوبئة والحشرات على اغلات المخزلة •

اما التفريط بالارض فهي صفة بارزة ليس في لواء السليمانية فحسب بل في جميع ألوبة العراق • وبالرغم من عدم توفر مسح طوبوغرافي كامل للاراضي الصالحة للزراعة والاراضي غير الصالحة للزراعة ، الا ان من المتفق عليه بان الاراضي التي تزرع حاليا يمكن ان تضاعف مساحتها اذا ما انجزت مشاريع الري اللازمة وطبقت الاساليب العلمية في الزراعة • وقد ذكر احصاء الزراعي والحيواني للعراق لعام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ بان الارض التي

استثمرت في الزراعة في لواء السليمانية اثناء العام المذكور بلغت ٥٧٠٥١٣ مشاركة ، بينما بلغت مساحة الارض التي تركت بورا حوالى ٤٣٣٣٦٢ مشاركة^(٥) . ولقد نتج هذا التفريط بالاراضى الزراعية عن نمط الملكية الارضية السائد، وان كن سببه المباشر اتباع طريقة زراعة البور (النير والنير) . فلقد أدى نظام الملكية الارضية السائد في اللواء الى اضعاف امقدرة الاقتصادية للملاحين وتحديد جهودهم في استثمار الارض . فلو كان في قدرتهم تهيئة الحيوانات الحقلية الضرورية والآلات الزراعية اللازمة والسماذ الكافي لما لجأوا الى طريقة زراعة البور ، لا سيما وان المياه متوفرة للمحاصيل الشتوية . ان الملامح المذكورة للزراعة في لواء السليمانية هي حصيلة التفاعل بين عوامل طبيعية وبشرية عديدة كما سنوضحه في الصفحات التالية .

آثار العوامل الطبيعية

لا بد لنا ان نولي العوامل الجغرافية الاهمية الكبرى لدى دراسة الزراعة في لواء السليمانية باعتبارها العوامل المتحكمة . فالارض والخصوبة ، وموارد المياه والري ، والصعوبات الطبوغرافية ، ونقص المواصلات ، كلها مواضيع جغرافية ذات مساس مباشر بالزراعة .

الارض والخصوبة :

بالرغم من ان رقعة الارض الصالحة للزراعة في لواء السليمانية هي اصغر بكثير مما هي عليه في ألوية العراق الوسطى والجنوبية ، الا ان جزءا لا بأس به منها يترك بورا كل عام . فاللواء اذن لا يعاني من نقص الارض الزراعية ، عدا منطقة هاورامان التي واجهت المشكلة باقامة المدرجات لزراعة اشجار الفاكهة .

5. Agricultural and livestock census, P. 171.

اما خصوبة تربة اللواء فتختلف من موضع الى اخر حسب تعرض الارض لعوامل التعرية • والواقع ان التعرية تعتبر من أخطر المشاكل التي تواجه الاراضي الزراعية في اللواء • وهذا شأن بقية الاراضي الجبلية في كردستان العراق • وتوضح خارطة تصنيف ارض العراق بان جزءا كبيرا من اراضي لواء السليمانية يقاسي من تعرية شديدة بحيث تقضي على امكانياته الزراعية • كما ان جهات اخرى من اللواء تفقد تربتها باستمرار مما يجعلها ذات تربة ضحلة وبذلك يضعف انتاج المحاصيل الزراعية • غير ان تربة الجهات التي لا تتعرض للتعرية تتميز بخصوبة عالية • وتدين امثال تلك الجهات السهلية بخصوبتها الى ما تحمله اليها سيول الامطار من تربة التلال والجبال المجاورة •

موارد المياه والرى :

يقع لواء السليمانية بكليته في المنطقة المطرية • واذا قلنا الرأي القائل بان الاراضي التي تتلقى ما يزيد على (٢٠) بوصة من الامطار سنويا تعتبر من المناطق الرطبة (بينما تعتبر المناطق التي تتلقى من الامطار اقل من ١٠ بوصات جافة ، والتي تتلقى ما يتراوح بين ١٠ - ٢٠ بوصة سنويا شبه جافة) (٦) اذا ما اخذنا بهذا الرأي فان لواء السليمانية يعتبر بكليته عندئذ ضمن المنطقة الرطبة ، ذلك انه يقع ضمن خطوط المطر المتساوية ٢٧ بوصة الى ٥١ بوصة • وقد مكن موقع اللواء هذا من الاعتماد كليا على الامطار لارواء الزراعة الشتوية (x) • غير ان نصيب المنطقة المطرية من التساقط

6. Richard. T. Ely & George, S. Wehrwein., "Land Economics", New York 1940, 2nd Edit., P. 33.

(x) لقد اورد تقرير الاحصاء الزراعي الحيواني لعام ١٩٥٢-١٩٥٣ الارقام التالية عن مصادر المياه في لواء السليمانية :

١ - المساحات المروية بواسطة الامطار = ٩٠٥٣٢٠ مساحة •

٢ - المساحات المروية سيجا (بواسطة الينابيع والكهاريز

والانهار) = ١٥٠٩٢٢ مساحة •

=

ينحصر في شهور معينة من العام ، هي فيما بين تشرين الاول وميسس ، اما بقية الشهور فيسودها الجفاف التام . لذلك فان الزراعة الصيفية لابد ان تعتمد على مصادر اخرى غير الامطار ، ولا يمكن الاستفادة من انهار اللواء ، وهما انزاب الصغير ونهر سيروان وروافدهما الا بدرجة محدودة للغاية بسبب الصعوبات الطبوغرافية وبسبب نضام فيضائهما (x) . وبهذا فان الزراعة الصيفية تعاني دائما من نقص المياه . وقد ادى هذا العجز في المياه الصيفية الى تقلص المساحات المستثمرة في الزراعة الصيفية بدرجة عظيمة . ولا تكاد الاراضي المستثمرة في الغلات الصيفية تزيد على عشر الاراضي الصالحة للزراعة . ولا يصلح اللواء لاقامة مشاريع ري ضخمة لخدمة اراضيه الزراعية بسبب الصعوبات الطبوغرافية .

والواقع ان الخزائين اللذين اقيما في اللواء ، وهما خزان دوكان وخزان دربندي خان ، لا يخدمان اللواء . ويقع خزان دوكان على نهر الزاب الصغير (الاسفل) وعند الحافة الغربية لسهل رانية على بعد ٦٠ كيلومترا شمال غرب السليمانية حيث يمر النهر من مضيق بين الجبال يسمى مضيق

٣ - المساحات المروية بواسطة المكائن (من الانهار) = ٧١٤
مشاردة .

٤ - المساحات المروية بوسائط اخرى (من الانهار) = ٧٦
مشاردة .

(المصدر / الاحصاء الزراعي الحيواني لعام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ،
ص ٧٢) .

(x) تستخدم بعض الروافد الصغيرة لنهر الزاب الصغير ونهر سيروان في الري في لواء السليمانية بدرجة محدودة . واهمها نهر تانجرو . وهذا النهر الذي يبدأ كمجرى صغير في سهل شهرزور شمالي السليمانية يكرر بدرجة ملحوظة كلما اتجه جنوبا حتى يلتقي بنهر سيروان . وتلتقي به عدة نهيرات صغيرة منها زلم ومالوان وموان واليشه ، وكلها تستثمر في الري الصيفي . كذلك يستثمر نهر قزلبجة وروافده في الري الصيفي بدرجة اقل .

دوكان • ويأخذ المشروع من قوس خرساني صخم يقطع نهر الزاب الصغير ويبلغ طوله ٣٢٥ مترا وارتفاعه ١٠٨ امتار • وقد حفر كذلك نفق قطره (١٢٥) مترا من الجهة اليسرى من السد لتمر فيه المياه لأغراض الري وجهاز بواب حديدية للسيطرة على المياه المارة منه • كذلك بنيت خمسة منافذ مبطنة بالفولاذ لاستخدامها في مشروع الكهرباء • ويعمل هذا السد على حجز مياه الزاب الصغير وتكوين بحيرة واسعة بين الجبال تبلغ مساحتها (٧٠) كيلومترا مربعا وتستوعب ٦٨ مليار متر مكعب • ان الغرض الاساسي من هذا المشروع هو تخزين كميات من المياه تكفي لأرواء اراضي جديدة تبلغ مساحتها ١٣٠٠٠٠٠٠ دونما تقع على ضفتي نهري الزاب الصغير والعظيم، وتشمل اراضي مشروع الحويجة وارياضي مخمور على الضفة اليمنى من الزاب الصغير • كذلك يهدف المشروع الى التخفيف من اخطار الفيضان بالتحكم في مياه الزاب الصغير ، كما ويهدف ايضا الى توليد الطاقة الكهربائية (٧) •

اما خزان دربندي خان فيقع على نهر سيروان (ديالى) على بعد حوالي (١٠) كيلومترات اسفل ملتقى سيروان بتاجرو • ويتألف المشروع من جدار خرساني طوله (٢٤٥) مترا وارتفاعه (١٣٠) مترا يقطع نهر سيروان عند مضيق دربندي خان • وتتكون امام السد بحيرة تخزين ٣٧ مليار متر مكعب • ويهدف المشروع الى التحكم في مياه نهر سيروان وتخليص منطقة ديالى من اخطار الفيضان ، كما يهدف ايضا الى توسيع الرقعة الزراعية على ضفتي نهر ديالى • ويستفاد من المشروع ايضا في توليد الطاقة الكهربائية (٨) •

7. Development Board. "The great irrigation schemes". Baghdad 1955, P. 10.

8. Harza Co., "Derbendi Khan Dam". Baghdad 1954, P.3.

ومن الواضح ان هذين الخزائين لا يخدمان اغراض الري في لواء
السليمانية نظرا للصعوبات الطبوغرافية التي لا تسمح بالري السحي من
الخزانين • والواقع انهما قد اديا الى ترحيل وتهجير عدد كبير من الزراع
المحليين ، حيث ادى مشروع دوكان الى غمر حوالى (٤٠) قرية ، كما ادى
مشروع دربندى خان الى غمر حوالى (٧٠) قرية •

ان لواء السليمانية في حاجة اذن الى مشاريع ري محلية صغيرة تهيأ
خصيص لخدمة الزراعة في اللواء وفي بقية الالوية الجبلية الكرديه • ويتم
ذلك بتخصيص مبالغ كافية لحفر الابار والكهاريز على نطاق واسع لمواجهة
حاجة اللواء للمياه اللازمة للزراعة الصيفية • ومع ان لواء السليمانية غني
بالمياه الجوفية ، الا أن حفر الكهاريز يقتضي مبالغ باهضة لا يستطيع توفيرها
الفلاحون الفقراء (×) • وما لم تتول الدولة القيام بمثل هذه المشاريع فان
العجز في المياه سيعرقل دائما التوسع في الزراعة الصيفية •

(×) لقد شرح ماكفادين Mackfadyen • الكهريز ، في تقريره عن
موارد المياه في العراق على النحو التالي :

(عند بناء الكهريز تحفر بشر بواسطة الايدي الى مستوى المياه الجوفية
في ارض مرتفعة • ثم يحفر نفق ذو انحدار بسيط جدا بحيث انه في الوقت
الذي تحرى فيه المياه فان مدى انحداره يكون اقل من مستوى سطح الارض
ومستوى المياه الجوفية • ثم ينتهي النفق بشكل طبيعي في مخرج الى فوهة
مفتوحة في مستوى الارض او اسفل قليلا •

ويختلف معدل الانحدار اختلافا كبيرا من كهريز الى اخر معتمدا على
طوبوغرافية المنطقة • كما ان من الممكن ايضا ان يفرع الكهريز لزيادة كمية
المياه ، ويلتقي الفرعان عند مخرج المياه • وقد لوحظت هذه الطريقة في لوائي
السليمانية واربيل على وجه الخصوص ، وقد يشتمل الكهريز على اكثر من
قرعين •

وتحفر سلسلة من الابار تتصل بقناة الكهريز لازالة ما يتساقط من =

الصعوبات الطبوغرافية والحاجة الى المواصلات :

لقد كانت اوضاع اللواء الطبوغرافية عقبه كآداء تجاه تصور الزراعة .
وقد اضطرت القرى المنعزلة الى التركيز على الاقتصاد الاستهلاكي . ولم
تكن هذه السياسة ذات ضرر ملموس بالنسبة للمنطقة قبل بداية القرن
العشرين ، فلم تكن الاسواق الخارجية مفتوحة امام منتجات البلاد بدرجة
واسعة . غير ان اهمية التجارة الخارجية قد توضحت منذ اوائل هذا القرن

ركام اثناء الحفر او لسظيفه فيما بعد ، وتبعد كل بئر عن الاخرى من ١٥ الى
٢٠ مترا . وتغلق فوهات هذه الآبار عند اكمال حفر الكهريز ولا تفتح
الا عند تنظيفه .

وبما ان الكهاريز تحفر في الغالب في تربات رخوة مثل التربات الميضية
او الحصوية او الكونجلومرات البخنيارية غير السمنتية ، لذلك لا بد لها من
ان تثبت بالبناء . والواقع ان بعضها مبني جيدا في بعض اجزائه بالطابوق
على الاقل ، غير ان الكثير منها يترك بلا بناء مما يدعو الى تنظيفها باستمرار
اذا اريد المحافظة على جريان مياهها بانتظام والحيلولة دون انسداد المجرى .
والحقيقة ان انسداد المجرى نتيجة لترسيب الطمي قد يحدث في الكهاريز
المبينة من الداخل او غير المبينة على السواء ، الا ان الكهاريز غير المبينة
اكثر عرضة للانسداد بسبب ما يتساقط في مجراها من الاتربة .

ان حصىلة الكهريز من المياه تختلف اختلافا عظيما من وقت لآخر
حسب مدى العناية بنظافته ، وحسب فصل السنة وحسب الدورة المطرية .
وكثيرا ما يذكر القرويون بان مياه كهريزهم لا يكاد يتجاوز خمس او عشر
كعبه السابعة . وبالرغم من ضرورة قبول مثل هذا الكلام بشئ من الحذر ،
الا انه يدل على اية حال على انخفاض كمية مياهه .

ان حفر كهريز طويل عملية مكلفة ، كما ان المحافظة على نظافته مهمة
مكلفة ايضا . وما لم تضمن كمية كبيرة من المياه مقدما ، وهو ما يحدث
فعلا ، فمن المفضل استبدال عملية حفر الكهريز بحفر الآبار او باستخراج
المياه بواسطة المكائن اذ انها اقل تكاليفا .

Mackfadyen. "Water supplies of Iraq" P. 3-4.

حيث اتصلت الأسواق العالمية بعضها اصلاً وثيقاً مما شجع على بدء سعيه
الزراعية الحقيقية . وقد واجهت المحاولات التي بذلها زراعي سوريا
في انشاء عقبات فعالة ، اذ لم يكن ممكناً تصدير الغنص في الاماكن الزراعية
خارج المجتمعات القروية بسبب الصعوبات الطبوغرافية واجهه في مبيعات
الحديثة . وما تزال تلك الصعوبات حتى اليوم تترك آثارها على السيل .
الزراعية في اللواء . فمن المعروف ان اللواء يصلح زراعة انواع عديدة من
الفواكه كالكروم والخوخ والشمش والرمح والشمع ، ومع ذلك فزراع
لا يولون زراعة اشجار الفاكهة اهتماماً ، اذ يضطرون الى بيعها في الاسواق المحلية
وبذلك تندي اسعارها بدرجة كبيرة . وفي بعض الحالات تترك الزراعة
الفاكهة بلا حني ، ولا سيما في حالة الكروم ، لان جنيها لن يعود عليهم
بأرباح مقبولة . ان عدم اهتمام زراعي لواء السليمانية بزراعة الفواكه لا يضر
اقتصادهم فحسب بل يضر باقتصاد البلاد عموماً ويحرمه من مزية عظيمة .
فقطراً للفرق بين حرارة المنطقة الجبلية والمنطقة السهلية ، فان فواكه المنطقة
الوسطى والجنوبية من البلاد تنضج في وقت مبكر من المنطقة الجبلية الشمالية .
ففاكهة لواء السليمانية وبقية الالوية الكردية - وكذلك خضرواتها - تنضج
جائزة للجني في الوقت الذي تختفي فيه فواكه المنطقة الجنوبية والوسطى
من الاسواق .

ولم تواجه الصعوبات الطبوغرافية في اللواء بشكل جدي ، فقد تقدمت
عملية بناء الطرق ببطء شديد . واذا ما قيس التقدم الاقتصادي لاية منطقة
من المناطق بطوال طرقها ، فان لواء السليمانية يعتبر في هذه الحالة منطقة
متخلفة . صحيح ان بناء الطرق في المناطق الجبلية عملية باهضة التكاليف ،
الا ان ذلك لا يبرر التقاعس في بناء شبكة حديثة من المواصلات . وهناك
نوعان من الطرق الصالحة للسيارات في اللواء ، مبلطة وغير مبلطة . اما
السكك الحديدية فينبعدها وجودها في اللواء . واهم الطرق المبلطة هي :

- ١ - طريق السليمانية - حلبجة (٧٦ كم) •
- ٢ - طريق السليمانية - كركوك (١١٤ كم) •
- ٣ - طريق السليمانية - قلعة دزة (٩٥ كم) •
- ٤ - طريق بنجوين - سيد صادق (الذي يلتقي بطريق السليمانية - حلبجة بالقرب من سيد صادق) (٧٠ كم) •
- ٥ - طريق السليمانية - عربد - دربندى خان (٦٤ كم) •
- ٦ - طريق السليمانية - دوكان • (٦٧ كم) •

والواقع ان بعض هذه الطرق قد خربت تماما ، وفيما عدا طرق المسلمين - كركوك ، والسليمانية - دوكان ، والسليمانية - دربندى خان ، فجميع الطرق الاخرى في حاجة الى اعادة تخطيط •

اما الطرق غير المبلطة فهي :

- ١ - طريق السليمانية - جوارته (٥٥ كم) •
- ٢ - طريق السليمانية - قره داغ (٨٠ كم) •
- ٣ - طريق حلبجة - الطويلة (٥٠ كم) •
- ٤ - طريق عربد - برزنجة (٥٠ كم) •

وليس هناك نية في ربط مدينة السليمانية بالسكك الحديدية ، او في ربط اللواء بايران بطريق مبلط بالرغم من ان مدينة تبريز الايرانية غير بعيدة عن بنجوين • وقد ذكرنا بان غالبية الطرق المبلطة وجميع الطرق غير المبلطة في حالة متخلفة للغاية • وهي في جهات كثيرة منها غير صالحة بتاتا لمرور السيارات ، لا سيما في فصل الشتاء • ولذلك تنعزل بعض جهات اللواء عن الاتصال بالمراكز المدنية الرئيسة لاكثر من شهرين خلال الفصل المذكور •

ولقد تركت حانة المواصلات المنخفضة ، بالإضافة الى الصعوبات الطبوغرافية
آثارا سيئة على الاوضاع الزراعية (x) .

آثار العوامل البشرية

ان دراسة آثار العوامل البشرية على الزراعة في اللواء تقتضي قبل كل
شيء دراسة نظام الملكية الزراعية السائد ثم دراسة العجز في الخدمات الزراعية
الضرورية . ويتفق الباحثون بان نظام الملكية الزراعية في العراق مسؤول
الى حد كبير عن تدهور الاحوال الزراعية في البلاد ، كما ان من المتفق عليه
ان تعديل نظام الملكية السائد لابد ان يسبق اجراءات اصلاح الزراعي

(x) ان السخلف في طرق المواصلات لم يؤثر على الزراعة في اللواء
فحسب ، بل اثر على بقية النواحي الاقتصادية ايضا . ومن امثلة هذا
التأثير انضمار باقتصاديات اللواء عدم استثمار صلاحيته لاقامة المصايف .
فمن المعروف ان جبال كردستان بماظهرها الطبيعة الخلابة وماخها الملاثم
صيفا صالحة لاجتذاب المصطافين في البلاد اذا ما اقيمت فيها المصايف المناسبة
وانشأت فيها طرق المواصلات الحديثة . وفي كل صيف يسافر عشرات الالوف
من العراقيين الى الاقطار المجاورة ، لا سيما لبنان ، لمضية اشهر الصيف في
ربوعها ، حاملين معهم مقدارا عظيما من الثروة الوطنية . فاذا ما تها تلك
الثروة ان تنفق في ألوية كردستان الحبلية فانها ستحفظ ثروة البلاد كما
انها ستنعش الحالة الاقتصادية في المنطقة الكردية . غير ان العجز في المواصلات
قد جعل لواء السليمانية مثلا مكانا قصيا لا يفكر المواطن العراقي في تمضية
اجازته فيه ، بينما يعبر لبنان بلدا في مساؤل اليد . وقد دعت الحكومة
الى هذه الخسارة الاقتصادية التي يعاها لواء السليمانية وبدأت مشروعها
لبناء مصيف حديث في قوبي قره داغ ، الا ان هذا المشروع لم ينجز على
الوجه الاكمل . وقد اتجهت السبة ايضا الى تحويل جبل پيرة مكرون الى
مصيف ، غير ان هذا المشروع ما يزال في خطواته الاولى . ومن الممكن
الاستفادة ايضا من منطقة سرجنار وتحويلها الى مصيف . ومن الجدير بالذكر
ان المصيف لا يمكن ان يكون جذابا ما لم يزود بوسائل الحياة الحديثة
ووسائل التسلية وما لم يتيسر الوصول اليه .

الآخري (x) •

ونكي نفهم انماط الملكية الزراعية الحالية لاهد لنا ان نبدأ باستعراض تاريخي موجز لنظام الملكية الزراعية في العراق عبر العصور التاريخية المختلفة •

وبالرغم من اننا لا نعرف سوى القليل عن نظام الملكية الزراعية في العراق في العهود الغابرة ، الا أن السجلات استوفرة تدل على ان الملكية الزراعية كانت على نوعين ، فردي وجماعي • ويبدو ان الملكية الزراعية في العراق القديم - في العهود السومرية والاكديّة والبابليّة - كانت على ثلاثة أصناف هي : ملكية خاصة ، و ملكية دينية ، و ملكية قبلية •

وكان هنالك نوع آخر من الملكية ورد ذكره في قوانين حمورابي وسمي بـ (ألكو) والذي يبدو شبيها بملكية الدولة • وكان هذا النوع من الملكية

(x) لقد كتب هذا البحث قبل تشريع فواسين الاصلاح الزراعي ، لذلك فان الكثير من احكامه ومعلوماته أصبحت ذات اهمية تاريخية • ومن المعلوم ان ثورة ١٤ تموز قد بادرت منذ عامها الاول الى تحقيق الاصلاح الزراعي فاصدرت القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، وقد حددت فيه الملكية الزراعية على الوجه التالي :

المادة الاولى : لا يجوز ان تزيد مساحة الاراضي الزراعية التي تكون مملوكة لشخص او مفوضة له بالطابو او ممنوحة له باللزمة عن (١٠٠٠) دونم من الاراضي التي تسقى سبيحا او بالواسطة ، او (٢٠٠٠) دونم من الاراضي التي تسقى ديمًا • وعند الجمع بين النوعين يكون الدونم الواحد مقابلا لدونمين من النوع الثاني •

المادة الحادية عشرة : توزع الاراضي المستولى عليها وكذلك الاراضي الاميرية الصرفة والاراضي المحلولة التي تحددها الهيئة العليا وترى انها لازمة للتوزيع او مكملة لاراضي مستولى عليها في اى منطقة •

ويكون التوزيع على الفلاحين بحيث تتكون لكل منهم ملكية صغيرة لا تقل عن ثلاثين دونما ولا تزيد عن ستين دونما من الاراضي التي تسقى سبيحا او بالواسطة • ولا تقل عن ستين دونما ولا تزيد عن مائة وعشرين دونما من الاراضي التي تسقى ديمًا وذلك تبعا لجودة الارض •

يُسمح بالخدمات العامة ولا يمكن ان يباع او يفتصب او يرهن او يورث بأنه شروط مهما كانت (٩) .

9 Delaporte, L., "Mesopotomia; The Babylonian and the Assyrian civilization" (The English translation by Gordan Chylde) London 1925, P. 101.

= ولقد صدر تعديل اخر لهذا القانون هو «قانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠» ، وتنص ابرز موادها على ما يلي :

الباب الاول - المادة الثانية :

لا يجوز ان تزيد مساحة الاراضى الزراعية المملوكة لشخص او المفوضة له بالطابو او الممنوحة له باللزمة عن الحدود التالية :

أ - فى الارض الديمة :

١ - (٢٠٠٠) ألفا دونم فى الاراضى غير وافرة الخصب التى تقع جنوب خط سقوط الامطار .

٢ - (١٦٠٠) ألف وستمائة دونم فى الاراضى وافرة الخصب التى تقع جنوب خط سقوط الامطار .

٣ - (١٣٠٠) ألف وثلاثمائة دونم فى الاراضى غير وافرة الخصب التى تقع شمال خط سقوط الامطار .

ب - فى الاراضى المروية :

١ - (٦٠٠) ستمائة دونم فى الاراضى غير وافرة الخصب التى تسقى بالواسطة .

٢ - (٤٠٠) أربعمائة دونم فى الاراضى وافرة الخصب التى تسقى بالواسطة .

٤ - (٣٠٠) ثلاثمائة دونم فى الاراضى وافرة الخصب التى تسقى سبيحا .

٥ - (١٢٠) مائة وعشرين دونما فى الاراضى التى تسقى بالواسطة . وتزرع قطنا او خضروات فى المحافظات الشمالية .

٦ - (٨٠) ثمانين دونما فى الاراضى التى تسقى سبيحا وتزرع قطنا او خضروات فى المحافظات الشمالية .

٧ - (٦٠) ستين دونما فى الاراضى التى تسقى سبيحا وتزرع شلبا فى المحافظات الشمالية .

وبدو على اية حال بان الملكية الكبيرة كانت تصل الى حد ١٣٥٠ هكتارا (٣٣٠٠ فدان) • وكان هذا النوع من الملكية سائدا في العراق القديم ، وكانت تمثله الملكيات الكبرى للمعابد ، وملكيات الاسرة المالكة ، وملكيات الاشخاص المقربين في الدولة • وكان الملاكون الكبار عبارة عن اقطاعيين مسؤولين عن نهضة عدد معين من الجند للملك • اما في المناطق القبلية فكانت الارض ملكا مشتركا لافراد العشيرة ، غير ان زعماء العشائر كانوا يسيطرون فعليا على الارض ، وكانت كل اسرة او مجموعة صغيرة من الاسر تستثمر قطعا صغيرة غير محددة من الارض • وعلى العموم فقد كانت الملكية الخاصة محترمة ، كذلك كانت حقوق المرعى والمياه • وكان التصرف بالملكية الخاصة عرضة لتقييدات في صالح العائلة (١٠) •

وفي اوائل العصر الاسلامي كانت الارض تقسم الى ثلاثة أصناف :

١ - ارض خراجية : وتعود ملكية هذه الاراضي الى الملاكين غير المسلمين الذين خضعوا للحكم الاسلامي بلا مقاومة • وكانت هذه الارض خاضعة لضريبة تدفع لبيت المال تسمى الجزية او الخراج التي تصل الى نصف الحاصل • وقد تعود ملكية هذه الاراضي الى ملاكين مسلمين حلوا محل مالكيها الاصليين غير المسلمين الذين انتزعت منهم الارض بسبب مقاومتهم

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٠١ •

= ٨ - (٥٠) خمسين دونما في الاراضي التي تسقى بالواسطة وتزرع في المحافظات الشمالية •

٩ - (٤٠) اربعين دونما في الاراضي التي تسقى سبيحا وتزرع تبعا في المحافظات الشمالية •

١٠ - (١٠٠) مائة دونم في الاراضي التي تسقى سبيحا وتزرع شلبا في غير المحافظات الشمالية •

المصدر : قانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ ، مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام - مديرية الاعلام العامة ، ص ٥-٧ •

• للحكم الاسلامي •

٢ - ارض عشيرية : يمثل هذا النوع الاراضى التى وزعت على المحاربين المسلمين في الاقطار التى فتحت عنوة ، او تلك الاراضى التى تركت بأيدي مالكيها الاصليين نتيجة لدخولهم في الدين الاسلامي • وتبلغ الضريبة على هذه الارض عشر المحصول الذى يروى سبعا او بواسطة المطر ، و ٢٠/١ من المحصول اذا روى باحدى وسائل الري الصاعية • وكان يطلق على كل من هذين الصنفين اسم (ارضى مملوكة) وهي متشابهة في حقوق ايجارها •

٣ - ارضى اميرية : تعود ملكية هذه الاراضى الى بيت المال ، وتشتمل على اراضى لم تكن قد قسمت بين الفاتحين او اراضى كانت في الاصل خراجية او عشيرية ، ولكنها تركت لبيت المال اما لان مالكيها قد ماتوا دون ان يتركوا وريثة او لاسباب اخرى ناجمة عن اجراءات ادارية معينة (١١) •

وبما ان الخليفة كان رأس الدولة المطلق فقد كان له ولعاونه الحرية المطلقة في اراضى الدولة • وفي اواخر العصر العباسى كان هناك خمسة أصناف من الاراضى هي :

١ - اقطاعيات الخليفة •

٢ - ملكيات خاصة •

٣ - اراضى الدولة الممنوحة لاشخاص مقربين او لموظفين مديين او عسكريين •

٤ - اراضى الوقف ، التى كانت قد اوقفت من قبل مالكيها لمنافع خيرية او شخصية •

11. Fahmi, Ahmed. "Report on Iraq", Baghdad 1926, PP. 28-29.

٥ - اراضى مشاع ، وهي اراضى تابعة للدولة مخصصة للمنفعة العامة
كأراضى الطرق والمراعى (١٢) .

وبعد هت العراق في قبضة المغول لفترة تقرب من اربعة قرون ، منذ
عام ١٠٧٢ . وقد عمد المغول الى توزيع الاراضى على ضباطهم وجنودهم
وفرضوا على ابلاد النظام الاقطاعي بالتزامه العسكرية . وانهت الفترة
المولية بالاحتلال الابرائى عام ١٥٠٨ ، الا ان الحكومة الابرائية المركزية
كانت من المصنف بحيث كونت بعض القائل القوية امارات مستقلة عمليا .

وفي عام ١٥٣٤ سيطرت الامبراطورية العثمانية على العراق ، وبسبب
سياستها غير المستقرة تجاه الارض فقد اصبحت حقوق الملكية مرتبكة الى
قضى حد . وفي البدء اعتبرت الحكومة العثمانية جميع اراضى البلاد تقريبا
تحت سيطرة الحكومة ، عدا بعض الاراضى الواقعة بجوار المدن . وقد
محت الحكومة اقطاعيات واسعة الى الضباط الكبار وفرضت عليهم الالتزامات
الافطاعية ، حيث وجب على كل مالك ان يقدم للجيش عددا من الجنود .
وبما ان المناطق القبلية كانت عصية على السيطرة الحكومية سبب انعدام
المواصلات ووجود تنظيمات قبلية متماسكة ، فقد عينت الحكومة رؤساء العشائر
كممثلين اقطاعيين لمنطقهم مسؤولين عن جمع الضرائب الاسمية من عشائريهم
وعن تقديم عدد من الجند الى الجيش . وبما ان القبيلة كانت عبارة عن وحدة
اجتماعية وسياسية تربط اعضاءها روابط الدم والمصالح المشتركة ، فان
الاراضى القبلية كانت تزرع جماعيا ، ولم يكن أي فرد يطالب بملكية خاصة
لقطعة من الارض . والواقع ان مزاوله الزراعة شبه المنقلة قد جعلت مثل هذا
الادعاء مستحيلا تقريبا . وكان كل عشائري على اية حال مسؤولا عن دفع

12. Ali, H.M., "Land reclamation and settlement in Iraq".
Baghdad 1955, P.54-55.

ضرائب معينة الى رئيس العشيرة ، حيث ان الرئيس مسؤول بدوره عن رعاية مصالح العشيرة ودفع ضرائبها الى الحكومة . وهكذا فن رجال العشائر تحت هذا النظام (لم يكونوا ملاكاً فرديين ولا عمالاً زراعيين ، بل كانوا زراعاً لارض تمتلك جماعياً) (١٣) .

وفي نهاية اقرن الثامن عشر قررت الحكومة العثمانية ان تقوم ببرامج اصلاحية واسعة . فاصدر السلطان سليم الاول سلسلة من القرارات اطلق عليها اسم (التنظيمات) ، كان من بينها الغاء النظام الاقطاعي . وقد صدر قانون خاص للملكية الارض عام ١٨٥٨م اعتبر جميع الاراضي ، عدا استثناءات قليلة ، ملكيات حكومية ، كما نص القانون على ضرورة حصول الزراع على حقوق الاجار من الحكومة لقاء دفع ضريبة العشر . ونص القانون ايضا بان على كل مستثمر لارض معينة ان يسجلها في دوائر التسجيل (اطابو) . وبما ان القانون كان يهدف بالدرجة الاولى الى تفتيت النظام العشائري ، حيث منع تسجيل المنطقة العشائرية بأجمعها او القرية بأكملها باسم شخص واحد (وهو الرئيس) او باسم المجموعة (وهي العشيرة) ، فقد قاطعه العشائر ولم تأبه له . ولقد أدى رفض العشائر الالتزام بذلك القانون الى صدام دائم بينها وبين الجيش العثماني . وقد اجتذب بعض الشيوخ والاغوات الى جانب الحكومة وسجلت الارض العشائرية باسمائهم وادى عملهم ذلك الى تحطيم وحدة عشائريهم . (وبهذه الطريقة استطاعت الدولة ان تقيم اتصالات مع الوحدات العشائرية الصغيرة التي يمكن التفاهم معها . غير ان الزراع من

13. Warrinor, Doreen, "Land reform and development in the Middle East", Royal Institute of International Affairs, London 1957. P.163.

افراد العشائر ظلوا يمتأى عن الدولة وكان يقوم بمهمة الارتباط بينهم وبين الحكومة الشيوخ والرؤساء والاغوات) (١٤) .

ولم تطبق مبادئ قانون الارض في العراق الا حينما عين مدحت باشا واليا لبغداد عام ١٨٦٩م . وبالرغم من ان مدحت باشا كان حاكما متهورا وناجحا ، الا ان سياسته تجاه الملكية الارضية كن محكوما عليها بالفشل نظرا لبعوبها الكثيرة . فقد تجاهلت تلك السياسة ربة العشائر تجاه الحكومة وبالملي عدم تعاونها معها ، كما تنازحت عن جهل الفلاحين بحقيقة قانون الارض ، هذا فضلا عن عدم وجود مسح مضبوط للارض ، كل ذلك جعل وجود هيئة حكومية تنولى مهمة تسجيل الارض تسجيلا دقيقا امرا في عداد المستحيل . وكانت سياسة مدحت باشا تقوم على تسجيل الارض باسماء الزراع الذين يستطيعون ان يبرهنوا بانهم استثمروا الارض لعشر سنين متوالية ، وكذلك بيع اراضي الدولة باقساط سهلة وبسيطة الشروط وضمان ملكيتها للافراد (وان لم تكن ملكية صرفة) . وبما ان الزراع العشائريين والفلاحين العاديين لم يستفيدوا من تلك الفرصة بسبب ريبهم وجهلهم ، فقد بيعت الارض الى تجار المدن الاغنياء لقاء مبالغ زهيدة بدون تعيين لحدودها وبدون اعتبار لمن يشغلها من العشائر (١٥) .

وفي المناطق الكردية واجه الفلاحون مآسي اعظم ، فمع انهم كانوا قادرين على الاثبات بانهم قد شغلوا ارضهم لمدة عشر سنين مما يمنحهم حق ملكيتها ، الا ان الرؤساء المحليين والاغوات ورجال الدين المتنفذين والزعماء

14. Haider, Saleh. "The land and the tribe in Iraq", F.A.O. conference in Salahuddin 1955, P.8.

15. Platt, A., "Land administration in Iraq" A thesis of Ph.D. submitted to the University of London in 1927, P. 108.

البارزين نجحوا عن طريق تأثيرهم على الفلاحين او على المسؤولين الحكوميين في تسجيل الاراضي باسمائهم • وهكذا تحول الفلاح الكردي الذي كان لغة ذلك حين شريكاً في ارض القرية او العشيرة المشاعة الى عامل زراعي او مزارع بالاجرة يتمتع بحق موروثة في زراعة الارض فحسب^(١٦) •

وهكذا أدى تطبيق قانون الارض العثماني الى حله من الارتباك والفوضى في الملكية الارضية • وقد اصبح بعض رؤساء العشائر المالكين الشرعيين لاراضي عشائريهم ، بينما تحول افراد عشائريهم الى مجرد عمال زراعيين • كذلك خلقت طبقة من الملاكين التجار الذين يمتلكون وثائق شرعية تثبت املاكهم لاراضي معينة الا انهم كانوا عاجزين عن استثمار تلك الاراضي بسبب مقاومة راعيها من العشائريين الذين كانوا في الواقع مالكيها الحقيقيين •

وانتقل العراق في نهاية الحرب الكبرى الاولى من السيطرة العثمانية الى السيطرة البريطانية • وقد ورثت السلطة الجديدة ذلك النظام من الملكية الارضية الذي تسوده الفوضى والارتباك بخصائضه شبه الاقطاعية ومشاكله وصراعاته العظيمة • وقد ضاعف من صعوبات هذه التركة النظرة الجديدة التي نمت تجاه الارض والتي ادت الى وقوف الفرد العشائري وجها لوجه امام رئيس العشيرة • فقد اتسعت الاسواق العالمية عقب الحرب الكبرى الاولى ولم تعد سياسة الاكتفاء الذاتي هي السياسة السائدة في المجتمعات الزراعية • كذلك اخذت قيمة الارض بالارتفاع كلما ازدادت اهمية المحاصيل الزراعية وتنامت ارباحها • وفوق ذلك كله فقد كان النظام العشائري يمر بانحلال سريع نتيجة لاتساع المواصلات وتوطيد الامن •

16. Haider, Saleh, "Land problems of Iraq". a thesis of Ph.D., submitted to the University of London in 1942. P. 290.

وكانت الروح الفردية قد بدأت بالظهور بشكل سافر ، وكان الاهتمام بملكية الأرض بين أفراد العشائر يتنامى بسرعة • وفي مثل هذه الظروف لجأت السلطة البريطانية الى تبني مبادئ قانون الأرض العثماني • وكان هناك ، على أية حال ، فرصة عظيمة للفلاحين الحقيقيين وهم أفراد العشائر ، في امتلاك أراضيهم • غير ان السلطات البريطانية كانت أكثر اهتماما بتوطيد سلطانها السياسي منها بحل مشكلة الملكية الأرضية في البلاد حلا صحيحا وعادلا • لذلك تبنت النظام القبلي كجزء من النظام السياسي لتوطد في البلاد حكما اقطاعيا مرتبطا بها ارتباطا وثيقا ، ودعمت مركز الشيوخ العشائريين على حساب أفراد عشائرتهم وذلك بتسجيل الأراضي العشائرية باسمائهم او بنسبهم حق استئجارها •

وقد أصبح الاهتمام بمشاكل الملكية الأرضية وصراعاتها اشد عمقا بحسب الحكم الوطني (فالخلافات حول الحدود ، وحق الشفعة القبلية ، وحقوق استئجار الأرض ، كل ذلك سبب القلق والنزق • وكان الكثير من الرؤساء العشائريين وتجار المدن يتوسعون خارج نطاق حدود الزراعة في أراضيهم ويدعون لانفسهم حقوق الاستثمار مما يصعب انكارها • وفي المنطقة الكردية كان الاغوات الاقوياء وتجار المدن المتنفذين يتوسعون على حساب الأراضي الأميرية ويدعون لانفسهم حق الاستثمار • وقد امدت الوثائق غامضة والحدود المرتبكة الملاكين الكبار بفرصة لتجريد الملاكين الصغار من بعض او من جميع أراضيهم • واخذ الاغوات العشائريون الذين كانوا يسيطرون على الأرض من قبل باسماء عشائرتهم ونياية عن الزراع الصغار يستولون تدريجيا على الأرض استيلاء حقيقيا ويسجلون حقوق تملكها باسمائهم (١٧) •

17. Haider, "The land and the tribe in Iraq". P. 21.

ولكي تتخلص الحكومة من هذا الارتباك دعت السير ارنست دوسون E. Dowson في عام ١٩٢٩ ليحقق في حالة الملكية الارضية وليقدم مقترحاته بشأنها. وبعد بحث مستفيض قدم دوسون الى الحكومة تقريره الذي استوفى المشكلة برمتها وعرض لحلها الاقتراحات التالية (١٨) :

- ١ - اشاء دائرة اراضى مركزية صغيرة مرتبطة بوزارة الداخلية . وهذه الدائرة تتولى مسؤولية الدراسة المستمرة للملكية الارضية والمشاكل المرتبطة بها ، كما تتولى ايضا الادارة العامة للمنهاج العملي للاصلاحات المقترحة .
- ٢ - تطوير منهاج مزدوج لمسح الارض وتسوية حقوق ملكيتها وتقدير قيمتها بأبسط خطوط ممكنة لتطبيقه بصورة منهجية منظمة في البلاد .
- ٣ - ضرورة القيام بدراسة شاملة وادخل اصلاحات تقدمية على قانون الارض والاصلاحات المرتبطة به ، وذلك لجعل شرعية قانون الارض صريحة وواضحة وعملية واكثر استجابة للمتطلبات والاضاع المحلية .
- ٤ - اثناء محاكم تسوية للنظر في طلبات الاستئناف المقدمة بخصوص قرارات موظفي التسوية المتعلقة بحقوق تملك الارض .
- ٥ - ينبغي ان تؤكد السياسة العامة تجاه تملك الارض على الاستقرار في الارض واستثمارها استثمارا نافعا حيثما كان هذا الحل ملائما وعادلا بالنسبة للطرف الثالث (او الاطراف الثلاثة) . اما ملكية اراضي الدولة فينبغي ان تمنح على اساس الاستحجار لفترة معقولة تدوم حوالى عشر سنوات . وقد تبنت الحكومة اقتراحات دوسون عدا الاقتراح الاخير الذى حدد فترة استحجار اراضي الدولة بعشر سنوات ، واستبدلت هذا الشكل من

18. Dowson, Sir Ernest, "Inquiry into land tenure and related questions", Cairo 1932, PP. 76-70.

الاجبار بشكل اخر اطلقت عليه اسم (اللزمة) • ولقد ادرجت مقترحات
دوسون وتعديلاتها في قانون اقر في عام ١٩٣٢ باسم (قانون المزمة ونسوبة
الارض) • وقد صنف الاراضى بموجب هذا القانون الى الاصناف التالية :

- ١ - الاراضى المملوكة : وهي الاراضى التى تعتبر ملكية خاصة مطلقة •
- ٢ - الاراضى المتروكة : وهي الاراضى المحجوزة للمنافع العامة كالطرق
والمراعى وما شابه •
- ٣ - الاراضى الموقوفة (الوقف) : وهي الاراضى المكرسة لاغراض دينية
او خيرية •

- ٤ - اراضى اميرية (ميرى) : وهي اراضى تعود ملكيتها للدولة ، وتنقسم الى
ثلاثة اصناف ثانوية هي :

أ - اراضى طابو : وهي اراضى يقوم باستثمارها افراد لهم حق
استجارها الدائم من الدولة ، وتخضع لبعض الشروط التى
تتعلق بضرورة استثمار زراعتها بشكل دائم •

ب - اراضى اللزمة : وهي اراضى يقوم باستثمارها افراد لهم حق
الاستخدام والانتفاع بها بشكل دائم ، وتخضع لبعض الشروط
المتعلقة بنقل حقوقها وباستمرار زراعتها •

ج - اراضى ميرى صرف : وهي اراضى تملكها الدولة وتديرها
وزارة المالية •

ولقد الف في البداية عدد قليل من لجان التسوية للنظر فى ملكية
الاراضى ، الا انها توسعت فيما بعد حتى امتد وجودها الى جميع ألوياسة
البلاد • وقد اتخذت على عاتقها مهمة مسح الارض وتقرير حقوق الملكية
الارضية وتوضيح حقوق الرى والمراعى وتعيين حدود الملكيات • وبالرغم

من ان اعمال لجان التسوية قد ساهمت نوعما بتطوير الزراعة فى البلاد وذلك بتثبيت حقوق الملكية الارضية ، كمن هدفها الرئيسى ، وهو ازالة العامل المضر بالزراعة الذى يمثل النظام الاقطاعى ، لم يتحقق • وقد حدث العكس ، اذ ان لجان التسوية عمدت الى تركيز ملكية الارض بأيدى الشيوخ العشائريين وتجار المدن ، اذ ان الارض التى كانت فى السابق تعتبر ملكية قبلية مشاعة ، سجلت باسماء شيوخ العشائر وحرمت الزراع وشاغلت الارض الحقيقيين من حقوقهم المشروعة بالارض ، عدا حق المزارعة • وبغزى هذا الظلم الخطير والاجحاف بحقوق الفلاحين الذى ارتكبه لجان التسوية الى قوانينها وطريقة تكوينها ، وفوق كل شئ الى طبيعة توجيهها من قبل السلطة المهيمنة على شؤون البلاد • فقد اهتمت تلك اللجان اهتماما باطلا بادعاءات الرؤساء العشائريين والاغوات والشيوخ الدينيين فى شغلهم واستثمارهم للارض ، وتجاهلت حقوق اتباعهم الذين كانوا الشاغلين والمستثمرين الحقيقيين للارض • ولقد اصابت الدكتورة دوريس وارنر D. Warriner كبد الحقيقة حين ذكرت بان لجان التسوية كان يمكن ان تعجز عملا افضل فيما لو خصصت قطعة ارض معينة لكل رجل بالغ من المزارعين له حصة معترف به فى المشاركة بزراعة الارض بدلا من تجريدهم من الارض كلياً (١٩) •

وقد تضاعف جور تلك اللجان نتيجة لاهمال او عدم كفاية بعض موظفيها الذين وقعوا تحت تأثير الرؤساء العشائريين والموظفين الفاسدين وذوى النفوذ من تحار المدن واعانهم فأهدروا حقوق الفلاحين (٢٠) • وكانت

19. Warriner. D., "Land reform and development in the Middle East", Royal Institute of International Affairs, London 1957. P. 146.

20 Warriner, D. "Land and poverty in the Middle East", Royal Institute of International Affairs, London 1948, P. 112.

حصيلة اعمال وقرارات لجان التسوية تنامى عدم التوازن فى توزيع الدخل، وتزايد عدد الملاكين الغائبين، وتفاقم مشكلة عدم الضمان بالنسبة للفلاحين، وبالتالي ضياع كل من المجهود البشرى وموارد الارض^(٢١) (x) .

الملكية الارضية فى لواء السلیمانیة

لا بد لنا قبل كل شيء ان نوضح بان التوزيع الجغرافى لانواع الملكيات فى اللواء يتأثر بعوامل متعددة، الا ان اشدها تأثيراً هو العامل البشرى . وتأتى الحالة الطبيعية للمنطقة، اى ما يتعلق بتوفر المياه والارض الصالحة للزراعة، بالدرجة الثانية فى تأثيرها، بالرغم من افضليتها على العامل البشرى فى بعض المناطق .

وتوجد أعلى نسبة من الملكية الكبيرة (حوالى ٥٠٠٠ دونم) فى ناحية تانجرو (٨٤ ملكية) وناحية سرجنار (٣٢ ملكية) . وفى كلتا هاتين الناحيتين يلعب العامل التاريخى الدور المباشر حيث خلق الحكم البابانى المركزى فى المنطقة نظاما اقطاعيا . كذلك ادى اتصال الناحيتين بالعالم الخارجى اتصالاً وثيقاً (من خلال طريق السلیمانیة - كركوك - بغداد) الى تيسير المتاجرة بالمحاصيل الزراعية مما رفع من قيمة الارض .

21. Alwan, P. 331.

(x) لقد بلغت مساحة الاراضى التى اجريت تسويتها حتى نهاية عام ١٩٦٩ (بالدونم) كما يلى :

الملوكية المتروكة الموقوفة اميرية مفوضة اميرية ممنوحة اميرية صرفه بالطابو بالزمنة

١٦٦٣٠١٩ ٧٣٥٦٤٦٩ ٨٨٨٥١٧ ١٣٣٦٠٠٨٤ ١٢١٦٦٩٣٧ ٦٢٠٤٩٤٤٣ المجموع ٩٧٤٨٤٤٦٩

المصدر : (المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩) ، الجهاز المركزى للإحصاء ، ص ٧٦ .

وتلى ارقام نانجرو وسرجار العالية الارقام المعتدلة لناحية شهرزور (٢٣ ملكية) وناحية قلعة دزة (٢٠ ملكية) • وتعزى هذه الارقام الى عامل بشرى ايضا • فناحية شهرزور هي موطن عشيرة الجاف ، وناحية قلعة دزة هي موطن عشيرة بشدر ، وكلا هاتين الناحيتين تتمتعان بتنظيمات عشائرية قوية • وقد نجح زعماء العشيرتين في تسجيل اراضي عشائرتهم باسمائهم الشخصية •

اما اشد الارقام انخفاضاً بالنسبة للملكيات الكبيرة فنجدها في ناحية ماوت (٣ ملكيات) وناحية وارمارة (٤ ملكيات) وناحية سروجك وجوارته (٦ ملكيات لكل منهما) • وتعزى هذه الارقام المنخفضة الى العامل الطبيعي ، اذ حدث ندرة الارض في تلك المناطق من عدد الملكيات الكبيرة •

اما بقية نواحي اللواء فان توزيع الملكيات الكبيرة فيها يتأثر بشكل متفاوت بكل من العاملين الطبيعي والبشري • وبوجد في ناحية قره داغ ١٦ ملكية كبيرة ، وفي ناحية مركة ١٤ ملكية وفي خورمال ١٣ ملكية ، وفي ناحيتي بازيان وبنجوين ١٠ ملكيات لكل منهما ، وفي ناحية مسورداش ٨ ملكيات •

ولقد اورد تقرير الاحصاء الزراعي والحيواني لعام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ الجدول التالي لانواع الملكيات في لواء السلیمانية حسب مساحتها •

الجدول رقم ٣٢ (٢٢)

توزيع الملكيات في لواء السلیمانية حسب احجامها

العدد	الملكية (x)
٢٥٦٧	اقل من ٤ مشارة
٣٨٩٦	بين ٤ الى اقل من ٢٠

22. Agricultural and livestock census of 1952-53. PP. 70-1.

(x) يعرف الاحصاء الزراعي والحيواني الملكية كما يلي :

« تابع »

الملكية	العدد
بين ٢٠ الى اقل من ٤٠	٣٠٩٨
بين ٤٠ الى ٦٠	٢٣١٣
بين ٦٠ الى ٨٠	١٠٥١
بين ١٠٠ الى ٢٠٠	١٠٤٤
بين ٢٠٠ الى ٤٠٠	٢٣٥٠
بين ٤٠٠ الى ٦٠٠	٦٢٤
بين ٨٠٠ الى ١٠٠٠	٢٢
بين ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠	٦
بين ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠	١٥
بين ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠	٨
بين ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠	صفر
بين ٥٠٠٠ الى ١٠٠٠٠	٦
بين ١٠٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠	صفر
بين ٢٠٠٠٠ واكثر	١
المجموع	١٧٦٢٨

ولا يوضح لنا هذا الجدول على انه حال احوال الملكية الارضيه ففى اللواء بصورة مضبوطة ، وذلك لان عدد الملكيات حسب الاحجام لا يتناسب مع عدد الملاكين . والواقع ان كثيرا من الملاكين يشكون ملكيات ذات احجام

(الملكية الزراعية لغرض هذا الإحصاء هي عما د عن حقن في مقاطعة زراعية يتم فيه العمل كوحدة واحدة لذلك ثابها قد تكون واسعة جدا تمتد لعدة مئات الالوف من المشارات او صغيرة جدا لا تتجاوز مساحتها ٢٢٠٠ م)

مختلفة في جهات متعددة في اللواء. كذلك فإن كثيرا من الملكيات الصغيرة يشترك في امتلاكها مجموعة من الاخوة او مجموعة من الاقارب الاقربين. ولا عطاء صورة صادقة لحالة الملكية الارضية في اللواء فلا بد من ذكر عدد ملاكي الارض ومساحة ممتلكاتهم. وعلى اية حال فإن الجدول المذكور يوضح حقيقتين بارزتين في اللواء هما: تفتت الملكية الارضية، وعدم التوازن في الملكية الارضية.

تفتت الملكية الارضية:

يوضح الجدول السابق ان عددا كبيرا من الزراع في اللواء يقاسون من تفتت الارض. وقد اتفق خبراء الارض عموما بان الحد الادنى للوحدة الحقلية في الاراضي الجبلية ينبغي ان تكون (٦٠) دونما (x) للاراضي المروية و (١٠٠) دونما للاراضي الجافة (٢٣)، فاذا ما طبقنا هذه القاعدة على الملكيات في اللواء وجدنا ان حوالي ١١٨٤٤ ملكية منزا (من مجموع ١٧٦٢٨ ملكية) تعاني من تفتت الارض، حتى لو افترضنا بان حجم الملكية ينبغي الا يقل عن ٦٠ دونما للاراضي المروية وغير المروية. واذا ما تذكرنا الطريقة المتبعة في زراعة البور، وكذلك الاساليب غير العلمية في معالجة الارض، تبين لنا ان غالبية هذه الملكيات تمثل بلا شك وحدات غير اقتصادية. فهي من الصغر بحيث لا يمكن ان تقدم الحد الادنى من الكفاية للفلاح واسرته او ان توفر له عملا كاملا، كما انها من الصغر بحيث لا تسمح باية تحسينات في اساليب الزراعة (٢٤). ان النسب المرتفعة لمثل هذا النوع من الملكيات التي تقل مساحتها عن الحد الادنى تعني بان جزءا كبيرا من الاراضي الزراعية في اللواء (حوالي ٢٤٪) تعاني من الزراعة غير الاقتصادية.

23. Alwan, P. 332.

24. United Nations, "Land reform" New York 1953, P.6.

$$(x) \text{ الدونم او المشارة} = ٢٥٠٠ \text{ م}^2 = ١٠٦١٨ \text{ اكر} = ٤٠٠/١ \text{ كم}^2 = ٤/١ \text{ هكتار}$$

وتعزى ظاهرة تفتيت الارض الى احكام الوراثة فى الشريعة الاسلامية
التي تنص على المساواة بين الابناء فى تقسيم الارث • ولا ريب ان هناك حاجة
ملحة الى ايقاف ظاهرة تفتيت الارض ، ولا بد من سن قانون لضمان حد ادنى
لتقسيم الارض بين الورثة • وفى اثناء ذلك ينبغي حل مشكلة الحقول المفتتة •
وهناك وسائل متعددة يمكن تطبيقها لزيادة انتاج امان هذه الحقول ، واهمها
تطبيق الزراعة العلمية • ويمكن بتكثيف استخدام الارض واستثمار رؤوس
الاموال فيها ان تؤدي الملكيات الصغيرة الحجم ثمارا افضل بالنسبة لمساحاتها
وما يبذل فيها من عمل • فتحسين وتوسيع نظم الري - مع توفير امكانيات
الصرف - يمكن الفلاح من زراعة اكثر من محصول واحد فى العام •
وتتبع هذه الطريقة على نطاق واسع فى مصر • فبالرغم من ان معظم الملكيات
صغيرة جدا ، (بين ٢ - ٣ فدان) ، الا ان انتاج الفدان فيها اعلى بكثير من
انتاج الفدان العراقي مما يوفر للفلاح المصرى دخلا اعلى ^(٢٥) • كذلك
ينمى تنوع المحاصيل الزراعية المقدرة الانتاجية للملكيات المفتتة ويقال من
خطورة الاعتماد على محصول واحد •

ومن الحلول الاخرى التي يمكن تقديمها لهذه المشكلة اعادة تجميع
الملكيات المفتتة • ويتم ذلك بفرض احكام قسرية لبيع الملكيات المفتتة الى مالك
واحد لكي تصبح وحدة اقتصادية • غير ان مثل هذه الحلول قد تواجهه
صعوبات كبيرة فى الظروف الراهنة (x) •

25. F.A.O., "Problems of size holding for land settlement programme", report-workshop No. 1, Salahuddin conference 1955.

(x) لقد اصدرت الحكومة فى اواخر عام ١٩٦٣ قانونا برقم ١٣٦ يمنع
تفتيت القطع الموزعة بموجب قانون اصلاح الزراعي وذلك على الوجه
التالى :

المادة الاولى : آ - يحق لاي من ورثة الشخص الذى وزعت عليه قطعة =

عدم توازن الملكية الارضية :

كشفت الجدول المذكور اعلاه ايضا عن عدم توازن واضح في الملكية الارضية . فالغاية العظمى من الزراع يمتلكون ملكيات صغيرة جدا وهي بنوع حواي ربع الاراضي المستثمرة في الزراعة (٢٤٧٪) ، بينما تستسك اقلية صغيرة من الملاكين اكثر من نصف الاراضي الزراعية . فقد ورد في الجدول المذكور بان عدد الملكيات التي تتراوح مساحتها بين ١٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ دوما هي ٣٥ ملكية (وتمثل ٤٨٣٪ من الاراضي الزراعية) ، كما ورد فيه بان هناك ملكية واحدة فقط تتراوح مساحتها بين ١٠٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ دوما (تمثل ٥٩٪ من الاراضي الزراعية في المواء) . وهكذا اذا برى بان ٥٤٢٪ من الاراضي الزراعية يمتلكها ٣٦ ملاكا . وبناء على هذا التوزيع في الملكية الزراعية فقد تمثل في المواء ثلاثة انواع من الملاكين هم الملاكون الصغار ، والملاكون الاقطاعيون ، والملاكون الغنائون .

الملاكون الصغار :

تشمل هذه الفئة اصحاب الملكيات المقتة في الغالب . وهؤلاء الملاكون هم احفاد اولئك الزراع الذين حافظوا على ملكية اراضيهم اثناء صدور قانون الارص العشائني ، الا ان اراضيهم تقشت على مر الزمن بسبب قانون الوراثة . وبلاقي هذه الفئة صعوبات جمة ، اذ يشل عوزهم الاقتصادي محاولاتهم

ارص بموجب قانون الاصلاح الزراعي اقامة الدعوى في محكمة البداية التي تقع داخل صلاحيتها يطلب تملك محترف الزراعة من الورثة حصة كل وارث غير محترف للزراعة ولا تخضع الدعوى للرسم .

ب - اذا تعدد محترفو الزراعة من الورثة تملك حصص الورثة الى احدهم ممن تتوفر فيه الافضلية بالنسبة لشروط التوزيع المنصوص عليها في المادة الثانية عشرة من قانون الاصلاح الزراعي .

(الوقائع العراقية ، العدد ٨٧٧ بتاريخ ١١-٢-١٩٦٣) .

لتحسين آلاتهم الزراعية او تطبيق الزراعة العلمية • كما تمنعهم الحاجة الى راس اس من توسيع حقولهم • ومع ان ملكيتهم صغيرة على العموم ، الا انهم عاجزون فى الغالب عن استثمارها كليا بسبب عورهم للبذور والحيوانات البقلية • وفى كثير من الحالات لا يزرعون اراضيهم الا بمحاصيل شتوية فقط لانهم عاجزون عن الاتفاق على مشاريع الري وحفر الكهاريز • ولهذا تتصف ملكياتهم عموما بانخفاض الغلة •

الملاكون الاقطاعيون :

يمثل افراد هذه الفئة الاغوات والرؤساء الذين ينحدرون من اسر ذات زعامة عشائرية او دينية • وتلحق هذه الفئة من الملاكين ضررا كبيرا برراعة اللواء يتمثل بطبيعة وسمات الزراعة الاقطاعية التى تمارس فى ملكياتهم • وبالرغم من انهم يؤجرون اراضيهم الى المزارعين بالمحاصة ويتخلون عن كافة المسؤوليات الزراعية ، الا انهم مع ذلك يتحكمون تحكما كاملا فى السياسة الزراعية • فهم يحددون لمزارعيهم فى كل فصل الرقعة الزراعية الواجب زراعتها وانواع المحاصيل التى ينبغى انتاجها ، وفى الوقت نفسه يتدخلون لتحديد من تصرفاتهم فيما لو حاولوا كسر السياسة الزراعية القديمة وانتاج محاصيل جديدة او ادخال اساليب حديثة على الزراعة • وهكذا يعجز مزارعوهم عن رفع مستوى الانتاج الزراعى او توسيع الرقعة الزراعية •

الملاكون الغائبون :

يمثل افراد هذه الفئة التجار واعيان المدن الذين حصلوا على الارض عن طريق الشراء او الاستيلاء على اراضى صغار المزارعين الذين تورطوا فى الديون • ويلحق هؤلاء الملاكون بزراعة اللواء ضررا شديدا بذلك الذى يلحقه الملاكون الاقطاعيون ، فهم يؤجرون اراضيهم الى المزارعين بطريقة المحاصة دون ان يكثرثوا بالعمليات الزراعية وما تتطلبه من نفقات • وهم

يقيمون بصورة دائمة فى المدن ولا يزورون اراضيهم الا وقت الحصاد او عند
 جنى المحاصيل . غير ان عددا ضئيلا منهم يساهم فى ادارة املاكه ويستثمر
 امواله فيها فيرفع من مستوى الانتاج الزراعى . وهناك فئة منهم تمثل اسوأ
 انواع الملاكين الغائبين ، وهم اولئك الذين لا يزورون اراضيهم طيلة حياتهم .
 ويستخدم غالبية الملاكين الغائبين وكيلًا يطلق عليه اسم (سركار) × ، ويقوم
 بدور ضابط الارتباط بينهم وبين الفلاحين . ويتولى السركار الاشراف على
 الاعمال الزراعية ، كما يراقب حصة المالك من الناتج الزراعى وقت النجى
 والحصاد . ولا يشق بعض الملاكين الغائبين بالسراكيل فيقيمون وقت الحصاد
 فى القرى ليراقبوا الفلاحين ويضمنوا حصتهم الكاملة فى المحاصيل . اما
 الملاكون الذين يستثمرون اموالهم فى الزراعة بشراء الآلات والمخصبات
 والحبوب فيفرضون على المزارعين حصة اكبر من المحصول .

نظام المحاصة

سين لنا بان ملكية معظم الاراضى الزراعية فى اللواء تعود للملاكين
 الاقطاعيين والغائبين . ولقد أدى ذلك الى قيام نظام المحاصة فى اللواء على
 نطاق واسع . والواقع ان الغالبية الساحقة من الفلاحين فى لواء السليمانية
 يتبعون نظام المحاصة . ففيما عدا ١١٨٤٤ مزارعا الذين قد يمتلكون حقولهم،
 فان بقية الفلاحين لا يمتلكون شبرا من الارض . وينبغى ان نلاحظ بان
 الفلاح المرتبط بنظام المحاصة هو ليس مستأجرا للارض بمعنى هذه الكلمة
 كما هو معروف فى اقطار اخرى ، فهو لا يمتلك حرية التصرف فى استثمار
 الارض ، كما انه لا يرتبط بقطعة محددة من الارض لفترة معينة من الزمن .
 غير ان هناك بعض الاستثناءات فى جهات معينة من اللواء ، حيث يستأجر الفلاح
 المحاصص الارض بشكل دائم طيلة حياته .

(×) وقد يطلق عليه ايضا اسم (الشحنة) .

ويحلب نظام المحاصص المطبق في اللواء حسب نوع الاستيطان ووسائل
الرى ومدى توفر الاراضى الزراعية • ومن اكثر انواع هذا النظام شيوعا
فى اللواء ما يسمى بـ (الاستجار الدائم) • وفى هذا النمط يمتلك الفلاح
المحاصص حقا تقليديا موروثا فى الارض • ومع ان المالك يحق له قانونا
ان يحرم الزارع من الارض متى شاء ، الا انه من النادر ان يستخدم هذا
الحق الذى يتعارض مع التقاليد الموروثة • وحينما يتوفى الفلاح المحاصص
فإن حق المزارعة ينتقل الى ورثته الشرعيين • وقد يحدث ان يستعمل
المالك حقه الشرعى ويؤجر الارض الى فلاحين جدد • غير ان مثل هذا
العمل يعكر فى العادة صفو الامن فى القرية ويؤدى الى قيام عداوات عنيفة
بين ورثة المزارع المتوفى وبين اسرة المزارع الجديد • لهذا فإن المالك حسب
هذا النمط لا يتمتع الا بحق (المالكانة) ، وهو تعبير يقصد به نصيب المالك
من المحصول ، وعليه الا يتدخل او يتحكم فى مسألة ايجار الارض • وينبغى
على المزارع المحاصص بدوره الا يقوم بايجار قطعة ارضه الى مزارع من
خارج القرية دون الحصول على موافقة المالك ، غير ان مثل هذه الحوادث
تحدث بين الحين والحين ، ولا سيما فى القرى العشائرية ، فلا يتدخل
المالك فى الامر • وما لا ريب فيه ان هذا النمط من نظام المحاصص يوفر
للمزارع الكردي الضمان الذى يفتقده المزارع المحاصص فى وسط وجنوب
البلاد • ويسود هذا النمط فى قرى اللواء القديمة التى استقرت فيها عوائل
معينة من زمن طويل • والواقع ان اولئك المزارعون المحاصصون هم الملاك
الحقيقيون للارض فيما لو طبق قانون الارض العثمانى نصه وروحه ، وقد
فقدوا ارضهم بناء على الملبسات التى سبق شرحها • كذلك يسود هذا النمط
ايضا فى القرى التى تعتمد فى ربحها على الامطار او الينابيع الطبيعية ، وفى
القرى العشائرية التى يسكنها ابناء العشائر انفسهم •

ان توزيع حقوق المزارعة فى هذا النمط ليس من اختصاص المالك ، بل يتولى ذلك مجلس القرية الذى يتألف من الشيوخ واعيان القرية • فهذا المجلس يتولى اعادة توزيع الارض بين الفلاحين كل فترة من الزمن حسب قدرتهم وما لديهم من آلات وبذور وحيوانات حقلية ، وحسب حقوقهم الموروثة •

اما النمط الاخر من نظام المحاصة فهو شبيه بالنمط المطبق فى بقية انحاء البلاد • وهذا النمط يمنح المالك سلطة مطلقة على الارض • ومع ان هذا النمط يعترف ايضا الى حد ما بحق المزارعة ، لكن المزارع فى حقيقة الامر محروم من الضمان الذى يتمتع به مزارع النمط السابق ، ومن حق المالك ان يمنح الاراضى الخصبة الى مزارعيه المفضلين • كما ان من حقه ايضا ان يتدخل فى السياسة الزراعية وان يشارك مجلس القرية فى عملية اعادة توزيع الارض بين الفلاحين • ويسود هذا النمط فى القرى الجديدة والاراضى التى تروى بواسطة الكهاريز التى يتولى المالك الانفاق على حفرها • والحقيقة ان اراضى هذا النوع هى فى الاصل ارض كانت تعود للدولة وقد حصل عليها الاغوات واعيان المدن او الساسة اثناء عهد الاندلس او فى بداية عهد الحكم الوطنى • ومن الجدير بالذكر ان مركز المالك فى هذا النوع من نظام المحاصة يقوى حسب مدى استثماره لرؤوس الاموال فى ارضه (عن طريق توفير مياه الرى فى الغالب) وحسب الفترة التى يشغل فيها المزارع بالمحاصة الارض (وهى لا تمتد الى زمن بعيد فى العادة) •

تقسيم الحاصل (X) :

يختلف نصيب المزارع المحاصص من المحصول اختلافا كبيرا حسب

(X) لقد حدد قانون الاصلاح الزراعى رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ تقسيم الحاصل ، ثم عدل بتاريخ ١٠-٦-٥٩ على الوجه التالى :

وسائل الري ومدى خصوبة التربة ومقدار ما يستثمره المالك من رأس المال
 في الأرض ، وحسب نوع الاستقرار ان كان حديثا ام قديما • ولعل اكثر
 الانواع شيوعا هو النوع الذي يمنح المزارع ١٠/٩ المحصول الشتوى
 و ٣/٢ المحصول الصيفي (×) • وتهبط حصة المزارع في كثير من
 مناطق التي يتولى فيها المالك حفر الكهاريز الى ٢/١ المحصول الصيفي •
 كما تهبط حصته من الحاصل الشتوى الى ٥/٤ اذا روى بوسائل صناعية •
 وفي المناطق التي يرتفع فيها ضغط السكان نسيا وتشجع الارض الزراعية
 المروية تنخفض حصة المزارع الى ٢/١ المحصول الصيفي و ٧/٦ المحصول
 اشوى بالرغم من ان المالك لا يستثمر اى رأسمال فى الارض • واذا ما
 تكمل المالك بتزويد المزارع بالجوب والآلات هبطت حصة المزارع الى ٥/٢
 المحصول الشتوى و ٢/١ المحصول الصيفي • اما فى المناطق التي تتصف
 بخصوبة تربتها وقلة مياهها فترتفع حصة المزارع الى ٤/٣ المحصول
 الصيفي و ١٥/١٤ من المحصول الشتوى •

الري بالسيح	الري بالواسطة	الديم
١٠٪	١٠٪	١٠٪
١٠٪	٢٠٪	—
٥٠٪	٤٠٪	٥٠٪
٥٪	٥٪	١٠٪
١٠٪	١٠٪	١٥٪
١٥٪	١٥٪	١٥٪

(الوقائع العرفية عدد ١٨٣ بتاريخ ١٠-٦-١٩٥٩)

(×) يجرى تقسيم الحاصل بوسائل بدائية • وتجمع المحاصيل
 عادة في اكوام عظيمة • وعندما ينتهى جنى الحاصل يتم التقسيم بواسطة
 طرف ثالث في حضور المزارع او المالك او من ينوب عنه (وكيله) •

وعلى أية حال فإن حصة المزارع الكردي في جميع الانواع المذكورة من نظام المحامسة هي اعلى من حصة الفلاح العربي في المناطق المروية في وسط وجنوب البلاد . وتبلغ حصة الفلاح العربي في اراضي الري السحي المزارع باحجوب . غير ان هذه الحصة تهبط الى $\frac{7}{2}$ المحصول الصيفي والشتوي في الاراضي التي تروى بواسطة المكائن ^(٢٦) . وتفرض على المزارع بالإضافة الى ذلك ضرائب متنوعة من قبل المالك تخفض من حصته الحقيقية ^(٢٧) . ويمكن ان تعزى زيادة حصة المزارع الكردي عن حصة المزارع العربي الى العامل الطبيعي . فتوفر الارض التي تروى بمياه الامطار، وما يمكن ان يتعرض له الامطار من ذبذبة قد وضع الفلاح الكردي في موضع افضل للمساومة . كذلك قوى مركز الفلاح الكردي صعوبة اعداد الارض الجبلية للزراعة والحاجة النسبية الى الايدي العاملة .

26. Warrinor. D, "Land reform and development in the Middle East", P. 137.

- (٢٧) لقد اورد البعلبي نموذجاً لتقسيم الحاصل في الاراضي العربية في جنوب البلاد على النحو التالي :
- الشيخ ٤٠٪ ، الفلاح ٤٠٪ ، السركال ٢٥٪ ، الوسطي (وهو السركال في العادة) ٧٥٪ ، ضريبة الحكومة ١٠٪ .
- وقبل ان تجري القسمة يتم عزل الكميات التالية من الحاصل وحفظها في مخزن الغلال لتسليمها الى السركال فيما بعد وهي :
- ١ - من واحد (اي ٢٥ كيلو) من كل طغار (٢٠٠٠ كيلو) من القمح والرز للقهوجي الذي يستخدمه الشيخ او السركال .
 - ٢ - من واحد من كل طغار للموظف المسمى (سوباش) والذي يعينه السركال لحل المشاكل المتعلقة بتوزيع المياه واصلاح القنوات .
 - ٣ - من واحد من كل طغار كآجر لكاتب السركال (او للملا) .
 - ٤ - منان من كل طغار كمصاريف للضيوف (ضيوف الشيخ او السركال) .

وتختلف المساحة التى تخصص للمزارع المحاصيل حسب مدى توفر الأرض والمياه وخصوبة التربة ، كما تختلف حسب مقدرته الاقتصادية .
وتعتبر مقدرة الفلاح الاقتصادية العامل المتحكم الوحيد بالنسبة لتوزيع أراضي الزراعة الشتوية • والشائع ان يخصص للمزارع المحاصيل (٣٠) دونما للزراعة الشتوية وما لا يزيد على خمسة دونمات للزراعة الصيفية •

من الواضح اذن ان نظام المحاصة ، وان كان نزاول بشكل معدل فى لواء السليمانية ، ذو آثار خطيرة على الزراعة • ويمكن تلخيص تلك الآثار بما يلى :

١ - حرمان المزارع المحاصيل من مزايا الزراعة المتنوعة التى تمكنه من توزيع عمله بالتساوى طول العام ورفع دخله وتجنب كوارث فشل المحاصيل • ذلك ان المالك يهتم فى الغالب بالزراعة التقليدية ، اى زراعة القمح والشعير والتبغ او الرز ، سنة بعد اخرى • ومن المعلوم ان تكرار زراعة نوع معين من المحاصيل يحرم التربة من امكانية استعادة خصوبتها •

٢ - يسبب نظام المحاصة الحالى البطالة المقنعة ، وذلك باحتكار وقت الفلاح بكليته طول العام فى انتاج مزروعات شتوية او صيفية ، مما يؤدى الى بشرة القوى البشرية والى الهبوط بمستوى دخل الفلاح •

٣ - يبدد نظام المحاصة جزءا كبيرا من الأرض الزراعية لعجز المزارع المحاصيل عن استثمار ما يخصه من الأرض لحاجته الى البذور والآلات والحيوانات الحقلية •

٤ - يعانى المزارع المحاصيل من انعدام الدوافع الفردية التى تدفعه للعمل على تحسين الانتاج الزراعى ، فما دام لا يملك اى ضمان مؤكد فى الأرض ، وما دام يشعر بغبن تجاه مالك الأرض ، فانه لن يكون مستعدا نفسيا لخدمة الأرض او استثمار بعض دخله لتحسينها • لذلك فان كلا من

المالك والمزارع يهتم فى الحقيقة بما يمكن الحصول عليه من الأرض من دون الاهتمام بالتأثيرات .

٥ - وأخيرا فإن أخطر عيب فى نظام المحاصة هو تأثيره السئ على المركز الاقتصادى للمحاصص . ذلك ان نصيبه من الحاصل بالكاد يكفى لاستهلاكه ولا يبقى له شيئا للاستثمار . وما دام هذا النظام لا يوفر دخلا محترما للمزارع فلا يمكن رفع مستوى الانتاج الزراعى بنجاح .

توضح لنا اذن بان آثار العوامل البشرية على الزراعة فى اللواء ، المتمثلة بدرجة رئيسية فى نظام انصرف بالأرض ، تلعب الدور الحاسم . وإذا اردنا ازالة تلك الآثار السيئة على الانتاج الزراعى وبالتالي على الغالبية الساحقة من سكان الريف فلا بد من تطبيق الإصلاح الزراعى . وينبغى ان يهدف الإصلاح الزراعى الى تحقيق الجوانب التالية :

- ١ - توفير الضمان للملاحين فى الأرض التى يزرعونها .
- ٢ - توجيه الانتاج فى خط يتلائم مع التقنية الحديثة ومع امكانيات الأرض .
- ٣ - تهيئة الفرص للفلاح للحصول على دخل يتناسب ومقدرته الانتاجية لكي يتحقق له بالتالى نصيب عادل من الدخل الوطنى .
- ٤ - تعزيز قوة المساومة التجارية لدى الفلاح .
- ٥ - بعث روح الكرامة والشعور بالمواطنة الحقيقية لدى الفلاح (٢٨) .

ان هذه الاهداف لا يمكن تحقيقها الا بإلغاء النظام القطاعى وتمليك الأرض للملاحين ، وكذلك بتوفير القروض والآلات والبذور للمزارعين ،

28. F.A.O. "Should land policy promote private ownership, tenancy or large estates" report No. 1, round table discussion, Salahuddin conference, P.2.

وتهيئة امكانيات الخزن والتسويق وانشاء الجمعيات التعاونية ونشر الارشاد الزراعي ، واحيرا تحقيق الاصلاح الثقافى والاجتماعى الشامل بين مسكان الريف (x) .

(x) ان عملية الاصلاح الزراعي قد قطعت اشواطا بعيدة وحصل عدد كبير من الفلاحين على ارض خاصة بهم ويوضح الجدول التالى مجموع مساحة الاراضى المستولى عليها ومجموع مساحة الاراضى الموزعة وعدد الفلاحين المنتفعين لغاية ١٩٦٩ :

المحافظة	عدد الفلاحين	مجموع المساحات الموزعة (دونم) الديمية	مجموع المساحة المستولى عليها بضمنها المحلولة (دونم)
نينوى	١٣٢١٠	٩٩٧٣٣١	١٨٤٤٠٧٣
اربيل	٣٢٢١	٢٧٦١٦٥	٤٧٩١٥٧
كركوك	٣٣٤١	٢٤٥٤٢٩	٤٦٦٩٧٩
السليمانية	١٥٤٩	١٢٤٢٩	٢٣٠٨٩٢
بغداد	٩٧٩٦	٤٦٧٣٦	٥٢٥٦١٨
ديالى	١٩١٩	١٩٣٠٠	٧٥١٤٩١
الانبار	٣٧٠	—	٩٠٨٣٠
بابل	٧٩٦٩	—	٤٥٣٢٩٩
كربلاء	١٦٥١	—	٨٨٤٦٤
واسط	١٤٢٩٩	—	١٣٠٩٣٥
القادسية	٢٢٩٢	—	٧١٥٣٣٩
ذي قار	٤٤٩	—	—
ميسان	١٨٣٦	—	٨٩٨٨٢
البصرة	٧٠٠	—	٩٢٢٢٤
المجموع	٦٠٨٠٢	١٥٩٧٣٨٠	٧١٣٧٢٨٣
		١٤٠٤٧٠٢	

المصدر : المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ، ص ١٦٨ .

استثمار الارض

تقد سبق ان اوضحنا بان مساحة لواء السليمانية تبلغ (٩٥٢٢) كم^٢ ، ومع ذلك فان المساحة الصالحة للزراعة تبلغ ٣٥٥٩ كم^٢ فقط ، اما بقية مساحة اللواء فتحلتها التلال والجبال (٢٩) . ولقد قدر دوسون Dowson المساحة التي تشغلها المرتفعات بـ (٦٤٠٠ كم^٢) ، أي بحوالى ٣/٢ المساحة الكلية للواء (٣٠) (x) .

وعلى اية حال فان المساحة التي تحتلها المرتفعات لا تذهب هدرا . فقد ذكر تقرير الاحصاء الزراعى والحيوانى بان حوالى ٢٨٠٥٨ مشارة منها قد خصصت للمراعى الطبيعية ، وان ١٢٨١٨ كم^٢ منها تغطيها الغابات (٣١) ، وفضلا عن ذلك فان جزءا كبيرا من المساحات التي تزرع باشجار الفواكه ولا سيما الكروم ، تقع ضمن المساحة التي تشغلها المرتفعات . ولا تستثمر الاراضى الصالحة للزراعة بكليتها فى جميع الفصول الرراعية كما ذكرنا . ففى عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ مثلا بلغت المساحة المستثمرة فى الزراعة حوالى ٧٥٠٥١٣ مشارة ، بينما تركت ٤٣٣٣٦٢ مشارة بورا (٣٢) . غير ان هذه الارقام لا توضح الصورة الحقيقية للاستثمار الزراعى لذلك العام اذ ان تلك المساحة لا تمثل سوى الزراعة الشتوية . اما نصيب المحاصيل الصيفية من تلك المساحة فلم يتجاوز ٦٤٦٢٨ مشارة (٣٣) .

(٢٩) سوسة ، احمد ، «اطلس العراق الادارى» ، ص ٣ .

x (٣٠) أن الرقم الذي اوردته دوسون هو ٦٤٠٠ كم^٢ وهو اعلى قليلا من الرقم الحقيقي . كما ان تقريره لمساحة اللواء البالغ ٩٥٠٠ كم^٢ كان اقل من المساحة الحقيقية .

(٣١) الاحصاء الزراعى والحيوانى لسنة ٥٢-٥٣ ص ٧١ .

(٣٢) المصدر السابق .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

وتختلف درجة استثمار الارض في لواء السليمانية من موضع الى اخر حسب توفر المياه والسهول اولاً ، وحسب نوع النظام الاجتماعي (عشائري او لا عشائري) ومدى توفر القوى البشرية ثانياً . ويوضح الجدول التالي درجة استثمار الارض في مختلف جهات اللواء :

الجدول رقم ٣٣ (٣٤)

استثمار الارض في لواء السليمانية (لعام ١٩٥٢-١٩٥٣)

الناحية	المساحة الكلية كم ^٢	المساحة المزروعة (دونم) النسبة المئوية
مساوت	٥٢٥	٨٠٠٠
بنجوين	١٠٧٥	١٢٠٠٠
وارماوه	٤٥٨	١٢٠٠٠
سروجيك	٤٤٤	١٦٠٠٠
جوارته	١٠٤٧	١٦٠٠٠
تاجيرو	٥٩٣	١٣٢٠٠٠
سرجنار	٦٧٥	٨٠٠٠٠
شهرزور	٩١٠	٦٤٠٠٠
قلعة دزة	٥٠٩	٥٢٠٠٠
خورمال	٧٢٨	٤٨٠٠٠
سورداس	٧١١	٢٠٠٠٠
بازيان	٤٥٦	٢٤٠٠٠
قره داغ	٧٠٥	٤٠٠٠٠
مرگه	٧٠٧	٤٤٠٠٠

34. Compiled from the agricultural and livestock Graphics.
Baghdad 1954.

ويكشف تقرير الاحصاء الزراعي الحيواني ان اقل المناطق نصيبا في المساحة المزروعة هي ناحية ماوت (٨٠٠٠ دونم) وناحية بنجوين (٢٠٠٠ دونم) وناحية واراو (١٢٠٠٠ دونم)، وناحيتي سروجيك وجوارته (لكل منهما ١٦٠٠٠ دونم) . ان هذا الاستثمار الزراعي الشديد الانخفاض في هذه المناطق يعزى بدرجة رئيسية الى انخفاض عدد السكان .

اما أعلى حصة في الارض المزروعة فتوجد في ناحية تانجرو (١٣٢٠٠٠ دونم) بالرغم من ان مساحتها صغيرة وهي بقدر مساحة ماوت . ويعزى هذا الاستثمار المرتفع الى عوامل طبيعية وبشرية . فمن الناحية الطبيعية تعطى هذه الناحية جزءا كبيرا من سهل شهرزور الشديد الخصوبة والغزير المياه . اما من الناحية البشرية فان الاستيطان في هذه الناحية قديم جدا وقد توطدت فيها الملكية الزراعية كما توطد فيها النشاط التجاري الزراعي منذ الحكم البابائي .

وبلى ناحية تانجرو ، ناحية سرجار في استثمارها الزراعي (٨٠٠٠٠ دونم) . ويمكن تفسير ذلك ايضا بتأثير العامل الطبيعي والبشري ، وان كان العامل البشري قد لعب دورا اكثر فعالية .

ويمكن ان يعزى نصيب ناحية شهرزور من الارض المزروعة (٦٤٠٠٠ دونم) . الى العامل الطبيعي بالدرجة الاولى . فلقد شجعت خصوبة الارض ووفرة مياه نهر تانجرو على التوسع الزراعي بدرجة كبيرة ، غير ان قلعة الايدي العاملة لعبت دورا سلبيا .

ويمكن ان نعزو الاستثمار الزراعي المعتدل في ناحيتي قلعة درة (٥٢٠٠٠ دونم) وناحية خورمال (٤٨٠٠٠ دونم) الى العامل الطبيعي . ومع ان الاستيطان القديم للمنطقتين واستقرار الوضع السياسي فيهما قد شجع الاستثمار الزراعي ، الا ان قلة الاراضي الزراعية كانت عقبة منيعة تجاه التوسع الزراعي .

وتعزى حصة ناحية سورداش الصغيرة (٢٠٠٠٠ دونم) الى العامل الطبيعي كليا . فقد تركت الحاجة الى الارض الزراعية بسبب وجود المرتفعات الوعرة وقلة المياه الناتجة عن ضآلة الامطار ، اثرا معيقا على التوسع الزراعي .

وفي ناحية بازيان كان عامل السكان المسؤول الاول عن انخفاض الاستثمار الزراعي (٢٤٠٠٠ دونم) حيث ادت قلة الايدي العاملة الناتجة عن انتشار وباء الملاريا الى عدم امكان توسع الزراعة .

اما حصة ناحية مرگه المعتدلة (٤٤٠٠٠ دونم) فتعزى الى اثر التنظيم الاجتماعي ، فقد كان التنظيم العشائري الشكل السائد في المنطقة من امد بعيد ، وقد شجع حرفة الرعي .

اما حصة ناحية قره داغ (٤٠٠٠٠ دونم) فيمكن ان تعتبر مرتفعة اذا ما اخذت بنظر الاعتبار طبيعة ارضها الجبلية ، ولعل من جملة العوامل المساعدة على التوسع الزراعي النسبي فيها استيطان المنطقة من امد بعيد .

وتكشف دراسة اوضاع استثمار الارض في اللواء عن الحقائق التالية:

١ - ان النظام الزراعي السائد (الذي يطبق زراعة البور او الزراعة شبه المتنقلة) هو العامل الرئيسي الذي يحكم في تقليص المساحة المخصصة للزراعة الشتوية .

٢ - ان النقص في المياه مسؤول عن تقليص مساحة المحاصيل الصيفية .

٣ - لا تعتبر شحة الارض الزراعية مشكله تعاني منها الزراعة في اللواء .

٤ - لا تؤثر الحاجة الى الايدي العاملة على الزراعة في اللواء الا في مواضع محدودة .

وبخلاف النظام الزراعي السائد في الزراعة الشتوية عنه في الزراعة الصيفية . ففي الزراعة الشتوية يطبق الزراع زراعة البور او الزراعة

شبه المتقلة في جميع انحاء اللواء ، عدا الجهات التي تشكو نقصا في الارض كمنطقة هورامان . وهذه السياسة تؤدي الى تخفيض المساحة المستثمرة بالمحاصيل الشتوية تخفيضا كبيرا . وترتبط زراعة البور والزراعة شبه المتقلة بالزراعة البدائية . ففي الزراعة المتقلة ينتقل الزارع من موضع الى اخر كلما استنفدت خصوبة التربة ، بينما يترك نصف الحقل في زراعة البور بلا استثمار لكي يستعيد خصوبته . وفي كلا هذين النظامين لابد من توفر مساحات شاسعة من الارض لكي تسد حاجة المزارعين .

وتتفق زراعة البور كليا مع اهداف ومتطلبات الزراعة البدائية . فاما دامت المجتمعات المتخلفة تمارس نوعا من الاقتصاد المحلي ، فان الزراع لا يشعرون بأى دافع يحملهم على الاهتمام بتوسيع استثمارهم للارض . وكما اتصلت تلك المجتمعات بالعالم الخارجى وارتفعت قيمة التجارة كلما ازداد الاهتمام باستثمار الارض . وبالرغم من ان بعض الباحثين يعتقدون بان ممارسة زراعة البور لا تخلو من فوائد للارض ، اذ تعيد اليها خصوبتها وتخفض من مستوى المياه الجوفية فيها ، الا ان الوسائل الحديثة في معالجة الارض تغني الملاح في الحقيقة عن اتباع هذا النظام . فبوسعهم ان يحافظوا على خصوبة الارض باستخدام المخضبات الطبيعية والصناعية ، وبتطبيق الدورة الزراعية ، وبزراعة المحاصيل الخضراء التي تمد التربة بالنروجين . غير ان زراع اللواء لا يسمحهم تطبيق الاسلوب العلمي في الزراعة ما لم يرتفع مستواهم المادي والثقافي .

وتتم تهيئة الارض للزراعة الشتوية باحدى الطرق الثلاث التالية (٣٥):

35. Barth, F., "Principles of social organization in Southern Kurdistan", Oslo 1953. P. 141.

١ - طريقة وشكه ورد (الزراعة الجافة) :

تحرث الارض طبقا لهذه الطريقة ثلاث مرات ، حراثة اولى في الخريف الاول بعد احصاد وحراثة ثانية في موسم الربيع وثالثة في الخريف الثاني ، فهي تحرث اثناء ربيع (من نيسان الى مايس) ثم ترك بورا اثناء فصل الصيف بأجمعه . وفي اثناء شهر ايلول وتشرين الاول تبذر البذور في الحقل ثم يعاد حرثه . ولا بد ان يتم الحرث قبل موسم بدء الامطار الشتوية لتستفيد البذور منها فائدة كلية . وتعطى هذه الطريقة افضل النتائج واعلى مقدار من الغلة ، اذ انها تمكن التربة من استعادة حصوبتها اثناء فترة البور ، كما تهنيء للنبات الانساع من المطر الشتوي بصورة كاملة ، وبالتالي تمكن الحصول من مقاومة اخطار الجراد .

٢ - طريقة ميورد :

ويتم حرث الحقل حسب هذه الطريقة مرتين ، غير انها تحرمه من ميزة الحراثة الربيعية . اذ تتم حراثة الحقل للمرة الاولى في الشتاء ، ثم ترك بورا لفترة الباقية بكليتها حتى بداية الخريف . وحينما تبدأ فترة الامطار يتم بذور البذور دون ازالة الحشائش ، ثم يعاد حرث الحقل مرة ثانية . وتطبق هذه الطريقة في المناطق ذات الاراضي الرخوة التي لا تحتاج الى اعادة حرثها ثلاث مرات . ولعل ابرز عيوبها فسح المجال لنمو الحشائش الضارة حيث تشارك النبات غذاءه .

٣ - طريقة الترمال (الطريقة الرطبة) :

لا يتبع زراع هذه الطريقة نظام زراعة البور ، ولا تطبق الا نادرا ، ويعمل بها في المناطق التي تتمثل فيها بكرة الارض ، وقد يلجأ اليها الزراع الذين يمجزون عن حراثة مساحة واسعة من الارض لحاجتهم الى الحيوانات الحقلية . ولا يشرع الزراع في حرث الارض طبقا لهذه الطريقة حتى تنقع بالمطر الشتوي تماما ، وذلك خلال شهري تشرين الثاني وكانون الاول .

ثم تنشر البذور عقب الحراثة مباشرة ، غير ان الطريقة المثلى تتطلب مسرور
ثلاثة اسابيع على الحراثة قبل شر البذور ، ثم يعاد حرت الارض * وعلوي
هذه الطريقة على عيوب اقتصادية واجتماعية عديدة ، فهي تؤثر قبل كل شيء
على خصوبة التربة بالرغم من استخدام المخصبات الحيوانية مما يؤدي الى
انخفاض الغلة . ثم ان اسباب يصبح أكثر عرضة خطر الجراد * اما مساوئها
الاجتماعية فتتمثل بما تفرضه على الزارع من مشقات عظيمة ، اذ يضطر الى
خدمة الارض اثناء فصل الشتاء القاسي معرضا نفسه للأمطار والرياح والتلوج .
ان الكلاء عن الزراعة الشتوية يتطلب ايضا الإشارة الى دور الآلات
التي يستخدمها الزارع في اللواء ومدى تأثيرها على المحاصيل السنوية .
والواقع انها ذات تأثير سيء نظرا لخلفها وضعف كفاءتها . ففي عملية
الحراثة يستخدم الفلاح محراثا خشبيا بدائيا جدا ودا كفاءة ضعيفه في حرائه
الارض . ذلك انه لا يfokus في التربة الى أكثر من ثلاث بوصات ، فهو
بالكاد يחדشها ويمجز عن اقتلاع الجذور . وبالرغم من ان العمق المناسب
للحرت يعتمد على طبيعة التربة وعلى نوعية المحصول الا ان من المتعارف عليه
أنه ينبغي الا يقل عن ست بوصات⁽³⁶⁾ . فالحراثة العميقة ضرورية على اية حال ،
اذ انها تيسر تغلغل الجذور وتعرض جزءا كبيرا من التربة للتهوية والتجوية
فتزيد بذلك خصوبتها .

ومن العيوب الأخرى للمحراث الكردي بطؤه الشديد في حراثة
الارض . ويعود سبب ذلك الى صغر الأحاديد التي يحفرها مما يدعو الى
اعادة الحرت مرارا عديدة لقلب تربة الحقل باجمعه . في حين ان المحراث
الأوربي مثلا بطرفه الحديدي المقوس الطويل يحفر اخدودا عريضا يبلغ

36. Watson. James A.S., & More, A.S., "Agriculture" 10th
edit., 1956, P. 130. 37.

ضعف اخذود المحراث الكردي^(٣٧) • غير ان المحراث الكردي لا يخلو من مزايا ، فهو خفيف الحمل وبسيط الصنع وسهل التصليح •

اما عملية الحصاد التي يستخدم فيها المنجل (وهو اطول نوعا من اسجل العربي) فهي طويلة ومملة ويجند لخدمتها جميع افراد العائلة • ولا تستخدم التراكتورات او الحاصدات الحديثة الا في نطاق محدود جدا •

واما الدراسة فتم عموما بواسطة مجموعة من الحيوانات مربوطة الى بعضها ، وهي تسنهلك وقا طويلا • وتمرش في العادة سنايل الجبوب في طبقات سميكة ويساق فوقها عدد من الحيوانات لا يتجاوز الست ، فتظل تدور فوقها حتى تتحول الى قش ناعم • وهناك آلة دراسة خاصة بالمنطقة الكردية هي الدواسة الحديدية • وهي آلة مسننة تسحب بواسطة الحيوان فوق كوم السنايل حتى يتحول الى قش • وهذه الآلة هي بلا ريب اكثر كفاءة من فريق الحيوانات واكثر سرعة • وبالرغم من مزاياها العديدة فانها تستعمل في نطاق محدود بسبب غلاء سعرها النسبي •

واما التذرية فنستخدم فيها المذراة الخشبية وهي عبارة عن آلة خشبية بسيطة أشبه بالشوكة وهي بطيئة الحال بطيئة وذات امكانية محدودة في تنقية الجبوب •••

وهكذا يتضح بان الآلات التي يستخدمها المزارع الكردي متخلفة وفي حاجة الى تطوير جذري اذا اريد رفع انتاجية الارض وتخفيض القوة البشرية الحالية التي تنفق في الزراعة • ولا شك ان توفير آلات افضل وحيوانات حقلية ذات كفاءة اعلى سيساعد في تحسين انتاج الارض ، اذ ان تلك الآلات ستمكن الفلاح من اعداد الارض اعدادا جيدا وتيسر القضاء على

37. Leach. P. 48.



آلات الزراعة الكردية

الحشائش اصارة، وبذلك يرفع من مستوى الحبوب كما ونوعاً. وهذا لا يعني بأن مكس الزراعة هي احد اوجه، لاسيما في اوقت الحاضر، ذلك لان المكننة قد تواجه صعوبات كثيرة من دون تغيير نظام الملكية الحالي ومن دون توفير الخدمات الزراعية الضرورية. كما ان تطبيق المكننة في منطقة جبلية كدواء السليمانية قد يصطدم بصعوبات فنية واقتصادية. وينبغي ان تهدف السياسة الزراعية في الوقت الحاضر على الاهل الى توفير وحسن آلات الحراثة بطريقة تجعل استخدامها سهلاً ومنمراً واسعارها معقولة مناسبة. فالحديث الافضل صفاً اني نحرها حيوانات قوية قد تعطي نفس الناتج اني تعطي التراكورات في اعداد اشرية اعداداً جيداً وانحاء على الحشائش اصارة. مما يؤدي الى رفع العنق بسنة تراوح بين ٣٠ الى ٥٠. كما ان ادخال آلات دارة حديثة من نوع بسيط قد يأتي سلاح نفوذ ما تأتي به الحاصدات الكبيرة (الكومباين) لو اخذنا بنظر الاعتبار ما تكلفه من نفقات^(٣١). كذلك

38. I.B.R.D., "The development of Iraq". P. 19.

من تحسين حيوانات الجر أمر ضروري لتوفير حيوانات ذات قوة اكبر واحتمال اعظم ، وهذا يتم بالتنفيذ الصحيحة والاختيار الجيد .

ان وسائل توفير الآلات وحيوانات الجر المحسنة تتم عن طريق تهيئة القروض السهلة للزراع وتكوين جمعيات تعاونية لهم تتولى شراء الآلات وتأجيرها . وعند توسع ازراعه وتحلث التلاح لارضه ستكون مكنة الزراعة ضرورية ومفيدة ولا سيما في مناطق السهلية والادوية الممتدة بين المرتفعات حيث تتوفر اراضي منبسطة لا تتخللها العقبات ^(٣٩) . ولا بد ان تشجع المكننة عن طريق تحجير امكان من قبل الدولة للجمعيات التعاونية وعن طريق التملك التعاوني والاستخدام بشكل جماعي . واذا ما اقيمت المزارع التعاونية في اللواء فان المكننة ستكون مريحة جدا ، اذ انها ستؤدي الى تقليل كالكاف الانتاج وتقليص الجهد البشري والاقتصاد بالحيوانات الحقلية والاستفادة منها في انتاج اللحوم والالبان ^(٤٠) . وعلى اية حال فان تطبيق المكننة لا بد ان يتم بصورة تدريجية كما لا بد من انتظار نتائجها الفعالة لوقت غير قصير ^(٤١) .

هذا ما يتعلق بالزراعة الشتوية ومشاكلها . اما الزراعة الصيفية فتتخذ اهمية خاصة في اللواء لانها عماد اقتصاد الزراعة . وتستثمر الاراضي الصالحة للزراعة الصيفية استثمارا كاملا طالما توفرت المياه اللازمة ، ويندر ان يحدد استثمارها قلة خصوبتها او عدم توفر البنور الضرورية او الآلات اللازمة . ويعزى هذا الاهتمام لسبيين ، الاول لكون المحاصيل الصيفية تمثل امحاصيل

39. Hammer, Conrad & Morris J.F., "Farm Mechanization in Iraq", F.A.O.

40. F.A.O., "The problems of size holding for land settlement and development programme". report workshop No 1, Salahuddin 1955.

41. Iverson, 151.

التجارية وهي التي توفر للمزارع القدر ، بينما تنهب معظم المحاصيل
الشتوية للاستهلاك العائلي ، والثاني لصغر المساحة المخصصة للزراعة الصيفية
بسبب شحة المياه . وتتركز الجهود التي يبذلها الفلاح في الزراعة الصيفية
في تحقيق مهسين هما المحافظة على خصوبة التربة ، وتوفير المياه اللازمة .

وتختلف طرق اعداد الارض للزراعة الصيفية حسب نوع المحصول ،
غير ان الفلاح يشرع عموما باعداد الحقل فيما بين مارت ونيسان وذلك
بحراثته للمرة الاولى ثم اعادة حراثته ثم تخصيبه بالمخصبات الحيوانية .
وتقسم الارض في زراعة التبغ او القطن او الرز أو الخضروات الى حقول
صغيرة تقطعها سدود وقنوات صغيرة . وفي حالة التبغ او الرز تزرع البذور
في مشاتل خاصة حتى تبلغ طولا معينا ثم تنقل الشتلات الى الحقل .

ولعل اهم ما يشغل وقت المزارع خلال فصل الانبات هو السقي ، وان
كان يصرف ايضا جزءا من وقته في تنظيف الحقل من الحشائش الضارة
وفي تخصيبه بين الحين والحين . وبما ان سقي الحقل ينبغي ان يتم على
فترات متقطعة ، وبما ان ضمان جريان المياه يحتاج الى الاشراف الفعلي من
قبل المزارع ، لذلك فان حفر القنوات وتنظيفها واعدادها يكاد يشغل وقت
المزارع باجمعه . وبالرغم من ان المزارع يستخدم المياه بحرص الا انه لا
يلزم بالطريقة العلمية . فهو يعتقد بان الري الناجح هو الذي يضمن به
اكبر قدر ممكن من المياه . فاستعماله للمياه اذن لا يخضع لمقدار حاجة
التربة او المحصول للمياه . ويمرّ هذا الافراط الى عامل نفسي اكثر منه
الى جهل بمقدار حاجة الزرع للمياه . ذلك ان قلة المياه ومشاكلها المستمرة
التي قد تنازمت احيانا بين المزارع حتى تبلغ درجة الاقتتال ، قد جعلت الفلاح
حريصا على ضمان ما يستطيعه من المياه والذي قد يكون اكثر مما يحتاجه

المبات (×) • وعلى اية حال فإن تنظيم مياه اري بصورة علمية يكاد يكون
منعدما في المواء • وقد ذكر تقرير شركة باين تبت Knappen-Tippet Co.
حول تطوير الري في العراق بأن تنظيم الري السيجي في العراق ذو اهمية
قصوى بالنسبة للزراعة (٤٢) • واذا ما اريد نشر الزراعة العلمية في المواء
فلا بد من تعليم الزارع كيفية استخدام المياه • وقد اقترح تطبيق النقاط
التالية في عملية السقي :

- ١ - تسوية الحقل بدرجة تسمح بوصول المياه الى كل موضع فيه بصورة
متساوية •
- ٢ - تمكين الفلاح من السيطرة على المياه باشاء القناطر والبوابات الصغيرة
على التهرات والجداول •
- ٣ - تعليم الفلاح ما يجهله من حقائق عن متطلبات جذور المحاصيل وتعميده
على التحكم في الارواء بشكل يرطب منطقة الجذور بدون تبديد المياه
الى ما دون منطقة الجذور •
- ٤ - تعليم الفلاح ضبط المسافات المطلوبة بين بنة واخرى لكي تنتج اكبر

(×) ان اهتمام الزارع بالمياه وما تحدثه من مشاكل قد ادى الى خلق
وظيفة خاصة في مجتمع القرية لحل مشاكل المياه اطلق على شاغلها اسم
(ميراو) • والميراو هو مزارع بارع يتخذ على عاتقه مسؤولية توزيع المياه
بين زراع القرية بعدالة • ويقوم بتوزيع المياه بين الزراع حسب قاعسة
الوقت ، اى حسب عدد الساعات في اليوم او في الاسبوع ، مخصصا لكل
زارع ما يحتاجه من المياه • ويتبع توزيع المياه فى معظم القرى دورة خاصة ،
اى اياما معينة من الاسبوع الا انه قد يوزع بصورة دائمية ايضا اذا ما
توفر بشكل كاف • ويتم اعادة انتخاب الميراو سنويا ، ويكافأ على جهوده
بمديد المساعدة له وقت الحصاد •

42. Knappen-Tippet Company, "The irrigation of Iraq", a
report submitted to the Development Board in 1954. P. V1-1.

غلة ممكنة • (فقد تمود الزارع ان يباعد بين صفوف النباتات أكثر مما يجب ، وان يجعل السواقي عريضة وعميقة أكثر مما ينبغي) (٤٣) •
وهكذا يمكن ان نخلص الى القول بان الزراعة الصيفية في المساء تتطلب تطبيق اساليب علمية في الري تهدف الى الاقتصاد بالمياه وتضمن المحافظة على التربة وتعالج حاجة المحاصيل بصورة صحيحة • وقد ذكر رسل Russel بان السقي الناجح يجب ان يهدف الى سيطرة معقولة على مستوى المياه الجوفية ، والى تخليص التربة من الاملاح المتجمعة نتيجة تبخر المياه ، والى تيسير امتصاص التربة للمياه بدرجة متساوية • وتحقيق هذه الاهداف بالمحافظة على مسامية التربة وبمعرفة كيف ومتى يسقى الحقل (٤٤) •

المحاصيل الزراعية

مكن القول ان العامل الطبيعي هو المسؤول الرئيسى عن انسواء المحاصيل التى تزرع في لواء السليمانية ، وان كان للعامل البشرى اثر ملحوظ في ذات ايضا • فاعامل الطبيعي يتحكم بصورة مباشرة في متطلبات النبات من خلال المناخ والتربة وطبيعة الارض • فكل نبتة تحتاج الى كمية معينة من الهواء والماء والضوء والحرارة ومقدار معين من الغذاء ، فاخلاف نوع النباتات يؤدي الى اختلاف هذه المتطلبات • واذا بلغت المتطلبات المذكورة ادنى من المستوى المطلوب اصبحت عاملا معيقا لنمو النبات •

ويعتبر الماء العامل الرئيسى الذى يقرر نوع النبات ويتحكم في نموه •

43. West, Burnell A., and Caine, Selly M., "Agricultural potentialities of Iraq", F.A.O. Conference, Salahuddin 1955.

44. Russel, Sir John. "Soil conditions and plant growth", London 1956, PP. 388-9.

ولا بد من توفره بكميات كبيرة لان النبات لا يستطيع امتصاص غذائه المعدي الا على شكل سائل مخفف مما يجعله في حاجة مستمرة الى المياه • وتختلف النباتات في حاجتها الى المياه حسب اختلافات فترة نموها ، الا ان من المنفق عليه بان المحاصيل الزراعية لا يمكن ان تنمو في ظروف يقل فيها مقدار التساقط السنوي عن ١٠ بوصات • ولا بد للمناطق التي تتلقى امطارا تقل عن ٢٠ بوصة سنويا من اتباع وسائل الزراعة الجافة لتيسر نمو النبات •

ومن المعلوم ان الامطار في لواء السليمانية تقتصر على فترة معينة من اعام (بين تشرين الاول الى مايس) مما يجعل الري الصناعي امرا ضروريا للزراعة الصيفية • هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى فان شحة المياه الصيفية قد أدت بالمزارعين الى تفضيل زراعة محاصيل صيفية تحتاج الى مياه أقل كالتبغ مثلا الذي يفضل على القطن او الرز •

وتعتبر الحرارة ايضا ضرورة رئيسة من ضرورات النبات ، ولا يمكن لأية نبتة ان تنمو من دون ان تتوفر لها درجة حرارة معينة • وبما ان التربة تتلقى اعظم كمية من الحرارة عن طريق الاشعاع الشمسي مباشر ، لذلك فان كمية حرارتها تعتمد على موقعها من خطوط العرض وعلى درجة ارتفاع ارضها وعلى اتجاهها بالنسبة للشمس • وعلى اية حال فان النباتات تتأثر بانخفاض درجة الحرارة اكثر من تأثرها بارتفاعها ، وان ارتفاع الحرارة يهيء فرصة اعظم لتنوع النباتات • وهكذا فان موقع لواء السليمانية بين خطي عرض 35° - 37° قد هيا له حرارة مرتفعة في فصل الصيف ، بالرغم من ان ارضه لا تكاد تنخفض في أية جهة من جهاته الى ما دون ٢٥٠٠ م فوق مستوى سطح البحر ، لذلك فان فصل الصيف صالحا لنمو عدد متنوع من المحاصيل في اللواء ، في حين ان حرارة فصل الشتاء التي تنخفض الى ما دون الصفر المئوي في بعض الاشهر ، لا تسمح الا بنمو عدد محدود من المحاصيل •

ويعتبر الضوء عاملا هاما ايضا في نمو النباتات • فهو يؤثر على انبات من خلال التأثير على تطور بنيتة وعلى انتاجه الغذائي ، وعلى ما يحتاجه من وقت لاتاج البذور (٤٥) •

اما دور التربة في نمو النبات فقد سبق لنا ان اوضحناه • فالنباتات تعتمد على التربة بصورة مباشرة في حصولها على غذائها وعلى حاجتها من المياه • لذلك فان الاختلافات في البنية الكيماوية للتربة وفي نسيجها وعمقها يؤثر تأثيرا مباشرا عليها • كذلك تؤثر درجة توفر عناصر معينة في التربة مثل النتروجين والفوسفات والبوتاس والكالسيوم تأثيرا متفاوتا على الانواع النباتية المختلفة • كما يؤثر نسيج التربة على درجة نفاذها وبالاى على مدى نمو النبات •

وترتبط التربة بشكل مباشر بطوبوغرافية وجيولوجية المنطقة • وبما ان الجزء الاعظم من لواء السليمانية يشتمل على صخور قديمة ، لذلك فان التربة المحلية غنية بالعناصر المعدنية عموما • غير ان الاوضاع الطبوغرافية في اجزاء كثيرة من اللواء ، بالاضافة الى نوع الامطار ، قد أدت الى حدوث تعريسة شديدة مما خلف تربة ضحلة (x) •

45. Hildreth, A.S., "Effects of climatic factors on growing plants" published by U.S. Department of Agriculture, Washington D.C., 1941.

(x) تعتبر التعرية من العوامل الرئيسة التى تؤثر على تربة اللواء تأثيرا خطيرا • وتدل خارطة تصنيف الارض للواء السليمانية على ان الغالبية العظمى من الارض تفاسي من التعرية ، وبشكل حاد احيانا ، ولا سيما التعرية المائية • وتعزى حالة التعرية فى اللواء الى نوع المناخ وطبيعة الارض والى نمط الاستثمار الزراعى السائد • وتحدث التعرية المائية عادة حينما تتجاوز الامطار معدل امكانيتها فى التسرب الى باطن التربة ، مما يؤدي الى جريان المياه حاملة معها التربة السطحية • فاذا زاد الانحدار على نسبة ١ الى ١٠ فان سرعة جريان المياه تكون كافية لحمل ذرات التربة • وكلما =

ولقد خضع نمط استثمار الارض في اللواء الى عاملين رئيسيين كما ذكرنا هما الوضع الطبوغرافي ودرجة توفر المياه . لذلك يعتمد الزراعة الى رراعه الجبوب في الاودية وفوق منحدرات التلال الواطئة ، والى زراعة المحاصيل النقدية كالتبغ والقطن في المناطق المنبسطة الصالحة للري الصناعي . اما اخضروات فتررع في حقول صغيرة تتخلل الاراضى ذات الري الصناعي . وتنحصر اشجار الفواكه ، لا سيما الكروم ، فوق التلال العالية وعلى المنحدرات الحادة . وتنتشر المراعي والغابات فوق الروابي والاراضى المرتفعة كما تتخلل المنحدرات الحادة .

ولقد ادى مناخ اللواء ، بالاضافة الى طبيعة النظام الزراعي المتبع ، الى خلق فصلين زراعيين متميزين هما الفصل الشتوي والفصل الصيفي . فالقمح والشعير يمثلان اهم غلات الفصل الشتوي ، بينما يحتل التبغ المركز الرئيسى

= زاد الانحدار كلما زادت سرعة المياه الجارية وارتفع مقدار ما تحمله من ذرات . ويساعد الوضع الطبوغرافى فى اللواء على التعرية المائية بما يشتمل عليه من مرتفعات ذات منحدرات حادة . كما يساعد المناخ عملية التعرية ايضا نتيجة لتركز الامطار فى فترات معينة من العام وهطولها على شكل زوايع عديدة . كذلك يشجع النظام الزراعى السائد التعرية عن طريق ممارسة زراعة البور والرعى المفرط وقطع الغابات مما يؤدى الى تعريض التربة العارية الى الانجراف .

ان التعرية تؤدى الى ازالة غطاء التربة الثمين الذى لا يمكن تعويضه الا بسنين طويلة وهذا بدوره يؤدى الى طمر القنوات ومجارى الري والى فقدان جزء كبير من المياه الجوفية . ولا بد من مقاومة ظاهرة التعرية باتباع الوسائل اللازمة ومنها الزراعة المستمرة للارض وتطبيق الحراثة الكونتورية واعادة تشجير المنحدرات . غير ان انجع الوسائل لصيانة التربة فى مناطق المنحدرات هى تطبيق زراعة المدرجات . راجع :

Hobley, C.W., "Soil erosion; a problem of human geography"
Geog. Jour., No. 82., 1933, P. 145.

بين الغلات الصيفية ويليها الرز والقطن (×) (٤٦) ويوضح الجدول التالي اوقات
بذر وجني المحاصيل المذكورة وبقية المحاصيل الاخرى التى تزرع في اللواء:

الجدول رقم ٤٠ (٤٧)

محاصيل لواء السليمانية واوقات بلدها وجنيها

نوع الفلة	تاريخ البذر	تاريخ جنيها
التبغ	مارت - نيسان	تشرين الاول
القمح	كانون الاول	مايس
الشعير	ايلول - كانون الثاني	نيسان - مايس
الررز	مارت - نيسان	ايلول - تشرين الاول
القطن	نيسان - مايس	آب - كانون الاول
السهم	نيسان - تموز	مايس - تشرين الاول
الكتان	كانون - الثاني	حزيران
الباقلاء	كانون الاول	شباط - نيسان
العدس	كانون الاول	شباط - نيسان
بازلياء	نيسان - مايس	تشرين الاول

× (٤٦) لقد اوردت الاحصاءات الرسمية (لعام ١٩٥٢-١٩٥٣) التوزيع
التالى لمساحات المحاصيل الرئيسة في البلاد:

الشعير ١٢١١٠٠٠ هكتار ، القمح ١٠٤٦٠٠٠ هكتار ، الرز ١٢٩٠٠٠
هكتار ، الذرة ١٥٤٠٠٠ هكتار ، القطن ٢٤٠٠٠ هكتار ، الدخن ٢٢٠٠٠
هكتار ، السهم ٢٢٠٠٠ هكتار ، التبغ ١٠٠٠٠ هكتار ، الخضروات
٤٥٠٠٠ هكتار ، المحاصيل الاخرى ٣٨٠٠٠ هكتار . المجموع ٣٦٠١٠٠٠
هكتار .

"The Economic development of the Middle East" United Na-
tions publication 1955

47. Field, Henry, "Anthropology of Iraq-Kurdistan" No. 2,
P. 12.

« تابع »

نوع القلة	تاريخ البذر	تاريخ جنيها
الطماطم	مارت	حزيران - تشرين الثاني
اللهاية	ايلول	تشرين الثاني - شباط
الجزر	ايلول	تشرين الثاني - شباط
شوندر	ايلول	تشرين الثاني - شباط
يقدونيس	آب - شباط	كانون الاول - حزيران
خيار	نيسان - حزيران	آب - ايلول
بصل	ايلول - شباط	كانون الاول - مايس
قرع	مارت	حزيران
باميا	مارت	تشرين الثاني
بطيخ	مارت	تشرين الاول
بطاطا	ايلول - شباط	كانون الاول - مايس
خس	آب	مايس
فجل	آب	شباط
سبانغ	آب	شباط
لفت	آب	شباط

ويجدر بالذكر ان اغلب حاصلات لواء السليمانية تبذر وتجنى في مواعيد متأخرة عن تلك التي تزرع في وسط وجنوب البلاد * ولهذه الحقيقة الجغرافية اهمية تجارية خاصة *

الحاصلات الشتوية

بالرغم من ان معظم الاراضي الزراعية في اللواء تخصص للزراعات الشتوية بسبب توفر المطر الشتوي ، لكن تلك الحاصلات تدر ارباحا أقل

مما تدره المحاصيل الصيفية على اعموم • ويعزى ذلك الى اعده سحنه
التي تتميز بها المحاصيل الشتوية والتي هي حصيلة فقر التربة واسباب
الزراعية المتخلفة والكوارث الطبيعية (الجفاف والابوة الزراعية) • والواقع
ان لواء السليمانية يخلف عن كثير من الوية العراق في محصوله من القمح
والشعير في كمية الاناج ومساحة المخصصة للزراعة ومقدار غلة الماشاة •
ولذلك فيسما نجد القمح والشعير يمثلان الغلتان الرئيستان في معظم الوية
القطر ، لا سيما في الولاية الشمالية ، نجدهما يحتلان مكانة ثانوية في الاناج
الزراعي للواء السليمانية (x) (٤٨) •

القمح :

يمثل القمح اهم غلة شتوية في المواء ، كما ان اساجه يفوق على بقية
الحاصلات الشتوية • وبالرغم من ان حرارة الشتاء لا تلائم نمو القمح ،
لا سيما في المناطق المرتفعة من المواء التي تنخفض فيها درجة الحرارة تحت
الصفر اسوي لاكثر من شهرين ، فان درجة التساقط في المواء ماسية
تماما لمتطلبات القمح • فالقمح يحتاج الى المياه بصورة خاصة عند نذره وقبل
فترة نضجه ، لذلك فان المناخ الذي يتسم بامطار ربيعية كمناخ لواء السليمانية ،
او ذلك الذي يشتمل على ثلوج وفيرة تذوب في الربيع ، هو من اكثر
المناخات ملائمة لنمو القمح • كذلك فان جفاف الصيف في المواء يجعل منه
اكثر صلاحا لزراعة القمح ، ذلك لان الصيف الرطب لا يلائم مرحلة نضج

x (٤٨) لقد جاء في كتاب الحبوب السنوي لعام ١٩٥٧ بان انتاج الغلات
الرئيسة الشتوية في العراق لعام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ قد بلغ ٤٥٣٠٠٠ طنا
من الحنطة و ٧٥٧٠٠٠ طنا من الشعير • بينما بلغ انتاج المحصول الصيفي
الرئيسي وهو الرز ٨٣٠٠٠ طنا •

The Statesman year book 1957. P. 133.

القمح • غير ان طوبوغرافية اللواء عرقل في معظم اجزائه زراعة القمح ، ذلك لان منحدرات الجبال التي يزيد انحدارها على ١٥ قدما في كل ١٠٠ قدم لا تلائم انتاج القمح (٤٩) •

ولا يمتلك النوع الذي يزرع من القمح في اللواء المقدرة على مقاومة التقلبات المناخية او الافات الزراعية ، كما انه لا يتصف بغلة مرتفعة • وهذا النوع هو الذي الف زراع اللواء زراعته منذ أقدم الازمان • ولم تجر اية محاولات جدية لتجربة انواع اكثر صلاحية لظروف اللواء كالانواع ذات الغلة العالية والمقدرة على مقاومة الجفاف والافات الزراعية • كما لم تتخذ ايضا الاجراءات الكفيلة بمقاومة الحشرات والامراض الزراعية بشكل فعال ، بالرغم من اهمية هذه المحاولات •

ويقاسي القمح بدرجة خطيرة من شتى انواع الافات والامراض الزراعية ، واشدها خطرا حشرة السونة *Eurygaster integriceps* وبالرغم من ان هذه الحشرة تنتشر في جميع جهات الصف الشمالي من العراق ، الا انها تتخذ صفة الوباء في الوية السليمانية وكركوك واربيل على وجه الخصوص • ويعزى ذلك الى العامل المناخي ، اذ يحصد القمح في جنوب البلاد قبل ان تبلغ الحشرة مرحلة النضج ، بعكس الحال في المنطقة الشمالية (٥٠) •

ويختلف الضرر الذي تلحقه هذه الحشرة بالغلة حسب حدة هجومها ، لكن المنطقة الموبوءة قلما تنتج ما يزيد على ٥٠٪ من الناتج الطبيعي ، وقد لا

49. Babner, O.E., "The potential supply of wheat". Economic Geogr., vol. 1, March 1925. P. 28.

50. Webster, J.F., & Dutt, A , "Sunn pest (Iraja) on cereals in Iraq" Department of Agriculture, Leaflet No. 3. 1926, P. 2.

تنتج من الجبوب شيئا مذكورا (٥١) .

ومن الافات الزراعية التي تهدد القمح ايضا مرض الصدا (الساج) الذي يسببه نبات فطري يطلق عليه اسم *Tilletia* . وهذه الافة اقل انتشارا من السونة لكنها لا تقل عنها خطرا على حاصلات اللواء ، وذلك بما تحدثه من تخريب فعلي في الجبوب ، وما تسببه من تخفيض في قيمة المحصول بكميته (٥٢) .

اما الجراد فقد كان في السابق من اخطر الحشرات تأثيرا على القمح في البلاد ، ولا سيما الجراد الرحال *Dociostaurus Moroccamus* غير ان اخطاره قد تضاءلت في السنين الاخيرة نتيجة للتكاتف بين اقطار منطقة الشرق الاوسط في مكافحته . ومن الضروري القضاء على تهديده نهائيا . ولم يكن الجراد يلحق الاضرار بالقمح فحسب ، بل ببقية محاصيل اللواء ايضا (٥٣) . وكما اشار وبستر Webster ودت Dutt فان انتعاش المحاصيل الزراعية الشتوية في شمال البلاد يعتمد الى درجة كبيرة على نجاح مقاومة الافات الزراعية ولا سيما السونة والجراد (٥٤) .

وتلحق الذبذبات المناخية ايضا اضرارا كبيرة في بعض السنين بانتاج القمح من خلال الجفاف او استمرار الامطار او حدوث زوايع البرد الربيعي . ولقد أدت العوامل المذكورة بمجموعها الى تخفيض غلة القمح تخفيضا

٥١ . المصدر السابق .

52. Guest, Evan. "Bunt disease of wheat", Department of Agriculture, Leaflet No. 19, 1929, P. 1-2.

53. Department of Agriculture, "Locusts in Iraq" Leaflet No. 12. 1926.

54. Webster, & Dutt, P. 8.

كبيراً ، فهي لا تتجاوز في الوقت الحاضر ٦٠٠ الى ٧٠٠ ليبرة في المزدان الواحد ، مع ان في الامكان رفعها الى ١٢٠٠ - ١٥٠٠ ليبرة في المزدان (٥٥) .
والواقع ان العوامل المعاكسة قد اثرت في انخفاض غلة القمح في اللواء اكثر من بقية الاولوية الاخرى كما يتضح من الجدول التالي :

جدول رقم ٤١ (٥٦) (X)

انتاج القمح حسب الاولوية لعام ١٩٥٢ - ١٩٥٣

اللسواء	المساحة	الانتاج	الانتاج
[بالاف الدونم]	[بالاف الاطنان]	[الطن بالدونم الواحد]	
السليمانية	٦٤	٧	٠١١٠

55. Paterson, D.D., "Problems of the Iraqi cultivator", Tropical Agriculture, vol. IX, No. 8, 1932.

56. Compiled from the Statistical Abstracts 1945, table 98.

(X) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة كميات القمح المنتجة في الاولوية على الوجه التالي :

المحافظة	المساحة المزروعة (بالاف النونمات)	الانتاج (بالاف الاطنان)	
١٩٦٧-١٩٦٨	١٩٦٨-١٩٦٩	١٩٦٨-١٩٦٩	
بغداد	٧٣٥	٧٢٣	١٤٧
البصرة	١٥	٦	٢
نينوى	٣٥٢٨	٣٧٠٩	٥٦٦
كركوك	٨١٤	٩٥٨	١٥٠
كربلاء	١٤	١٥	٣
واسط	٥٤٧	٥٧٣	١٠٢
نيسان	١٤٨	١٥٥	٣٢
ذي قار	٢١٠	١٧٨	٢٦
بابل	١٥١	١٤٧	٢٨
ديالى	٣٨٥	٤١٣	٦٣
الانبار	١٦١	١٢٩	٢٠
			١٩

« تابع »

اللاتاج (الطن بالدونم الواحد)	اللاتاج (بالاف الاطنان)	المساحة (بالاف الدونم)	اللواء
٠١٧٥	٦٨	٣٨٨	بغداد
٠٢٥٠	١	٤	البصرة
٠١٣٦	١٢٢	١٦٣٤	الموصل
٠٢٠٦	١٩	٩٢	العصاة
٠٠٢٩	٢	٧٠	كربلاء
٠٣٤١	٣١	٩١	الديلم
٠١٣٤	١٠٩	٨١٢	كر كوك
٠٢٦١	١٢	٤٦	المتفك
٠٢٤٧	٢٣	٩٣	الحلة
٠٢٠٦	٨٠	٣٨٩	الكوت
٠٢٥٦	٤٠	١٥٦	الديوانية
٠١٣٤	٤٢	٣١٤	ديالى
٠١٦٣	١٠٤	٦٣٧	اربيل
٠١٥٩	٧٩٢	٤٧٩٠	المجموع

المحافظة	المساحة المزروعة (بالاف الدونمات)	النتاج (بالاف الاطنان)	المحافظة
١٩٦٨-١٩٦٧	١٩٦٨-١٩٦٧	١٩٦٨-١٩٦٧	
اربيل	٨٤٧	٨٤٥	١٤٦
القادسية	٢٩١	٢٠٢	٤٩
السليمانية	١٩٤	٢١٧	٣٧
المجموع	٨٠٤٠	٨٣٥٥	١٣٧١
			١١٨٨

المصدر : د المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ، الجهاز المركزي
للاحصاء ، ص ١٥٩ .

وتتفاوت جهات اللواء في انتاجها للقمح حسب الظروف الطبيعية والعوامل البشرية . وقد أوضح تقرير الاحصاء الزراعي والحيواني لعام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ بان اعظم مساحة لزراعة القمح تمثلت في ناحية تانجسرو (٦٤٠٠٠ دومت) ثم تليها ناحية شهرزور (٣٦٠٠٠ دومت) ثم تليها ناحية قلعة دزة (٢٦٠٠٠ دومت) ثم ناحية سرجنار (٣٠٠٠٠ دومت) ثم ناحية حورمال (٢٤٠٠٠ دومت) . ومن الجدير بالذكر ان انتاج القمح في هذه الواحي ، ولا سيما في ناحيتي شهرزور وتانجسرو ، يستخدم لاغراض تجارية . اما انتاج القمح في الواحي الاخرى فيستخدم لاغراض الاستهلاك المحسلى وخصوصا في ناحيتي ماموت (٤٠٠٠ دومت) وبنجوين (٦٠٠٠ دومت) وموان (٨٠٠٠ دومت) (×) .

الشعير :

يشمل الشعير الغلة الثانية في اهميتها بين الغلات الشتوية . ولا ترجع اساحة الكبيرة المخصصة لزراعة الشعير الى اهميته كمادة غذائية ، اذ انه نادرا ما يحل محل القمح ، بل تعود الى سهولة متطلبات زراعته . فبالرغم من ان الشعير يتبع نفس منطقة القمح الجغرافية ، الا ان زراعته توغلت بعيدا خارج المنطقة بسبب تقبله للمناخ المتطرف . ففي الامكان زراعته في ظروف حرارية منخفضة ومرتفعة وفي اقل مقدار ممكن من المياه كما لا تؤثر قلة الخصوبة تأثيرا هاما على نموه . كل ذلك جعل غلة الشعير في اللواء اعلى من غلة القمح بالنظر لقدرته على مقاومة الجفاف والافات الزراعية وقلة الخصوبة .

(×) بلغت المساحات المزروعة بالقمح لموسم ٦٨-١٩٦٩ حوالي ٢١٦٣٨٢ دونما ، كما بلغت النسبة المئوية للمساحة المزروعة ٢٠٥٩ ، وبلغ انتاجه بالاطنان ٣٠٠٦٨ ، وبلغت النسبة المئوية للانتاج ٢٠٥٣ كما بلغ معدل غلة الدومت الواحد ١٣٩ كغم .

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨-٦٩) ، ص ٢٩ ، وزارة الزراعة - مديرية الديوان العام - قسم الاقتصاد الزراعي - بغداد ١٩٧٠ .

ومع ذلك فهي ادنى من غلته في معظم الوية البلاد كما يتضح في الجدول التالي :

جدول رقم ٤٢ (٥٧) ×

انتاج الشعير حسب الاولوية (لعام ١٩٥٢-٥٣)

المساحة (بالاف الدونمات) الانتاج (بالاف الاطنان) انتاج الدونم (بالاطنان)

٠.١٣٨	٧	٥١	السليمانية
٠.٢٠٨	٦٨	٣٢٨	بغداد
—	—	١	البصرة
٠.٣١٢	١٧٨	٥٧١	الموصل
٠.٢٧٦	٧٨	٢٨٣	العمارة
٠.٢٥٠	٢	٨	كربلاء
٠.٤٥٠	٢٨	٦٢	الدليم
٠.٣٤٠	١٥٦	٤٥٨	كركوك
٠.٣٢٩	١٢٣	٣٧٤	المنتفك
٠.٢٩٨	٨١	٢٧٢	الحلة
٠.٢٦٦	١٣٥	٥٠٨	الكويت
٠.٠٩٢	٦٦	٧١٤	الديوانية
٠.٣٣٩	١٢٨	٥٣٦	ديالى
٠.٢٧٩	٦١	٢١٩	اربيل
١١١١		٤٣٨٥	المجموع

57. Compiled from the statistical abstracts 1954, table 99.

(×) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة كميات الشعير المنتجة في الاولوية على الوجه التالي :

ويكاد توزيع الشعير في اللواء يشابه توزيع القمح • فناحية تانجرو تفرز
بالنصيب الاعظم (٥٠٠٠ دونم) تليها ناحية سرجنار (٣٤٠٠٠ دونم) ثم
ناحية شهرزور (٢٠٠٠٠ دونم) • اما اقل المناطق انتاجا فهي ناحية ماوت
(٢٠٠٠ دونم) ثم ناحية بنجوين (٤٠٠٠ دونم) ثم ناحية جوارته
(٦٠٠٠ دونم) (×) •

المحافظة	المساحة المزروعة (بالاف الدونمات)	الناتج (بالاف الاطنان)	١٩٦٨-٦٧	١٩٦٩-٦٨	١٩٦٩-٦٨
بغداد	٣٧٤	٣٤٨	٩٠	١١١	-
البصرة	٤	١	١	١	-
نينوى	١٠٧٠	١١١٧	٢٠١	٢٦٥	١٢٧
كركوك	٣٧٠	٤١٦	٧١	٤	٤
كربلاء	١٤	١٩	٣	٧٤	٥٥
واسط	٤٥٢	٤٤٦	٨٥	٥٣	٧٧
ميسان	٢١٨	٢٠٤	٦١	١٦٧	١٠٤
ذي قار	٤١٥	٤١١	١٢٨	١٦	٧٥
بابل	٦١١	٦٠٦	٧٩	٥٣	١٢
ديالى	٤٣٥	٤٥٣	١١	١٦	٧٥
الانبار	١٠٣	٧٩	٧٧	٥٣	١٢
اربيل	٣٧٥	٣٧٣	٧٧	٥٣	١٢
القادسية	٣٢١	٣٢١	٥١	١٢	١٢٥٠
السليمانية	١٠٨	٧٨	٢١	١٢	١٢٥٠
المجموع	٤٨٧٣	٤٨٧٢	٩٣١	١٢٥٠	١٢٥٠

المصدر : المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ، ص ٥٩

(×) بلغت المساحات المزروعة بالشعير لموسم ١٩٦٩-٦٨ حوالي ٧٨١٠٠ دونما ، كما بلغت النسبة المئوية للمساحة المزروعة ١٦٠ وبلغ انتاجه ١٢٠٩٥ طنا ، وبلغت النسبة المئوية للانتاج ٩٧٠ ، كما بلغ معدل غلة الدونم الواحد ١٥٥ كغم •

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ١٩٦٨-٦٩) ، ص ٣٣ •

اما بقية احاصيل الشتوية فتحتل مكانة ثانوية تماما في اقتصاد اللواء ،
وهي تزرع بالدرجة الاولى لغرض الاستهلاك المحلي مثل الحمص والعدس
والبصل (x) • كذلك تحتل الخضروات مكانة ثانوية (x x) •

المحاصيل الصيفية

تميز المحاصيل الصيفية بكونها اكثر تنوعا من المحاصيل الشتوية ، الا ان
التبغ وحده يمثل المحصول النقدي الرئيسي • والواقع ان الزراع يقيسون
اهمية زراعتهم الصيفية بمقدار ما يخصصونه من مساحة لزراعه التبغ • فذا
ما سئلوا كم دونما زرعوا من المحاصيل لسنة معينة ، ذكروا عدد دونمات
التبغ فقط ، وكان المحاصيل الشتوية والمحاصيل الصيفية الاخرى غير ذات
قيمة • وتتخذ زراعة الرز والقطن اهمية خاصة في اجزاء محدودة من
اللواء ، اما الحمص والسمسم والدررة وغيرها فتحتل مكانة ثانوية وتستخدم
في الغالب كمكلف حيواني •

(x) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة (لعام ٦٨-١٩٦٩) المعلومات
التالية عن المحاصيل الشتوية الثانوية في اللواء :

نوع الغلة	المساحة (بالدونم)	الانتاج (بالطن)
الباقلاء اليابسة	٤١٦	٩٢
الكتان	٩٥٥٠	١١٣٢
العدس	٩٣٥	١٣٤
الحمص	٩٣٥	١١٨
البصل اليابس	١٢٤٠	١٧٩٦

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨-٦٩) ، ص ٥٩-٦٠ •

(x x) لقد ارتفعت اهمية انتاج الخضروات في اللواء في السنوات
الاخيرة • ويوضح الجدول التالي اهم الخضروات الشتوية لموسم ٦٨-١٩٦٩ : =

التبغ :

بالرغم من ان الزارع الكردي لا يتميز ببراعة خاصة في زراعة التبغ ، الا انه على العموم افضل من الفلاح العربي في وسط وجنوب العراق . ويمكن ان تعزى براعته في زراعة التبغ الى تجاربه الطويلة ، فقد كلن التبغ منذ امد بعيد من اهم محاصيل المنطقة^(٥٨) . ويعتقد الزراع انفسهم ان جودة التبغ في منطقتهم تعود الى نوعية مياه الري . غير ان بعض البعثات يرى ان السبب الرئيسي ربما يعود الى تربة المنطقة الغنية بمناصرها المعدنية والقليلة المسواد الخضراء ، كما يرجع الى حسن تصريفها وخلوها من الاملاح^(٥٩) .

ويتميز لواء السليمانية بصلاحيته لزراعة التبغ ، فمعظم اجزائه تشتمل على صخور الالايستون وصخور قديمة مما يجعل تربتها غنية بالعناصر المعدنية

58. See: Rich. P.86, vol. 1.

(٥٩) فدو ، خليل : «التبغ في العراق» - مجلة الزراعة العراقية ، المجلد الثالث ، العدد ٣ ، بغداد ١٩٤٨ .

جدول يمثل انتاج الخضروات الشتوية لعام ٦٨-٦٩

نوع الفلة	المساحة المزروعة (بالدونم)	معدل غلة الدونم (كيلو)	الناتج العام كيلو	طن
الباقلاء الخضراء	٢١٨	٦٩٥	٥٠٠	٣٦٩
البصل الاخضر	٣٢٦	٧٦١	-	٥٧٤
الثوندر	٦٢	٤٠٣	-	٢١١
اللفت	١١٧	٨٥٥	-	٣٣٤
السلق	١٣٦	٢١٠	-	٢٨٧
الخس	١٨	٥٥٦	-	٦٤
الفجل	٩٧	١٤٤	-	٣٠٥
الجزر	١٦	٤٢٨	-	٣٩
الفاصولية الخضراء	٣٢	٣٢٨	٥٠٠	٤٢

المصدر: (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨-٦٩) ص ٦٩-٧٠

وجيدة الصرف وقادرة على الاحتفاظ بالرطوبة لامتد طويل • ويتصف مناخها بصيف جاف مشمس طويل • ويتراوح ارتفاع الارض بين ٢٥٠٠ قدماً الى ٧٠٠٠ قدماً • وهذه البيئة ملائمة لانتاج غنة عالية في كميتها ونوعيتها • وبالرغم من ان التبغ هو في الاصل نبات مداري الا انه تبنياً بشكل عظيم للمنطقة المعتدلة ، وان كان ما يزال حساساً تجاه التغيرات الجوية التي قد تؤثر على غلته في نوعيتها وكميتها •

وتتمثل صلاحية لواء السليمانية في انتاج التبغ في مركزه المتقدم بالنسبة لبقية الالوية كما يتضح في الجدول التالي :

الجدول رقم ٤٣ (٦٠) (x)

المساحة المزروعة بالتبغ حسب الالوية (عام ١٩٥٥-٥٤)

الـلـوـاء	المساحة (بالدونم)
السليمانية	٢٥٠١٣
بغداد	٦٢
البصرة	—
الموصل	٢٢٧٤
العمارة	—
كربلاء	٨
الديلم	—
كر كوك	٦٨٢
المتفك	—

60. Compiled from the report of the Agricultural and live-stock census of 1955.

(x) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة مساحة وموقع الاراضى المسموح بزراعتها بالتبغ على الوجه التالى :

« تابع »
اللاواء

المساحة (بالدونم)

الحلة	٨٧٩
الكوت	٥٠
الديوانية	—
ديالى	٨٣
اربيل	١١٠٢٣

وسيفضل لواء السليمانية يحتفظ بمركزه المتقدم بالنسبة لبقية الااوية
لما يختص به من مميزات طبيعية (×)

المحافظة	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
السليمانية	٤٠٧٥٠	٣٩٢٠٠	٤٠٧٠٠	٤٧٤٥٠
اربيل	١٣٠٠٠	١٢٩٥٠	١٢٥٠٠	٩٨٠٠
كر كوك	٥٠٠	٦٠٠	٩٥٠	٨٦٠
نينوى	٣٧٥٠	٥٢٥٠	٥٢٥٠	١٥٠٠
المجموع	٥٥٠٠٠	٥٨٠٠٠	٥٩٤٠٠	٥٩٦١٠٠
الاحتياط	٣٩٠	٦٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠
المجموع العام	٦٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٦٠٠٠٠

التنبأك

كربلاء وبابل	١٥٠٠	١٢٥٠	١٢٥٠	٣٠٠٠
--------------	------	------	------	------

المصدر : (المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩) ، ص ١٨٠

(×) لقد اورد (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨-٦٩)
الحقائق التالية عن زراعة التبغ : (تبلغ المساحة المزروعة بالتبغ
في كردستان العراق حوالى ٦٠٠ الف دونم . وتأتي محافظة السليمانية في
مقدمة المحافظات الكردية في الانتاج . فهي تحتل حوالى ٦٠٪ من مجموع =

ويصف الاساليب المتبعة في زراعة التبغ بكونها اساليب تقليدية . وبالرغم من ان الزارع يبذل أقصى جهده للعناية بمحصوله باعتباره العمود الفقري لاقتصاده ، الا ان غلته على العموم لا تحقق مستوى عاليا في كميتها او نوعيتها . واذا ما قارنا انتاج اللواء بالمستوى الذي حددته مديرية انحصار التبغ لهذا محصول نجده ادنى من المستوى كما يوضحه الجدول التالي :

الجدول رقم ٤٤ (٦١)

انتاج التبغ في لواء السليمانية من عام ١٩٥٠ - ١٩٥٤

السنة	المساحة (دونم)	المجموع (كيلوغرام)	الناتج (كيلو) ردىء	الناتج (كيلو) جيد
١٩٥٠	١٠٢٥٠	٢٠٠٦٤٩٤	١٦١٣٤١٦	٣٩٢٩٩٨
١٩٥١	١٠٢٥١	١١٥٦٣١٩	٧٩٢٥٨٧	٣٦٣٧٣٢
١٩٥٢	١٥١٥٠	٢٠٣٧٤٢٢	٢٠١٣٣٧٨	١٠٠٦٠٤٤
١٩٥٣	١٩٤٠٠	٥٣٠٣١٦٣	٣٠٧٢٩٨٨	٢٢٣٠١٧٥
١٩٥٤	٢٤٨٥٠	٦٢٤٥٦٧٩	٤٦٣٣٣٩٠	٢٦١٢٢٨٩

ويعزى انخفاض نوعية التبغ في اللواء الى رداءة نوعية البذور بالدرجة الاولى والى عدم صلاحية الاساليب المتبعة في الزراعة . فالزراع يزرعون نفس

= الاراضى التى تزرع سنويا . ثم تحتل محافظة اربيل ٣٠٪ من مجموع الاراضى . اما محافظة كركوك فلا تزيد نسبة المساحة المزروعة فيها على ١٠٪ مع بقية اجزاء محافظة دهوك . ويبلغ معدل انتاج الدونم الواحد للتبغ بين ٢٠٠-٢٥٠ كيلوغرام . وتعتبر منطقة السليمانية ذات انتاجية كبيرة حيث يبلغ المعدل السنوي ٨٥٪ من الانتاج العام ثم تليها محافظة اربيل حيث يبلغ انتاجها ١١٪ من الانتاج العام ، وأخيرا يأتي قضاء جمجمال وبقيصة محافظة دهوك) ص ١٠٣

(٦١) احصاءات غير منشورة لدى مديرية انحصار التبغ في بغداد .

البذور التي ورنوا زراعتها عن آرائهم ، كما ان النوعية المزروعة عبارة عن خليط من انواع متعددة تماوت في وقت جنيها وفي جودتها . كذلك يعزى انخفاض نوعية الانتاج الى سوء طريقة جنى اوراق التبغ والى عدم صلاحية طريقة تصنيفها . وقد لخص تقرير بعثة بنك الاعمار الدولى مساويء فقطف التبغ في العراق على الوجه التالي :

(يقطف الفلاح اوراق النبتة بمجموعها بدلا من قطفها بشكل فردي مبتدأ من اسفل الساق . ويتم تصنيف الاوراق كيفما اتفق ، ثم تعرض الى الشمس مباشرة بدلا من الاحتفاظ بها في اماكن مظلمة لثلاثة او اربعة ايام . وفي اثناء القطف والتصنيف لا يفرق الفلاحون بين الاوراق السفلى والوسطى والعليا ، كما انهم لا يهتمون بضمان الرطوبة المناسبة للورقة عند حزمها . في البالات) (٦٢) .

ومن الامور الهامة التي تؤثر على انتاج التبغ الحاجة الى تجارب علمية لاختبار مدى صلاحية كل منطقة من مناطق اللواء زراعة . ففي بعض جهات اللواء مثل سهل شهرزور اثبتت التجربة الطويلة انها غير صالحة لزراعة التبغ . ومع ذلك فان ملاك الارض في هذه المنطقة يحصلون على نصيب كبير من رخص زراعة التبغ بسبب نفوذهم السياسى . ولا شك ان مثل هذا النفوذ يضر بسياسة توزيع زراعة التبغ في اللواء .

وعلى اية حال فلا بد من ادخال الاصلاحات على زراعة النع . ويتطلب ذلك قبل كل شئ الاهتمام بزراعة انواع جديدة من البذور ، واجراء التجارب على الانواع الحالية التي تزرع في جهات اللواء المختلفة لاختيار افضلها . ولا بد من توفير الاختصاصيين في زراعة التبغ لتعليم الفلاح على

62 The International Bank for Reconstruction and Development, "The Development of Iraq", Baltimore 1952, P.526-7.

الاساليب العلمية في قطف الاوراق وتصنيفها واعدادها للحزم في البالات • كذلك لابد من تحسين وضع مخازن البالات بحيث تزود بالكميات التي تتحكم في درجات الحرارة والرطوبة داخلها • ان ادخال امثال هذه التحسينات على زراعة التبغ امر ضروري جدا اذا اريد رفع مستواه • وان رفع مستوى انتاج التبغ سيؤدي الى ازدهار وضع الزارع الكردي الذي يعتمد بشكل رئيسي على زراعة التبغ ، كما سيزيد من دخل الحكومة من تصدير تبوغها •

وبالرغم من ان المساحات التي تخصص لزراعة التبغ في اللسواء من اختصاص مديرية انحصار التبغ العامة ، وان هذا الاجراء قد يخضع في بعض الحالات الى النفوذ الشخصي للملاكين والى عوامل سياسية كما ذكرنا ، الا ان توزيع زراعته في اللواء يكشف على اية حال عن صلاحية مناطق معينة بالذات لنموه • ويمكن اعتبار قضاء بشدر افضل جهات اللواء انتاجا للتبغ في نوعيته وكميته ، يليه قضاء شهر بازار ، في حين ان قضاء حلبجة اقل الاقضية صلاحية لانتاج التبغ •

القطن :

وهو يلي التبغ في اهميته كمحصول صيفي • ويمكن اعتبار لسواء السلیمانیة عموما مناسبا لزراعته ، لا سيما من وجهة نظر التربة ، اذ انه يحتاج الى تربة غنية وخصوصا في الفوسفور • ومن ضرورات زراعة القطن ايضا حرارة مرتفعة ومياه وفيرة وحفاف في اواخر مرحلة نضجه ، وهذه المتطلبات جميعا تتلام والبيئة الطبيعية للواء السلیمانیة • غير ان الممارسة والخبرة تنقصان زراع اللواء مما قد يؤدي الى نتائج مضرّة • فقد يتقص امثال هؤلاء الزراع من اهمية العمل المتطلب في الري والشتل والقطف مما قد يضر بالحاصل ضررا كبيرا^(٦٣) • وعلى اية حال فان ابرز العوامل

63. Department of Agriculture, "Cultivation of American cotton", Leaflet No. 15, 1957.

امعقة لتوسع في زراعة القطن هو قلة المياه والاصابات العالية بدودة القطن^(٦٤) ×
 فالقطن نبات حساس يحتاج الى كمية كافية ودائمة من المياه • ونظرا لعدم
 نبات كمية المياه الجوفية في اللواء فقد يتعرض النبات لاضرار كبيرة • وتمثل
 دودة القطن تهديدا مستمرا لزراع اللواء • وفي اثناء الفصل الزراعى
 ١٩٥٢-١٩٥٣ حينما بلغ انتاج القطن قمته ، سببت الصابة بهذه الافة ضررا
 كبيرا للمحصول بحيث تبطل رغبة الزراع فيه^(٦٥) • ثم ان القطن غلة
 منهكة جدا للتربة ، وهو يحتاج الى تربة شديدة التخصيب • وعلى ضوء
 نظام الملكية الارضية الحالي والاساليب الزراعية الحالية ، فان هذا المطلب
 لا يمكن تحقيقه بشكل صحيح •

فليس من الغرابة اذن ان يتجه الزراع في اللواء الى زراعة التبغ والى
 تفضيله على القطن ، ذلك ان التبغ يحتاج الى مياه اقل والى تربة اقل تخصيبا
 والى ايدى عاملة اقل ، كما انه فوق كل شىء اقل تعرضا للمخاطر • واذا ما
 اريد توسيع زراعة القطن فلا بد من حل مشاكل معية قبل ذلك ، وخصوصا
 مشكلة الايدى العاملة • فالقطن يحتاج الى ايدى عاملة كثيرة لمواجهة متطلباته
 × (٦٤) لقد عزت دورين وارينر Warrinor فشل زراعة القطن في
 العراق الى الاسباب التالية :

(لقد فشلت سياسة زراعة القطن في العراق لسببين ، الاول عدم
 تعهد السلطة الحكومية بمقاومة الافات وتحسين الانواع ، كما هو الحال
 في سوريا ومصر ، والثاني فرض ضريبة على التصدير الخارجى مقدارها
 ٢٥٪ مما جعل الاسعار تحت المستوى العالمى في صالح الصناعة القطنية
 الوطنية ولا سيما في صالح شركة الغزل والنسيج • وقد الغيت هذه
 الضريبة في اوائل عام ١٩٥٦) •

Warrinor. D., "Land and development in the Middle East",
 P. 118.

65. Report of the Iraqi delegation to the 8th conference of
 F.A.O.. Rome, 1953, P.4.

في اعداد الارض وفي الشتل والري وعند القطف • ولابد من تحقيق زيادة سريعة في السكان قبل التوسع في زراعة القطن اذا اريد تجنب مشكلة قلة الايدي العاملة^(٦٦) • وعلى اية حال فان زراعة القطن قد اخذت بالتوسع في الفترة الاخيرة ، وقد احتل لواء السليمانية مركزا مرموقا كما يوضحه الجدول التالي (×) :

الجدول رقم ٤٦ (٦٧)
المساحات المزروعة بالقطن حسب الاولوية (لعام ١٩٥٢-١٩٥٣)

المساحة (بالدونم)	اللواء
٨٣٠٣	السليمانية
٣٦٦٥٧	بغداد
١٨	البصرة
٦٧٢٤	الموصل
٣٠٠	العمارة
١٨٦٨	كربلاء
٤٦٧٥	الدليم
٧٥٠	كر كوك

66. Issawi, Charles, "The balance between land and the population in the Near East", F.A.O. conference, Salahuddin 1955.

67. Compiled from the agricultural and livestock census of 1952.

(×) لقد بلغت المساحات المزروعة بالقطن لموسم ٦٨-١٩٦٩ حوالى ٢١٠٠٠ دونما ، كما بلغت النسبة المئوية للمساحة المزروعة ١١٫٨ ، وبلغ انتاجه بالاطنان ٤٩٥٥ ، وبلغت النسبة المئوية للانتاج ١٢٫٢ ، كما بلغ معدل غلة النون الواحد ٢٣٢٦ كغم •

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨-١٩٦٩) ، ص ٥١ •

« تابع » اللواء	المساحة (بالدونم)
المنتفك	٥٢٠
الحلة	٦٢٨٢
الكوت	١٢٨٧٠
الديوانية	٢٦٢٧
ديالى	١١٧٣٣
اربيل	٣١٦٥

وهناك مواضع معينة في اللواء صالحة بشكل خاص لزراعة القطن • ويدل توزيع المساحات المزروعة بالقطن بان سهل شهرزور اكثر اجزاء اللواء صلاحية لزراعة القطن • ويعزى ذلك الى خصوبة تربته والى مياهه الوفيرة والى حرارته المرتفعة صيفا •

ولقد سادت زراعة نوعين من القطن في العراق حتى عام ١٩٤٨ وهما اكالا روجرز Akala Rogers واكالا القديم Old Akaia غير ان اكالا القديم قد منعت زراعته منذ عام ١٩٤٩ وذلك لمنع اختلاطه باكالا روجرز الذى هو افضل منه نوعية • وهكذا اقتصرت زراعة القطن على اكالا روجرز فقط بسبب جودة نوعيته وتوفر اسواقه في الخارج^(٦٨) •

وفي عام ١٩٥١ ادخلت زراعة نوع جديد من القطن في الالوية الشمالية هو كوكر وولت Coker Wolt, R100 ، ومنذ ذلك الحين اصبح هو المفضل • ويزرع في لواء السليمانية كلا النوعين • وقد بلغت المساحة المنزرعة باكالا روجرز في عام ١٩٥٤ حوالي ٥٤٠٠ دونما ، كما بلغت المساحة المنزرعة بكوكر وولت حوالي ١٨١٦٢ دونما^(٦٩) •

68. Statistical abstract, 1954. P.76.

٦٩. المصدر السابق ص ٧٨ •

الرز :

لقد كانت زراعة الرز في اللواء أكثر اتساعا في اوائل هذا القرن منها في الوقت الحاضر ، الا انها لم تبلغ في يوم من الايام مستوى تجاريا في الانتاج . ويمكن القول ان شحة المياه هي من اهم العوامل التي عرقلت التوسع في زراعته ، وان كانت قلة الايدي العاملة قد ساهمت في ذلك مساهمة فعالة . وتطلب زراعة الرز صيفا طويلا حارا ومياها وفيرة وتربة طينية خصبة . وتشمل هذه الشروط في سهل شمرزور على الخصوص ، وفي بقية سهول اللواء على العموم . ومما لا ريب فيه ان ألوية البلاد الجنوبية هي أكثر صلاحية لزراعة الرز من الالوية الشمالية ، ولا سيما المناطق الفيضية التي تمتد على الضفاف السفلى لنهري دجلة والفرات . ويمكن ان نتلمس ذلك في الجدول التالي (×) :

الجدول رقم (٤٧) (٧٠)

المساحات المزروعة بالرز حسب الالوية (لعام ١٩٥٣-٥٢) × ×

اللواء	المساحات المزروعة (بالدونم)
السليمانية	٧٩٥٤
بغداد	١١٥١
البصرة	١٧٣٩٥

70. Compiled from the Agricultural and livestock census of 1952.

(×) بلغت المساحات المزروعة بالرز في اللواء لعام ١٩٦٩-٦٨ حوالى ٨٠٢١ دونما ، كما بلغت النسبة المئوية للمساحة المزروعة ١٤ ، وبلغ انتاجه بالاطنان ٣٩٣٨ ، وبلغت النسبة المئوية للانتاج ١٣ ، كما بلغ معدل غلة الدونم الواحد ٤٨٠ كغم .

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ١٩٦٩-٦٨) ، ص ٤٩ .

(× ×) لقد اوردت الاحصائيات الحديثة كميات الرز المنتج في الالوية على الوجه التالي :

« تابع »
اللواء

المساحات المزروعة (بالدونم)

١٠٢١١	الموصل
١٤٨٩٩٢	العمارة
٩٨٩	كربلاء
٤٩٠	الدليم
٩٦٥٦	كر كوك
٥٠٣٥٧	المنتفك
٣٣٣٥١	الحلة
١١٣٣٥	الكون
٢٠١٧٧٨	الديوانية
١٧٤٩٠	ديالى
٣٨٤٣	اربيل

المساحة المزروعة (دونم)		الناتج (طن)		المحافظة
١٩٦٩	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٦٨	
١٢١٥٠	١٦٠٠٠	٧٣٥١	٨٠٨٠	بغداد
—	٢٩٠٠	—	١٤٥٧	البصرة
١٠٧٩٦	١١١١٧	٧٠٣٥	٦٧٠٥	نينوى
٧٤٢٥	١٠٠٤٥	١٤٧٢	٥١٩١	كر كوك
١٩٧٧٧٨	١٩٨٣١٠	١٠٨٨٣٩	١٤٤٤٨٠	القادسية
٥٢٥٦٩	٩٤٦٥٠	٤٣٤٩٨	٣٥٣٠٧	ميسان
٦٦١٧٦	٣٠٤٥٠	٣٣٧٦٧	١٦٤٤٤	ذي قار
٤٩١٤٢	٦٦١١٠	٢٤٨٨٣	٣١٦٣٨	بابل
٥١٥٢٨	٤٧٨٢٤	٢٦٢٨٨	٢٦٦٦٦	كربلاء
٣٩٨٥	٤١١٩	٣٣٥٢	٣٣٠٥	اربيل

وهناك طريقتان تباعان في زراعة الرز في اللواء ، وهما زراعة البذر وزراعة الشتل • ففي الطريقة الاولى تبذر الحبوب ويروى الحقل مباشرة ، ثم يحترث ويعاد حرثه • اما الطريقة الاخرى فان الشتلات تنقل الى حقول صغيرة وتزرع على حافة القنوات • وعلى اية حال ، ففي معظم جهات اللواء يزرع الرز في حقول مدرجة اقتصادا في المياه وتسهيلا لعملية الصرف • لذلك فلا تمثل في اللواء مشكلة الملوحة في حقول الرز التي تسود في حقول المنطقة الجنوبية • ومن المعتقد ان طريقة الشتل ، وهي المفضلة في اللواء ، تعطى غلة افضل في نوعيتها وكميتها (٧١) •

وهناك محاصيل صيفية اخرى تأتي بالدرجة الثانية في اهميتها مثل الحمص (٨٨٨١ دونم) والدخن (١٠٠٠ دونم) والسمسم (١٢٠٠ دونم) والذرة (١٨٠٠ دونم) حسب الموسم الزراعي لعام ١٩٥٢-١٩٥٣ (x) •

71. Pam, C.L., "Rice production in Iraq". Majallat Alziraa al-Iraqia, vol. X. No. 1, 1951.

٣٠٨٧٦	٢٧٢٨٩	١٥٧٤٥	١٧٩٣٠	ديالى
٢٣٧٠٠	٤١٧٣٢	١٢٧٦٩	٢٠٠٥٥	واسط
٤١٠٠	٤٤٧٢	١٩٤٦	٢٤٥٦	الانبار
٨٥٠٠	٨٢٠١	٤١٠٦	٣٩٣٨	السليمانية
٥٥٨٧٢٥	٥٧٣٣١٩	٢٨٤٢١٩	٣٢٤٥٥٧	المجموع

(x) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة المعلومات التالية عن المزروعات الصيفية الثانوية :

نوع الغلة	المساحة (بالدونم)	الانتاج (بالطن)
السمسم	٤٤٥	٥٨
الماش	٩٦٠	١٧٦
الذرة الصفراء	٦٢٠	١٦٧
الذرة البيضاء	٥٥	٧

الخضروات :

ان تختلف المواسلات في اللواء يشبط بدرجة كبيرة زراعة الخضروات .
وبما ان معظم الخضروات عرضة للتلثف بسهولة ، فان وسائل النقل الحالية
البطيئة تجعل انتاجها على نطاق تجاري امرا غير عملي * فضلا عن ذلك فان
شححة المياه تقلل من امكانية التوسع في زراعة الخضروات * ونتيجة لذلك
فان زراعة الخضروات على نطاق تجاري تتركز في الجهات المجاورة للمدن
حيث يمكن التغلب على مصاعب المواسلات (x)

ويكشف توزيع زراعة الخضروات في اللواء عن تأثير عاملي المواسلات

٣٩	٢٠١	اللوبياء اليابسة
١٦٩	٥٠١	عباد الشمس
المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ١٩٦٨ - ١٩٦٩) ،		
ص ٥٩ - ٦٠		
(x) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة المعلومات التالية عن زراعة		
الخضروات في اللواء :		

الخضروات الشتوية لموسم ٦٨-١٩٦٩ في لواء السليمانية				
نوع الغلة	المساحة المزروعة (دونم)	معدل غلة الدونم كيلو	الناتج العام كيلو طن	العام طن
الباقلاء الخضراء	٢١٨	٦٩٥	١	٣٦٩
البصل الاخضر	٣٢٦	٧٦١	١	٥٧٤
الثومندر	٦٢	٤٠٣	٣	٢١١
اللفت	١١٧	٨٥٥	٢	٣٣٤
السلق	١٣٦	٢١٠	٢	٢٨٧
الخس	١٨	٥٥٦	٣	٦٤
الفجل	٩٧	١٤٤	٣	٣٠٥
الجزر	١٦	٤٢٨	٢	٣٩
الفاصوليا الخضراء	٣٢	٣٢٨	١	٣٢

والتمدن • وبما ان زراعة الخضروات تخدم اغراض الاستهلاك المحلي ،
وبما ان الخضروات لا تحتل مكانة بارزة في غذاء السكان الريفيين ، لذلك
لا يخصص لها ازراع سوى مساحات صغيرة • وهذه المساحات تعبئسر
محدودة جدا اذا ما قورنت بالمساحة العامة المخصصة لها في بقية اوية البلاد
كما يوضح الجدول التالي :

الجدول رقم (٤٨) (٧٢)

المساحات المزروعة بالخضروات حسب الالوية (لعام ١٩٥٣-٥٢)

نوع الفلة	مساحتها في لواء السليمانية	مجموع المساحة الكلية للالوية
	(بالدوم)	(بالدوم)
الرقبي	١٠٠١	٥١٠٨١
الطماطا	٣٤٧٦	٤٥٣٢٨

72. Compiled from the Agricultural and livestock census of 1952.

الخضروات الصيفية لموسم ١٩٦٩-٦٨

٣٣٧٧	—	٢	٢٢٢	١٥٢٠	الطماطا
٧٤١	—	١	٦٠٠	٤٦٢	الباميا
١٠٦٤	٥٠٠	٣	٤١	٣٥٠	الباذنجان
٣٠٥٢	—	٢	٤٧	١٧٥	خيار ثناء
١٠٦٤	٥٠٠	٢	٦٠٩	٢٩٣	البطيخ
١٣٨٠	٥٠٠	٢	٧٣٤	٥٠٥	الرقبي
٧٢	—	١	١٢٥	٦٤	الفلفل الاخضر
٨٤	٨٠٠	١	٤٨٨	٥٧	اللوبياء الخضراء
٣١٢	٥٠٠	٢	١٩٧	١١٥	قرع اسكلدو
٣٢٣	٨٠٠	٢	٢١٨	١٤٦	قرع عنابي

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ١٩٦٩-٦٨) .

ص ٨١ - ٨٤ .

نوع الغلة	« تابع »	مساحتها في لواء السليمانية « بالدونم »	مجموع المساحة الكلية للألوية « بالدونم »
البطيخ	١٤٣١	٢١٤٤٩	
الخيار	٥١٠	٢٠٣٣٨	
الباذنجان	٤٤٠	١٦٦٥٤	
اللفت	٦٦	٥٥٩٥	
السيبانج	٣٣	٤٤٤٢	
اللهاية	١٩	٢٠٥٨	
الجزر	٣٥	١٦٤٢	
الكرب	٣٠	٦٧٣	
البطاطا	٣٧	٦٤١	
قرنبيط	١	٢٨٦	

ويوضح الجدول المذكور ايضا انه فيما عدا الطماطا التي تستهلك محليا ، فان البطيخ والرقي يحتلان الجزء الاعظم من زراعة الخضروات ، وذلك لسهولة نقلهما وقلة تعرضهما للتلف .

الفواكه :

يزرع في لواء السليمانية انواع عديدة من الفواكه ، غير انها على العموم ذات نوعية رديئة وقليلة الصلاحية للتصدير . ولذلك فقلما تهتم الزراعة بزراعتها نظرا لارباحها القليلة . وقد لعب النقص في المواصلات دورا رئيسيا في عرقلة التوسع في زراعة الفواكه ، اذ ضيق من فرص اصدارها الى خارج المنطقة ، مما ادى الى تخفيض اسعارها بدرجة ملحوظة . كذلك ساهم في تقليص الاهتمام بزراعة الفواكه انخفاض مستوى السكان في اللواء ، اذ ان استهلاك الفواكه يعتبر لونا من الوان الرفاهية . وبالرغم من هذه

المصاعب التي يواجهها انواء فانه متقدم في زراعة الفواكه على كثير من الاربعة، ولا سيما في زراعة الكروم والرمان والحوز والفاح والكمشوى والخوخ ، كما يوضحه الجدول التالى :

الجدول رقم ٤٩ (٧٣)

زراعة الفواكه في العراق حسب عدد الاشجار (لعام ١٩٥٢-١٩٥٣)

اللواء	الرمان	الخوخ	التفاح	الانجاص	الكمشوى
السليمانية	١٦٨٨٤٢	٤٠٣٢٩	٢٠٩٠٣	١٩٠٦٣	١١٤٣٧
بغداد	٢٨٢٦٥٧	٢٤١٥٤	٤٤٠٢٥	٣٦٢٧٦	١٩١٨٧٤
البصرة	٢٧٩١٤	٢٦٩	٤٩٧٢	٩٦٧٤	١٩٣٤٧
الموصل	٨٦١٧٦	٨٠٥٤	٣٠٧٦٥	٢٦٧٨١	٢٥٢٤٨
العمارة	١١١٩٥	٥١	٤٥٦٧	١٤١٤	٤٢٠٦
كربلاء	٣١٠١٧٨	٢٣٠٩	٢١٣٣٩	٩١٨٩	٥٥٢٣٠
الديلم	٨٣٦٩٥	٩٣٥	٤٦٥١٨	٣٥٤٠	٤٠٦٠٤
كر كوك	١٦٧٦٩	١٣٠٣	٥٨٢٨	٣٤١٤	٧٦٠٢
المنتفك	٩٧٢٢	-	٧١٧	٣٧٢	٤٣٥٤
الحلة	٤٦٧٧٥	٥٨	٤٤٧٩	٢٢٠	٢٣٠٩٣
الكويت	٦٥٤٥٢	٦٩٢	٤٣٨٧٨	٢٢٦٣٣	٣٩٠٩٢
الديوانية	٢٠٥٧٥	٢٨٣	١١٠٣٥	٢٥٣١	١٤٩٩١
ديالى	٨٠٤٠٧٩	١٣٥٦٠	١١٠٨٥٥	٣٥٧٤٢	١٢٦٣٤٩
اربيل	٦٦٢٠٠	١١٢٠٦	١٤١٠١	٧٣٥١	١٦٦٤

وتحتل الكروم اكبر جزء من زراعة الفواكه في اللواء ، وتعتبر بعض اشجارها برية ، ويروى غالبيتها بالامطار . وتزرع الكروم عموما على

73. Compiled from the Agricultural and livestock census of 1952.

منحدرات التلال ، وتكون المنحدرات حادة في بعض الأحيان بحيث لا يمكن زراعة اشجار الفواكه الاخرى فيها . وتعتبر المنحدرات المواجهة للشمس افضل المناطق لزراعة الكروم . وتتركز زراعة الكروم في اللواء في جبال قره داغ وهاورامان وشهربازار . ويقدر مجموع مساحتها بحوالى ١٥٠٠٠ دونم .

ويأتى الرمان بالدرجة الثانية بعد الكروم في عدد اشجاره الذى يصل الى ١٦٨٨٤٢ شجرة . وتتركز زراعته في ناحيتي شهرزور وخورمال بسبب سهولة مواسلاتهما .

ويحتل الجوز مكانة هامة في انتاج اللواء من الفاكهة . وتتركز زراعته في ناحية خورمال ، لا سيما في منطقة هورامان حيث يوجد حوالى ٦٠٠٠ شجرة . كذلك تكثر زراعته في ناحيتي بنجوين وشهرزور حيث يوجد فى كل منهما ١٢٠٠٠ شجرة . ويجدر بالذكر ان لواء السليمانية يعتبر من اكثر الوية العراق انتاجا للجوز .

وتزرع اشجار الكمثرى بعدد كبير نسيا . وتتركز زراعتها في الاجزاء العليا من اللواء في الجهات الشمالية والشرقية ، ويوجد اعلى رقم من اشجار الكمثرى في ناحية بنجوين (٦٨٠٠٠ شجرة) ثم ناحيتي جوارته وشهرزور (٥٨٠٠ شجرة لكل منهما) .

واما اهتمام الزراع في اللواء بزراعة الخوخ والشمش فضعيف نسبيا بالمقارنة ببقية الفواكه . ويمكن القول ان نصيب اللواء من انتاج الفواكه الحمضية ضئيل جدا ، اذ ان الظروف الطبيعية لا تلائم عموما انتاج هذا النوع من الفاكهة . وقد اشار تقرير الاحصاء الزراعي والحيواني لعام ١٩٥٣-٥٢ الى وجود ٢٣٧٨ شجرة برتقال في اللواء (من مجموع ١٢٩٣٥٩٢ شجرة) و ١١ شجرة ليمون حامض (من مجموع ١٨١٧٥٢ شجرة)

و ٥ أشجار ليمون حلو (من مجموع ٣٣٢٦٣٦ شجرة) • وكذلك يزرع في اللواء اعداد قليلة من اشجار الفواكه الاخرى مثل اللوز والزيتون والفستق (٧٤) •

من الواضح اذن ان انتاج الفواكه يمثل جزءا هاما من اقتصاد اللواء السليمانية ، بالرغم من وجود عقبات ومصاعب كثيرة • ومع ان البيئة الطبيعية في اللواء مثالية لرعاية الفواكه ، الا ان الاساليب المتبعة في زراعة اشجارها وفي العناية بها يؤدي الى غلة سيئة في نوعيتها وكميتها • فلاشجار سزرع بشكل متقارب جدا حتى انها تتداخل في بعضها • ولا يقوم الزراع بتشذيب وتقليم الاغصان الجافة ، كما انهم لا يقومون بتصنيف واختيار الفواكه والاشجار (٧٥) •

ان رفع مستوى ناتج ونوعية الفواكه خطوة ضرورية جدا • ويمكن رفع مستوى الانتاج عن طريق العناية بالتشذيب والزراعة والاختيار ، وعن طريق السيطرة على الحشرات والافات الزراعية • ومنثل هذه الخطوات قد تؤدي الى مضاعفة غلة المشمش والخوخ والتفاح ، كما تحسن بدرجة كبيرة نوعيتها (٧٦) • وان تهئية وسائل افضل للخصن وتنظيم نقلها الى الاسواق امر لا غنى عنه لتوسيع زراعة الفواكه ، كذلك فان ادخال انواع جديدة من البذور امر لا بد ان يسبق اية خطوة للرفع من مستوى الفواكه في اللواء •

الغابات :

تمثل الغابات جزءا هاما من استثمار الارض في لواء السليمانية حيث

74. Livestock and Agricultural census, P.73.

75. Kean, B.A., "The agricultural development in the Middle East" London 1946. P.86.

76. I.B.R.D., "The development of Iraq" P. 224:

تشغل ٤٢١٥ دوسا ، كما تشغل الأحرار ٤٤٨٨ دونما (×) (٧٧) • وقد تعرض هذا المورد الاقتصادي على الدوام الى استثمار مخرب ، ولم يتلق اية حماية جديدة حتى السنوات الأخيرة • ويمكن تلخيص العوامل المخربة التي اثرت على غابات اللواء بما يلي :

١ - العوامل الطبيعية : تتنوع العوامل الطبيعية التي تؤثر على الغابات تأثيرا ضارا ومنها الفيضانات والصقيع والثلج والجفاف والرياح القوية • كما تسبب الحشرات الزراعية وحيوانات الحقل كالقُسران والخنافس والعناكب اضرارا كبيرة •

٢ - العوامل البشرية : تؤثر العوامل البشرية في تخريب الغابات عن طريق ممارسة الزراعة المتقلة والرعي المفرط والحرائق • فالزراعة المتقلة تسبب تلفا عظيما للغابات ، لان الزراع يلجؤون الى احراق الاشجار للحصول على ارض جديدة ، وبذلك يجردون الارض من وسائل الحماية تجاه سيول الامطار •

77. The Ministry of Agriculture-Directorate General of Forestry, "Annual report of 1953-54".

(×) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة (لعام ٦٨-١٩٦٩) المعلومات التالية عن الغابات :

مساحة الغابات الجبلية (بالكيلومتر المربع)

النوع	المجموع	ديالى	كركوك	السليمانية	اربيل	نينوى
مساحة الاراضي الجرداء المرتفعة	٢٥٧٥	-	-	٣٧٦	١٨٤٤	٣٥٤
مساحة غابات البلوط الكثيفة (غير مستغلة)	٦٤٥٣	-	-	٩٩٩	٢٣١٣	٣١٤٠
مساحة غابات البلوط الكثيفة (مستغلة)	٢٨٨٢	-	١٨	٦٣٠	٩٧٦	١٢٥٨
مساحة غابات البلوط ذات كثافة ضعيفة	٥٨٦٦	٤٩	١١٥	٢٢١٠	١٨١٦	١٦٧٨
المجموع	١٧٧٧٦	٤٩	١٣٣	٤٢١٥	٦٩٤٩	٦٤٣٠

اما الغابات النامية على ضفاف الانهر فتبلغ مساحتها ٢٠١٣٤ كيلومتر مربع وهي منتشرة هنا وهناك بين السهول •
المصدر : (المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩) ، ص ١٦٣ •

ويحمل الرعي المفرط نفس الاخطار للغابات • فكثير من الحيوانات ، ولا سيما الماعز ، تأكل الاوراق والقسم النامية للاشجار الفتية مما يؤدي الى تأخير نموها • كما ان الرعي المفرط يعرض الارض الى التعرية فيؤثر بصورة غير مباشرة على الغابات • ولذلك لابد من اتخاذ الاجراءات لحماية الغابات من الرعي المخرب ، وذلك عن طريق تحديد الحيوانات في كل درنم وحصر الرعي في مناطق معينة وفى فصول معينة ، لا سيما حينما تكون الاشجار في دورها الفتى •

وتعتبر الحرائق مسؤولة عن تخریب جزء عظیم من غابات اللواء كل عام • وتحدث الحرائق مصادفة في أغلب الاحوال ، الا انها قد تحدث في بعض الحالات بشكل عمدي كعمل انتقامي من قبل قرية ضد اخرى • وقد قدرت المساحة التي خربتها الحرائق في جميع مناطق الغابات بحوالى ٢٠٠٠٠ دونم (٧٨) •

والواقع ان اهمية الغابات لا يمكن تجاهلها على ضوء فوائدها الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية. فالفوائد الطبيعية تتمثل في حماية التربة من التعرية عن طريق عرقلة الفيضانات وسيول الامطار ، وفي صد الرياح القوية وفى تعديل درجة الحرارة •

اما فوائدها الاقتصادية فلا حصر لها • فالغابات هي مصدر للعصم الحجري وفحم الوقود ، كما انها مصدر للاخشاب التي ترتبط بصناعات كثيرة لا سيما صناعة البناء والاثاث • وتعتبر الغابات مصدراً للصمغ والزيتون ومواد كيميائية اخرى • وتلعب الغابات ايضاً دوراً ملحوظاً في تطوير المجتمع والذي يمكن توضيحه بالنقاط التالية :

١ - تساهم الغابات في اقتصاد ريفي صحيح بدلا من الاقتصاد ذي الجانب الواحد الذي يعتمد على الزراعة فقط •

٧٨ المصدر السابق ، ص ١٠ •

٢ - تساهم الغابات في الاستفادة من بعض الاراضى التى لولاها لكنت ارضا خرابا ، لا سيما الاراضى غير الزراعية •

٣ - توفر الغابات ملجأ للحيوانات وتستعمل اوراقها للعلف الشتوي •

٤ - يمكن ان تكون الغابات قاعدة هامة لصناعة خشبية توفر العمل للسكان الريفيين اثناء فترة البطالة الزراعية الموقته (٧٩) •

اما فوائدها الاجتماعية فتكمن في مزايا الجمالية وفيما نطوي عليه من امكانات للترفيه لا سيما بالنسبة للمجتمعات الريفية •

ان موقف الاهمال الطويل وعدم الحماية الذى اتخذته السلطات المسؤولة عن الغابات كان ناجما بشكل رئيسى عن المركز الفاض الذى تحتله الغابات في قانون الارض العثماني • ففي بعض الحالات اعتبرت الغابات ملكية خاصة ، وفي حالات اخرى اعتبرت وقفا دينيا ، وفي حالات اخرى اعتبرت ملكيات للدولة • وفي عام ١٩٥٤ اصدرت الحكومة قانونا جديدا للغابات ضمنت به حماية الغابات ومنعت التحطيب لغرض تجاري الا بترخيص خاص ، واصبح الفلاحون عرضة للعقوبة في حالة تسببهم بحدوث الحرائق او في حالة احراق الاشجار بصورة عمدية • وعمدت مديرية الغابات ايضا الى القيام بمشاريع واسعة لاعادة التشجير وللمحافظة على الغابات الموجودة • وقد شرعت مديرية الغابات في اللواء بالفعل بتطبيق مشروع واسع للتشجير يشمل اعادة تشجير سلسلة كويجة وبكره جو وقيلسان وسرجنار ، وانشاء غابة جديدة في بكره جو • واذا ما استمرت مديرية الغابات في تطبيق سياستها الجديدة فى حماية الغابات الحالية واعادة التشجير ، فان ذلك سيحي مصدرنا اقتصاديا مهما والذي سوف يؤدي بالتالى الى المساهمة في ازدهار اللواء (x) •

79. F.A.O. "The role of forest in community development" Salahuddin conference, 1955.

(x) لقد نفذت مديرية الغابات فيما بعد كثيرا من مشاريعها المشار اليها اعلاه •

تربية الحيوان

لا تؤلف تربية الحيوان في لواء السلیمانیة وحدة متكاملة مع الزراعة . وبالرغم من أهمية اقتناء الحيوانات بالنسبة للزراع ، الا انه - فيما عدا حيوانات الجر - لا يسخرها لخدمة الزراعة . فالزراعة المختلطة التي تستند فيها تربية الحيوان على الانتاج الزراعي منعومة في اللواء كليا . ويعزى هذا الموقف الى نظام التصرف بالارض السائد في اللواء، وهو نظام المحاصة . فالملاكون يرفضون في العادة السماح للفلاحين بزراعة المحاصيل العلفية لحيواناتهم لان تلك المحاصيل لن تكون ذات نفع كبير لهم ، كما ان الزارع لن يكون مهتما بصورة جدبة في تخصيب حقله لانه لا يمتلك ضمانا اكيدا في الاستمرار بزراعته . كذلك فان الملاكين الصغار يتجاهلون أهمية المحاصيل العلفية وارباحها في الامد الطويل ، ما دامت حيواناتهم ترعى في المراعي الطبيعية وتقتات على فضلات الحصاد . لذلك بات من الضروري احداث تغيير جذري في موقف الملاك والزارع من هذه النقطة لتحقيق تطور متوازن للانتاج الزراعي .

ان أهمية الزراعة المختلطة امر لا يحتاج الى تأكيد . فالتوازن في الانتاج الحيواني والزراعي المشترك امر يحقق توفير الغذاء الصحي لاسرة الفلاح ، ويؤدي الى انماء دخل الارض ، ويقلل من مخاطر الاعتماد الكلي على المحاصيل النقدية ، كما انه يحول دون انهك التربة . وفوق ذلك كله فان الزراعة المختلطة تهیء للمزارع عملا متصلا على مدار العام ودخلا ثابتا .

وعلى اية حال فان الزراع الاكراد في لواء السلیمانیة يعتبرون اقتناء الحيوانات امرا ضروريا . ولا يعود ذلك الى حاجتهم الى خدماتها اليومية فحسب ، بل الى التقاليد الموروثة ايضا . فخدمات الحيوانات للفلاح العربي المستقر في المنطقة السهلية ذات الري الصناعي ضرورية ايضا ، ومع ذلك

فإن اهتمامه باقتنائها أقل من اهتمام الفلاح الكردي • ويمكن ان يعسري
اهتمام الفلاح الكردي بالحيوانات الى المناخ المتقلب في المنطقة المطرية ، فكثيرا
ما تصاب المحاصيل بالتلف فيصبح مضطرا الى الاعتماد في مورده وغذائه على
مصدر اخر غير الزراعة • كذلك يمكن ان تعزى هذه الظاهرة الى نظام
التصرف بالارض في المنطقة الكردية الذي يحقق درجة اعظم من
الاستقرار للفلاح الكردي وبالتالي يمكنه من تربية عدد اكبر من الحيوانات •
وتكشف الاحصائيات بان لواء السليمانية يأتي في مقدمة معظم الالوية
في ثروته الحيوانية ، كما تكشف ايضا بان تربية الحيوان تستأثر
بجزء كبير من اهتمام الزراع • ويتوزع هذا الاهتمام بدرجة متفاوتة على
الماز والاعنام والابقار ، اما بقية الحيوانات فذات اهمية ثانوية تماما
كما يوضحه الجدول التالي :

البحول رقم (٨٠)٥٠

عدد الحيوانات في ملكيات العراق حسب الاثرية لعام ١٩٥٣-٥٢

البحول	البحول	البحول	البحول	البحول	البحول	البحول
البحول	البحول	البحول	البحول	البحول	البحول	البحول
١٣٩	٤١٢	٣٠٢٥	٢٥٣٧	١٨٥٨٦	٨٨١١٦	٢٣٣٦٦٤
٣٧٨٠	٨٦٨	٣٧٦	١٧٠٨١	٢٩٧٩٩	٦٦٨٠٢	٢٥٦٥٣٤
٢٥٤	١٠٨٠٣	٢	٩٩٥	٧٨٤٨	٤٠٦٧٢	٣٩٤٥٣
١٦١٩٥	٣٢٤٤	٣١١٦٦	١١٥٢٢	٥٧٣٤٨	٦٣٦٦٩	٧٤٩٩٧٨
١٣١٢	٦٧٠٥	٢٤	١٠٢٩٨	٢٠٩٧٣	٢٠١٣٣	٥٥٣٧٩٦
٦٠	١٨٣	١٨٥	٩٥٠	٩٧٩٧	٩٧٣٣	٢٨٨٩٩
٢٠٥	١٠٦١	-	٦	١١٧٣	٢١٥	١٣١٦٤
٩٤٠٠	٩٣٤	٩٤٠٠	٣٨٨٣	٣٢٤٩٥	٤٥٠٠٥	٥٢٢١٦٤
١٧٩٦٣	٧٩١٢	-	١٩٥٠٩	١٢١	٨٧٦٣٥	٣٢٠٧٩٩
٢٥٧٨	٣٢١٢	٧٩	٨٣٣٩	٢٠٣٢٤	٧٢١٣٨	٢٨٤٥٨٦
						٣٢٨٣٢

«تابع»

الحيوانات	الجاموس	البغال	الخيول	الخنازير	الابقار	الاعنام	الماش	الولاء
٥٨٦	٥٨٥	١٢٥	١٥٥٩٣	١٧٧٠٧	٣٤٩٧٩	١٦٣١١٠	٣٦٦٢٧	الأكوت
٧١٥٠	١٠٨٦٥	٧٨٦	١٣٤٣٢	٧٠٩٣٧	٧٣٠٤٠	٥١٧٣٠٨	٣٤٣٣١	الديوثانية
١٣٠٠	٤٩٦	١٩١٧	١٢٢٧١	٧٩٧٣٨	٥٣٤٧٢	٢١٢١٥٠	٨٥٨٤٥	ديالى
١٠١	٦٨٨	٨٢٤٣	٣٢٤٧	٢٢٣٧٥	٣٠٠٦٥	١٦٩١٠٦	١٤٠٣٨٨	اربيل
٢٧٦٩٦	٤٧٣٩٥	٥٦١٧٣	١٣٧٤٤٦	٣٩٨٧٩٨ (x)	٧١١٩١٨ (x)	٤٤٨٤١٥٦ (x)	١٦١٨١٤٥	المجموع

50 Compiled from the Agricultural and livestock census of 1932-33

- (x) بلغ مجموع الاعنام في العراق حسب احصاء عام ١٩٦٩ حوالي ١٦ مليون رأس .
- (x) بلغ مجموع الماعز في العراق حسب احصاء عام ١٩٦٩ حوالي ١٠ مليون رأس .
- (x) بلغ مجموع الابقار في العراق حسب احصاء عام ١٩٦٩ حوالي ١٠٠ مليون رأس .
- (x) اوردت الاحصائيات الرسمية للثروة الحيوانية في العراق لعام ١٩٦٥ الارقام التالية للولاء المستليمة :
 الاعنام (٣٢٢٠٠٠) ، الماعز (٣٧٢٠٠٠) ، البقر (٦٧٠٠٠) ، الجاموس (٣٠٠٠)
- المصدر : دليل القطاع الزراعي في العراق ٢٢٢ لعامي ١٩٦٨-١٩٦٩ ص ١٩ .

الماعر

تحتل الماعر المكانة الاولى في اللواء من حيث اعدادها • ويمكن فهم هذه الظاهرة على ضوء بيئة اللواء الطبيعية ، فالماعر يلائمها رعي المناطق الغابية الوعرة •

وللماعر فوائده في الاقتصاد الحيواني • ويعتبر الماعر منقوفا عموما على الأغنام في انتاج اللحم والحليب والشعر • واذا ما غني بالماعر عناية حسنة فانه يدر حلييا اكثر مما تدره الأغنام ، كما ان نوعيته ملائمة بشكل خاص لغذاء الطفل • ولا يستخدم حليب الماعر بشكله الطبيعي فحسب ، بل يدخل في صناعات رعوية متنوعة ، وخاصة الروبة واللبن الحامض • وهذين النوعين من الغذاء يمثلان اهم مقومات الغذاء الكردي الريفى • ويصنع الماستاو (وهو اللبن الحامض) من حليب الماعر ايضا • ويستخدم شعر الماعر لصناعات يتيمة متنوعة كصناعة السجاد والجفج وغطاء الخيمة •

وتعزى كثرة الماعر في اللواء الى سهولة تربيتها وتغذيتها • ويشتهر الماعر بمقدرته على التغذي على اى شيء يمكن ان يعترض طريقه ، وفي العنور على الطعام في اشد المراعي فقرا • وان طبيعة الماعر الالية تجعل ادايتها من قبل النساء أمرا سهلا • ومن جملة صفاتها الهامة عدم اصابتها بامراض وبائية معينة تصيب الابقار وبقية الحيوانات • فهي لا تصاب بمرض السل مثلا مما يجعل حليبها مفضلا بالنسبة للأطفال •

وبالرغم من هذه المزايا جميعا فان الماعر يسبب ضررا عسيما للأراضي والمحاصيل الزراعية والغابات ، ان لم تتم السيطرة عليه • وتنجس اضراره بالنسبة للأرض عن الرعي المفرط الذى يصاحب قطعان الماعر الكبيرة والذي يؤدي الى تعرية التربة • ومن المعلوم ان تجريد الأرض كليا من حشائشها يعرض التربة السطحية الى الانجراف بواسطة السيول والرياح •

وتسبب الماعز أيضا اضرارا بالغة للغابات فهي ترعى في العادة على الاشجار الصغيرة حينما تكون في اول مراحل نموها ، وهكذا تمنعها من بلوغ نموها الكامل .

ان هذه الاضرار تستدعي اتخاذ الاحتياطات اللازمة في اللواء للتحكم في رعي الماعز . فلا بد من تخفيض اعدادها قبل كل شيء ، ولا بد من احلال الاغنام محلها .

ويطلق على النوع الذي يربى من الماعز في اللواء اسم (المرعزي) وهو ينتمي في الحقيقة الى النوع الانقري ، ويمتلك شعرا طويلا ناعما وجميلا . وتدل احصاءات عام ١٩٥٣-٥٢ ان ناحية قلعة دزة تمتلك اكبر عدد من الماعز (٧٦٠٠٠ رأس) ، ولعل مرجع ذلك الى ممارسة السكان للزراعة شبيهة باستقرة ، والى وعورة المنطقة . وتتميز عدة نواحي في اللواء بارقام عالية من الماعز نظرا لوعورة اراضيها . اما الرقم المنخفض الذي تتميز به ناحية شهرزور (٦٠٠٠ رأس) فيرجع الى انخفاض كثافة السكان والى فقر المزارعين والى قلة وعورة المنطقة .

الاعنام

يلائم مناخ اللواء ذو الصيف الجاف تربية الاعنام ، بالرغم من ان درجة حرارة الشتاء تنخفض انخفاضاً شديداً في معظم جهاته . ويمكن القول ان الصعوبات الطبيعية التي تواجه الزراعة في اللواء ، مضافا اليها ما يعانيه من انخفاض في كثافة سكانه ، تجعل من تربية الاعنام تعويضا ناجحاً عن الزراعة (٨١) .

ويفضل زراع اللواء اقتناء الاعنام كلما توفرت لهم الامكانيات ، ويعتبر

81. Brunhes, Jean. "Human Geography" (English trans.) London 1952, P. 104.

عددتها معيارا لثروتهم ، ولا تستعمل فوائدها على منتجاتها من الالبان فحسب ، بل على ما تدره من ارباح في الصفقات التجارية ايضا * واذا ما احسن تربيتها فانها تعود على مالكة من الناحية التجارية بفوائد مادية كبيرة . وفضلا عن ذلك فان فوائدها البيئية عظيمة للغاية . فلحوم الضأن مفضلة على جميع انواع اللحوم . ويستخدم حليبها لعمل اللبن واللوبة والزبدة . غير ان منتجات الالبان لا تعود على الفلاح بفوائد مادية لانها تستخدم كلب للاستهلاك اسي . وتدخل اصوافها في انواع متعددة من الصناعات البيئية كالأقمشة والسجاد والجوارب والملابس الداخلية .

وبالرغم من اهمية الاغنام الاقتصادية فان الزراعة مادرا ما يغمررون بربية عدد كبير منها . ويعود ذلك الى تعرضها السريع للإصابة بالامراض وعدم مقاومتها لتغيرات الجو ، كما يعود ايضا الى اسعارها العالية . وتقاسي الاغنام الكردية من امراض الفم والقدم ومن سقوط الصوف .

وتتصف الاغنام الكردية بطول ذنبها وسستة وتنوع اصوافها * ومن اكثر الانواع شيوعا النوع المسمى بالكرادي ، ويتصف بدون ابيض ووج وارجل سود وصوف طويل خشن . وبتراوح وزنه بين ٤٠-٥٠ كيلو وزن جزته بين ٢-٣ كيلو .

ويكشف لنا الاحصاء الزراعي الحيواني لعام ١٩٥٣-٥٢ بان ناحية تاجرو تربى اكبر عدد من الاغنام (١٧٥٠٠٠ رأس) . ويعزى هذا الرقم المرتفع الى ظروف البيئة الطبيعية في هذه الناحية والى الاحوال الاقتصادية لزراعتها . فهي جزء من سهل شهرزور الغني بسهوله الخصبة ومياه الوفيرة ومراعيه الغنية ، كما ان زراعتها ذوي دخل مرتفع نسبيا . اما نواحي ماوت (٤٠٠٠ رأس) وشهرزور (٥٠٠٠ رأس) وبنجوين (٦١٠٠ رأس) فتعاني جميعا قلة واضحة في اغنامها . ويعزى هذا الانخفاض في عدد الاغنام الى قسوة المناخ وفقر الزراع .

الماشية

بالرغم من ان الابقار أكثر الحيوانات نفعا لزراع اللواء الا ان اعدادها منخفضة نسبيا ، وذلك نتيجة لاسعارها المرتفعة ونسبة وفياتها العالية . وتستخدم الماشية كحيوانات حقلية رئيسية ، وتمنل منتجاتها من الالبان على منتجات الماعز والأغنام . ولا يمكن ان تعوض خدماتها الحقلية بخدمات الحيوانات الأخرى . فهي تستخدم في العمليات الزراعية الرئيسية كالحرثة والدياسة . لذلك فان نصيب المزارع بالمحاصة من الأرض يتحدد حسب ما يمتلكه من الحيوانات الحقلية . وتستخدم الثيران بلا استثناء في الحرثة ، ونادرا ما تستبدل بالغال أو الخيول . اما الابقار فتساهم في عملية الدياسة ، الا انها تقتنى من اجل البانها بالدرجة الأولى . ويسود في اللواء النوع الصغير الاسود من الابقار ، وهو الذى يسود في جميع المنطقة الكردية ، ويتصف بانخفاض كمية حلبه . فلا تنتج بعض ابقار شهرزور مثلا أكثر من غالون واحد يوميا ^(٨٢) . ويعزى ذلك الى غذائها الناقص وتربيتها الرديئة . فالثيران مثلا لا تطعم أي حبوب بل تعيش على حشائش الحقل وعلى بقايا المحاصيل الزراعية بعد الحصاد . وتعرض الماشية عموما للإصابة بأمراض متعددة اهمها الانيميا الذى يسبب نسبة وفيات عالية .

وكشف توزيع المواشى في اللواء عن درجة استثمار الأرض ، فعدد الحيوانات الحقلية يتناسب والمساحة المزروعة بالمحاصيل الشتوية . وتأتى ناحية قلعة دزة في مقدمة واحي اللواء في عدد ماشيتها (١٥٨٠٠ رأس) ثم تليها ناحية تانجرو (١١٤٠٠ رأس) ثم ناحية مركه (١٠٠٠٠ رأس) ، ثم ناحيتي ماوت وسرجنار (٧٠٠٠ رأس لكل منهما) . ومن الجدير بالذكر ان ارتفاع عدد المواشى في ناحيتي قلعة دزة ومركه يعود الى ممارسة الزراعة

للحياة شبه المترحلة • اما اعداد المواشى المنخفضة نسبيا في بقية النواحي فقد تأثرت بانخفاض نسبة استثمار الارض فيها •

حيوانات الحمل

ان الاعداد المرتفعة نسبيا لحيوانات الحمل ، اي الحمير والبغال والخيول ، تعكس النقص الشديد في المواصلات وتكشف عن النسبة المنخفضة لوسائل النقل الحديثة • ولا بد ان تأخذ بنظر الاعتبار ايضا كثافة السكان ومدى الازدهار الاقتصادي للمنطقة •

وتوجد اعلى نسبة من الحمير والبغال في ناحية قلعة دزة الى تتصف بكثافة عالية في السكان ونسبة واطئة في المواصلات •

اما توزيع الخيول فلا يعكس النقص في المواصلات فحسب ، بل يكشف عن المستوى الاقتصادي للزراع ايضا ، فالحصان ذو دلالة اجتماعية اكسر من كونه ضرورة اقتصادية • ولهذا انخفضت اعداده بشكل واضح في اللواء ، واقتصرت تملكه على الرؤساء والاعوان والملاكين المقتردين •

ويكشف جدول توزيع الحيوانات ايضا عن انخفاض اعداد الجاموس والجمال في اللواء وارتفاعها في الالوية الوسطى والجنوبية من البلاد • وهذا امر طبيعي تفرضه خصائص البيئة الطبيعية في لواء السليمانية ، فالجاموس حيوان مستنقعات والجمال حيوان صحراوي ، وكلاهما يفتقد ظروفه الصالحة في اللواء •

رعاية الحيوانات

ان رعاية الحيوانات ، بما في ذلك تغذيتها وايوائها وتوفير العايشة الصحية لها ، ذات آثار ونتائج بالغة الاهمية في نوعيتها ومنتجاتها ، وما لم تغير الاساليب الحالية في رعاية الحيوانات تغيرا جذريا ، فلا يمكن تحقيق أي تحسن جدي في نوعيتها او منتجاتها •

الربيع والصيف والخريف^(٨٤) • ويتغلب الزراع في هذه المناطق على النقص في مراعي اثناء تخزين هذه النباتات اثناء الصيف والخريف وتقديمها فيما بعد كعلف خاص • وتجمع اوراق البلوط ايضا وتجفف ثم تستخدم كعلف مستوي •

اما المناطق التي تمتد فوق ارتفاع ١٧٠٠ مترا (فوق منطفه الاشجار) فهي مزودة بالمراعي بشكل جيد جدا ، لا سيما اثناء الصيف والخريف • وان اكثر النباتات شيوعا هو البرسيم Lolium الاحمر والابيض والفارسي والفراولي ، بالإضافة الى حشائش البستان وانواع حشائش اللوليام^(٨٥) • ويستثمر هذه المنطقة العشائر الرحل وشبه الرحل الذين بهاجرون مع قطعانهم من السهول المنخفضة في اواخر شهور الربيع ويمكنون في هذه المناطق حتى اواسط الخريف •

ان الاعتماد الكلي على المراعي الطبيعية يؤدي الى تغذية ناقصة وفقيرة ، كما ان النقص الشديد في العلف اثناء الشتاء يسبب نسبة عالية من الوفيات بين الحيوانات •

وتتمد المراعي الطبيعية على منحدرات اتلال المزرعة ، وتعتبر من املاك الدولة ، وهي ارض مشاعة للقرية ويحق لكل قروي ان يرعى حيواناته فيها وبدون تحديد • اما المراعي التي تقع ضمن الاراضي البور والتي تعتبر املاك خاصة فيسمح لقطاع القرية بالرعي فيها بلا تحديد او تمييز • غير ان مراعي القرية لا تكون حلا لقرية اخرى ما لم تقم بينهما علاقات صداقة ، وان الاعتداء على حق المرعى قد يؤدي الى الصدام بين القريتين •

(٨٤) المصدر السابق •

(٨٥) المصدر السابق •

ويتولى مهمة الرعي اشخاص معينون ، ويمثل «الراعي» مهنة خاصة .
وتقوم القرية باستئجار خدمات الراعي بشكل جماعي . ويختلف عدد الرعاة
في القرية حسب الحيوانات المتوفرة . وهناك نوعان من الرعاة ، احدهما
يخصص برعي الاغنام ويطلق عليه اسم «شوان» والثاني يتخصص برعي
الواشي ويطلق عليه اسم «كاوان» . فالشوان يختص برعي الاغنام والماعز .
وهو يصطحب كل يوم القطعان عند شروق الشمس ويعود بها وقت الظهيرة
لحلبها ، ثم يخرج بها ثانية الى المراعي ولا يرجع حتى غروب الشمس ،
ويدفع له اجره على دفعتين تتفقان وموسمي حصاد المحاصيل الشتوية
والصيفية . وتدفع الاجور الصيفية عينا حيث يساهم كل قروي حسب عدد
حيواناته في دفع مقدار من القمح والشعير . اما الاجور الشتوية فتدفع نقدا ،
حيث يدفع القروي مبلغا زهيدا من المال لكل رأس من الحيوانات طيلة
الموسم . وازضافة لهذه الاجور تقدم كل عائلة للراعي طعامه اليومي بالدور
(وهو في الغالب عبارة عن رغيف من الخبز) . ومن حق الشوان ان تهني له
القرية محلا للسكنى .

اما الكاوان فيتخصص في رعي المواشي . وتعتبر مسؤولياته اعظم من
مسؤوليات الشوان ، ذلك انه يضطر الى التجوال بالقطيع طيلة اليوم . وتدفع
اجوره الصيفية عينا والشتوية نقدا ، وهي على العموم اعلى من اجور
الشوان . ويتمتع ايضا بحق الحصول على الطعام اليومي والسكن المجاني .
اما الحيوانات الصغيرة فيتولى رعايتها فتيان القرية او اطفالها ويقومون
بهذه المهمة بالدور .

العناية بالحيوانات :

تتولى المرأة مسؤولية العناية بالحيوانات بعد عودتها من المرعى ، وتقوم
بتنظيفها وحلبها . وتشمل عملية التنظيف الحيوانات وحظائرها . ولا تتم

هذه العملية على وجه صحيح نظرا لعدم اهتمام القرويين بالنظافة اصلا •
فتنظيف الحظائر امر متعذر بسبب طريقة بنائها ، وتنظيف الحيوانات
لا يتبع اي اسلوب علمي • اما فحص الحيوانات فلا يحدث الا نادرا ، وقد
لا يحدث بتاتا •

ويتم الحلب بطريقة بدائية ، ويميل الى الافراط • وتحلب الاغنام
والماعز مرتين في اليوم ، وفي بعض الحالات ثلاث مرات • اما الابقار فتحلب
عند الغروب وعند الشروق •

الحظائر :

لعل اسوأ مظهر من مظاهر العناية بالحيوانات هو مساكنها • فالحظائر
عبارة عن غرف داخلية مظلمة منتنة مجردة من جميع متطلبات الاسطبلات
الحديثة • ويمكن القول ان احوال هذه الحظائر مسؤولة الى حد كبير
عن نسبة الوفيات المرتفعة بين الحيوانات وذلك بسبب تعرضها لتغيرات درجات
الحرارة في فصل الشتاء • فالحظائر الشديدة الدفء تؤدي الى اصابة
الحيوانات عند خروجها بانواع الامراض ، لا سيما الامراض الصدرية • ومما
يزيد الموقف سوءا النقص الحاد في الخدمات الصحية وكذلك قذارة
الاسطبلات المتناهية • وقد ادى كل ذلك الى ارتفاع نسبة الوفيات بين
الحيوانات الى حوالي ٥٠٪ (٨٦) •

وتهجر الحظائر وقت الصيف ، وتأوى حيوانات القرية الى زريبة
مفتوحة تحتل احدى ساحات القرية • وفي بعض القرى يعتمد السكان الى
انشاء زرائب مفتوحة مستقلة تلحق بالبيوت وتسيح بسياج خشبي • وهذه
الزرائب الصيفية المفتوحة اكثر ملائمة للحيوانات من الاسطبلات الشتوية •

86. Lord Saulter, "The development of Iraq" Baghdad 1954,
P. 198.

تطوير وتحسين الحيوانات ومنتجاتها

ان تحسين الحيوانات ومنتجاتها لا بد وان يشمل تحسين غذاء ومأوى الحيوانات ، وادخال سلالات جديدة وتوسيع الخدمات الصحية .

وقد سبق لنا ان اشرنا بان حالة المراعي الطبيعية غير مرضية بئانا ، ولا سيما في فصل الشتاء ، وهي في حاجة سريعة للتحسين والحماية . وبما ان نوعية نباتات الرعي تعتمد على المناخ والتربة والعوامل الاخرى التي تكون المرعى ، فان هدف التحسين ينبغي ان يوجه نحو حماية التربة من التعرية ونحو تشجيع نمو الاعشاب المفيدة والمغذية . ويجب ان تهدف الخطوة الاولى الى تحسين نوعية الاعشاب والحشائش التي تنمو على سفوح التلال المنخفضة ، وذلك باتباع كافة الوسائل التي تمكن التلال من الاحتفاظ بالمياه (٨٧) .

ان تحسين المراعي الطبيعية لا يكفي لسد مقتضيات الغذاء الحيواني بأكملها ، كما وقد لا تنتج تلك المراعي غذاءا كافيا خلال فترات الحفاف الطويلة . لهذا فان توفر البديل للمحاصيل العلفية امر في غاية الاهمية . ولن تضمن مثل هذه الخطوة طعاما كافيا للحيوانات خلال جميع الفصول فحسب ، ولكنها ستؤدي الى تحسين الارض ايضا . وستهي النباتات البقلية المخلوطة بالحشائش مرعى دائما يستمر طول العام ، كما ستعوض عن التروجين المفقود من التربة . ويعتبر البرسيم الباطني Subterranean clover ذو قيمة خاصة للمنطقة المطرية لانه يزود الاغنام والمواشي بالعلف المزدهر طول العام (٨٨) .

اما الحظائر فتححتاج الى اصلاح جذري . فلا بد من بناء اسطبلات حديثة

(٨٧) المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٨٨) المصدر السابق ، ص ٥٧ .

تتوفر فيها اشروط اصحية • وما لم يغير النظام الحالي الذى يسهل الى
مخطاىر الداخلية فان الحيوانات ستتعرض دائما الى الاصابة بالامراض
اثناء الشتاء ، كما ان قذارة المظاير ستسبب دائما نشر الامراض •

ان تحسين كل من نوعية وكمية احيوانات امر ذو اهمية باغة • ويمكن
ان يتم تحقيق ذلك بثلاث وسائل وهي ، اختيار الانواع الجيدة من الحيوانات
الحالية واستبعاد الرديئة منها ، وتوليد سلالات جديدة ، وادخال سلالات
جديدة كليا • ومع ان الانواع الحالية تمثل نوعا من الاحيار الطبيعى ، اذ
انها قد استطاعت ان تقاوم المناخ القاسى والغذاء الفقير ، الا انها لا تنفى عن
ادخال انواع جديدة •

ومن الامور الضرورية والهامة ايضا القيام بحملة واسعة ضد امراض
الحيوانات • وليس في الامكان القيام بمثل هذه الحملة على الوجه الصحيح
نظرا لنقص المبالغ والالات والمختبرات • ومن احوال التى تعوق الفحص
الطبي للحيوانات العجز في المواصلات • ومما يزيد الامور سوءا
الروتين الحكومى الذى يقتضيه فحص الحيوانات المصابة بالامراض الوبائية
والذى يجعل الامر خطرا والعلاج غير عملى • فضلا عن ذلك فان موظفى
البطرية يشكون عجزا عظيما وهم لا يكفون بتاتا للسيطرة على ما يمكن ان
ينشأ من امراض وبائية • ولقد قدمت بعثة البنك الدولى للتطوير والاعمار
اقتراحات عديدة للتغلب على هذا التخلف • ومن حملة مقترحاتها اعداد موظفين
اكفاء ومدربين ، وتوفير وسائل الفحص ومختبرات بسيطة محلية في كل لواء
والقيام بعلاج عملى ووقائى لتخفيض الاصابات بالامراض السارية
كمعالجة القطعان ضد الديدان الداخلة ، وكتطعيم الماشية والاعنام ضد
الطفيليات الخارجية (٨٩) •

89. I.B.R.D., "The economic development of Iraq" Baghdad
1952, PP. 240-2.

ان مسألة تحسين الانتاج الحيواني في نوعيته وكميته امر يكتسب في اوقت الحاضر اهمية خاصة ، وذلك لمواجهة النمو السريع المتوقع في احتياجات الجمهور . ويعتبر الانتاج الحيواني في الوقت الحاضر منخفضا جدا ، وذلك بسبب النقص في الغذاء والذي لا بد من التغلب عليه بتحسين الموارد الغذائية . ويمكن رفع نوعية الانتاج بعدد من الطرق . ف فيما يتعلق بالحليب يمكن تحسين كمياته تحسينا جذريا عن طريق تحسين غذاء الحيوانات . اما ما يتعلق بالاصواف والجلود والمصارين فان رفع مستواها يقتضى انشاء وحدات لتصنيف الاصواف ومكائن لجزها ، وكذلك تدريب مشرفين محلين على المسالخ لتطوير وسائل السلخ وحفظ الجلود والمصارين . ولا بد ان يؤدي تطبيق هذه الوسائل الى رفع مستوى نوعية وكمية الانتاج الحيواني (٩٠) .

- ٣ -

الصناعات البيتية

تمثل الاسرة الكردية الريفية وحدة اقتصادية . وتهدف نشاطاتها الى تحقيق الاكتفاء الذاتي بكل طريقة ممكنة . ومع ان سياسة الاكتفاء الذاتي هي امر طبيعي للمناطق الريفية المتخلفة ، ذلك ان دخل الفلاح المنخفض يحرمه من خدمات الفنين الاخرين ، الا ان هذه السياسة بلغت حدها الاقصى في حالة الزارع الكردي . ويعزى ذلك الى العامل الجغرافي ، اذ ادت التضاريس الوعرة والنقص في المواصلات الى عزل مجتمعات القرية ، وبذلك اضطررتهم الى انتاج بضائعهم الاستهلاكية بأنفسهم . ولقد ازدهرت الصناعات الريفية في القرية الكردية في مثل هذه الظروف . ولقد بدأت العزلة التامة للقرية الكردية في الانحلال منذ بداية الحرب الكبرى الاولى ، وبالرغم من ان منتجات الصناعة الحديثة قد وجدت طريقها الى دكاكين القرى الكبيرة والمدن،

(٩٠) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

الا ان مواد الصناعات الريفية ما تزال لها الاولوية . صحيح ان ظهور مواد الصناعة الحديثة في دكاكين القرى الكبيرة يدل على ان سياسة الاكتفاء الذاتي للمجتمعات الريفية قد هجرت ، وان النتيجة المنطقية لذلك هو ارتفاع في دخل الفلاح ، الا ان هذا الدخل ينفق في الحقيقة على شراء المواد الكمالية كاشاي والسكر ، وبذلك يضع الفلاح في نفس الظروف التي ساقته الى سياسة الاكتفاء الذاتي . وفضلا عن ذلك فان السياسة الزراعية ، بتجنبها الزراعة المختلطة وتركيزها على المحاصيل الشتوية والصيفية ، قد امتدت الفلاح وعائلته ، من خلال البطالة الجزئية ، بوقت فائض طويل سכן ان يصرف على الصناعات البيئية .

ولا تهدف منتجات الصناعات الريفية اليدوية في الغالب الى سد حاجة الاسرة فحسب ، بل الى تحقيق اغراض تجارية ايضا . ومع ذلك فقد ظل طابعها ريفيا بشكل غالب وبعبدا عن الطابع الصناعي الحديث . وانواقع ان صفات ومميزات الصناعات الريفية الكردية شبيهة بصفات الصناعات الريفية المعروفة في جميع الاقطار المتخلفة . ويمكن ان توجز تلك الصفات على الوجه التالي : (٩١)

١ - الانتاج : يهدف انتاج هذه الصناعات الى سد الحاجات القروية . ولا ينتج العمال البضائع بالجملة بل بالمفرد وحسب الطلب بعد ان يتسلمون المادة الخام الضرورية او الاجر مقدما . فليس هناك اذن توزيع تحاري للبضائع .

٢ - المواد الخام : تنتج أغلب المواد الخام لتلك البضائع محليا ، ويقوم الزبون نفسه بتجهيزها .

91 Kausukutty, C.K. "Rural industries of India" a thesis of M.Sc. submitted to the University of London in 1951. P. 44 ff.

٣ - المحلية : يتم انتاج البضائع في البيت ، ويحل البيت محل المصنع او الدكان .

٤ - التكنيك : لا تستخدم المكائن التجارية في انتاج هذه الصناعات بل تستخدم ادوات بدائية بسيطة ، ويعتمد فيها على براعة العامل .

٥ - العمال : لا يتبع في انتاج هذه الصناعات تقسيم العمل ، ووحدة العمل في الغالب هي الوحدة الاسرية التي تعتمد بشكل رئيسي على النساء . واذا ما زاول الرجال العمل فان ذلك يكون على اساس قيامهم بالعمل لحسابهم بمساعدة افراد الاسرة الاخرين او بمعاونة بعض الصبيان المتدربين .

وتتوزع الصناعات اليدوية في جميع انحاء اللواء ، واهمها الصناعات التالية :

اولا - صناعات النسيج :

تعتمد صناعات النسيج على آلتين رئيسيتين هما «البيجال» و «التون» . فالبيجال هو النول الكردي ، وقد وصفه ليچ Leach بصورة مفصلة في تقريره عن منطقة راوندوز ، وينطبق وصفه على النموذج الشائع في لواء السليمانية ايضا^(٩٢) . ويتطلب استخدام هذا النول من العامل ان يجلس في حفرة تمتد اسفل النول ، او ان يدلي فيها نصفه السفلي على الاصح .

ويحتل البيجال مركزا رئيسيا في الاقتصاد الوطني للواء السليمانية ، اذ انه المنتج الرئيسي للملابس الرجال . واطافة الى ذلك فان معظم انتاجه يحقق هدفا تجاريا خلافا لمعظم الصناعات الريفية الاخرى . ويفسر لنا ذلك اسباب تركيز هذه الصناعة في القرى الكبيرة كحلبجة وقلمة دزة والطويلة . ومن النادر ان يزاول النساء العمل على هذا النول . واهم منتجات البيجال :

92. Leach. PP. 66-7.

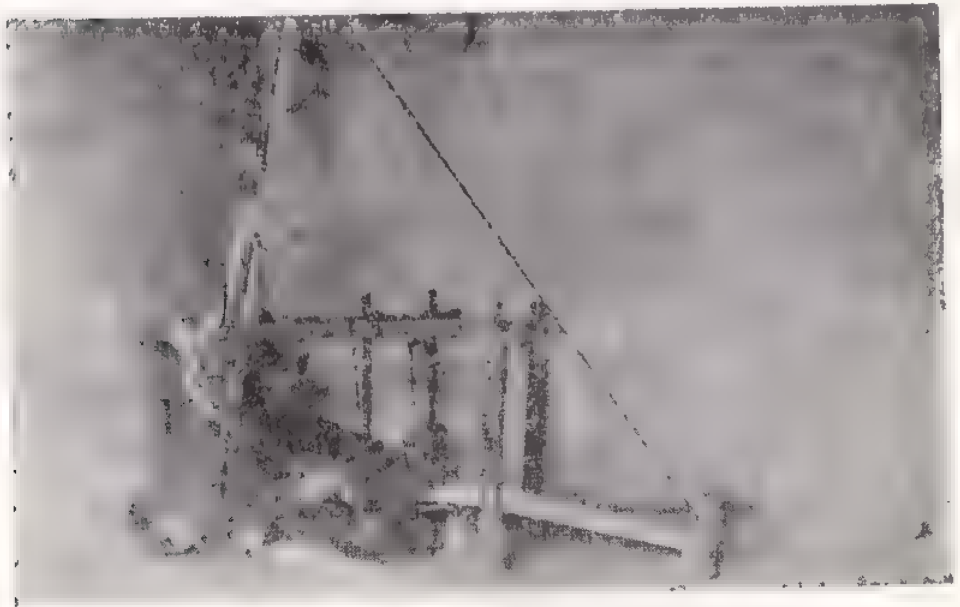
١ - الرانك والجوخة : تنتج الملابس الكردية المحلية اسي يطلق عليها اسم الرانك والجوخة بصورة مطلقة ضمن المجتمعات الكردية الريفية . ويتألف نسيجها من صوف الأغنام او شعر الماعز الذي يغزل محليا ، عدا خيوط القطن التي تستورد من الخارج *

٢ - الجاجم : وهي نوع من انواع البطانيات ، وتصنع من صوف ملون .

٣ - الشال : وهو نوع من انواع الافرشة الذي يستخدم للاسرة ، ويصنع من شعر الماعز .

٤ - البرمال : وهو سجادة صغيرة تستخدم للصلاة . وتصنع اما من الصوف الخشن او من القطن .

اما التون (او التون كير كما يسمى ايضا) فيكتسب اهمية كبيرة كاهمية السيجال اذ انه يسخر لصناعة نسخة مختلفة ذات اهمية كبيرة للحياة الكردية



النساج الكردي

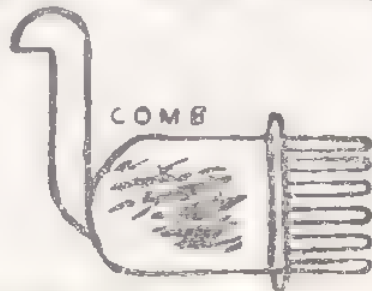
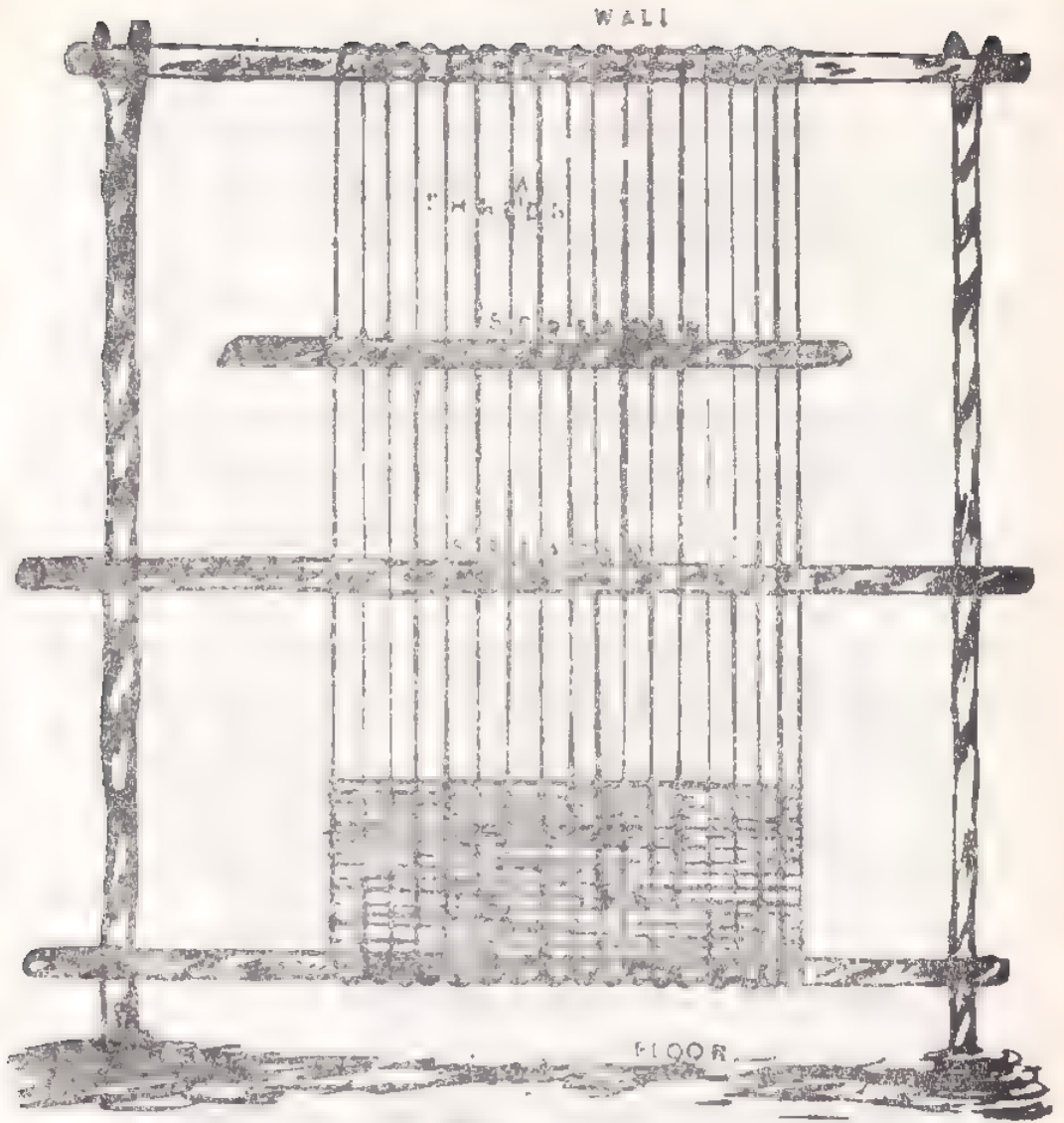
الريفية • ويخص الساء باعمل في هذه الالة ، كما ان اسجها يكون بالمفرد
(اقطاعي) لا بالجملة •

ولا تكمن اهمية التون في الاقتصاد الريفي الكردي في سد احتياجات
الجمهور فحسب ، بل في توفير فرص عمل اضافي لافراد الاسرة وبالتالي رفع
دخل الاسرة •

وسم التون ببساطة مناهيه في تكوينه وعمله • فهو يتألف من عمودين
يشبان بجوار الحائط • ويربط عمودان اخران بطرفي العمودين الرئيسيين
(الاعلى والسفل) وذلك بشبب السداة • ويتم عمل هذه الالة بادخل خيوط
الملحمة بين خيوط السداة بواسطة ابرة كبيرة ثم تضغط الخيوط بمشط
ثقيل لكي تتلاحم الخيوط • واهم منتجات التون :

- ١ - السرا : وهو قماش خشن لا يكاد يدخل منه اي بيت كردي ، فهو جزء
اساسي من الاثاث • ويصنع من صوف الاغنام او من شعر الماعز •
ويتناسب سعره مع ما يستهلكه من صوف او شعر •
- ٢ - امرش : وهو نوع من السجاد يستعمله القرويون مذكون • ويأرم
من انه شبيه بالبرا على وجه الصوم ، الا انه اغلى منه سعرا نظرا لما
يستهلكه من كمية الصوف وما يستغرقه من وقت •
- ٣ - الهور : وهو كس من القماش المصنوع من شعر الماعز ويستخدم في
نقل الحبوب •

وهناك صناعات نسيجية اخرى كصناعة الجوارب واغطية الرأس وبعض
انواع الاحذية القماشية (الكلاش) ، والجيج • وتحاك معظم المواد المذكورة
بالابرة ، عدا الجيج الذي يستخدم في صنعه آلة شبيهة بالتون ذات حجم
صغير • والجيج عبارة عن حصيرة صلبة تصنع من القصب والصوف ، وتستخدم
لاغراض عديدة • فهي تستعمل كسياح لسطوح البيوت في فصل الصيف ،



تخطيط يمثل آلة التون

وكجدار في اسرر الصيفية (الكبرا) ، كما انها تمثل جزءا مهما من خيمة
شبه المترحلين •

ثانيا - صناعة الفخار :

تسد صناعة الفخار مستلزمات هامة من ضرورات الحياة الكردسية
اريفية • فكثير من الادوات البيتية وازعية حفظ المياه مصنوعة من الفخار ،
كما ان محزون الغلال (وهو الكو) عبارة عن وعاء فخاري • وتستخدم
المجالات احيانا في تهذيب شكل الاوعية ، الا انها تصنع عموما باليد •

ثالثا - صناعة السلال :

تتخذ صناعة السلال اهمية خاصة بالنسبة للمجتمعات الريفية ، فهي
تستخدم في نقل الفواكه والخضار • وتختص النساء بهذه الصناعة ، وتستخدم
اغصان (الجنار) في حياكة السلال •

رابعا - الصناعات الخشبية :

يزاول أغلب القرويين الصناعات الخشبية في ابسط صورها • وتشتمل
على صناعة الاجزاء الخشبية من المحراث ، وصناعة المذراة وبعض الآلات
البسيطة الاخرى • غير ان هناك عددا من الحرفيين الذين يتخصصون في
صناعة الادوات الزراعية ، كالمحراث الخشبي والمذراة والدواسة الكردية •
ويطوف هؤلاء الحرفيون من قرية الى اخرى لتأجير خدماتهم الى الفلاحين •
وتشمل التجارة الريفية ايضا صناعة بعض الادوات البيتية الخشبية ،
كالاويع الخشبية والملاعق الخشبية والسلطانيات التي تستخدم لحفظ السكر
او اللبن الحامض •

خامسا - صناعات الالبان :

بالرغم من ان صناعات الالبان لا يمكن ان تعتبر صناعة تجارية بالمعنى
الدقيق لهذه الكلمة ، حيث انها تستخدم للاستهلاك العائلي بشكل رئيسي ،

الا ان بعض منتجاتها ، لا سيما الجبنة ، تباع ايضا في المدن وفي القرى
كبيرة * وتشمل هذه الصناعة عمل الجبنة والزبدة .

أ - صناعة الجبنة : تختص النساء بهذه الصناعة ، وهي تتطلب عملية
طويلة * وتصنع الجبنة من حليب الماعز والأغنام ، وتسمى (جبين ميرا) وتكون
دات لون اصفر ، وتخصص القبائل الرحل في صناعة هذا النوع من الاجبان ،
ويتبع في صناعته الخطوات التالية :

١ - يسخن الحليب في قدر كبير من الفخار حتى تبلغ درجة حرارته
٧٥° ف تقريبا ، ويضاف اليه قطع صغيرة من مشيمة الماعز * ثم يرفع
القدر عن النار ويغطى حتى يتخثر الحليب *

٢ - يقطع الحليب المتخثر الى قطع صغيرة بعد اضافة قليل من المنح ، ثم مد
الى النار ويحرك لفترة لا تزيد عن خمس دقائق وتضاف اليه كمية
جديدة من الحليب (حوالي ٤٪ من الحليب المتخثر) ويترك على النار
حتى ترتفع درجة حرارته الى حوالي ١٨٥° ف *

٣ - يصب الحليب المتخثر في اكياس ويضغط بالايدي حتى يفقد ماؤه *
ثم توضع الاكياس بين صخرتين ملساوتين كبيرتين *

٤ - يرفع الصخر في اليوم التالي عن الكيس ، وتكون الجبنة قد تحولت الى
قطعة واحدة * ثم تقطع الى قطع صغيرة وتحفظ في اكياس جلديسة
لثلاثة أشهر حتى يتخذ شكله النهائي (٩٣) *

ب - صناعة الزبدة : تتولى النساء صناعة الزبدة * وتم هذه العملية
بصب حليب الماعز او الأغنام في وعاء فخاري كبير وتسخينه على النار *
وتختبر حرارة الحليب بين حين واخر حتى تبلغ درجة التخثر ، وعندئذ

(٩٣) ، سرسم ، ناظم : (جبين الميرا) ، مجلة الزراعة العراقية - عدد
تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول ١٩٥١ ، ص ٣٥٥ وما بعدها .

تضاف اليه ملعقة من اللبن الرائب • ثم يرفع الوعاء من النار ويغطى بقماش سميك • وفي اليوم التالي يصبح الحليب لبنا رائبا • ويوضع اللبن الرائب في اكياس خاصة من جلد الماعز تسمى (مشكه) ، وتخص باستمرار ، ويضاف اليها ماء بارد بين الحين والحين • وحين يفصل السمن عن اللبن يصب في اكياس مخروطية خاصة حتى يصبح زبدة • ثم ترفع الزبدة من الكيس وتفصل بماء عذب يضاف اليها بعض الملح •

وتستخدم بقايا الزبدة في صنع الجبن الابيض • وتضاف بعض الاعشاب والملح ، ثم يصب الحليب في الأكياس ويوضع تحت الاثقال حتى يفقد ماؤه وبذلك يجف •

سادسا - صناعة الطحين :

تعتبر هذه الصناعة من اكثر الصناعات اهمية في المجتمعات الكردية ارضية • وتقوم بها طاحونة مائية خاصة ينتشر نموذجها انتشارا واسعا في جميع انحاء اللواء • ويتصف هذا النموذج بصفات تلائم البيئة الجبلية ويعمل بجريان المياه • وقد وصف ليح بالتفصيل الطاحونة الكردية في منطقة راوندوز وهي تمثل النموذج الشائع في جميع جهات كردستان (٩٤) •

وتعود ملكية الطاحونة الى الاغا او مالك القرية • ويرجع سبب هذا الاحتكار الى تمتع المالك بالسيطرة على مورد مياه القرية • وبما ان الطاحونة تعمل بواسطة المياه ، لذلك كان لابد من الحصول على موافقة المالك او الاغا قبل اقامتها • واذا لم يكن الاغا راغبا في تولي العملية فانه يكفي بنسبة مئوية من الربح • واذا استؤجرت الطاحونة من الاغا او المالك فانه يتلقى ١/٥ الارباح • ويدفع الزبائن عادة ١/١٠ من الجبوب المطحونة لقاء استخدام الطاحونة • وتتوقف اغلب المطاحن في اللواء عن العمل في فصل الصيف بسبب نقص المياه •

94. Leach, P. 70.

تلك هي ابرز الصناعات الريفية التي تتواجد في اللواء * وبالرغم من انها تلعب دورا بارزا في اقتصاد اللواء كما لاحظنا ، وذلك بتوفير فرص العمل لافراد الاسرة وبمدهم ببعض رحيصة تعتمد على الموارد المحلية ، الا ان السلطات مسئولة اهتمت شأنها اهمالا تاما ولم تفكر بتطويرها * وهكذا بقيت تلك الصناعات في حالة بدائية للغاية * ولا ريب ان ميل العامل للمحافظة على القديم ، مضافا الى ذلك فقره وعوزة الى اموار اماية ، قد ساعد على احتفاظه باساليه ووسائله العتيقة ، كذلك فلن نمو اسافسه بين البضائع الغربية من الاقمشة والاثاث والبضائع المصنوعة محليا قد ابقت الصناعات الريفية في وضعها المتخلف * ومن الجدير بالذكر ان هذه المنافسة ضرة بالاقتصاد الريفي ، ذلك لان الاعمال الزراعية هي بطبيعتها اعمال فصلية ، ومن مصلحة الفلاحين ان يشغلوا فراغهم باعمال مربحة اخرى * وهكذا فان تلك المنافسة قد تنتهي بحرمان اسرة الفلاح من مورد مهم من موارد دخلها ، وتحميل ميزانيتها مصاريف اضافية عالية ، وبالتالي تخفيض مستوى حياتها * وسجنب هذه النتيجة الضارة لابد من اقامة صناعات ريفية على اسس حديثة كجزء متمم لمتهاج التطوير الاقتصادي الريفي الذي سيصبح منطلقا لتطور المجتمعات الريفية * ويمكن ان يتم تحسين الصناعات الريفية باقامة مراكز معينة في جميع جهات اللواء مزودة بالالات الحديثة * وببغية ان تسد تلك المراكز بأسواق ومراكز منظمة لشراء المواد الاولية وتوزيع منتجاتها ولدها بما تحتاج اليه من مساعدة مالية * ويمكن ان يتم انجاز ذلك على خير وجه باقامة الجمعيات التعاونية التي تسندها الدولة *

الفصل الخامس

المجتمعات الكروية

- ١ -

المجتمعات العشائرية

ان دراسة مجتمعات لواء السليمانية لا يمكن ان تقوم على اساس درجة التمدن ، وبالتالي تصنيفها الى «مجتمعات ريفية» و «مجتمعات حضرية» ، ذلك ان السمات العامة لمجتمعات الريف والمدنية هي سمات ريفية متغلبة ، عدا بعض السمات المدنية البسيطة كتبلور بعض صفات الطبقة الوسطى وضعف نسبي في سلطة الاب . لذلك فمن الافضل ان تقسم مجتمعات اللواء حسب بنائها الاجتماعي والسياسي الى «عشائرية» و «لا عشائرية» . وهذا التقسيم لا يمكن تحديده ايضا الا في خطوط عريضة ، لان كلا النوعين من المجتمعات تتقاسم سمات «مجتمع القرية» Village Community المعروفة ، أي الحقوق المفتوحة والمراعي المشتركة والاسر الواسعة والالتزامات القروية . وتلك الصفات تجمل من «المجتمع» البؤرة المركزية للتضامن الاجتماعي والاقتصادي .

ذلك فأن من الممكن ان نتحدث عن «مجتمع القرية» كنموذج عام يشمل في جميع جهات اللواء بسكانه العشائريين واللاعشائريين ، فلو ان يغير هذا التمييز من سماته الا تغييرا طفيفا . وسنحاول في الصفحات التالية ان نتحدث عن المجتمعات العشائرية اولا ، ثم عن المجتمعات اللاعشائرية .

ولكي نفهم اصول التنظيم العشائري الكردي لابد لنا ان نحدد اولا ممزاج وطبيعة القبيلة الكردية (x) . فامودج الشائع لمقوله ، هو الذي يقوم على اساس «النسب المشترك»⁽¹⁾ . غير ان هناك نموذجا اخر اقل شيوعا وهو الذي سنعتمد الى «الاشترار في الموضع»⁽²⁾ . وهكذا يعتمد النموذج الاول من القبيلة على «وحدة النسب» ، بينما يقوم النموذج الثاني على «وحدة المكان» . ونسبى القبيلة الكردية الى النموذج الثاني ، وهو في الواقع عبارة عن اتحاد مجموعات نسبية ترتبط بعضها برابطة النسب وتخضع عسكريا لسلطة مركزية . ويتضح ذلك في عدم ارتباط الطوائف (الافخاذ) المختلفة من عشيرة الكردية بعضها برابطة النسب ، كما يتضح ايضا في بنية عشيرة الكردية حيث تتكون من فئتين متميزتين لا ترتبطان برابطة النسب هما فئة الرؤساء (طبقة المحاربين) وفئة افراد العشيرة (الطبقة العامة) . وهذا هو حال عشائر لواء السليمانية . فعشيرة بشدر مثلا تشمل على فئتين متميزتين هما فئة الاغوات (الرؤساء) وفئة العامة . وينتمي الاغوات الى طائفة (فخذ) الميرادولين ، وكانوا يستوطنون اراضي كردستان الايرانية قبل نزوحهم الى مواطنهم الحالية . وتتألف فئة العامة (ابناء العشيرة) من مجموعات نسبية

(x) لا توجد فروق بين مصطلح «القبيلة» و «العشيرة» في التنظيم العشائري الكردي ، بل ان مصطلح «قبيلة» لا وجود له . لذلك سنستخدم هذين المصطلحين بدوق تمييز .

(1) Hocart, A.M., "The progress of man" London 1933, P.243.

(2) Lowie, Robert. "Primitive society" London 1929, 2nd edit., P. 379.

• مدد هم في الواقع سكان اسطقه الاسليين • ويتصف حجم العشيرة باميع ،
فهو يضم ويتقلص حسب قوة او ضعف السلطات الحكومية في اعسراف
او ايسران (٣) •

اما عشيرة الجاف فتألف من خمسة عشر طائفة تنزعها اسرة حاكمة •
ويجبت تاريخ هذه العشيرة شيء من الغموض ، غير ان بعض المختصين يدعون
بان الطائفة الحاكمة المسماة (بگزادة) تنحدر من سلالة الرسول (ص) ، فاذا
صبح ذلك فانها تكون اذن من اصل عربي (٤) ، والواقع ان عددا قليلا جدا
من العشائر الكردية الثانوية يمكنها ان تثبت وحدة نسبها • ولقد وصف
هاي Hay ، عشيرة دي ، وهي احدى كبريات عشائر اربيل ، على النحو
التالي :

(ان اقسام العشيرة المخلفة تمثل ملاك الارض الاصليين ، في حين ان
الرؤساء ينتمون الى اسر قويه سبق لها ان اجتاحت هذه الاراضي وسيطرت
عليها باقوة • وهذا هو الوضع في منطقة دزي بشكل خاص ، حيث تعود
ملكه جميع الاراضي تقريبا الى اسرة واحدة نوبة ، بقلبها نفر قليل من
الرؤساء والاعوات العشائريين القدماء الذين يحتفون ببعض النفوذ •
فالرئيس العشائري هنا هو في الحقيقة مالك للارض ، والنظام يحد ذاته هو
نظام اقطاعي وليس نظاما عشائريا بمعنى الكلمة) (٥) •

نستطيع ان نستخلص اذن من استعراض بناء العشائر الكردية الرئيسة
في المنطقة بان تكوين القبيلة الكردية يتبع الخطوات التالية :

(٣) الكوراني ، علي سيدو : (من عمان الى العمادية) ، القاهرة
١٩٣٩ ، ص ٤٢ •

(٤) العزاوي ، عباس : «عشائر العراق ، العشائر الكردية» بفسداد
١٩٥٤ ، ص ٣١ •

(5) Hay, W., "Two years in Kurdistan" London 1921, PP.65-6.

تقوم مجموعة نسبية قوية باجتياح منطقة معينة تقطنها مجموعات سببه
محلله . فتخضع تلك المجموعات النسبية الى سيطرة المجموعه الجديدة .
ويقوم بدفع اصرائب الى رؤسائها . وتنبع من هذه العلاقة او الرباطه
الجديدة «عشيرة» تتخذ اسم الموضع الذي تشغله ، ويتعاهد افرادها على
العيش بوئام ضمن منطقتهم وعلى الدفاع المشترك ضد أى اعتداء .

وهكذا يبدو بان القبيلة الكردية عبارة عن وحدة سكنية سياسية
شتمل على طبقتين منفصلتين ، طبقة حاكمة محاربة ، وهى في الاصل رعوية
ومهمتها القتال وهى مسؤولة عن حماية افراد الطبقة الاخرى ، والطبقة
العامة ومهمتها الزراعة وتربية الحيوان . ولا ترتبط هاتان الطبقتان برابطة
النسب ، كملا ترتبط طوائف الطبقة العامة بروابط النسب . وهذا النموذج
العام للقبيلة الكردية هو في الحقيقة مثل دامج على تأثير العامل الجغرافي .
فمن المعلوم ان نواء السليمانية ، وكذلك بقية الانوية الكردية ، عبارة عن
منطقة جبلية ذات تصاريس وعرة وشتاء قارس . وقد أدى العجز في المواصلات،
لا سيما اثناء الشتاء الطويل ، الى فرض حالة من العزلة على القرية الكردية .
وقد قادت هذه العزلة الى سياسة الاكتفاء الذاتي في الحقل الاقتصادي ، والى
ميل قوي «للمحلية» في العلاقات الاجتماعية . وقد عمقت انزعة المحلية
العلاقات بين ابناء القرية الواحدة ، وزادت من متانتها روابط القرابة
والمصاهرة . غير ان هذه العلاقات القوية لا يمكن عمليا ان تتسع وتمتد خارج
القرية . لذلك فحينما يضطر جزء من المجموعة السببية Lineage segment
الى النزوح الى قرية اخرى بسبب الضغط الاقتصادي ، فان روابط القرابة
مع القرية الام تضعف بسرعة ، ويفرض العامل الجغرافي «المحلية» Localism
على المجموعة النسبية الصغيرة في علاقاتها الاجتماعية الجديدة . وهكذا يتضح
بان العامل الجغرافي يعرقل نشوء قبيلة دموية ضخمة في المنطقة الكردية ، ولا

تكاد يسمح عمليا الا يتبلور كيان المجموعة النسبية Lineage group • والواقع ان معظم الطوائف التي تتألف منها القبيلة الكردية ما هي في الحقيقة سوى مجموعات نسبية محلية، وليست حتى من النوع الواسع Maximal lineages (٦) • ويمكن ان نتلمس الدوافع التي تحدد بالمجموعات النسبية المحلية المنعزلة الى الخضوع الى سلطة «مركزية» والانضواء تحت قبيلة واحدة، في النقاط التالية:

- ١ - تجنب عدااء واضطهاد المجموعة النسبية الفائزة •
 - ٢ - ضمان حماية المجموعة الفائزة ضد المجموعات المحاربة الاخرى التي قد تطمح في المنطقة •
 - ٣ - ضمان الحصول على اراضي جيدة بغزو المناطق الاخرى (وكان لهذه النقطة معولا عمليا على ضوء النظام السياسي الذي كان يسود المنطقة الكردية والذي اكسب القتال وبالتالي القيادة الحربية اهمية خاصة) •
- اما الجماعات الرحل فانها تحقق في «اتحاد» مجموعاتها النسبية في قبيلة واحدة المزايا التالية :

- ١ - اكتساب مناعة اكبر في القتال ضد الزراع •
- ٢ - توفير الامكانيات الحربية للاستيلاء على مراعي غنية •
- ٣ - ربط المجموعات النسبية المختلفة بمعاهدة للتعاون والتضامن وعدم الاعتداء مما يهيء لكل منها امكانية الاحتفاظ بمراعيها التقليدية •
- ٤ - توفير قيادة مشتركة للمجموعات النسبية المختلفة لتنسيق وتوجيه فعاليتها الاقتصادية •

(٦) لغرض تحديد مفاهيم المصطلحات الاثروبولوجية الواردة في الكتاب انظر :

Notes and queries on anthropology, by committee of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, sixth edit., London 1945, P. 89.

والمواقع ان «الاتحاد» القبلي هو أكثر أهمية وضرورة برعاة منه للزراعة ،
ذلك لان ملكياتهم غير ثابتة وهى عرصة للضياع في حالة خسرانهم للقبائل ،
بذلك تتعرض القبيلة المستقرة للانحلال حالما يقوى سلطان الادارة الحكومية ،
بينما تتشبث القبائل الرحالة بتنظيمها العشائري اطول مدة ممكنة .

ان هذا البناء الخاص بالقبيلة الكردية قد أدى الى اضطراب مصطلحات
اقسامها . وتصدم أية محاولة لتحديد تلك الاقسام بتعذر التوصل الى
مصطلحات واضحة . وعلى أية حال فهناك اربعة مصطلحات يستخدمها
العشائريون وهى : «العشيرة» و «الطائفة» و «التيرة» و «الهوز» . غير ان
هذه المصطلحات مائعة جدا ، وهى تحل في موضع بعضها بعضا على نصوص
واسع . وقد حاول ليچ Leach ان يحدد بعضها على النحو التالى :

(تشتمل العشيرة على واحدة او أكثر من المجموعات النسبية التى تدعى
بالطائفة ، ولعل ابرز الفروق بين العشيرة والطائفة تكمن في ان الاولى ذات
دلالة سياسية بالدرجة الاولى ، بينما اثنان ذات دلالة قرابية بالدرجة الاولى .
وتنقسم الطائفة الى اقسام متعددة يطلق على كل منها اسم «التيرة» (الفرع) ،
غير انه في كثير من الاحوال يستعمل لفظ «التيرة» بدلا من الطائفة . وقد اكد لي
أكثر من شخص مطلع عدم وجود اية فروق بين الطائفة والتيرة ، سوى ان
الطائفة اكبر من التيرة ، واعتقد ان هذا هو الواقع ، فالتيرة هى نمط من
المجموعة النسبية التى يعرفها الانثروبولوجيون معرفة حققة ، ويطلقون عليها
اسم Lineage بينما يسميها فيرث Firth بتعريف Ramage ، وهى
تختلف عن العشيرة Clan في صغر حجمها وفي قوة تضامنها السياسى .
وتتميز الفروق بين هذين النمطين الى الاختفاء في حالة ضعف الروابط
السياسية . ويمكن ان يتضح مما ذكرناه بان العشيرة والطائفة والتيرة تماثل
المصطلحات الانثروبولوجية المعروفة Tribe و Clan و Ramage

Lineage على التوالي ، عدا فرق بسيط وهو ان العشيرة Clan في هذه الحالة ذات زواج لحمي (زواج داخلي) Endogamy (٧) .

اما بارث Barth فقد شرح اقسام القبيلة الكردية على الوجه التالي :
(تمثل التيره المجموعة الاساسية (الاولية) كما تمثل الوحدة امتلكه الارض . وتكتسب العضوية في التيره عن طريق النسب الابوي ، وهسي تقرب من اصطلاح Maximal Lineage ومع ان جميع افراد التيره ملزمين باثبات نسبهم الابوي المشترك ، الا ان من الصعب عمليا اثبات الصلة النسبية بين مختلف الجماعات القرابية الرئيسية ضمن التيره . ومن الجهة الاخرى فلا يمكن ان تعتبر «تيره» كل جماعة قرابية كبيرة . ذلك ان هذا الاصطلاح يفوه بشكل جوهرى على اساس سياسي وتنشئ منه وظيفة تنظيمية اجتماعية . اما المجموعة النسبية البسيطة او القرابية فيطلق عليها العشائريون اسم «هوز» (٨) .

وعلى اية حال فان من الطبيعي ان يحدث التناقض بين الانثروبولوجين في محاولاتهم لربط المصطلحات القبلية الكردية بالمصطلحات الانثروبولوجية المأثقة . فالعشائريون الاكراد انفسهم لا يمتلكون تقسيما ثابتا متفق عليه ، وهم يستخدمون المصطلحات المختلفة بلا تقييد لينسبوا وحداتهم القرابية الى عشيرة معينة . وهذا الاضطراب في التسمية والمصطلحات امر يتناسب مع بناء القبيلة الكردية الذى لا يقوم على قاعدة النسب الهرمي ، بل على اساس الخضوع الى سلطة «مركزية» . فهذا الاضطراب اذن نابع من طبيعة تكوين القبيلة الكردية ، فقد يلتحق بالقبيلة الكردية احيانا المجموعة النسبية Lineage group ، وقد يلتحق بها جزء من المجموعة النسبية

(7) Leach, op. cit., PP. 13-14.

(8) Barth, op. cit., PP. 36-7.

Lineage segment ، وقد لا تلتحق بها سوى افراد الاسرة الواسعة
Extensive family فحسب . ونتيجة لهذا الوضع فلم تتطور مصطلحات
ثابتة وواضحة تحدد العلاقة النسبية للاقسام المختلفة بالعشيرة . ولقد توصف
المؤلف نتيجة استقصاءاته الشخصية الى النتائج التالية :

بضم مصطلح «العشيرة» مختلف مجموعات القرابة المستقلة اسي
تجمعت سويا ، وهو ينطوي فوق كل شيء على معنى سياسي . فهو اذن مقابل
لمصطلح Clan كما انه مقابل لمصطلح «العشيرة» العربي .

اما مصطلح «الطائفة» فيقصد به افراد جميع عوائل العشيرة الذين يمكن
ان يتبعوا نسبهم الى جد مشترك اعلى . ويستخدمه العشائريون للدلالة على
الصلة النسبية والسياسية في آن واحد . فهو يقابل اذن مصطلح «الفخذ»
اعربي ، ومن الممكن ان يكون مساويا لمصطلح Maximal lineage الذي
يحمل الدالتين السياسية والقرابية في آن واحد .

اما مصطلح «التيرة» فيستخدمه العشائري ليحدد انتماءه سياسيا الى
قبيلة معينة ، كما ويحدد به في الوقت نفسه انتماء السبي الى مجموعة
قرابية معينة . والواقع ان هذا المصطلح يحمل دلالة نسبية ذات مدى واسع ،
فهو اذن مقابل لمصطلح Lineage group ، كما انه مقابل للمصطلح العشائري
العربي (بيت) . وتسمى التيرة عادة باسم رئيسها الحالي ، او باسم احد
رؤسائها السابقين الذين حققوا شهرة معينة .

اما مصطلح «الهوز» فهو الوحيد بين المصطلحات الذي يجمع العشائريون
على معناه ، ويعزى ذلك الى كونه «الشكل» الوحيد الذي تناسب المنطقة
الكردية من وجهة النظر الجغرافية . ويمكن القول انه عبارة عن اسرة واسعة
Extensive family ، وهو يقابل المصطلح العشائري العربي «الاهل» .
ويشيع استخدام هذا المصطلح بين العشائر الرعوية بشكل خاص ، ويسمى
الهوز باسم الجد الاعلى .

ويكشف التنظيم العشائري الكردي ، الذي هو تنظيم اقطاعي قبل كل شيء ، عن تماثل عظيم في مختلف جهات اللواء ، بل وفي جميع انحاء كردستان . غير ان هناك فروقا طفيفة بين العشائر الزراعية المستقرة والعشائر الرعوية المرحلة . وسنحاول في الصفحات التالية ان نفحص التنظيم السياسي والاجتماعي لعشيرة بشدر (كمثال للعشائر المستقرة) ، ولعشيرة الجاف (كمثال للعشائر المرحلة) . x

التنظيم العشائري لعشيرة بشدر

تشمل عشيرة بشدر على الطوائف التالية : طائفة الميرادلينين وطائفة نورالدين وطائفة شيلانة وطائفة جاشكه . وهذه الطوائف هي مجموعات قرابية مستقلة ولا تنتمي الى بعضها بعضا بنسب مشترك . ولقد سحقت هذه العشيرة في المحافظة على تركيبها ووحدتها الى حد كبير حتى الوقت الحاضر . ويعود ذلك الى عوامل متعددة ، فالعشيرة تشغل قضاء بشدر وجزءا من قضاء شهربازار وهي مناطق تصف بتضاريسها الوعرة . ونتيجة لذلك فقد انعزلت المنطقة عن بقية اجزاء اللواء الاخرى مما عزز استقلالية العشيرة . فلقد ظلت منطقة بشدر مستقلة اثناء الحكم الباباني الذي امتد الى معظم جهات اللواء . ولم تستطع الادارة العثمانية كذلك التوغل في المنطقة حتى عام ١٨٣٩ حيث كونت على الورق قضاء كان يحكمه في الواقع زعماء العشيرة^(٩) . ولم يغير الاحتلال البريطاني هذا الوضع بل قوى من استقلالية

(9) Longrigg. S.H, "Iraq 1900-1950" Royal Institute of International Affairs, Oxford 1953. P. 27.

(x) لا بد لنا ان نؤكد هنا بان اغلب التنظيمات العشائرية الكردية قد تعرضت في السنوات الاخيرة الى الانحلال وفقدت الكثير من خصائصها ، لا سيما الخصائص السياسية ، وقد حلت محلها التنظيمات الحزبية التي تولت السلطة والسيطرة الفعلية على المجتمع بدلا من الرئاسات القبلية .
 عن ان بعض الزعماء العشائريين احتفظوا بسلطاتهم القبلية القديمة عن طريق الولاء الحزبي .

عشيرة بشدر وذلك بتعيين عدد من رؤسائها حكاما للمنطقة ومنحهم مرتبة عالية .

وامتدورت حالة شبه الاستقلال للعشيرة لوقت طويل حتى اثناء الحكم الوطني . فلم يسجل افراد العشيرة انفسهم مثلا لغاية اجراء الاحصاء السكاني العام سنة ١٩٤٧م . وكان افرادها معزولين من الخدمة العسكرية وهي مزية لم يكن يتمتع بها سوى عدد قليل من العشائر الرحالة . وبالرغم من ان السلطة الادارية امتدت الى اجزاء متعددة من المنطقة فانها ما تزال في الحقيقة بعيدة عن الرسوخ . ولا يرجع ذلك الى مقاومة ابناء العشيرة انفسهم بل الى موقف المنطقة المتطرف والى العجز في المواصلات .

التنظيم السياسي لعشيرة بشدر :

يقوم التنظيم السياسي لعشيرة بشدر على اساس طبقة الرؤساء الذين ينتمون الى فخذ معين في العشيرة يسمى طائفة الميرادلي . وتقاسم رئاسة العشيرة في الوقت الحاضر شخصان ينتميان الى يريتين مستقلتين . وبلى هذان الرئيسان في اهميتهما السياسية عدة رؤساء من الاغوات الكبار يرأس كل منهم عمليا تيرته التي هي جزء من طائفة الميرادولين . وبلى هؤلاء في اهميتهم اغوات القرى او الاغوات الصغار وهم يمثلون ملاك الارض والذين يحكمون عمليا القرى العائدة لهم ، ولكل منهم ممثلا بقيم في القرية التابعة له وبطلق عليه اسم «كوخ» .

الاغا الاكبر (الرئيس الاعلى)

تتمركز قوة عشيرة بشدر السياسية في ابدى تيرتين من التيريات النسم

(١٠) ان مصطلح «الاغا» يعني باللغة التركية «السيد» او الموظف ذو المرتبة المتوسطة واحيانا العالية فقد تكون وظيفة عسكرية او مدنية او حتى عائلية (ضمن الاسر الضخمة) .

Longrigg, "Four centuries of modern Iraq". Oxford 1926.
glossary, P. 352.

التي تكون منها طائفة الميراودلين ، وهما بيرة محمود اغا وبيرة سليم اغا .
وليس من الواضح كيف استطاعت هاتان التيرتان اكتساب رئاسة العشيرة ،
غير ان من الممكن الافتراض انهما ضمناها عن طريق الثروة والقوة الحربية .
ولقد اخبر المؤلف عددا من المطلعين على شؤون العشيرة بان الاغا الاكبر كان
ينتخب من قبل افراد العشيرة حتى اوائل القرن الحالي ، وكانت كل قرية
تنتخب بضعة اشخاص من اعيان القرية يطلق عليهم اسم «معقول» ، وثلاثة
من الرجال المتقدمين في السن يطلق عليهم اسم «الاختيارية» * ويلتقي هؤلاء
المثليين بحوالي مائه من الاعوات الكبار ، ويتولى هؤلاء انتخاب الاغا الاكبر .
ويحتفظ الاغا الاكبر بمركزه لثلاث سنوات ، واذا فشل في ارضاء العشيرة
استبدل بغيره . وتبدو هذه المعلومات مثيرة للشكوك لان جوهر النظام
السياسي لعشيرة بشدر يقوم على اساس الارستقراطية الاقطاعية والحربية ،
ولا يمكن لمثل تلك الاجراءات الديمقراطية ان تكون مرضية للتيرت الحاكمة .
ان مركز الاغا الاكبر هو مركز وراثي في الوقت الحاضر ، الا انه
لا يتبع نظام الوراثة التسلسلي . فوراثة هذا المركز تعتمد اساسا على المقدرة
الشخصية للابن الوريث وعلى مدى تمثل صفات الرئاسة العشائرية فيه .
لذلك قد يعهد الاعوات الكبار او رؤساء التيرت الميراودلين الى اختيار أحد
اقربائه خلفا له ان لم يكن ابناؤه صالحين لشغل المركز . غير ان هذه حالات
نادرة (x) . ويمكن تلخيص وظائف الاغا الاكبر في النقاط التالية :

١ - تمثيل العشيرة لدى السلطات الحكومية .

(x) يذكر توماس بوا Bois أن العشيرة كثيرا ما تلجأ الى انتخاب
رئيس آخر اذا لم يكن ابن الرئيس السابق صالحا . وقد يتدخل الحظ
أحيانا في اختيار الرئيس الجديد ، اذ قد يحط طير على رأس أحد المرشحين
فيعتبر حينئذ الشخص الذي اختاره الله .

Bois, Thomas, the Kurds, Beirut 1966, P.34.

٢ - تولي رئاسة القضاء العشائري •

٣ - تولي قيادة الحملات الحربية •

ومما تجدر ملاحظته ان الاغا الاكبر غير مسؤول عن الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للعشيرة • اما مكاسبه ، اضافة الى الاحترام والطاعة ، فهي :

١ - ضريبة العشر على المحاصيل الزراعية •

٢ - ضريبة على الحيوانات (تبلغ ١/١٠٠) •

٣ - حصه من الفدية (في حالات الفصل) •

٤ - الغرامات المفروضة على افراد العشيرة نتيجة العقوبات •

وقد ازدادت مكاسب الاغا الاكبر في عهد الاحتلال البريطاني اذ عينت له سلطات الاحتلال مرتبا شهريا ضخما كحاكم لعشيرته • وقد انفي هذا الراتب فيما بعد •

وقد تضاعفت مكاسب الاغا الاكبر وضرائبه على افراد العشيرة بمرور الزمن حتى اقتصرت في اواخر العهد الملكي على تمثيل عشيرته في البرلمان • لقد ذكرنا بان رئاسة العشيرة ثنائية في الوقت الحاضر (x) • وهذه الرئاسة الثنائية لم تفت عمليا وحدة العشيرة • فقد تقاسم الرئيسان عمليا السيطرة على عدد معين من تيرات الميرادولين • ونظرا للنظام الاقطاعي السائد فان كل تيرة تحكم القرى التابعة لها ، وهكذا يصبح عدد معين من قرى المنطقة تحت حكم كل واحد من الرئيسين •

ومن الناحية النظرية يستطيع فرد العشيرة ان يتقدم بشكواه الى أى واحد من هذين الرئيسين ، الا انه يستشير فعليا الرئيس الذى يحكم منطقته • ويحاول كل رئيس حل منازعات ابناء منطقته بنفسه ، غير انه قد يستشير زميله اذا كانت القضية ذات حساسية خاصة • اما القضايا الخطيرة التى تهم

(x) ينطبق هذا الكلام على فترة الخمسينات •

العشيرة باجمعها فيستشير الرئيس فيها مجلس العشيرة الذي يتألف من
الاغوات الكبار . واذا فشل الرئيس في الاتفاق على قضية معينة فقد يحصل
الانقسام في العشيرة ويلتحق بكل رئيس ابناء المنطقة التي يسيطر عليها .
ولقد حدث مثل هذا الانقسام في عهد الاحتلال البريطاني حينما قرر رئيس
تيرة محمود اغا محاربة القوات البريطانية تأييدا للشيخ محمود الحفيد ،
بينما ظل رئيس تيرة سليم اغا محتفظا بولائه للبريطانيين .

ويحتفظ كل رئيس بمضيف واسع يقوم مقام دار الحكومة ، ويزدحم
دائما بالاغوات الكبار والاغوات الصغار والكوخت ورجال العشيرة . وتناقش
في هذا المضيف شؤون العشيرة وتتردد فيه اخر الانباء كما تتم فيه المحاكمات .
ولكل رئيس ايضا سكرتير يسمى (مرزه) يتولى مراسلاته وشؤونه الشخصية ،
غير ان ابناءه المتعلمين قد حلوا محل المرزة .

الاغوات الكبار :

يمثل الاغوات الكبار (الذين يبلغ عددهم سبعة اغوات) رؤساء تيرات
الميراودلين . ويتسمنون مراكزهم بالوراثة ، غير ان هذا المركز قد ينتقل
الى قريب ذي مقدرة اعظم .

وبالرغم مما يحظون به من احترام عظيم من قبل افراد العشيرة ، الا
انهم لا يستشارون في المنازعات . وتقتصر وظيفتهم على القيام بدور المستشارين
للرئيس . ولكل منهم مجال نفوذه الخاص الذي يشمل القرى التي يمتلكها
هو وبقية افراد تيرته . ويختلف مركزهم في العشيرة باختلاف صفاتهم
الشخصية ودرجة ضيافتهم وعدد اتباعهم .

الاغوات الصغار (اغا القرية) :

يقيم في معظم قرى منطقة بشدر احد اعضاء طائفة الميراودلين فيصبح
بذلك رئيسا للقرية ويسمى «اغا القرية» . وقد يقيم احيانا بضعة اشخاص

من طائفة الميراودلين في نفس القرية ، ويناديهم القرويون بلقب «اغاء» .
غير ان واحدا منهم فقط يتولى وظيفة «اغاء القرية» وهو الشخص الذى يمتلك
القرية باجمعها او معظم اراضيها . (ينادي افراد العشيرة كل فرد من طائفة
الميراودلين بلقب «اغاء» الا ان الاغوات الصغار ينادون بعضهم بعضا بلقب
«كاكا» . ويخص لقب «اغاء» اتباع طائفة الميراودلين فقط) .

والواقع ان اغاء القرية ما هو سوى مالك القرية . ويمكن لاي فرد
من طائفة الميراودلين ان يتسلم هذا المنصب . وقد نشأت فئة اغوات القرى
او الاغوات الصغار من طيبة نظام الوراثة الاسلامي الذى يمنح الابناء
نصيبا متساويا في التركة . فقد تنامي عدد الملاكين الميراودلين على مر السنين ،
وكان يمثلهم في الاصل عدد قليل من رؤساء الطائفة ، وهم اولئك الذين
استولوا على اراضى العشيرة عند اجتياحهم للمنطقة .

ان اقامة «الاغاء» في القرية امر ضرورى اذن . الا انه قد يمتلك اكثر
من قرية واحدة ، وعندئذ يعين وكيله عنه يطلق عليه اسم «كوحا» يتولى زمام
الامور نيابة عنه . وقد يشترك اكثر من مالك ميراودلي في اراضى القرية ،
وحينئذ يتسلم المنصب اعظمهم ارضا . وقد لا يمتلك اغاء القرية في بعض
الحالات أى ارض في القرية ، لكن اسرته اقدم اسرة ميراودلية فيها .

وتشابه وظيفة اغاء القرية وظيفة الرئيس الحكومي للوحدة الادارية .
فهو مسؤول عن اقرار القانون (حسب المفاهيم العشائرية وحسب تفسيراته
الشخصية) ، كما انه يتولى حل نزاعات القرويين ، ويقوم ايضا بمهام تمثيل
القرية لدى السلطات الحكومية .

ويحتفظ اغاء القرية عادة بعدد من الاتباع المسلحين يدعون باسم
(نوگر) يتصرفون كقوة بوليسية تحت اشرافه . كما انه يستشير ايضا عددا
من اصدقائه المقربين يسمون (ترهاني) في القضايا التى تهم مجتمع القرية وهم

يقومون مقام المجلس الاستشاري • ومن المأدر أن يرجع إلى الأعوات الكبار
أو إلى الأغا الأكبر إلا في القضايا الخطيرة • ويعتبر أعا القرية مسؤولاً عن
رعاية المحتاجين من أبناء القرية وعن إدارة الاحتفالات الجماعية وعن القيام
بواجب الضيافة • أما المكاسب الاقتصادية التي يوفرها له مركزه فهي :

- ١ - ضريبة الحاصل (العشر) •
- ٢ - ضريبة الحيوانات (الكودا) •
- ٣ - هدية (من السكر أو الشاي أو الحيوانات) تقدم في مناسبة الزواج •
- ٤ - هدية تقدمها كل عائلة في مناسبات الأعياد •
- ٥ - هدايا تقدمها عوائل القرية في مناسبات الوفاة (تشتمل على الاحتطاب
أو الفواكه أو الخضروات أو السكر أو الشاي) •
- ٦ - أداء بعض الخدمات الزراعية من قبل القرويين •



أغا القرية مع مجموعة من أبناء قريته

ولقد فقد اعا القرية معظم هذه المكاسب في اوقت احاضر ، وان لم نزل بعض اغوات القرى المنزلة يتمسكون بها . والواقع ان الحصول على تلك المقام يعتمد على درجة نفوذ الاغا وعلى مدى قوة السلطة الحكوميه في المنطقة . ونزعم اعا القرية انه يجمع تلك الضرائب للاتفاق على مضيق القرية .

الكوخا x (١١) :

يعتبر الكوخا ممثلا لناعا المالك ، وهو في الوقت نفسه ضابط الارتباط بين المالك وسكان القرية ، وبينهم وبين السلطات الحكوميه . وتماثل مهامه مهام اعا القرية على نطاق ضيق ، فهو يتولى حل المنازعات الصغيرة التي تحدث بين سكان القرية . اما المنازعات الخطيرة فيعرضها على الاغا المالك ، واذا كانت ذات طبيعة عنائره عرضها على الاغا الكبير مباشرة وربما على الاغا الاكبر . واذا كانت اقربه ملكا لاكثر من اعا واحد عرض الكوخا القضابا الهامة على اعظمهم نفوذا او اقربهم مسكنا من القرية . اما القضاة ذات الصفة الشخصية البحتة فيحلها دون الرجوع الى استشارات خارجية .

ويقوم القرويون بانتخاب الكوخا من اكبر مجموعة قرايه في القرية ، واذا كان سكان القرية يؤلفون مجموعة قراية واحدة انتخب الكوخا من بين اكبر وحدة قراية فيها وتكون عادة اعظمها ثراء . ولا يعتبر الكبر في السن عاملا مهما في اختيار الكوخا ، غير ان التحلي بصفات الرئاسة امر ضروري لمن ينتخب لهذا المنصب . وعلى اية حال فلا بد من الحصول على موافقة مالك

x (١١) الكوخا (او الكاهيا) تحريف شائع لكلمة (كتخدا) . وتعني هذه الكلمة باللغة الفارسية (الوكيل) او (الحارس) او الموظف العالي ، كما انها تعني ايضا الوزير الرئيسي في الحكومة الاقليمية :

Longrigg, "Iraq 1900-1950" P. 352.

القرية على انتخاب الكوخا باعتباره سيكون ممثله ، وهذه النقطة في العادة من الشكليات المعترف بها . وفي بعض الاحيان يقوم المالك بنفسه باختيار رجله المفضل لهذا المنصب ، على الا يتجاوز الشروط المطلوبة . ولا يعتبر هذا المنصب وراثيا ، ومن الممكن ان يعزل الكوخا اذا لم ترض عنه القرية ، غير ان من المؤلف ان يرث ابن الكوخا منصب ابيه .

ومع ان الكوخا يمارس سلطته كوكيل للاغا المالك ، الا ان تلك السلطة مع ذلك ليست مستقاة من وسائل قسرية بل من روابط القرابة ومن لياقته الشخصية . وهو على اية حال لا يصدر قرارات في منازعات القرية من دور استشارة مجموعة من الرجال العقلاء المحبين للوثام والدين يمثلون مجلس القرية (x) .

(x) تنصف القرية او «الجماعة» العربية بنفس السمات والمميزات التي تنسم بها القرية انكردية ، بالرغم من ان القرية الكردية ثابتة كليا ، بينما القرية العربية او «الجماعة» ليست ثابتة تماما . ويسكن «الجماعة» عادة مجموعة قرابية واحدة او وحدات قرابية متعددة . اما نظامهم فهو قبلي كليا ، ولا توجد سوى قرى قليلة يسكنها سكان عبر عشائريين . ويقوم السركال مقام الحاكم الاداري اندي يمثل في الحقيقة «الشيخ» المالك والذي يتصرف كضابط ارتباط بين القرية والسلطة الحكومية . وهو يتمتع بسلطة أقوى من سلطة «الشيخ» عمليا بالنسبة لآباء القرية لانه هو الذي يوفّر العمل الزراعي لهم . وهو يعتبر اثرى شخص في القرية وابرز شخصية في المجموعة القرابية . وبالرغم من ان السلطة الحكومية لها نفوذ شكلي في تعيينه ، الا ان «الشيخ» والاشخاص المعيّنين يتحملون المسؤولية الحقيقية في اختياره . وفي الغرى الكيرة الثابتة يمثل السلطة الحكومية مركز شرطة وينوب السيطرة على القرية بصورة مباشرة ، بالرغم من وجود سركال فيها . وقد اصدرت الحكومة في عام ١٩٥٧ تشريعا لادارة القرية . وباء على هذا التشريع اصبح يعين ضابط الارتباط في القرية الذي يسمى (العمدة) من مسؤولية السلطة الحكومية .

ولا يتمتع الكوخ عادة بأية مكاسب اقتصادية ، غير ان بعض منهم يطالب القرويون بحصة صغيرة من الحاصل وبشيء من حطب الوقود والعلف ، بل وبمبلغ صغير من النقود أحيانا • ومن الشائع ان يقوم القرويون بمد يد المساعدة للكوخا وقت الحصاد •.

التنظيم الاجتماعي لـ عشيرة بشدر :

تتخذ الوحدة الاجتماعية في عشيرة بشدر شكل «قرية» صغيرة مناراضه Compact village تقع ضمن او بجوار الاراضى الزراعية • وتتألف كل قرية من عدد من الوحدات النسبية الابوية Patrilineage • وقد يتسبب ابناء القرية جميعا الى مجموعة قرابية واحدة ، الا ان النموذج العام وجود وحدات قرابية متعددة • وتتألف كل وحدة نسبية من عدد من الذكور والاناث يشتركون في نسب ابوي واحد Agnatic descendants • لثلاثة او اربعة احيال • ويميل اعضاء كل وحدة نسبية الى التجمع ، فحتلون بيوتا متلاصقة Joint houses ، كما يزرعون حقولا متجاورة •.

ويمكن ان نميز في مجتمع القرية ثلاث طبقات اجتماعيه حسب تعريف Weber ، ^(١٢) هي طبقة الاغوات وطبقة النوجر وطبقة العامة •.

طبقة الاغوات :

يمثل الاغوات الطبقة العالية • وتتألف هذه الطبقة من اقربوين الذين ينتمون الى طائفة الميرادولين • ويتمتع اعضاء هذه الطبقة بأعلى مركز في مجتمع القرية • وهم يعملون اما ملاكين صغار او زراعي مستأجرين • ولا يكسب افراد هذه الطبقة أية مزايا اقتصادية ، غير أن افراد الطبقة العامة

(12) Weber, Max, "The theory of social and economic organization" (translated into English by A.R. Henrerson and Talcot Parson), London 1947, P. 390.

قد يؤدون لهم بعض الخدمات الطوعية ، لا سيما وقت الحصاد . وقد تحدث بعض الاستثناءات حينما تفرض تلك الخدمات المجانية على الفلاحين قسرا . وبالرغم من ان الاغوات يعتبرون انفسهم نبلاء العشيرة ، الا انهم لا يمتلكون حقا تقليديا في استغلال او اضطهاد الطبقة العامة . والواقع ان مستوى حياة الاغوات الفقراء يقرب من مستوى ابناء الطبقة العامة ، الا انه مهما بلغ فقر اعضاء طبقة الاغوات فان نساءهم لا يساهمن في الاعمال الزراعية . وهم يختلطون بأفراد الطبقة العامة بلا أية قيود او تحفظات ، كما انهم قد يصاهرونهم ايضا ، غير ان النساء الميراثيات لا يتزوجن من خارج طائفتهم . ولعل هذا اكبر حاجز طبقي يفصل بين طبقة الاغوات والطبقة العامة .

ويكسب الاغا المالك (اغا القرية) مركزا خاصا ضمن طبقة الاغوات ، بسبب كونه مالكا لاراضي القرية . وهو يمثل أعلى سلطه في القرية ، ويطلب بخضوع جميع القرويين لأمرته . ولذلك فان ابناء الطبقة العامة يرفعون اليه منازعاتهم وشكاويهم ليتخذ بشأنها القرار المناسب .

وبالرغم من ان دخل الاغا المالك لا يعبر ضيلا على العموم ، الا ان نفقاته تتجاوز في العادة دخله . لذلك فهو مدين على اندوام للمرايين والتجار . اما نفقاته فتشمل المصاريف البيئية ومصاريف الاتباع ومصاريف المضيف .

وتكون المصاريف البيئية مصدرا هاما من مصادر الفقات ، ولكنه ليس اهمها دائما . ويتمتع الاغا عادة بمستوى حياة مرتفع نسبيا ويحتفظ بعائلة ضخمة . ويتميز بيته بجودة بنائه بالنسبة لبيوت القرية ، واحتوائه على بعض الاثاث الحديث كالاسرة الحديدية والكراسي والخزائن الخشبية . وتشتمل وجباته الغذائية على الرز واللحم ، اضافة الى المواد المعتادة . ومع ان ملابسه تماثل الملابس القروية لكنها افضل نوعية ، وقد يكون قماشها من

صنع اوردبي او ياباني • ويرتدي نساؤه ملابس افضل ويتحلين بالحلى
والمخشلات •

اما مصاريف الانباع فتوقف على مقدار عددهم الذى يتناسب مع نروة
الاغا • وينبغي ان يمد الاغا اتباعه بالاسلحة والذخيرة والخيول ، كما انه
مسؤول عن الصرف على عوائلهم • وما دامت اهمية الاغا المالك ومكانته
تقاس بعدد اتباعه ، فان البعض منهم يحتفظ بعدد يفوق ما يتحملة دخلهم ،
حيث يصبحون عبئا حقيقيا على ميزانيتهم •

اما المضيف فقد يستهلك بعض الاحيان النصيب الاعظم من ميزانية
الاغا ، ذلك ان حجمه ونفقته يعتبران من اهم الدلائل الاجتماعية على مكانته
الاغا المالك • ويشتمل مضيف اغا القرية على غرفة منفصلة في بيته ، غير ان
الاغوات الكبار يحتفظون ببنية مستقلة تضم غرفة واحدة على الاقل مزودة
بالسجاد والكراسى الخشبية • ويصير الاغا المالك مسؤولا عن تقديم المأوى
والطعام في مضيفه لكل غريب وجيه يمر بالقرية • وينبغي ان يدعو القرويين
لاحتساء الشاي والقهوة ولتناول الطعام في المناسبات المختلفة •

وبالرغم من ان عائلة الاغا المالك تتمتع بأعلى مركز في القرية ، لكن
هذا المركز لا يفرض وضعا خاصا بها • وتقوم زوجات الاغا وبناته بنفس
الاعمال البيتية التى تقوم بها نساء القرية كالطبخ والتنظيف والعناية بالحيوانات ،
لكنهن لا يساهمن بالاعمال الزراعية مهما دعت الحال •

ويتعلم اولاد الاغا الكتابة والقراءة والقرآن على يد ملا القرية • ويقوم
الابناء الكبار بمهام السكرتيرية لابيهم ، كما يراقبون اعمال الزراعة المستأجرين •
ويحتفظ الاغا المالك عادة باكثر من زوجة واحدة ، وقد يصلن الى اربع
زوجات • وبما ان الزوجات يشاركن في الاعمال البيتية ، فان عددهن يصبح
رصيدا اقتصاديا لا سيما وان الاحتفاظ بمضيف والعناية بالحيوانات يتطلب

عملا كثيرا • فضلا عن ذلك فقد يرمي الاغا المالك من وراء العائلة الكبيرة الى اهداف سياسية ايضا • (فهو ينجب اكبر عدد ممكن من الابناء الذين يخلصون له اخلاصا تاما ، وينصب كل واحد منهم لادارة قرية من قراه او مجموعة من القرى فيحقق بذلك غرضا سياسيا) • (١٣)

اما زواج الاغا المالك فهو في الغالب زواج داخلي Endogamous ، لكن باستطاعته ان يختار زوجة من اية طائفة يشاء • وهو لا يدفع صداقا للزوجة ، لكنه قد ينفق مبلغا من المال يتجاوز بضعة مئات من الدنانير على الملابس والاثاث والحلي •

طبقة النوجر :

سبق ان ذكرنا بان كل اغا مالك يحتفظ بعدد من الاتباع يمثلون قوته الحقيقية ، وهؤلاء الاتباع مدججون بالسلاح دائما (حزام ذخيرة وخنجر ومسدس وبندقية) • وهم يمثلون القوة البوليسية والحرس الخاص بالاغا • وتعتمد مكانة الاغا السياسية على مدى اخلاص هؤلاء الاتباع وعلى شدة عنفهم تجاه خصومه • وقد يحدث ان يلجأ أولئك الاتباع الى السلب ، وعندئذ يتقاسمون مع الاغا اسلحتهم • وهم يتولون ايضا ادارة شؤون المضيف ، كما يتولون مهمة ضبط الارتباط بين الاغا وقراه الاخرى • وبمثل هؤلاء الاتباع نفس الجماعات التي وصفها ملنج Millingen قبل حوالي قرن في منطقة شرقي كردستان بقوله : (يحتفظ كل رئيس للعشيرة او رئيس لمنطقة بعصبة من معاونين يكون من جملة اعضائها اقرباؤه المقربون • وتتولى هذه العصبة مهمة تسوية الخلافات التي تنشأ للرئيس مع الآخرين عن طريق القوة) (١٤) •

(13) Johnson, J.C.A., "The Kurds of Iraq" Geog. Mag., vol. X, 1940, P. 392

(14) Millingen, F., "Wild life among the Kurds" London 1870, P. 239.

ويختار الاغا اتباعه من افراد الطبقة العامة العشائريين الذين يسنطون
في الاصل قرى اخرى . وهم يمتون الى طوائف وتيرات مختلفة ، كما انهم
قد يضمنون ايضا بعض اقربائه الفقراء . ويعتبر الاغا مسؤولا عن جميع
نفقات هؤلاء الاتباع هم وعوائلهم ، بالرغم من انهم يضمنون اغلب اوقاتهم في
بطالة وكسل .

ان مركز افراد النوجر في مجتمع القرية اعلى قليلا من مركز
العامة ، وهو مستمد من الخدمات التي يقدمونها للاغا المالك ، ومن تميزهم
بالبطش . ولا يوجد اى حاجز حقيقي يفصل طبقتهم عن طبقة العامة .

طبقة العامة :

تشتمل طبقة العامة على افراد العشيرة الاعياديين الذين يعملون بالزراعة ،
واغلبهم زراع مؤجرين (بالمحاصة) يتعمون الاغا الميرادلي . وهناك عدد
ضئيل منهم من الملاك الصغار . ونادرا ما يمتلك هؤلاء الزراع اراضى ذات
ري صناعي ، بل يمتلكون قطعا من اراضى التلال والمرتفعات التي لا تصلح
الا لزراعة الحبوب . اما الزراع المؤجرون فيمتلكون حقا تقليديا موروثا
في زراعة حقول معينة هو حق المزارعة ، غير انهم لا يحصلون على اى معونة
مالية من الاغا المالك وينبغي ان يعتمدوا على انفسهم كليا . ويمتلك كل زارع
عددا من الحيوانات التي يحق له رعيها في مراعي القرية المشتركة .

وبما ان سكان القرية يتألفون من مجموعات نسبية ، فليس هناك سوى
فروقا اجتماعية ضئيلة بين افراد الطبقة العامة . ويرتبط القرويون بروابط
قوية يزيد من متانتها نظام الزواج الداخلي . غير ان العضوية في وحدة
قراية ضخمة متمكنة تكسب الفرد القروي مركزا افضل .

اما القرى التي تسكنها عدة وحدات نسبية ، فان العضوية في الوحدة
النسبية هي التي تميز الفرد في مجتمع القرية ، وتصبح العضوية في الوحدة

السبب بذلك اكثر اهمية من العضوية في عائلة معينة • ومع ذلك فان العلاقة ضمن الوحدة السببية لا تتطور الى درجة التحزب ، كما انها لا تتجاوز مجرد الاشتراك في احتفالات المناسبات • ويعود ذلك الى المميزات الخاصة التي تميز اسبب الكردي Kurdish lineage والتي حددها بارث Barth على النحو التالي :

(ان الاسباب الكردية هي ليست احزاب Factions منظمة ضمن المجتمع كما هو الحال في اغلب المجتمعات الاخرى • وكذلك امر المجموعات القرابية • فنظرا للمعدل العالي لحالات الزواج من الاقرباء ، فقد اصبح النسب الكردي ، بل وحتى الوحدة السببية هبوطا الى مستوى القرية ، داخليا ومعزولا اجتماعيا فضلا عن انه معزول جغرافيا ايضا) (١٥) •

وقاس مركز القروي بمركز وحدته السببية Lineage group الذي تتوقف مكانته على العدد والثروة • لذلك فلن العضوية في طائفة نورالدين مثلا ، وهي اكبر طائفة في العشيرة ، تجذب احتراما اكبر • ويميز الاغوات افراد طائفة نورالدين عن بقية الطوائف الاخرى بنسبتهم (معقول) • عبر ان التقدير الفردي يصبح اكثر وضوحا في القرى التي لا يقطنها الاغوات • وتخفي الطبقات تقريبا في امثال هذه القرى وتحل محلها المكانة الاجتماعية Social standing التي لا ترتفع الى الطبقة الاجتماعية • ومن اهم الصفات التي تكسب المرء مركزا في مجتمع القرية هي الكبر والسمعة الطيبة والتدين •

ويغير وجود طبقة الاغوات في مجتمع القرية من اساس المكانة الاجتماعية بدرجة عظيمة • ففي حالات كثيرة تظهر مجموعة متميزة من طبقة العامة يطلق عليها اسم (ترخاني) • ويتمتع اعضاء هذه المجموعة بثقة اغا القرية

(15) Barth, P. 75.

وبالنسبة إلى يصبحون بمثابة المجلس الاستشاري له ، وما هم في الحقيقة سوى مؤيديه بشكل أو بآخر . ويتمتعون بمركز أعلى في مجتمع القرية ، ويعملون في الغالب من الضرائب الزراعية والحيوانية . ويتبوا أمثال هؤلاء الأشخاص مركزاً عالياً ضمن وحداتهم النسبية أو مجموعاتهم القرابية .

وتنضيق المسؤوليات المشتركة ضمن مجتمع القرية إلى درجة تقتصر فيها على أصغر مجموعة قرابية . فالنزاع الذي يحدث بين فردين من أنساب مختلفة لا يؤدي إلى اشتراك بقية أعضاء النسبين في النزاع . كذلك فإن النزاع بين شخصين من مجموعتين قرابيتين مختلفتين لا يجر إليه سوى الأفراد من ذوي القربى الشديدة .

ولا تتجاوز الالتزامات العشائرية حدود القرية إلا في ميدان العلاقات الاجتماعية ، مثل تبادل الزيارات والهدايا في الأعياد وفي حفلات الزواج والوفاء . ولا تظهر وحدة العشيرة إلا في حالة واحدة فقط ، وهي حالة الدعوة إلى القتال ، إذ تساهم كل طائفة وتيرة بمجموعة من المسلحين تحت قيادة رؤسائهم . وتنضوي تلك المجموعات جميعاً تحت لواء واحد وقيادة عامة تتولاها طائفة الميرادولين .

التنظيم العشائري لعشيرة الجاف

يرجع أصل عشيرة الجاف إلى منطقة جوانرو في كردستان إيران ، وما يزال يعيش بعض أقسامها هناك حتى اليوم . وتحتل في الوقت الحاضر منطقة واسعة بين قزير رباط في لواء ديالى وناحية بنجوين في أقصى الشمال الشرقي للواء السليمانية (×) .

وتزعم مصادر العشيرة بأن عددها كان حوالي ستمائة عائلة فقط حينما هاجرت إلى منطقة السليمانية في منتصف القرن الثامن عشر . وبعد مضي

(×) لقد استقر الغالبية العظمى من أفراد هذه العشيرة إلا القليل منهم ، وهؤلاء يعسكرون في سهل كركوك شتاءً وفي هضبة بنجوين صيفاً .

قرن من الزمن تجاوز عددها عشرة الاف عائلة • ولا يعزى هذا النمو الى زيادة طبيعية بطبيعة الحال ، بل الى ذوبان عشائر اخرى فيها • والواقع ان عشيرة الجاف التي كانت تمتلك قوة حرية ضخمة قد صهرت جميع العشائر الضعيفة في منطقة نفوذها • فهي اذن عبارة عن «اتحاد» بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وليس ثمة رابطة سب تربط اقسام العشيرة المختلفة • ويشتمل هذا «الاتحاد» على الاقسام التالية : (١٦)

ميكائيلي - نوردي - باسكي - كلالي - ريوخزادي - هارونسي - شاطري - ترخاني - نردان باخشي - تيله كوه - ساداني - آمالي - ابري - يافغوزي - شيخ اسماعيلي - سوفيواند •

ولقد تبشر اغلب هذه الاقسام في السنين الاخيرة وكون ما يشسبه العشائر المستقلة •

التنظيم السياسي لعشيرة الجاف

يمكن القول ان التنظيم السياسي الحالي لعشيرة الجاف هو تركه موروثه تستند الى نظام اقتصادي مغاير للنظام الحالي ، ونقصد به النظام الرعوي الذي كان قد فرض الحياة المترحلة على افراد العشيرة •

وقد تبلور فيها نتيجة لذلك نظام سياسي يختلف عن نظام عشيرة بشدر المستقرة • وقد كان ذلك النظام طبقا في جوهره الا انه متأثر بنظام النسب Lineage system اكثر من تأثر نظام عشيرة بشدر •

وتسبب قلة هذا النظام الطبقي طائفة اليكزادة التي تنقسم الى ثلاث تيرت هي بهرام بيك وكيسخروبيكي و ولدبيكي • اما بقية طوائف العشيرة فهي متساوية في مكائنها الاجتماعية • وتعتبر طائفة اليكزادة الطائفة

(16) Driver, "Kurds and Kurdistan" London 1920, PP.110-111.

الحاكمية في العشيرة ، شأنها شأن طائفة انيراودلين في عشيرة يشدر . ولا يمارس اسلطة في هذه الطائفة سوى الرؤساء الفعليين ، بينما يؤلف بقية الاعضاء طقة النبلاء في العشيرة دون ان يحصلوا على اية امتيازات فعلية . وتنحصر وظيفتهم السياسية في دور المستشارين للرئيس الاعلى ، وهم في العادة من بين اكثر اعضاء العشيرة ثراء ، اذ يمتلكون أراضي واسعة وعددا كبيرا من الحيوانات . وهناك مركزان مهمان يتحكمان في التنظيم السياسي للعشيرة وهما مركز الرئيس الاعلى ومركز «الرئيس» .

الرئيس الاعلى :

كان تبوأ هذا المنصب ، الذي يعتبر حكرا لثيرات اليكزادة الثلاث ، يتأثر بعوامل خارجية وداخلية . وقد استمدت العوامل الخارجية اهميتها من الموقع الجغرافي الاستراتيجي لمطقة الجاف . وكانت تلك المنطقة مشارة للتنافس والنزاع بين الدولتين الفارسية والعثمانية ، وكانت كل منهما تحاول صمان رئيس للعشيرة موال لها . اما العوامل الداخلية فترتبط بدرجة توفر صفات الزعامة في الشخص المرشح ، كالثروة والقوة والمقدرة الشخصية . غير ان هذا المنصب كان يخضع أيضا لنظام الوراثة التسلسلي الا اذا فقد ابناء الرئيس الاعلى لياقتهم الشخصية .

ولا يستمد الرئيس الاعلى تأييده الفعلي المباشر من طائفة اليكزادة بل من جماعة البشتمالا (x) .

ويتألف البشتمالا من اعضاء من مختلف الطوائف . ويختلف عددهم حسب رغبة وحاجة الرئيس الاعلى ، الا انهم قد يتجاوزون مائة وخمسين

(x) لقد اشتقت هذه الجماعة اسمها من تخيير اعضائها مع اسرهم حول خيمة او بيت الرئيس الاعلى .

تالما • وهم يتصرفون كقوة بوليسية ، شأن جماعة اسوجر في عشيرة بشدر ،
كما يعملون كحرس شخصي للرئيس الاعلى •

ونكاد نذكر مهام الرئيس الاعلى في عشيرة النجاف مهام الاغا الاكبر في
عشيرة بشدر ، سوى انها اكثر تطبيقا لضرورات واحتياجات حياة العشيرة
الرعية • ويمكن تلخيصها على الوجه التالي :

١ - يقوم بوصية امرشد الاكبر للعشيرة في حياتها الاقتصادية ، فيتولى
توجيه وتنظيم الفعاليات الرعية • لذلك كان لا بد له ان يمارس نفس
الحياة المرحلة التي يمارسها العشيرة فيصاحبها في هجراتها الصيفية
والشتوية •

٢ - يمثل العشيرة امام السلطات الحكومية في كافة الامور المتعلقة بها •
٣ - يقوم بمهام رئاسة القضاء العشائري ، وهو الذي يصدر القرار
النهائي في المنازعات والخصومات العشائرية •
٤ - يتولى منصب امائد الاعلى للعشيرة في حال دخولها الحرب ضد العشائر
الاخرى •

اما المزايا الاقتصادية التي ترتبط بهذا المنصب فهي :

- ١ - ضريبة سنوية على حيوانات العشيرة تبلغ ٥٠/١ (x) •
 - ٢ - ضريبة الزواج السماعة (سورانه) •
 - ٣ - ضريبة يدفعها اللاجئون الى حمى العشيرة •
- الرئيس :

ينطبق على الوسيط المباشر بين الرئيس الاعلى وبقية اقسام العشيرة

(x) كانت الحكومة التركية قد كللت في الاصل الرئيس الاعلى
لجميع الضريبة على الحيوانات من ابناء عشيرته نيابة عنها ، لكنه لم يكن
يدفع اليها من تلك الضريبة سوى مبلغا اسميا •

اسم «الرئيس» • (x) والرئيس في الحقيقة عبارة عن رئيس التسيير • ويجدر بالذكر ان تيرة عشيرة الجاف المترحلة ، وهي في الاساس مجموعة نسبية ، تتمتع بتضامن عظيم كوحدة اجتماعية وسياسية ، وهي اعظم اتحادا من تيرة عشيرة بشدر المستقرة • ويرجع ذلك الى عاملين :

- ١ - بما ان اعضاء التيرا يهاجرون عادة سوية ويقيمون في منطقة واحدة من اراضي المراعي فليس هناك اي حاجز جغرافي يحطم وحدة التيرا •
- ٢ - بما أن الروابط الاقتصادية بين هوزات التيرا (الاسر الواسعة) قوية للغاية بطبيعة حياتهم الرعوية ، وبما ان التيرا تنتمي الى سلف مشترك ، لذلك فانها تراث مراعي مشتركة • وهكذا تضطر اقسامها المختلفة الى التعاون سياسيا واقتصاديا في الفعاليات الاقتصادية (الهجرة والرعي) وفي الفعاليات السياسية (القتال) •

وتشبه وظيفة الرئيس وظيفة الكوخا في عشيرة بشدر ، لكن الرئيس اكثر استقلالا • فهو يرجع في القضايا العامة التي تهم العشيرة الى الرئيس الاعلى ، لكنه حر التصرف في القضايا التي تتعلق بالتيرا • اما القضايا التي تهم طائفة بالذات فتتولى حلها مجلس خاص يتألف من رؤساء التيرات • ويمكن تلخيص مسؤوليات الرئيس على الوجه التالي :

- ١ - يعتبر وكيل الرئيس الاعلى لدى التيرا ويجمع له الضرائب والاموال ،
- ٢ - يقوم بوظيفة ضابط الارتباط بين الرئيس الاعلى والتيرا •
- ٣ - يعتبر ممثلا لتيرته في القضايا التي تهم الطائفة بأجمعها او العشيرة بأكملها •
- ٤ - يقوم بدور المحكم (الوسيط) الرئيس في المنازعات التي تنشأ بين اعضاء التيرا •

(x) ويطلق عليه ايضا لقب « الكوخا » •

٥ - يعتبر الموجه والمرشد الرئيسى في الفعاليات الرعوية للتيرا •

٦ - يتولى قيادة التيرا في المارك الحربية •

ولا تستمد سلطة الرئيس من قوة رادعة ، بل من روابط القرابة التى تربطه بأعضاء التيرا ، وهى أشبه بسلطة أبويه • ولعل ذلك يوضح اسباب تسمية التيرا عادة باسم رئيسها •

ويتطلب منصب الرئيس شروطا معينة تجعل منه منصبا وراثيا على وجه التقريب • فهو ينحصر في الوحدة النسبية الرئيسية في التيرا ، وفي أكثر الاشخاص ثراء ضمن تلك الوحدة •

ولا ترتبط بهذا المنصب اية مزايا اقتصادية سوى اعفاء الرئيس من اضرائب المفروضة على ابناء العشيرة • اما مزاياه السياسية فتقتصر على ما ياله الرئيس من احترام وطاعة •

ان هذه الدراسة للتنظيم السياسي للعشيرة تنحصر بالجماعات الرحل من عشيرة الجاف • ويجب ان نوضح بان بضعة الاف فقط من عشيرة الجاف ما يزالون متمسكين بحياتهم الرعوية وبمثل هذا النوع من التنظيم السياسي • اما بقية افراد العشيرة فقد هجروا حياة الترحل كليا وتحولوا الى الزراعة • ولقد مر انتقال العشيرة من الترحل الى الاستقرار بالخطوات التالية :

كانت جميع اقسام العشيرة معقدة على ممارسة الهجرة الفصلية بين سهول نواء كركوك ومرتفعات منطقة اردلان في غربي ايران • وكان من عاداتها ان تمضى الشتاء في سهول كركوك والربيع في سهل شهرزور والصيف في مرتفعات اردلان • ثم اخذت هذه الانتقالات الفصلية تواجه المصاعب والمقبات عقب الحرب الكبرى الاولى ، فقد نتج عن تعاظم سيطرة السلطات الادارية تأييد المزارعين في شكاويهم ضد الرعاة وما تسببه حيواناتهم من اضرار

للحقول ، وبالتالي تقييد حركة حيوانات العشيرة . ومن الجهة الأخرى عمدت السلطات الإيرانية الى فرض ضرائب باهضة على عبور حيوانات العشيرة الى مراعيها في اردلان . وقد أدت هذه الاجراءات بمجموعها الى تحول عدد كبير من اعضاء العشيرة الى الزراعة . وقد سبق تلك الاجراءات السياسية ايضا عامل اجتماعي اوضحه سور Soane على النحو التالي :

(نقد صل القسم الارستقراطي من عشيرة الجاف ، وهو طائفة ابيكرادة ، يحتكر رئاسة العشيرة الى عهد محمود باشا الذي ترك عد وفاته في نهاية اقرن التاسع عشر ثلاثة ابناء هم عثمان ومحمود ومحمد علي . وقد أدت وفاته الى انقسام العشيرة ، فنولى محمود باشا مسؤولية رعاية الجماعات الرحالة ، فكان يصاحبهم في هجراتهم الربعية والخريفية فيما بين حلبجة وسهل شهرزور بين المرتفعات والمنخفضات . واسنولى عثمان باشا على جولامبار وارضى شهرزور واحتكر لنفسه حكم المنطقة . اما الابن الثالث محمد علي فقد بقي في قرلرابط (في لواء كركول) مكثما يادارة اراضيه الزراعية وبساتينه) (١٧) .

وهكذا يبدو بان اقسام العشيرة قد بدأت بالاستقرار منذ نهاية القرن التاسع عشر ولا سيما في ممتلكتي عثمان باشا ومحمد علي بك . وكانت تلك العملية بطيئة نوعما في البداية ، الا انها تسارعت عقب الحرب العظمى الاولى نتيجة للعوامل السياسية التي سبقت الاشارة اليها . والواقع أن عددا كبيرا من افراد العشيرة هجروا عشيرتهم واستوطنوا في اراضى غريبة لم تكن حزما من مراعي العشيرة التقليدية . ولقد أثرت عملية الاستقرار هذه تأثيرا عظيما في التنظيم الاجتماعي والسياسي للعشيرة .

(17) Soane, PP. 223-4.

وكان التغير في التنظيم السياسي عظيم جدا ، بل ومميتا للنظام العشائري في الحقيقة ، اذ اثر في كل من تركيب ورئاسة العشيرة . فلقد تآثرت العشيرة الى اجزاء صغيرة تتألف من طوائف او تيرات او هوزات متفرقة ، واصبحت مستقلة كليا تقريبا عن بعضها البعض وعن العشيرة الأم . وهذا الانحلال امر طبيعي بعد ان فقد الدافع الحربي اهميته ، وهو الدافع الذي كانت تقتضيه حياة العشيرة الرعوية والذي كان يضمن لها حماية المراعي ونهب المزارع .

كذلك فقدت طائفة اليكزادة اهميتها السياسية ، ولم تعد الاقسام المختلفة من العشيرة تعترف باسرة معينة من تلك الطائفة كزعيمة للعشيرة ، واقتصر ولاء الفرد العشائري على الاسرة المالكة لارضه . ولم تعد هناك اية التزامات سياسية تقع على عاتق طوائف او تيرات العشيرة المختلفة نحو طائفة اليكزادة ، واقتصرت تلك الالتزامات على المجاملات المحضة . وتتمثل تلك المجاملات في الولاء الذي يظهره ريس كل تيرة او رئيس كل طائفة نحو ابرز شخصية في طائفة اليك زادة في مناسبات الاعياد واحتفالات الزواج والوفاة . وقد برجع اليه ايضا في الشؤون الخطيرة التي تهم اعضاء تيرته طالبا منه التوسط لدى السلطات الحكومية .

ان ضعف السلطة السياسية للرئاسة العشائرية اقديمة هو نتيجة منطقية لانتقال العشيرة من حياتها الرعوية المترحلة الى حياة الزراعة المستقرة . فقد كان الرئيس يمارس سلطته السياسية باعتباره قائدا للعشيرة ومنظمها لفعاليتها الاقتصادية . ولقد اصبحت العلاقات الجديدة بين افراد العشيرة مستقرين واسرة الرئاسة شبيهة بعلاقة الزراع المستأجرين بمالك الارض . والواقع ان معظم افراد اليكزادة قد تحولوا الى ملاكين غائبين يتمهدون تزويد فلاحهم بالالات والبذور وقيمون في المدن الكبرى ، في حين ان الملاكين الميرادلين في عشيرة بشدر لا يساهمون باية عملية زراعية بل يكتفون باستيفاء حصتهم من الحاصل الزراعي .

وقد طرأ على وظيفة الرئيس أيضا تغير جوهري وفقدت أهميتها
أساسية ، غير انها احتفظت بمعظم مظاهرها الاجتماعية . فما يزال أعضاء
ائيرا يرجعون الى الرئيس في خصوصياتهم ومنازعاتهم ويسأونه التوسط في
حلها ويقبلون بقراره النهائي . كما انهم ما زالوا يكلفونه بمثيلهم امام امانات
وامم السلطات الحكومية ، لا سيما في قضاياهم الخطيرة . وما يزال منصب
الرئيس يتطلب توفر الشروط القديمة . فلا بد للمرشح ان يكون تعبعا لوحدة
انسية الرئيسية في التيرا او الى اكبر مجموعة قراية في الوحدة ، كما ينبغي
ان يكون من اكثرهم ثراء . ويؤثر مدى نفوذه لدى السلطات الحكومية في
الوقت الحاضر تأثيرا كبيرا في لياقته للمنصب .

التنظيم الاجتماعي لعشيرة الجاف

يستند التنظيم الاجتماعي لعشيرة الجاف على قاعدة النظام النسبي الذي
يصاحبه تضامن اجتماعي وسياسي وتعاون اقتصادي . لذلك تعدم الطبقة
ضمن الطائفة او التيرة . وهذا امر طبيعي نتيجة لروابط النسب المتينة التي
تربط ما بين أعضاء كل طائفة او تيرة ، هذا فضلا عن ان الطبقة لا تناسب
الحياة المرحلة البسيطة . وما دامت طائفة اليكزادة الحاكمة تمارس حياة
مستقلة تمام الاستقلال عن العشيرة ، وما دامت بقية الطوائف والتيرات مستقلة
عن بعضها اجتماعيا واقتصاديا ، فان الطبقة الاجتماعية ضمن التيرة الواحدة
تصبح امرا غير عملي . غير ان مكانة الفرد ضمن وحدته النسبية تعتمد على
الثراء ، لذلك يصبح الثراء المصدر الوحيد للنفوذ .

ولقد اثر اتجاه العشيرة نحو الاستقرار في بنائها الاجتماعي ، وان كان
اقل من تأثيره في تنظيمها السياسي . ويختلف هذا التأثير حسب نوع وطبيعة
الاستقرار وحسب طوبوغرافية المنطقة . وقد احتفظ النظام النسبي بسيطرته
على النسق الاجتماعي . فعلاقات التيرات المختلفة ضمن الطائفة لا تتجاوز

تبادل ازيارات والهدايا في الاعياد والاحتفالات المختلفة • ولا توجد اية اعتبارات سياسية تربط تيرة بأخرى وتحملها مسؤوليات معينة • اما العلاقات بين الوحدات النسبية المختلفة ضمن تيرة الواحدة فتختلف حسب طوبوغرافية المنطقة • فاذا كانت التيرات تحتل منطقة واحدة ذات تضاريس مفتوحة ، فان مصامها يظل قويا وفعالا • وهي تنصرف في الغالب كهيئته واحدة لحمايته مصالحها ضد أي اعتداء • وهكذا تلتزم كل وحدة نسبية في التيرا بمسؤولياتها السياسية • اما اذا كانت تضاريس المنطقة وعرة فان مسؤوليات السياسية تضعف كليا حتى تكاد تلاشي ولا تحتفظ بفعاليتها سوى الالتزامات الاجتماعية •

لقد قضى تحول العشيرة نحو الزراعة اذن على معظم الصلات والالتزامات العشائرية القديمة ، غير ان الوحدة النسبية ما تزال تحتفظ بطابعها القديم • وتحتل كل وحدة نسبية بضعة قرى صغيرة متجاورة • وتمثل اغلب تلك القرى مراعي العشيرة القديمة • فاذا سكنت القرية وحدة نسبية واحدة احتفظ افرادها بدرجة عالية من التضامن الاجتماعي والسياسي • فاذا اشتبك احد ابناء القرية مثلا في نزاع مع شخص من قرية اخرى ، ساهم جميع افراد القرية في النزاع • غير ان هذا التضامن يتضاءل في القرى التي تسكنها أكثر من وحدة نسبية •

ويرأس الوحدة النسبية الكوخا ، وهو في الوقت نفسه رئيس القرية • ولا بد ان يكون المرشح لهذا المنصب اعظم الاشخاص نفوذا ضمن مجموعته القراية • ويمثل الكوخا القرية امام المالك وامام السلطات الحكومية ، كما انه يتصرف كضابط ارتباط بين رئيس التيرة وبين الوحدة النسبية •

ولم تبلور بعد الطبقة الاجتماعية في المجتمعات الزراعية الجديدة لعشيرة الجاف ، وان كانت تجتاز في الوقت الحاضر تطورا سريعا • وتعتمد مكانة الفرد على امرين ، الاول عدد ومكانة مجموعته القراية ، والثاني درجة

ثرائه • وقد ضعف تأثير العامل الاول بالنظر لان معظم القرى تشتمل على وحدة سببية واحدة ، كما ضعف تأثير العامل الثاني نظرا لان معظم ابناء العشيرة قد اصبحوا زراع مستأجرين لدى ملاكي البيكرادة •

اما الذين استقروا في اراضي تعود لملاك غير عشائريين فقد استقلوا كليا عن عشيرتهم • بل انهم تخلوا حتى عن تسميتهم القديمة (كرد) ، واستعاضوا عنها بتسمية جديدة هي اما (گوران) او (مسچين) ، وقد اصبحت هذه التسمية رمزا لتبعية الجديدة وعلامة على انفصالهم عن عشيرتهم • وقد ظل عدد قليل جدا منهم يحافظ على صلاته مع تيراته ووحداته النسبية • واخيرا لا بد من القول بان عشيرة الجاف قد فقدت كيانها السياسي اعديم ، وان العلاقة الجديدة بين ابناء العشيرة ورؤسائها تنحصر فيها في الوقت الحاضر المصالح الشخصية لا الروابط القبلية التقليدية •

مميزات النظام العشائري الكردي

لا بد لنا لكي نتعرف على اهم مميزات النظام العشائري الكردي من ان نستعرض ثلاث نقاط رئيسية هي : الرئاسة العشائرية ، والحروب العشائرية ، والالتزامات العشائرية •

الرئاسة العشائرية :

يمكننا ان ندرس مميزات الرئاسة العشائرية الكردية من خلال ناحيتين ، الاولى مؤهلات الرئاسة والثانية مزايا الرئاسة •

مؤهلات الرئاسة :

تشق رئاسة العشيرة الكردية من الحاجة الى تنظيم وتوجيه النشاطات المختلفة للعشيرة ، ومع ان منصب الرئاسة وراثي في العادة ، الا انه يتطلب مؤهلات معينة قد فرضتها الظروف الجغرافية لمنطقة كردستان • واهم تلك المؤهلات القوة الحربية والثروة واللياقة الشخصية •

فالقوة الحربية ميزة ضرورية للغاية ان لم تكن شرطاً أساسياً لرئاسة
عشيرة اكردية ، ذلك ان القتال يعتبر وحياً مهماً من نشاطات العشيرة •
وإذا ما تذكرنا ان العشيرة الكردية هي مجموعة من الطوائف (الأفخاذ)
ترتبط بعضها عن طريق السكنى في ارض معينة واخضوع الى رئاسة معينة
ادركنا أهمية تمتع الرئيس بالقوة الحربية • والواقع ان الطائفة التي تحصر
فيها الزعامة لا يمكن ان تحتفظ بزعامتها ان لم تكن متمتعاً بقوة تؤهلها
للمسيطرة على بقية الطوائف والدفاع عن العشيرة تجاه غارات الأعداء •

ان نواة اقوة الحربية التي يحتفظ بها الرئيس هم «الأتباع» • لذلك
كان عدد الأتباع ذا أهمية بالغة من وجهة نظر أبناء العشيرة انفسهم او افراد
العشائر الأخرى • ويقوم الأتباع بالإضافة الى أعمالهم الحربية بحماية
الرئيس وبتأديب معارضيه • وتعهد الرئيس بدوره بالانفاق عليهم وعلى
عوائلهم • ويختار الرئيس هؤلاء الأتباع من شتى الطوائف ، وهم لا
يرتبطون مع بعضهم برابطة السب ، الا انهم يشتركون بصفة واحدة هي
عدم ارتباطهم بعمل ثابت ، واغلبهم رعاة في الأصل ، وهؤلاء بدورهم يكرهون
الارتباط بعمل نمطي ويميلون بطبيعة حياتهم البدوية الى القتال •

اما الثروة فهي صفة ضرورية للرئاسة لانها ترتبط بعدد الأتباع وبدرجة
ضيافة الرئيس • وقد ذكرنا أهمية عدد «الأتباع» ، ويمكن القول ان درجة
الضيافة لا تقل أهمية في اثرها عن عدد الأتباع • ونحدد درجة ضيافة الرئيس
نوع «المضيف» الذي يتعهد الانفاق عليه • فكلما اتسع هذا المضيف وكثر
عدد زواره ارتفعت سمعة الرئيس وازداد نفوذه • ويمكن القول ان «المضيف»
يعتبر رمزاً لوحدة العشيرة • ففيه يعلن رؤساء الطوائف عن ولائهم
للرئيس ، ويبين جذرائه يشعر افراد العشيرة بالامان والاطمئنان • ولعل
ابرز دليل على أهمية الضيافة للرئيس العشيرة هو ما يقوم به رؤساء العشائر

بأفضل من اتفاق اغلب وارداتهم على المضيف ، حتى ان بعضهم كثيرا ما يضطر الى الاستدانة من التجار والمرايين •

اما اللياقة الشخصية التي لا بد للرئيس من التحلي بها فتشمل بنوفس صفات متعددة اهمها الشجاعة والتدين والذكاء • فالشجاعة صفة ضرورية للرئيس ما دام النظام العشائري يعرض العشيرة لحروب مستمرة ، وما دام رئيس العشيرة مسؤولا عن القيادة الحربية • اما التدين فهو صفة مهمة في رأى الاكراد • واذا كان الرئيس ذا نسب او صفة دينية ، كان مركزه اقوى وارسخ • ولعل ذلك يعلل لنا كثرة رؤساء العشائر ممن يحملون القابا دينية في كردستان مثل (الشيخ) و (الملا) • اما الذكاء فيساعد الرئيس على توسيع نفوذه داخل العشيرة (بين الطوائف) وخارجها (بين موظفي الحكومة) •

مزايا الرئاسة :

تضمن رئاسة العشيرة الكردية ثلاث مزايا للرئيس هي السلطة المطلقة ورئاسة القضاء العشائري والسيطرة على اراضي العشيرة ••

واما السلطة المطلقة فهي صفة مميزة للرئاسة في العشيرة الكردية ، وان كان الرئيس يقوم في العادة باستشارة الرؤساء الصغار او الرجال المسنين في العشيرة • ويقول نيكيتين Nikitine انه متى ما تسلم الرئيس العشائري سلطاته فليس للفرد العشائري ان يناقش مدى نفوذه في اية قضية كانت • (١٨) ويقول مينورسكي Minorisky انه في كثير من مناطق كردستان ينظر الى الاغا الرئيس كأنه الغازي المنتصر والى الرعية كأنها من جنس اخر • (١٩) اما ملنجن Millingen فقد وصف سلطة الرئيس العشائري الكردي بقوله:

(18) Nikitine, "Les Kurds" Paris 1956, P. 133.

(١٩) ف • مينورسكي : «الاکراد ، ملاحظات وانطباعات» ترجمة الدكتور معروف خزنة دار ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٣٥ •

(ان الرئيس العشائري الكردي هو ديكتاتور مطلق ولا حد لسلطانه • وبوجهه ان يصادر ممتلكات اى فرد عشائري وان يأمر بقتله متى ما وجد ذلك مناسباً) (٢٠) •

وتعد قرارات الرئيس في شؤون العشيرة نهائية ولا يمكن لاي فرد او جماعة دحضها او الناقضا • اما من تحدثه نفسه بمعارضة الرئيس ومخالفة اوامره فلن ينجو من عقابه او بطشه • ويقول في ذلك احد الموظفين الاداريين في المناطق العشائرية الكردية : (حاول رئيس العشيرة في العادة حل المشاكل التي تحدث بين افراد العشيرة حسب الاصول العشائرية او الدينية • أما القضايا التي تمس مصالحه او كرامته او حياته فلن تقيده في حلها اى قوانين دينية او عشائرية ، وسبيله الوحيد الى حلها هو الانتقام • وقد يبلغ انتقام الرئيس احيانا اقصى حدود القسوة ان لم توقفه قوة فوق قوته • فالرئيس يتمتع بسلطة غير محدودة ضمن عشيرته لا تشابهها الا سلطة الملك المطلق وكل من يتجاهل اوامره من افراد العشيرة فانه معرض نفسه للعقاب الصارم بالضرب او النفي بل وحتى القتل • وهذا هو الاسلوب الذى سعه جميع رؤساء عشائر الزبباري والسورجي التي تسوطن في وائي الموصل واربيل) (٢١) •

اما رئاسة القضاء العشائري فهي بايدي الرئيس العشائري • فهو حامي العشيرة من الاعتداء الداخلى أو الخارجى • والواقع أن الفـسـرد العشائري يفضل قضاء الرئيس على قضاء الحكومة لسببين ، اولهما لاعتقاده ان الرئيس هو مرجعه الحقيقي ، وثانيهما لان شكواه لدى المراجع الحكومية لا تأتي في العادة بنتيجة سريعة ، كما قد تكلفه بعض النفقات •

(20) Millingen, P. 240.

(٢١) فتاح ، شاكر ، «قضاء عقرة» - ص ٦٢-٦٣ •

وتعقد المحاكمات العشائرية في العادة في مضيف الرئيس ويحضرها الرؤساء الصغار وبعض افراد العشيرة • ولا يتدخل الرئيس في النزاع بين الافراد المتخاصمين ما لم يطالب احدهم التدخل ، والواقع ان تدخله نوع من التحكيم • واهم وسائل الدفاع لدى العشائري هو القسم بالله ثلاث مسرات او القسم بقبور الاولياء او القسم بالطلاق • ويقول هاي Hay ان القضاء الكردى العشائري يعتمد على قانون الاحد بانثر • غير ان هذا القول ليس صحيحا دائما ، اذ أن الاحكام تستند عادة الى التقاليد والاعراف والشرائع الدينية • ويحاول الرئيس الحصول على تعويض للطرف المتضرر انذى قد يدفع على شكل مال او حيوانات او نساء (في القضايا الخطيرة) • وقد يقرر الرئيس في قضايا القتل نفي الشخص المذنب خارج اراضي العشيرة ومصادرة املاكه • ولا يصدر الرئيس حكما بالسجن او الموت • وعلى العموم فان قضايا القتل لا تعرض في العادة على الرئيس بل يلجأ الطرف المتضرر الى المقابلة بمثل بقتل فرد من اقرباء القتيل • وفي هذه الحالة تمد انقضه مغلقة، كن اعمال المقابلة بالمثل قد تستمر في بعض الحالات زما طويلا مما يحمل الرئيس على التدخل وحسم النزاع • وتعرض في الوقت الحاضر قضايا القتل على السلطات الحكومية مباشرة •

اما سيطرة الرئيس على اراضي العشيرة المشاعة فتشمل في جميع الاشكال العشائرية الكردية • ففي عشيرة بشدر يمثل الاغوات الميرادولين طبقة الملاكين • كذلك شأن البيكوات الذين كانوا رؤساء عشيرة الجاف المرحلة ، والذين يمثلون الان ملاكي اراضي عشيرة الجاف • وهذا هو الحال في بقية اجزاء كردستان ، اذ يشير تايلور Tylor الى حالة مشابهة في كردستان التركي (٢٢) •

(22) Tylor, "Travels in Kurdistan", Journal of Royal Geographical Society. vol. XXXV, 1865, P. 50.

ويمكن ان تفسر هذه الظاهرة على ضوء طبيعة تكوين العشيرة الكردية،
 وطائفة الحاكمة تحتل مركزها عن طريق قهر الطوائف الضعيفة واخضاعها
 سيطرتها ثم الاستيلاء على اراضيها . ولهذا فان الرئيس الكردي يتمتع
 بمرايا المالك الاقطاعي ، وهو ذو مركز شبيه بمركز البارونات الاقطاعيين
 في اقرون الوسطى . وقد كان اعتماد الدولة العثمانية على رئيس العشيرة
 في جمع الضرائب على الارض عاملا هاما في تثبيت حقه في اراضي العشيرة
 بسرور الاعوام . ولا بد من ان يؤكد هنا ان اسلطة الواسعة التي كان يتمتع بها
 الرئيس انكردي وكذلك الاحترام والطاعة التي يكنها له الفرد العشائري ،
 لم تكن وليدة الخوف والسلطة الديكتاتورية فحسب ، بل هي تركة نظام
 اكثر قدما كان الرئيس ينولى فيه تنظيم الحياة الاقتصادية للعشيرة (٢٣) .

٢ - الحروب العشائرية :

كانت الحروب صفة مميزة للحياة العشائرية الكردية . اما في الوقت
 الحاضر فتدخل الحكومة في أي صدام يحدث بين العشائر . والواقع ان
 اسباب تلك الحروب ترجع الى عوامل سياسية وجغرافية وليس الى ولسع
 الاكراد بالسلب والهمب كما عزاها بعض الرحالة والكتاب . وتمثل أنسب
 العامل السياسي نقش الادارة العثمانية في السيطرة على العشائر الكردية .
 والواقع ان السلطات العثمانية لم تكن تتدخل في شؤون العشائر الداخلية
 طالما كانت تدفع الضرائب . فوعوة المنطقة الكردية وندرة المواصلات فيها
 قد جعل من الصعب فرض السيطرة عليها . ويعود أثر العامل الجغرافي في
 تشجيع القتال بين العشائر الكردية الى طبيعة ارض كردستان الوعرة .
 فوعوة المنطقة الكردية قد أدت الى التنافس الدائم على الاراضي الزراعية
 الخصبة وعلى المراعي الغنية . ولهذا فان عامل الاحتكاك بين العشائر

(23) Fleming, Rachel M. "Geographic aspects of traditions".
 Scottish Geographical Magazine, No. 37., 1921, P. 234.

امختلفة كآن متوفرا على الدوام • هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فلن قلة مصادر المياه في اقرى الكردية كانت تحمل السكان الزائدين على ترك اقرية والهجرة الى اماكن اخرى لتخفيف الضغط عن المياه • وكثيرا ما يكون اولئك الجماعة المهاجرون الذين تربطهم رابطة النسب فرقة حربية تشن الغارات على القرى الضعيفة وتغتصب اراضي سكانها •

ويقول برتون Burton ان انزال السكنى الكردية في قرى منفردة - وهو امر ناجم عن وعورة المنطقة - قد جعل التعاون بين سكان القرى المختلفة امرا متعذرا • وقد ادى هذا بدوره الى ان تستقر كل اسرة كبيرة في قرية خاصة بها وان تعتمد على نفسها في انتاج حاجاتها الضرورية ، وان تقف في وحده كل غريب معتبرة اياه تهديدا لأمنها واطمئنانها الاقتصادي (٢٤) •

وهناك اسباب ثانوية اخرى للحروب العشائرية كالاتقام الشخصي واثار ، الا ان امثال تلك المعارك نادرة الحدوث ، وعلى نطاق محدود •

ويقوم الرئيس بقيادة المعارك الهامة ، اما الاغوات الصغار فيقومون بتهيئة جماعاتهم المسلحة ليكونوا تحت أمره الرئيس • ويشترك في المعارك اواسعة النطاق جميع الافراد القادرين في العشيرة الذين تتراوح أعمارهم بين سن الخامسة عشرة حتى الستين ممن يمتلكون السلاح ، بينما يقو بقية افراد العشيرة بعانة المحاربين ، اما المعارك الصغيرة فلا يشترك فيها الا اشخاص مصنوعون ممن لهم ولى خاص بالقتال • ولقد وصف بارث Barth الحروب العشائرية المحلية على النحو التالى :

(كان من المتوقع من اغا القرية ان يهيء مقاتلى القرية في وقت قصير لكي يساهموا بالقتال مع الوحدات الكبيرة التى يقودها اغوات من فسروع

(24) Burton, H.W., "The Kurds". Journal of Royal central Asian Society, No. 8, P. 72, vol. XXXI, 1944.

رئيسة اخرى من عشيرة الهماوند^(٢٥) غير ان اغا القرية حر اذا اراد هو
ايضا ان يقوم بعمليات نهب لحسابه الشخصي . وقد تجتمع مجموعة صغيرة
من الاغوات الصغار ونهي قوة عسكرية للقيام بتلك المغامرة . وقد تقوم قرية
بفردتها بمثل تلك المغامرة . وهكذا تتكون مجموعة محاربة تحت قيادة
أحد الاغوات الصغار او واحد من الاغوات الكبار . واذا لم يكن الهدف
مجرد سلب القوافل بل تحقيق النصر ، فيقع الاختيار على قرية لم يتم
اخضاعها بعد . وتم العملية على النحو التالي : يتجه مجموعة من الحالة
وقدمون انذارا لسكانها . فاذا استسلمت القرية أقام فيها أحد الاغوات
الهماوند جمع الضرائب ، واذا اختارت القرية المقاومة بدأ الهجوم عليها .
بدأ استطاع الهماوندون دخول القرية نهبا جميع املاكها غير الثابتة ،
اضافة الى الحيوانات . وبما ان القرويين المهزومين يعجزون عن مواصلة
اعمالهم الزراعية بدون آلات وحيوانات ، فانهم يعلنون خضوعهم لعشيرة
الهماوند مقابل اعادة ممتلكاتهم اليهم . وحينئذ يستقر في القرية أحد الاغوات
الهماونديين مع جماعة صغيرة من الاتباع ، وهو يكون عادة أحد اقرباء قائد
الحملة^(٢٥) .

وتلتزم الغزوات والحروب العشائرية الكردية بتقاليد حاصه تكاد تشبه
في سطوتها القوايين . وقد ذكر وكرام Wigram في صدد الحديث عن
تقاليد الغزوات الكردية انها تسمح بنهب الحيوانات والاسلحة والانساث
المنزلى ، لكنها تحرم حرق البوت واتلاف المزدوعات وتخریب قنوات الري .
كما ذكر ايضا ان تقاليد الغزوات تحرم التعرض للنساء او الشيوخ بأذى
حتى انهم لا يحتاجون الى اية حراسة اثناء الهجوم^(٢٦) . وقد ايد هذه

(25) Barth, PP. 54-5.

(26) Wigram. W.A , "The cradle of mankind" London 1914,
PP. 167-8.

الاقوال مارك سايكس Sykes ، وأكد ان العزوات العشائرية لا تمس الممتلكات الثابتة بأذى ، الا انها لن تنقيد أية قوانين اذا ما اشتركت السلطات الحكومية في تلك الحروب ، بل تحاول ان تنزل بها اقدح الاضرار (٢٧) .

ويتصف الاكراد بكونهم محاربين شجعانا وصبورين . ولقد وصفهم الكاتبن هاي Hay الذى اشترك في عدة معارك ضدهم باهم محاربين فاشلين (٢٨) ، الا ان مارك سايكس الذى شهد ايضا عدة معارك من معاركهم يؤكد ان قهرهم في القتال امر غير يسير (٢٩) .

٣ - الالتزامات العشائرية :

لقد ذكرنا بان الرباط العام بين طوائف العشيرة يتمثل في سكتها بمنطقة مشتركة وخضوعها الى رئاسة مركزية . لذا نجد ان الرباط الوحيد الذى يربط الطوائف (الافخاذ) المختلفة بعضها هو الاشتراك في القتال ، ولا يوجد أى رباط اجتماعي او سياسي او اقتصادي بينها . لكن افراد الطائفة الواحدة يرتبطون بروابط متنوعة تتمثل بالمسؤولية المشتركة والتعاون الاقتصادي والمشاركة في الاحتفالات المختلفة .

فالمسؤولية المشتركة تتمثل في الاشتراك بالقتال مع اية جماعة من جماعات الطائفة تتعرض للاعتداء . ولا تظهر هذه المسؤولية في الحوادث الفردية . فحادثة القتل التى تقع على فرد من ابناء الطائفة لن تجر افراد الطائفة الاخرين الى معركة مع الطرف الاخر ، بل يتكفل اقرباء القتيلى الاقربون بالانتقام ، الا اذا كان الشخص المقتول احد الرؤساء . لذلك لا

(27) Sykes. Sir Marks, "The Caliphat last heritage" London 1915, P. 234.

(28) Hay, P. 72.

(29) Sykes, Marks, "Dar ul-Islam", London 1904, PP 191-2.

يمكن اعتبار النار مسؤولية عشائرية بل هو مسؤولية عائلية (x) .

اما التعاون الاقتصادي فيتمثل بالملكية المشتركة لاراضي المراعي ولصادر المياه ، وحتى للاراضي الزراعية في بعض الاحيان . ولعل هذا التعاون يبدو اكثر وضوحا في حالة العشائر المترحلة ، فالطائفة تمتلك مساحة معينة من الارض بصورة اجماعية كمرعى لحيواناتها ، او تد يوجب افرادها بصورة مشتركة ارضا معينة كمرعى لحيواناتهم .

وفي حالة العشائر المستقرة يتقيد افراد العشيرة بالملكية المشاعة لمصادر المياه . ويتحمل الكوخا (مختار القرية) في العادة مسؤولية تطبيق هذا القانون الاجتماعي بحيث لا يحاول احد الافراد الاستيلاء على مياه للري تفيض عن حقه . وبما ان الملكية الاسمية للارض الزراعية تعود الى الاسرة الحاكمة في العشيرة فان للرئيس الحق في الاراضي الزراعية التي يحتلها افراد المجتمع العشائري . والواقع ان لكل فلاح من ابناء العشيرة حقا تقليديا في مساحة معينة من الارض هو حق المزارعة . ويتم اعادة توزيع الارض بين الفلاحين كل عام او كل عدد من السنين . وليس من الضروري ان يقوم الرئيس بنفسه بهذه العملية ، فقد يتولاها مجلس مؤلف من الشيوخ في القرية يقوم بتوزيع الارض على فلاحي القرية كل حسب طاقته وحقه المتوارث .

اما مراعي القرية فانها تعتبر ملكا مشاعا لجميع السكان . ويتضح التعاون الاقتصادي بين افراد الطائفة الواحدة أيضا ضمن القرية بتأجير راع للقيام برعي حيوانات القرية بصورة مشتركة .

(x) ان الالتزامات المفروضة على المجموعة النسبية في العشيرة العربية هي اشد متانة بكثير من التزامات النسب الكردية . فاعضاء النسب الواحد في العشيرة العربية يشعرون انهم اخوة ، فهم يشتركون في النار وفي العدة ، ويتحملون مسؤولية اية جريمة يقترفها اى عضو من اعضاء النسب .

اما المشاركة في الاحتفالات فانها تشمل الاعياد والزواج والوفيات •
ففي ايام الاعياد يقوم ابناء الطائفة او القرية بتبادل الزيارات • ويلزم اعضاء
الطائفة ايضا بالمشاركة بحفلات الزواج وتقديم الهدايا لاسرة المتزوج •
ولكن اعظم المناسبات اهمية هي مناسبة الوفاة ، فتجاهل تقديم التعزية لاسرة
المتوفي ، وعدم الحضور الى حفلات الوفاة امر لا يمكن ان يغتفر ، وخاصة
اذا كان الشخص المتوفي احد رؤساء العشيرة • لذلك فان حفلات الوفاة
للأفراد العشائريين تستغرق وقتا اطول من حفلات الاشخاص غير العشائريين ،
وهي لا تقل عن اسبوع ، بل وقد تدوم اكثر من شهر في حالة وفاة رئيس
العشيرة او احد الرؤساء الصغار • ويتقاطر افراد العشيرة على بيت المتوفي
حاملين معهم الهدايا من السكر والشاي والرز والحيوانات •

مقارنة بين النظام العشائري الكردي والنظام العشائري العربي

لقد كشفت هذه الدراسة للنظام العشائري الكردي عن كون العامل
اجغرافي المسؤول الاول عن نمط هذا النظام ، الذي يختلف اختلافا جوهريا
عن النظام القبلي المأثوف • وتبرز مقارنة هذا النظام مع النظام العشائري
العربي تلك الحقيقة بوضوح • ويمكن ان نحدد وجوه الاختلاف بين النظامين
في النقاط التالية :

١ - النسب :

ترتبط جميع اقسام العشائر العربية ببعضها بالانساب الى سلف مشترك •
وبالرغم من صعوبة تتبع العلاقات النسبية بين مختلف اقسام العشيرة ، الا ان
افرادها يعتقدون جميعا انهم ينتمون الى اب واحد • لذلك فان ذوبان
المجموعات الغريبة ضمن العشيرة لا يمكن ان يتحقق بمجرد الاخضاع كما
هو الحال في النظام العشائري الكردي ، بل تتم بواسطة عملية تقليدية معينة
يطلق عليها اسم (الكتبه) • وقد وصفها الدكتور سليم علي النحو التالي :

(بمعنى عملية «الكتابة» أدبيا الكتابية ، إلا أنها تستخدم كمصطلح لوصف عملية بنى عائلة أو أكثر أو مجموعة نسبية كاملة ضمن عشيرة أخرى ، تؤيدها وثيقة سجل هذا الإجراء • وتمنح عملية «الكتابة» الجماعة المنبشاة نفس الحقوق والمزايا التي يتمتع بها ابن العشيرة الأصلي ، ويصبحون فى الواقع جزءا لا يتجزأ من العشيرة المذكورة) (٣٢) •

ويهتم رؤساء اتحاد العشيرة العربية اهتماما خاصا بصلتهم بمؤسس الاتحاد أو العشيرة ، وفي وسعهم أن يتبعوا أصولهم الى عدة اجيال ، على العكس من الرئيس الكردي • وهذه الظاهرة تنم على أن الكيان الثابت للعشيرة الكردية لا يمكن أن يدوم زمنا طويلا (٣١) • والحقيقة أن العشيرة الكردية تعرض للانحلال حالما تفقد الطائفة الحاكمة قوتها الحربية ، وتنصهر الأقسام المختلفة في عشائر أخرى •

٢ - الرئاسة :

تشابه رئاسة العشيرة الكردية في مظاهر عديدة رئاسة العشيرة العربية ، ومع ذلك فهناك فروقات رئيسية تميز بينهما ، وبما أن العشيرة العربية تقوم أساسا على وحدة النسب ، فإن سلطة الشيخ (الرئيس) هي أشبه بسلطة الأب وليست محض سلطة حربية ، شأن سلطة الرئيس الكردي • وتتنوع مهام (الشيخ) العربي تنوعا عظيما ، وتشمل الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية • (فهو يعرف معرفة تامة الحقوق والتقاليد التي تخص بها عشيرته ، كما يعرف أيضا تلك التي تخص بالعشائر المجاورة • وهو يعرف نسب

(30) Salim. Dr. Shakir, "The economic and political organization of Echchbaysh, a march village community in South Iraq", a thesis submitted to the University of London for the degree of Ph.D. in 1955, P. 151.

(31) Encyclopedia Britanica, 11th edit., vol XV, 1911, P.949.

ابناء العشيرة معرفة تامة ، ويجب ان يكون ممثلهم السياسي ، وينبغي عليه ان يضمن السلام والوثام داخل العشيرة مستخدما الحزم والعدل . وعليه ان يعرف معرفة جيدة الاوضاع الخارجية التى تخص سلامة المخيم ، مثل توفر آبار المياه ، وحالة الطرق الخ . وهو الذى يقرر متى يرفع المخيم واين ينصب . واخيرا وليس آخرا يتولى «الشيخ» واجبات الصياغة» (٣٢) .

ولذلك فبالرغم من ان مركز «الشيخ» وراتي حسب النظام التسلسلى، الا في حالة عجز الابناء ، لكنه في الوقت نفسه ينحصر عمليا بآثر الاسر ثراءه، ليستطيع «الشيخ» مواجئة النفقات التى يتطلبها مركزه . وفي احيان نادرة تلغى قاعدة الوراثة لمصلحة شخص تتوفر فيه مؤهلات القيادة بدرجة اعظم . ولقد ذكر بوركهارت Burkhardt في دراسته المسماة «بدو العزيسرة العربية» بان «الشيخ» يس دكتورا على عشيرته . وقد حدد وظائفه على النحو المذكور واذاف الى ذلك قوله :

(ولا يستطيع «الشيخ» ان يعلن الحرب او يعقد شروط السلم بدون استشارة الرجال البارزين في عشيرته . واذا اراد رفع المخيم فلا بد له مقدما من استشارة رجاله حول سلامة الطرق وكفاية المرعى والمياه في المنطقة المهاجر ايها . . . واما اوامره فلا تطاع لفرض الطاعة فحسب ، بل تخذى اعماله من قبل افراد العشيرة . بل ان احكامه لا تفرض على الجماعات المتخاصمة حتى في قضايا الثأر ما لم يكونوا مقتنعين بها) (٣٣) .

وذكر بوركهارت ايضا بان «الشيخ» لا يتقاضى اى دخل سنوى من

(32) Bonne, A . "State and economy in the Middle East" 1948, P. 362.

(33) Burkhardt, PP. 117-18.

عشيرته ، بل ينبغي عليه في الحقيقة ان يعزز مركزه بالانفاق بسطاء (٣٤) .
ومن المعروف ان ابناء العشيرة ينصرفون في حضور شيخهم في حرية وألفة
وكانهم على قدم المساواة معه اجتماعيا وماديا . ويدل سلوك الشيوخ وابناء
العشائر تجاه بعضهم بعضا على انعدام الفوارق الطبقية والاجتماعية ضمن
عشائرهم (٣٥) .

غير ان هذا النوع من الرئاسة العشائرية لا يتمثل في الوقت الحاضر
لدى العشائر المستقرة . والواقع ان الرئاسة لدى العشائر العربية
المستقرة قد طورت صفات مشابهة لصفات الرئاسة الكردية التي تتميز
بارستقراطية عسكرية مقرونة باستغلال اقتصادي واجتماعي لابناء العشيرة .
وقد وصف الدكتور سليم هذا النوع من الرئاسة في دراسته المستفيضة لعشيرة
بني اسد في جنوب العراق على النحو التالي :

(ان آل خيون هم الفخذ الرئيسي في عشيرة بني اسد ، وهم يعيشون
كأرستقراطية عسكرية . ويمارسون سلطة عالية للغاية وينظرون الى جميع
اعضاء العشيرة كاتباع وعبيد . وهم يحكمون كطغاة ويعاملون اتباعهم بقسوة
متناهية . ويفترض بالفرد العشائري ان يكون على استعداد لخدمة افخذ
الحاكم مهما كلف به من اعمال . وسنخدم الشيخ رئيس آل خيون
الغرامات والسجن في القلاع الطينية كاسلوب مألوف من اساليب العقوبات .
ويعمل جميع افراد العشيرة للشيخ ولاقربائه آل خيون الذين يجمعون
معظم حاصل الارض كما يفرضون ضرائب على النخيل والماشية . وكان
الشيخ شارك الاب حتى في مهر ابنته . ويفرض آل خيون الطاعة الكاملة
على ابناء عشيرتهم بني اسد لانهم «السادة» وكما يسمون انفسهم «بيت الرئاسة» .

٣٤ المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(35) Fahmi, P. 15.

وكان الخيوني يمتلك حقاً لا يناقش في اهانة وضرب واساءة معاملة السداوي (فرد العشيرة الاعتيادي) الذي يفترض فيه ان يقبل مثل هذه المعاملة من دون احتجاج . ومن حق الخيوني ان يتدخل في أى نزاع او قضية للسداوي بصرف النظر ان كان اخيوني من الرؤساء ام لا ، لان المفروض ان كل خيوني هو رئيس . وفي كل سفر وفي كل نوع من أنواع الاعمال يستطيع الخيوني ان يأمر أى فرد من بني اسد ان يقدم اليه خدماته . واذا احتاج الى المال فبوسعه ان يجمعه من العشيرة ، لان المفروض بالخيوني الا يعمل ابداً ، فوظيفته الوحيدة هي الحكم^(٣٦) (x) .

٣ - اقسام العشيرة :

تميز المصطلحات الكردية للدلالة على اقسام العشيرة بكونها مائمه جدا . وتعزى هذه الظاهرة الى عدم وجود نسب مشترك بين الافقسام (الطوائف) المخلعة . اما العشيرة العربية فذات اقسام واضحة جدا ، وهي نصف بتركيب هرمي . واصغر وحدة فيها هي (العائلة) التي يطلق عليها اسم (أهل) ، وهي عبارة عن اسرة واسعة . ويلها (البيت) ويمثل وحدة نسبية صغيرة ، ثم (الفخذ) الذي يمثل مجموعة نسبية يستطيع اعضاؤه ان يتبعوا نسبهم الى حوالي اربعة اجيال . ويلى الفخذ (العشيرة) التي تشمل على عدة افخاذ ينتمون الى سلف واحد . ويلى العشيرة الشكل الاضخم والاكمل الذى يطلق عليه اسم (القبيلة) ، وتتألف من عدة عشائر تنتمي جميعا الى منشي . بعيد .

(36) Salim, PP. 170-72.

(x) لقد طرأت تغيرات جوهرية على « الرئاسة » العشائرية العربية في اعتاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ والقضاء النظام الاقطاعي ، ولم يعد الفرد العشائري يعترف بسلطة امثال اولئك « الشيوخ » كما ان « الرئاسة » العشائرية المشار اليها اعلاه قد فقدت مدلولها كلياً وحل محلها الولاء المعنوي لرئيس المجموعة النسبية العشائرية .

٤ - الالتزامات العشائرية :

ار مسؤوليات المشتركة ضمن العشيرة الكرديه غير محدده تحديدا واصحا . اما في حابه العشيرة العربية فهناك تمسك صارم من قبل جميع اقسام العشيرة بالالتزامات التالية :-

الدفاع : لابد لكل فخذ في العشيرة ان يساهم في الدفاع العمد ضد المعتدين على العشيرة .

الفصل : يجمع الفصيل او نديه امفروصه على احد افراد العشيرة او اسخذ من جميع اعضاء العشيرة او اسخذ . كما يوزع مبلغ الفصل المكتسب على جميع افراد العشيرة او الفخذ .

المسؤوليات المالية : بمصر جميع الافراد مسؤولين بالساوي عن مد اشيوخ بمبلغ من المال ينفقه على شؤون العشيرة .

احتفالات المناسبات : لابد لكل عضو من اعضاء العشيرة ان يساهم في احتفالات المناسبات . فاما حفلات الزواج فمن الضروري الاشتراك بها اذا ما دعى امرء عشائري وعليه ان يساهم بهدية مناسبة . اما احتفالات الوفاة فيسمي على عشائري ان يحضرها دون دعوة وعليه ان يقدم هدية مناسبة (٣٧) .

التقاليد والاعراف : لقد طورت العشيرة العربية خلال تاريخها الطويل تقاليد راسخة . والواقع ان معظم تلك التقاليد موروثه من حياتها البرعوية السابقة . ومن ابرز الامثلة على ذلك (الدخلة) ، وهي طلب الحماية من عشيرة معينة ، فتصبح تلك العشيرة مسؤوله تحت جميع الظروف بتقديم تلك الحماية غير المشروطة مهما كلفها الامر ، حتى لو كان الطلب من اعداء العشيرة (٣٨) .

(٣٧) شكارة ، ضياء : « الحياة الاجتماعية والاقتصادية القبلية في المقاطعات الوسطى والجنوبية وفي لواء الموصل » - تقرير قدم الى جمعية الدراسات الاجتماعية في عام ١٩٥٤ ، ص ١٩ .
(٣٨) لقد اورد احمد فهمي مثالا على الزام العشيرة المطلق تجاه الدخيل =

وهناك مثال آخر على التقاليد العشائرية وهي (النخوة) • فهي بعض المشاريع الاجتماعية ، كبناء البيوت مثلا ، تطلب مساعدة اعضاء المجموعة النسبية ، وتسمى هذه العادة باسم (النخوة) ، ومن العار على العشائري الا يستجيب لها (٣٩) •

وكانت التقاليد العشائرية تنص على اعتبار بعض الاعمال مجلبة للاحترار كزراعة الخضروات مثلا ، مما كان يؤثر على الوضع الاقتصادي لمفلاح العشائري • غير ان هذا العرف قد ضعف في الوقت الحاضر •

ومن الجدير بالذكر ان الالتزامات المذكورة ما تزال قوية بين افراد العشائر العربية بالرغم من ضعف «الرأس» العشائرية بشكلها القديم المعروف ، بل واختفائها تماما في كثير من العشائر نتيجة نزوال النظام الاقطاعي • وما تزال الالتزامات النسبية ضمن «الاهل» و «البيت» تفرض نفسها على العشائري بنفس القوة •

تأثير السلطة الحكومية على المجتمعات العشائرية الكردية

لقد توضح لنا بأن العشيرة الكردية لم تستطع القيام بوظيفتها كاملا كوحدة سياسية واجتماعية نتيجة لتأثير العامل الجغرافي مما جعل «مجتمع

= (اي طالب الحماية) وذلك في القصة التالية : (هرب ذات مرة احد العشائريين من عشيرته ولجأ الى عشيرة اخرى • وقد حدث ان قتل ابن رئيس العشيرة احد ابائه • فستدعي الشيخ الاب اللاجئ وسأله ان يحدد فدية لابنه ، غير ان الاب الذي كان بلا حول ولا طول ولا عشيرة تسنده رفض تعيين الفدية وقرر ان يترك العشيرة • وهذا يعني الحاق العار بالعشيرة المذكورة • وحينما سمع الشيخ بذلك هاله الامر ، واستدعي الاب اللاجئ مرة اخرى الى خيمته وامر ابنه القاتل ان يترك الخيمة ، ثم اطلق عليه البار اثناء خروجه فارداه قتيلا امام عين الدخيل • وهكذا محى الشيخ العار الذي الحقه ابنه بالعشيرة) •

Fahmi, P. 12.

(39) Salim. P. 131.

القرية ، يمثل الوحدة السياسية والاجتماعية • وقد انعكست هذه الحقيقة في الانحلال السريع ، بل والعيق احيانا ، الذي يمر به اعضاء العشائري في كردستان حالما تتوغل في ماطقه السلطة الادارية • وهذا التغفل ، الذي يدعمه تيسر المواصلات ، كان دائما ضربه مميتة لسلطة الرؤساء التي كسبوها بالاخضاع والقوة • ولقد تحولت العلاقة بين افراد العشيرة والرئيس في المناطق التي تغفلت فيها السلطة الادارية الى مجرد الاحترام اشكلى • وانواع ان رجال العشيرة أخذوا يفضلون الاتصال بالسلطات الحكومية في القضايا الخطيرة ، وان كانوا ما يزالون يفضلون حل خلافاتهم الثانوية بواسطة الكوخا او اغا القرية • اما في حالات القتل فتدخل سلطات حكومية دائما ، ولا يستطيع العشائري ان يتولى بنفسه تنفيذ القانون • ولا يحاكم العشائري على اية حال حسب القانون الجنائي المدني بل حسب قانون عشائري خاص للقضايا الجنائية والمدنية • ولا يطبق هذا القانون الا في حالات انتماء طرفين متخاصمين ، المهم والمجنى عليه ، الى اسطيمات العشائرية حيث يتم الفصل في الجريمة حسب العادات العشائرية (x) •

(x) لقد ألغى قانون العشائر بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ • وكانت السلطات البريطانية قد اصدرت في شباط عام ١٩١٦ نظام حل المنازعات العشائرية لحل القضايا الجنائية والمدنية التي تحدث بين افراد العشائر حسب اعرافهم وتقاليدهم • وقد عرفت المادة الثانية (ب) من النظام الافراد العشائريين بابهم اعضاء في عشائر معترف بها قد اعتادوا ان يحلوا منازعاتهم باللجوء الى التحكيم او الشيوخ الكبار لا الى المحاكم كما هو حال الآخرين •

لقد تبنت الحكومة العراقية اسس ذلك النظام ونصت المادة (٨٨) من الدستور على اقامة محاكم خاصة او لجان لتسوية القضايا الجنائية والمدنية الخاصة بالعشائر حسب التقاليد العشائرية •

وما يزال رجال العشائر نأرجحون بين سلطة الرؤساء وسلطة
الحكومة . وإذا كان رئيسهم حكيمًا وعادلاً فضلوهُ على السلطات الحكومية
واستشاروه في قضاياهم ، حتى في قضايا اقل . وبغزى ميل العشائريين
بنفسه العشائري كما سبق ان ذكرنا الى بساطه وسرعة اجراءاته في حين
ان انضاء الحكومي يتطلب وقتًا طويلاً ويزجهم في صعوبات اقتصادية .

وهناك عامل آخر يحمل العشائريين على الامتناع عن مراجعة السلطات
الحكومية في قضاياهم ومنازعاتهم وهو ضعف ثقتهم في موظفي الحكومة .
وقد صور ليـح Leach الموظفين الحكوميين في المناطق الريفية الكردية
على النحو التالي :

(يوجد تحت ادارة مدير الناحية المباشرة عدد من رجال الشرطة
الذين يمثلون ضباط الارتباط بين العشائر واسطه الحكومية . ومكس
القول ان سوء تصرف هؤلاء الشرطة هو مصدر كراهية وعدم ثقة العشائريين
بالحكومة . وقد وصف الكاتب هـ.اي Hay رجال الشرطة في ابامه بأنهم
مجموعة من اشقاوات بدون تدريب ولا مباديء وانهم يستخدمون صلاحياتهم

= وقد ترك حل قصيه ما الى ممثل السلطة الذي هو اما ان يكون مصرف
(محققاً) او قائمقاماً . ويتولى الممثل احوالة القضية الى مجلس يشتمل على
اي رئيس عشائري او وسيط او مجموعة منهم يقوم هو بتعيينهم . ويستمع
المجلس الى القضية ثم يصدر حكمه . ويقترح المجلس ايضا نوع العقوبة
التي يجب ان تفرض على المجرم عليه . ومن حق ممثل الحكومة ان يصدر
القرار النهائي . وتشتمل العقوبات على الغرامة والحبس الشديد او البسيط .
(بما لا يتجاوز اربعة عشر سنة ، وفي العادة لغاية خمس سنوات) . ولا
يشتمل الحكم على الجلد او الاشغال الشاقة المؤبدة او الاعدام . ومما تجدر
الاشارة اليه ان قانون العشائر هذا كان هدفا دائما لتقذ الطبقه المتنورة ولا
سما رجال القانون ، وكان المثقفون يطالبون بتطبيق قانون واحد على الجميع .

لارتكاب انواع المصالم • وبدوا ان وصف هاي لهم ما يزال ينطبق على الوقت الحاضر (٤٠) •

وبالرغم من ان الوصف قد تحسن عما كان عليه في ايام هاي وليج ، فان رجال العشائر ما يزالون ينظرون بعدم ارتياح الى السلطة الحكومية ، ولا سيما رجال الشرطة ، وان هذه النظرة غير الودية لها مبرراتها • ومن الممكن دعم ثقة العشائري بالسلطة الحكومية لو تحسن مستوى ممثلها ، ولا سيما رجال الشرطة • وقد عبر احد الموظفين المتربين في السلطة الادارية عن هذه مشكلة بقوله : (ان ابناء العشائر يرغبون من صميم قلوبهم في التخلص من هذا النظام المزيج في الخضوع الى السلطة الحكومية والى الرئاسة العشائرية ، وهم يفضلون حكومة قوية وعادلة • ولا يقضي السلطة لكي تكسب ولاهم اكثر من تطبيق العدالة الاجتماعية في مجتمع القرية) (٤١) •

- ٢ -

المجتمعات اللاعشائرية

تركز المجتمعات اللاعشائرية في مناطق السهول والاراضي القليلة الوعورة في اللواء • ولقد كان العامل الجغرافي مسؤولا الى حد كبير عن عدم تشجيع النزعة العشائرية لسببين : الاول ، لان تلك الاراضي الزراعية الخصبة ذات المراعي الغنية كانت تجذب الغزاة باستمرار • والثاني ، لان مواقعها غير الحصينة لم تكن تشجع الدفاع عنها ضد الغزاة • فضلا عن ذلك فان اهتمام السكان بالزراعة جعلهم اقل استعداد لمقاومة الغزاة ، ودلت عجزين عن الاحتفاظ بتظيم سياسي عشائري •

(40) Leach, PP. 11-12.

(٤١) فتاح ، شاكر ، المصدر السابق ، ص ٦٦

وساهم العامل البشري في اضعاف الميل نحو القبيلة في تلك المناطق نتيجة لوقوعها تحت السيطرة الفعلية للإمارة البايانية . وكانت سياسة الإمارة البايانية تهدف الى تحطيم النظم العشائرية واحلال النظام الاقطاعي المحض محله . وقد مارست السلطات العثمانية نفس السياسة بعد زوال الإمارة البايانية حتى حلول الادارة الوطنية .

وهكذا ساد المناطق غير العشائرية نظام شبه اقطاعي . ولا يقيم ملاكو الاراضي الزراعية في قراهم ، بل يقيمون في المدن الكبرى ويعيرون نوابا عنهم يشرفوا على الاعمال الزراعية ويراقبوا الزراع . اما السكان فهم في الغالب زراع مستأجرون حسب نظام المحاصة ، الا انهم لا يتمتعون بنفس المزايا التي يتمتع بها زراع المناطق العشائرية . والواقع أن الزراع المستأجرون في المناطق العشائرية هم املاك الحقيقيون للارض ، وهم يدفعون للاغا نصيبا من الحاصل بناء على كونه زعيما لهم ولكونه ممثلا للسلطة كما كان شأنه اثناء الادارة العثمانية . غير ان الحال يختلف في القرى غير العشائرية . فمن النادر ان يكون الزراع المستأجرون الملاك الحقيقيون للارض . فقد حصل الملاك الغائبون على الارض أما بواسطة اشراء او عن طريق الوراثة وليس نتيجة لانتماهم الى الطوائف العشائرية الحاكمة . كما ان سكان القرى قد لا يكونون من المستوطنين القدامى بل خليط من قدامى وجدد ، وقد يكونون من النازحين من شتى جهات اللواء . وبالرغم من تمتع كل زارع بحقوق تقليدية في زراعة مساحة معينة من ارض القرية (حق المزارعة) ، غير ان المالك نفسه يتولى المسؤولية الفعلية في اعادة توزيع الارض على الزراع بين فترة واخرى . وقد يعمد المالك الى تقليص قطعة الارض التي يخصصها للزراع ، او قد يحرمه منها نهائيا اذا دعى الامر الى ذلك .

وإضافة الى ذلك فإن المالك في القرى غير العشائرية يقوم بنوع من استثمار رأس المال في الأرض ، فيمد زراعته بالبذور والآلات مما يضيفي صفة جديدة على علاقته بالزراعة . والواقع ان الزراعة في المناطق اللاعشائرية هم اقرب ما يكونون الى عمال زراعيين . لذلك فهم يستخدمون اصطلاحا خاصا للتعبير عن وضعهم وعن العلاقة بينهم وبين المالك ، اذ يسمون انفسهم (مسجين) . ولقد اساء بعض الكتاب تفسير هذا المصطلح مدعيا انه مماثلا لمصطلح (العبد) ، غير ان الواقع يتناقض وهذا التفسير .

وهناك ايضا عدد من الملاك الصغار في بعض القرى غير العشائرية ، غير ان اراضيهم محدودة جدا بالقياس الى اراضي الملاك الغائبين . وقد يتعرضون احيانا الى الضغط ، لا سيما بحجز المياه عنهم ، لبيعوا اراضيهم الى الملاك الغائبين ، لكنهم عموما يمارسون حياة طبيعية .

البناء السياسي للمجتمعات اللاعشائرية

تعتبر «قرية» الوحدة الأساسية لتنظيم السياسي للاقوام اللاعشائريين . وهي في العادة متراصة جدا ويسكنها مجموعات صغيرة يتراوح عددها بين ١٠٠ الى ٥٠٠ شخصا . ويعرف هؤلاء السكان انفسهم حسب موطنهم ، اي ان انتماعهم السياسي يرتبط بمسكنهم ارتباطا كاملا .

ويشمل مجتمع القرية Village community على مجموعات قرابية يمكن ادراجها مع الصف الذي يطلق عليه مردوخ Murdoch اسم « المجتمعات القرايية » ^(٤٢) Kin Communities . وفي القرى التي تستوطنها عدة مجموعات قرابية تستقل كل مجموعة بمجمع Block منعزل من البيوت . ولا تبلغ درجة

42. Murdoch, G.P., "Social organization" New York, 1949. PP. 88-9.

الوحدة في هذه المجموعات ما تبعه عادة في القرى العشائرية • وترتفع درجة
الوحدة بين المجموعات اعرابية المختلفة في القرى القديمة لان سكانها
رتبطون فيما بينهم بروابط المصاهرة • اما في القرى الحديثة فيصبح تحزب
المجموعات القرابية طاهرة بارزة ، وتتمتع اعظم المجموعات القرابية قوة باعلى
مركز في القرية • وعلى اية حال ، ففي جميع انماط القرى اللاعشائرية
تغلب روح الولاء لمجتمع القرية على التحيزات ايداعية في حالة الصراع
مع القرى الاخرى •

وبرغم من ان السلطة الحكومية تفرض وجودها المباشر على القرية ،
الا ان المالك يزال السيطرة الفعلية فيها • وتستمد سلطته من السيطرة على
اراضي القرية الزراعية ، حيث تحول تلك السيطرة الى قوة سياسية •
ويخفف قوة المالك عن قوة الاغا العشائري ، فاما كان القروي ان يرفض
أيده او حتى اطاعة اوامره ، الا انه يعرض نفسه في هذه الحال الى المناع ،
وقد ينتهي به الامر الى فقدان ارضه • ولا يمتلك المالك وسائل قسرية لنفي
ارراع غير المرغوب فيه من القرية ، غير ان مثل هذا الزارع لا يستطيع
عمله البقاء في القرية بعد تجريده من الارض ، فيضطر الى النزوح الى قرية
اخرى بحثا عن العمل • وهكذا يصبح الزارع المستأجرون تحت السيطرة
التي يملكها الملاك ، وبذلك نشأ في القرية نوع من النظام السياسي شبه الاقطاعي •

اما القرى التي ينقسم ارضها ملاك صغار وكبار فتبرز حالة من الصراع
بين اجتماعتين • ونجم هذا اوضاع من محاوله الملاك الصغار اضعاف سلطة
الملاك الكبار وتقوية الولاء للسلطة الحكومية • ويحاول المالك الكبير بدوره
ان يضغط على معارضييه من الملاك الصغار باستخدام القوة او بممارسته
سبطرته على مصدر المياه واجبارهم على ترك القرية • وقد يحاول المالك
الكبير الاستيلاء على بقية اراضي القرية بالطرق القانونية (بواسطة اليعاقبة)

او باطرق غير الشرعية (بمجرد الادعاءات) • وهكذا تشهد امثال هذه القرى
منزعات مستمرة بين الملاكين الكبار والصغار •

اما القرى التي ينقسم ارضها املاك كون الصغار فتركز السلطة فيها
بأيدي أكبر مجموعات القرابية وأكثرها ثراء • غير ان الادارة الحكومية
تمارس في هذه الحالة سيطرة كاملة •

ولا يمارس الملاكون الكبار سلطتهم بصورة مباشرة بسبب غيابهم عن
القرية ، بل يوكلونها الى ممثل لهم هو (السركار) او (المختار) •

فاما السركار (x) فقد يقيم في القرية دائماً او يزورها في اوقات
معيه • فاذ اقام في القرية تتولى سلطات المالك بصورة فعلية • ولا بد ان يعرض
عليه كل ما يشأ من نزاعات بين الفلاحين حول الزراعة ليحلها بنفسه او
يحلها الى المالك • اما اذا لم يقيم في القرية فيتولى المختار مسؤولياته الاجتماعية
وصح بذلك وكلاً للمالك • ويقوم السركار بالوظائف التالية :

١ - يراقب الاعمال الزراعية ويوجه فاليات الزراعة •

٢ - يحل المنازعات الزراعية ومشاكل الزراعة •

٣ - تصرف كوكيل للمالك في الشؤون الاقتصادية ويراقب عمليات الحصاد
ليحافظ على نصيب المالك من المحاصيل •

٤ - تتولى مسؤوليات المالك في الاشراف على اعادة توزيع الاراضي الزراعية
ومياه الري •

٥ - يبلغ المالك بنشاطات الزراعة او السلطة الحكومية التي قد تهدد مصالحه •
اما مكافأته الاقتصادية التي يدفعها المالك عادة فشمل على ٣٪ من
محصول التبغ وعلى عشرة كيلوغرامات من الحبوب ، وقد تقتصر على راتب
شهري معين • غير انه يبتز ايضاً بعض المكاسب من الفلاحين •

(x) ويسمى ايضاً (الشحنة) او (الكزير) •

ان سلطة المالك ووكيله مدعمة بقوة فعلية يمثلها (الاتباع) • فكل مالك يختص بعدد من الاتباع يختلف عددهم حسب درجة ثروته • ويتكون هؤلاء الاتباع على نفس الاسس التي يتكون بموجبها اتباع الرؤساء العشائريين ، وهم يمثلون القوة الفعلية للمالك • ويكادون يشبهون قوة بوليسية متحركة ، فهم يطوفون باستمرار على القرى • وقد يقيم واحد منهم او اكثر في قرية معينة اذا استدعى الامر ذلك • ويتولى هؤلاء الاتباع تأديب كل مزارع عنود يتصرف ضد رغبات المالك • ومن النادر ان تردع السلطات الحكومية هؤلاء الاتباع عما يقومون به من مخالفات واعتداءات ، لان المالك يوفر لهم الحماية اللازمة •

اما القضايا والمنازعات التي تحدث بين القرويين والتي لا تهم المالك فعرض على موظفي السلطة الحكومية • وقد يقوم المختار الذي يتصرف كضابط ارتباط بين القرويين والسلطة الحكومية بحل المنازعات البسيطة بنفسه ، الا انه يبلغ السلطات الحكومية دائما بالنزاعات والخصومات الخطيرة • وتحل المنازعات حسب القانون المدني ، ذلك لان قانون العشائر لا يطبق على القرى غير العشائرية •

البناء الاجتماعي للمجتمعات اللاعشائرية

يتصف «مجتمع القرية» اللاعشائري في لواء السليمانية بكونه مجتمعا منزلا وذى نطاق ضيق وموارد محدودة • وقد اثر هذا التركيب تأثير فعلا على النسق الاجتماعي • ففي مثل هذا النوع من المجتمعات (لا يستطيع المتجنين الفرديين ان يجمعوا رأس مال ضخم ، كما انهم لا يستطيعون فسي النهاية ان يتولوا عمليات تجارية مالية من نوع جديد) ^(٤٣) • وهكذا يتعذر

43. Firth, Rymond, "Elements of social organization" second edition. London 1952, P. 52.

نشوء الطبقة الاجتماعية في مجتمعات القرية اللاعشائرية * وبالرغم من وجود ملاكين صغار يقومون بتأجير خدمات عمال زراعيين ، لا سيما وقت الحصاد ، غير ان هؤلاء الملاك لا يستطيعون ان يكونوا طبقة اقتصادية نظرا لعجزهم عن تجميع اثروة . بل انهم انفسهم قد يتحولون الى زراع مستأجرين في صروف معينة . اما الزراع المستأجرون فلا يستطيعون ان يكونوا طبقة اقتصادية ضمن مجتمع القرية تستغل طبقة أدنى منها ، لان ثروتهم بالكساد تزيد على ثروة العمال الزراعيين . كما انهم قد يضطرون الى العمل كعمال زراعيين في بعض فصول العام . واذا ما قبلنا تعريف الطبقة الاجتماعية على انها (مجموعة من الناس ذات مستوى حياة معين يختلف اختلافا متميزا عن مستوى مجموعة اخرى في نفس المجتمع) ⁽⁴⁴⁾ ، فانا يمكن ان نحكم بانناكيد على انعدام الطبقة الاجتماعية في المجتمعات اللاعشائرية ، وهي تلك الطبقة التي يستند بناؤها بشكل رئيسي على الثروة . (وهنا لابد ان نؤكد بان المالك الكبير لا يمكن اعتباره عضوا في مجتمع القرية لانه لا يقيم فيها اقامة دائمية) .

غير انه من الجهة الاخرى توجد في مجتمع القرية هرووف في المنزل الاجتماعية تضمن لاصحابها مراكز بارزة . وهذه المراكز لا ترفع اصحابها على اية حال الى ما يمكن ان يسمى بمجموعة متميزة ، فهي مراكز غير قسرية ولا تؤدي الى قيام الصراع بين الافراد . ويمارس الاشخاص الذين يتبوأون تلك المراكز حياة مشابهة لحياة بقية افراد مجتمع القرية .

وهكذا يمكننا ان نخلص الى القول بان المنزل الاجتماعي ، Social ranking هي التي تميز بين الافراد في مجتمعات القرية

44. Bowley, A.L , "The nature and purpose of the measurement of social phenomena" London 1915, PP. 164-5.

الاعشائرية ، اما الطبقات الاجتماعية Social classes فلا وجود لها • ذلك ان الطبقة الاجتماعية كما عبر عنها والر غولدميت Walter Goldschmidt هي (شظيرة من المجتمع يظهر اعضاؤها مكانة اجتماعية مشتركة في تصنيف طبقي • وتختلف «الطبقة» عن «المنزلة» في كون الاخيرة بدل على استمرارية ومدى ، بينما تعني «الطبقة» درجة من الوحدة وشكلا من اشكال التجانس بين اعضائها) (٤٥) •

ان المراكز البارزة في القرية - والى تحدد منزله القروي - ترتبط باربعة مصادر هي : المجموعة القرابية Kin group ، والثروة ، والتدين ، والكبر •

المجموعة القرابية :

تكتسب العضوية في مجموعة قرابية ضخمة وقوية اهمية خاصة ، لان اعضاء المجموعة يدخلون طرفا فيما يحدث من نزاعات بين الاشخاص • والمنازعات المحلية في القرية جزء هام من حياة الناس انوميته • واسباب اخصام عديدة ، الا ان اهمها اعتداء الحيوانات على الحقول • ويكرر هذا الاعتداء باستمرار بسبب نظام الحقول المفتوحة ويضر بالمحاصيل ضررا كبيرا • كذلك يتكرر النزاع حول مياه الري ، بالرغم من وجود شخص معين وكل اليه توزيع المياه وهو الميراث •

وهذه النزاعات تؤدي دائما الى تحزب المجموعة القرابية • ومما لا ريب فيه ان العضوية في مجموعة ضخمة وتمتكة يحسب لها حساب خاص لدى حدوث النزاع والشجار • وللعضوية في المجموعة القرابية اهمية خاصة ايضا في انتخاب المختار •

45. Coder, Helen, "Kwakinth; rank without class" American Anthropology, vol. 59, June 1957. P. 473.

الثروة :

للمعنى الشروة دورا هاما في العلاقات الاجتماعية ضمن القرية ، لا سيما اذا كانت تلك القرية مركزا لملاكين صغار . وتتلشى اهمية الثروة في القرى احدى يملكها مالك واحد . وتحقق الثروة مكانة بارزة لصاحبها من خلال امرين ، هما الضيافة والسيطرة على موارد المياه .

الضيافة مصدر رئيسي من مصادر المنزلة الاجتماعية في القرية . ويعمل المزارع الغني عن كرمه باقامته مصيف وبمديد اساعدة للمحتاجين من القرويين وبموزع الطعام على الفقراء في المناسبات والاحتفالات المختلفة .

اما السيطرة على مورد المياه فتحقق لصاحبها منزله بارزة في القرية نظرا لان المياه تمثل عصب الحياة الاقتصادية . وتوفر السيطرة على مورد المياه عن طريق الاتفاق على حفر الابار والكهادر التي تمتد القرية وحولها بالمياه . ويمكن القول ان التفاوت في الثروة - وهو تفاوت بسيط بطبيعة الحال - يؤدي الى تفاوت واضح في المنزلة الاجتماعية ضمن مجتمع القرية . ويجلس القرويون الاعنياء في مقدمة صفوف المصلين في الجامع ، كما انهم مكان الصدارة في الاحتفالات العامة . وهم مفضلون على غيرهم في الزواج .

الدين :

للدن اثر بارز في حياة القرويين الاكراد ، لذلك فلن درجة الدين او الورع تكسب المرء منزلة عالية في مجتمع القرية . وبالرغم من ان الطبيعة الجغرافية للمنطقة الكردية قد سافت بعض الاكراد في الجهود السابقة الى حياة السلب والنهب ، الا أن تلك الحياة لم تضعف مشاعرهم الدينية . ولعل ابرز مثال على ذلك افراد عشيرة الهاموند الذين اشتهروا بالسلب والنهب . فلم تؤثر طبيعة حياتهم على ورعهم والتزامهم بتعاليم الدين (فاذا حضرتهم

الصلاة في وقت احتدام القتال ، تركوا خيولهم بالدور وادوا الصلاة كاملة ،
ثم اشتبكوا في القتال من جديد (٤٦) .

وقد عملت النزعة الدينية القوية لدى الأكراد على تبجيل الأشخاص
ذوي المراكز الدينية تبجيلا عظيما . ويحتكر المراكز الدينية المهمه في
کردستان صنفان من الناس ، وهما السادة الذين يحذرون من صلب الرسول
(ص) والشيوخ الذين يمتون بصلة الى اشخاص حققوا شهرة في علوم الدين .
ومن الغريب ان الدراويش الذين يمارسون حياة بسيطة للغاية ويحاولون
تطبيق التعاليم الدينية تطبيقا صارما لا يحتلون مراكز مرموقة في مجتمع
اقرية . ولعل ذلك يعود الى تأثير العامل الجغرافي في تشكيل النزعة
الدينية في المجتمعات الفقيرة المعزولة .

الكبر :

يعتبر العمر عاملا من عوامل المنزلة الاجتماعية العالية ، وان كُن اضعف
أثرا من العوامل السابقة . ويمثل العمر رصيذا اجتماعيا يكسب الاحترام
الا انه لا يقود الى السلطة . والواقع أن هذا الاحترام مستمد من الحكمة
المقتضية في الرجل المسن . وهذا الافتراض تركة من الماضي حينا كان
الرجل المسن يمتلك التجربة التي تجعل منه صائدا أو راعيا أو زارعا ماهرا
بين مجموعته .

ويرشح العمر صاحبه ايضا للوصول الى مركز «الاختيار» ، وهو شخص
ينال تقديرا خاصا ، فيتوسط في منازعات القرية ، كما يمثلها امام الحاكم
والسلطات في بعض الشؤون البسيطة .

القاب ذات منزلة اجتماعية

وضح الاختلافات في منزلة الاجماعية ضمن مجتمع القرية القاب
تمسح اصحابها مكانة خاصة ، ومزايا اقتصادية في بعض الاحيان . وقد تكون
بعض تلك الالقاب حرفية واجتماعية في آن واحد ، غير انها ترتبط جميعا
بشكل او بآخر بمكانة المجموعة القرابية وبدرجة الثروة وبالتدين وبالكبر .
وتفاوت أهمية تلك الالقاب تفاوتاً عظيماً ، فقد تؤدي الى الزعامة او اسفوذ
أو مجرد الاحترام المحض . ولا يمنح اى لقب منها صاحبه سلطة قسرية .

المختار :

يعتبر المختار مثلاً لاصغر وحدة حكومية في القرية . ويقوم عادة
بدور الوساطة بين القرويين والسلطة الحكومية . فهو كموظف حكومي
ينولى تبليغ المعلومات والاخبار والامور الحكومية الى القرويين ، كما انه
يتصرف في الوقت ذاته كرئيس اداري للقرية .

وينبغي ان يقوم القرويون انفسهم بانتخاب المختار ، غير انه يعين في
اغلب من قبل المالك ، لا سيما اذا كانت القرية ملكاً مسالك غيب ، أو
تسكنها مجموعة قرابية واحدة . وفي جميع الاحوال لابد ان يكون المختار
رئيس اكبر مجموعة قرابية او عائلة متنفذة ، أو ان يكون اعظم القرويين
ثراء حيث يحتفظ باضعهم مضيف في القرية .

وفي القرى التي تقطنها مجموعة قرابية واحدة لا تظهر انة صراعات
بين الاشخاص او العوائل حول المنصب . فهناك عائلة معينة ، وهي الاضعم
والاكثر ثراءً تزعم القرية ، وبالتالي تصبح الوارثة الشرعية لهذا المنصب .
لذلك يميل منصب المختار لأن يكون وراثياً في امثال تلك القرى ، وحتى
لو غضب مالك القرية على المختار فانه يختار عادة احد اقربائه .

اما القرى التي يستوطنها عدة مجموعات قرابية فيلعب التحزب دورا مهما في اختيار المختار ، وتؤثر في اختياره المزايا الشخصية بالاضافة الى مكانه المجموعة القرابية . ولا يمكن في امثال هذه قرى ان يكون مركز المختار وراثيا .

اما مسؤوليات المختار فيمكن ايجازها بالنقاط التالية :

- ١ - حل المنازعات البسيطة التي تنشب بين القرويين واخبار السلطات الحكومية بالنزاعات الخطيرة .
- ٢ - المحافظة على الامن والنظام في القرية .
- ٣ - تنفيذ اوامر الحكومة بتسجيل المدعوين للخدمة العسكرية ومساعدة الشرطة في القبض على المجرمين والهابين من الخدمة العسكرية .
- ٤ - توفير المأوى للموظفين الحكوميين او أي مسافر وجيه يمر بالقرية .
- ٥ - تنفيذ اوامر المالك .

اما مكاسبه الاقتصادية والاجتماعية فهي :

- ١ - يعتبر الرجل الاول في القرية ، وبالتالي يتميز بمنزله الاجتماعية عالية .
 - ٢ - يستأثر باكبر نصيب من الارض الزراعية كما ينال اكبر حصة من مياه الري .
 - ٣ - يعفى من ضريبة الحاصل ، ويمده المالك بالمساعدات الاقتصادية .
 - ٤ - يعاونه القرويون ببعض الاعمال الزراعية لاسيما وقت الحصاد .
- واذا ما اساء المختار استغلال منصبه طالب القرويون بعزله بعريضة يقدمونها الى السلطات المسؤولة ، الا ان مثل هذا الاجراء نادر الحدوث . والواقع ان المختار يتمتع بسلطة واسعة تستمد من مصادر عديدة ، وهي كونه ممثلا للحكومة ووكيلا للمالك ورئيس اكبر مجموعة قرابية .

ويجدر بالذكر ان بعض القرى تتميز عن لقب المختار بلقب الكوخ ، وهو يحمل نفس الدلالة ، وتحدث هذه الاستعاضة في القرى التي يكون عايشه سكانها من اصل عشائري •

الشيخ :

يستخدم تعبير « الشيخ » في القرية الكردية بشكل مغاير لمعناه في الريف العربي • ففي الريف العربي يدل هذا اللقب على الرئاسة العشائرية ، اما في الريف الكردي فيدل على الزعامة الدينية •

ويجدر الشيوخ الاكراد من صلب اشخاص حققوا شهرة واسعة في العلوم الدينية^(٤٧) • ولا يكون الشيوخ مجتمعات مستقلة ، كما انهم لا يتركزون في مناطق معينة ، غير انهم يكونون عادة طبقة منفصلة تشتمل على مجموعات قروية • ولقد حدد بارث Barth مركزهم الاجتماعي على النحو التالي :

(تميل عوائل الشيوخ الى الانقسام الى شطرا سيبه صغيرة ذات زواج داخلي ، ويبدو ان الزواج بابة العم او اى زواج بالاقرباء يبلغ بينهم اقصى حالانه بالنسبة للمجتمعات غير العشائرية • غير انه لا يمكن اعتبارهم طبقة منفصلة تماما ذات زواج داخلي كلي ، اذ يحدث في الواقع زواج خارجي بين المجموعة النسيية • ولا ينصب التأكيد على الزواج الداخلي بين الشيوخ ، بل على الزواج الداخلي ضمن النسب المحلي^(٤٨) •

انظر كتاب :

47. Edmunds, C., "Kurds, Turks, and Arabs"

للاطلاع على دراسة مفصلة في الموضوع (الفصل السادس ص ٥٩ الى ص ٧٨) •

48. Barth, P. 90.

وبالرغم من ان الشيوخ يشتمعون بأعلى مركز في مجتمع القرية ، الا انهم لا يكسبون من وراء ذلك اية مزايا اقتصادية • وتتراوح حرفهم بين مالك كبير ومجرد عامل زراعي ، غير ان عدد الملاك بينهم اكبر من عددهم المؤلف في القرى غير العشائرية • فهناك مثلاً عائلة معينة من الشيوخ في مدينة السليمانية نفسها ، وهي عائلة آل حميد زادة ، تمتلك اكبر حصة من الاراضي الزراعية في اللواء •

ولا يفترض في الشيوخ ان يتحلوا بمستوى احلافي اعلى مما يتوقع لدى الناس الاعتياديين ، كما انه لا يفترض فيهم ان يحققوا درجة فوؤ الاعتيادية في التدين ، غير ان القرويين الاكراد يعتقدون بان البعض منهم يمتلك قوة خيرة خارقة • واذا ما نجح احدهم في اكتساب سمعة دينية عالية تهيأت له فرص الزعامة • وقد استفاد كثير من امثال اولئك الاشخاص من مراكزهم الدينية ومارسوا (وظيفة طبقة عليا تنافس او تعارض الدولة او السلطة العسكرية) بل واصبحوا هم انفسهم عبارة عن قادة عسكريين⁽⁴⁹⁾ • وكان هذا حال معظم الثورات الكردية قبل وبعد الحرب العظمى الاولى كتورات الشيخ محمود في لواء السليمانية ، وثورات الشيخ احمد بارزان في لواء اربيل وثورة الشيخ سعيد في تركيا وثورة الشيخ عبدالقادر شمدبنان في تركيا وغيرها من الثورات • والواقع ان اعظم القواد نفوذا في كردستان في الوقت الحاضر هم من الشيوخ ، وهي ظاهرة توضح مدى المزلسة التي يحققها هذا اللقب •

ويدعي بعض اشيوخ بانهم سادة ايضا ، مما يرفع مكانتهم بدرجة كبيرة • وهذا الادعاء ينبيء بان اولئك الاشخاص ليسوا اكرادا خلص ،

49. Nidd, J., "Class and rank in primitive societies and its relationship to social system of integration", A Thesis submitted to the University of London for M.A. degree in 1951, P. 32.

بل من اصل عربي • وقد يكون هذا الامر صحيحا بعض الشيء • ففي الفترة المبكرة من الدولة الاسلامية ، ونعني بها العصر العباسي ، مارست السلطة اضطهادا عنيفا ضد العلويين ، مما حمل الكثيرين منهم الى الهرب الى المناطق الجبلية النائية طلبا للحماية • ومما لا ريب فيه ان قرى كردستان كانت ملادا مثايا لهم • لذلك فليس من المستبعد ان يكون بعض اشيوخ من سلالة اولئك العلويين • غير ان الكثير منهم ينشر هذا الادعاء بلا سند ثابت • وعلى ايه حال فان لقب « سيد » يكسب صاحبه تبجيلا عظيما بين القرويين العرب والاكراد على حد سواء • واذا ما اجتمع في الفرد الكردي لقب « الشيخ » و « السيد » في آن واحد اكسب صاحبه تبجيلا واحتراما عظيمين •

الملا :

ان لقب الملا لقب حرفي اساسا • وتختلف مكانة الملا حسب درجة دينه وتعليمه • ويقتصر تعليم الملا على دراسة القرآن الكريم والتفسير ، بالإضافة الى بعض الكتابات الدينية الاخرى في العربية والفارسية • ويتم هذا التعليم بقضاء عدد من السنوات في المدارس الدينية (ولا سيما في جوامع المدن الكبرى) ، وتعتمد مكانة الملا ومدى احترامه وتقديره على عدد السنوات التي امضاها في التعلم وعلى مدى شهرة معلمه • ويقيم التلميذ في العادة (ويسمى طالب العلم) في احد الجوامع حيث يلقي بمعلمه ويعيش على ما يقدمه الناس من احسان •

ان تعيين الملا من اختصاص سكان القرية • فحيثما يتضح ان بمقدورهم توفير نفقات الملا فانهم يدعون احد طلبة العلم لشغل المنصب • ولا يتجاوز تعليم الملا في بعض الاحيان حفظ القرآن ، الا انه قد ينال مكانة عالية نتيجة لورعه وسمو اخلاقه • وقد يفقد الملا مكانته بالرغم من فهمه في امور الدين ان لم يثبت صفات خلقية عالية •

وتشمل وظيفة الملا المسؤوليات التالية :

- ١ - الاذان والدعوة للصلاة •
- ٢ - قراءة خطبة الجمعة باللغة العربية •
- ٣ - القيام بمراسيم الزواج والوفاة (وان كان دوره في مراسيم ازواج قد ضعف نظرا لضرورة الحصول على الوثيقة الرسمية للزواج من اسلطات الحكومية • لكن الزواج لا يمكن ان يتم من دون حضور الملا وقراءة الفاتحة) •

٤ - تعليم اطفال القرية قراءة القرآن الكريم ، لا سيما ابناء القرويين البارزين (وقد ضعفت وظيفته هذه بانتشار المدارس الحكومية في القرى)
وبمارس بعض الملالي علاج الامراض بواسطة الادعية والتعاويذ •
اما مكافآته الاقتصادية فهي :

- ١ - ضريبة معينة على كل شخص (تسمى سر فطرة) تدفع له في نهاية شهر رمضان •
- ٢ - حصة معينة من المحاصيل الشتوية لكل مزارع •
- ٣ - مبلغ معين يدفع له اثناء حضوره معاملات الزواج او الوفاة •
- ٤ - خدمات زراعية مجانية يؤديها له القرويون لا سيما وقت الحصاد •

وبالرغم من ان الملا لا يصل الى مركز الزعامة لانه في الواقع ليس حرا اصيلا من مجتمع القرية ، الا ان تأثيره المعنوي قد يكون عظيما جدا • وهذا التأثير الهام قد ادى بالسلطات الحكومية الى تولي تعيينه ودفع راتب شهري له ، وذلك لتوجيه تأثيره في القرية حسبما تقتضيه المصالح الحكومية •

الحاج :

بما ان الحج مفروض على القادرين من المسلمين ، لذلك لا يكتسب

هذا اللقب في العادة سوى الاشخاص الذين يتميزون بإمكانيات مالية . وهكذا يحمل لقب « احاج » في مجتمع القرية معينين ، الاول درجه من الدين ، والثاني مستوى من الثروة . غير ان المعنى الثاني لا ينطبق دائما ، فقد يؤدي فريضة الحج اشخاص ذوي امكانيات مالية ضعيفة .

والرغم من ان الحاج عضو اعتيادي في مجتمع القرية ، الا انه من المتوقع ان يكون على مستوى عال من الخلق ، ولذلك كثيرا ما يتوسط احاج في المنازعات والخلافات البسيطة التي تحدث في القرية .

وتعتبر مناسبة الحج من المناسبات الهامة في حياة القرية الاجتماعية . وصاحب جميع القادرين من رجال القرية الحاج الى مدينة السليمانية يحملون ارايات ويعزفون الموسيقى (الطبل والمزمار) . ويستقبل الحاج العائد بنفس الاحفال . وحينما يصل الى مدينة السليمانية يمتطي جوادا مطهما ويخترق شوارع المدينة يحيط به القرويون وجوقة الموسيقى . ويندفع نحوه المارون ليقبل يديه تبركا . وتدوم هذه الاحتفالات الحارة بضعة ايام ، ثم يصبح الحاج عضوا اعتياديا في القرية مع مكانة دينية افضل .

الاختيار :

وهو عضو اعتيادي في مجتمع القرية ، لكنه يكتسب فضيلة اكبر والحكمة وبالتالي يتمتع باحترام اعظم . ويمنح هذا اللقب للاشخاص الذين تصرفون كممثلين للقرية لدى السلطات الحكومية في الامور الخطيرة . ولا ينتخب الاختيارية من قبل سكان القرية بل يختارهم في العادة المختار نفسه . ويعتمد هذا الاختيار على شهرة اولئك الاشخاص المسنين بالحكمة وحسن الخير . وقد يعين المختار احد الاختيارية وكيل عنه في حالة غيابه عن القرية .

التزامات القرية

يبرز تضامن مجتمع القرية اقتصاديا بالتعاون الاقتصادي واجتماعيا بالمشاركة الجماعية في الاحتفالات وسياسيا بواجب الدفاع المشترك .

التعاون الاقتصادي :

يشمل التعاون الاقتصادي الرعي والري والزراعة • وتمثل النقطة الأولى في الاشتراك بأراضي المراعي والمساهمة بتأجير خدمات راع لحيوانات القرية • وتشتمل مراعي القرية على جميع الأراضي البور وسفوح التلال التي لا تصلح للزراعة • وتعود ملكية هذه الأراضي لمالك القرية ، عدا التلال غير الصالحة للزراعة التي تعود ملكيتها للدولة • ويحق للزراع المستأجرين ان يرعوا حيواناتهم ضمن حدود اراضي القرية • ويتمتع القرويون بنفس حقوق الرعي غير المحدودة اذا ما تقاسم اراضي القرية عدة ملاكين او زراع صغار • ولا يحق للمراعي ان يرعى الحيوانات في اراضي غريبة • لكن باستطاعة رعاة القرى التي تربط بينها علاقات حسن الجوار ان يستفيدوا من مراعي بعضهم البعض •

وتقوم القرية بتأجير خدمات الراعي بصورة مشتركة • واذا ما بقيت القرية بدون راع لفترة من الوقت تولى القرويون هذه المهمة بالدور • اما النقطة الثانية فتمثل قمة التعاون الاقتصادي في مجتمع القرية • ومن المعلوم ان مياه الري تستقي اما من الينابيع الطبيعية او من الابار والكهاريز الصناعية • وفي معظم القرى يكون مصدر المياه نبعاً طبيعياً • ويفترض ان تعود ملكية النبع الى ملاكي القرية بصورة مشتركة • وقد يؤدي العجز في مياه النبع الطبيعي الى ضرورة حفر الابار والكهاريز ، وحيث يساهم في نفقاتها جميع الملاك الصغار ، اما اذا كانت اراضي القرية ملكاً لمالك واحد فيتحمل وحده النفقات اللازمة •

وتعهد عملية توزيع مياه الري الى احد افراد القرية من ذوي السمعة الحسنة ، ويطلق عليه اسم « الميراو » ويتخبه سكان القرية انفسهم • اما اذا كانت القرية ملكاً لمالك واحد فيتولى بنفسه تعيين الميراو ، وقد يعهد بهذه المهمة الى المزارع ان كان مقيماً في القرية •

ويبرز التعاون في حقل الزراعة في مسأله توزيع حقوق امزارعه فيما بينهم بين فترة واحرى • وتتم هذه العملية ، التي قد تجري كل عام او كل بضعة اعواء ، في القرى التي تعود للمالك واحد او لعدة ملاكين كبار • وتنبع الحاجة الى هذه العملية من ممارسة اسلوب الزراعة شبه المتنقلة او زراعة النير والنير (البور) ، وكذلك من تخلف اسلوب الري • ومع ان المالك او ممثله يمتلك نظريا الحق في توزيع الارض كما يحلو له ، لكن العملية تترك في الحقيقة للقرويين انفسهم • ويعقد الفلاحون اجتماعا يبحثون فيه أمر توزيع اراضي القرية فيما بينهم للسنة المقبلة ، على أن يأخذوا بنظر الاعتبار الحقوق العرفية لكل فرد فيهم ، غير ان المتفذين يحصلون دائما على النصيب الأكبر •

المشاركة في الاحتفالات العامة :

تشمل المشاركة في الاحتفالات العامة حفلات الزواج والوفاة والاعياد الدينية •

وتستغرق حفلات الزواج في العادة ثلاثة ايام • ويمتتع جميع القرويين في اليوم الاول عن العمل ليشاركوا في الاحتفال • ويقدم الطعام للجميع بدون تمييز •

اما المشاركة باحتفالات الوفاة فهي مهمة للغاية ، وان لم تكن تستوجب بالضرورة الامتناع عن العمل ، عدا اعضاء المجموعة القرابية او الاقرباء الاقربين •

ويستغرق الاحتفال ثلاثة ايام تتلى اثناء آيات القرآن الكريم في عرفة اضيافة ، بينما يتقاطر القرويون على منزل الفقيد لقراءة الماتحة وتقديم العزاء • ويقدم الشاي والسجائر طول الوقت ، كما تقدم وجبات الطعام عند الظهيرة وعند المساء • ويتوجب على القروي ان يقدم لاسرة المتوفي الشاي والسكر والطعام •

كذلك تبرز وحدة القرية خلال العيدين ، عيد الفطر وعيد الاضحى ، وذلك باشتراك ابنائها في وجبة غذائية عامة ، وفي تبادل الزيارات والتهاني . ففي الصباح المبكر من اول ايام العيد تؤدي صلاة العيد في جامع القرية بأمامة الملا . ثم يحضر كل قروي طعامه ويجمع على سباط يمتد في ساحه الجامع . ثم يجلس القرويون حوله ويتناولون طعامهم بلا تمييز . ويبدأ تبادل الزيارات بين القرويين بعد الظهر . وفي مثل هذه المناسبة يتم الصلح بين المتخاصمين وتنسى الخصومات القديمة .

الدفاع المشترك :

كان هذا المظهر من مظاهر وحدة القرية اكثر وضوحا حينما كانت اسلطة الحكومية عاجزة عن صد او معاقبة المعتدين . وكان الدفاع المشترك ضرورة جغرافية نصرا لانزال القرية الكردية واشترك ابنائها الدائم في القتال . وكان جميع القرويون يسلمون في صد المعتدين أو في الاغارة على القرى الاخرى . لذلك كان كل قروي مسؤولا عن حماية ابن قريته اذا تعرض للاعتداء الخارجي . ولم يعد مثل هذه الالتزامات وجود في الوقت الحاضر بالرغم من ان الدفاع المشترك ما يزال يبرز في حالة حدوث نزاع حول مصدر المياه او حول اراضي المرعي بين قرية واخرى .

مؤسسات القرية

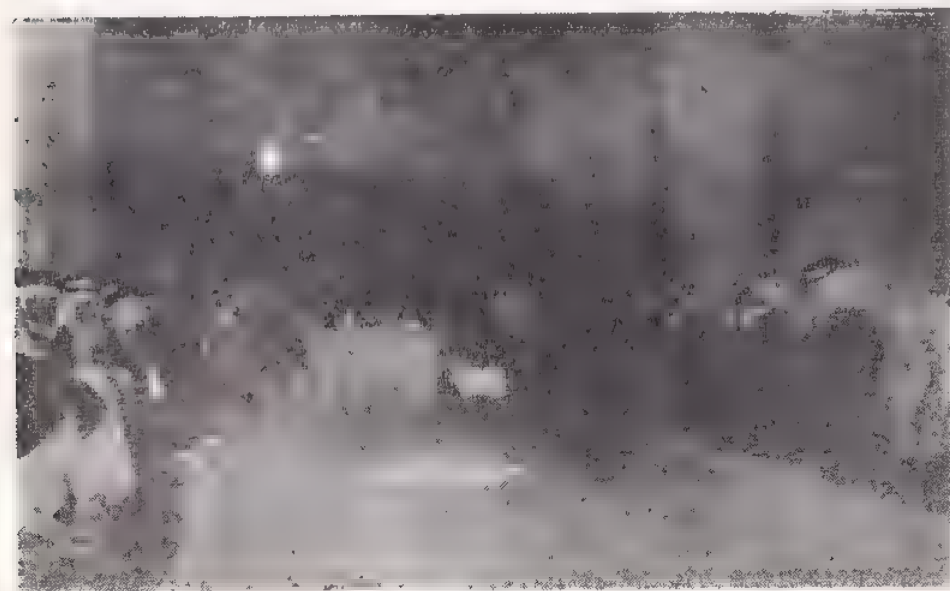
هناك مؤسسات اجتماعية منبثة في كل قرية كردية تقريبا ، عشائرية أو غير عشائرية ، وهي بمثابة محور الحياة والفعاليات الاجتماعية للقرويين . وتلك المؤسسات هي الديواخانة والجامع والجايخانة .

الديواخانة (المضيف) :

تعتبر الديواخانة من ابرز ملامح القرية الكردية . وبالرغم من انها نشأت اصلا لتعزيز تقليد الضيافة ، فانها اصبحت المركز الرئيسي للحياة الاجتماعية في القرية . ولتحديد دور الديواخانة في الحياة الاجتماعية القروية



الديواخانة الكردية



المضيف العربي

لا بد من التمييز بين ثلاثة نماذج من القرى هي : قرى الاغوات العشائريين ،
وقرى الملاك الكبار (الغائبين) ، وقرى الملاك الصغار .

ففي النوع الاول من القرى يتولى الاغا مسؤوليه الامور على
الديواخانة . وكلما ازدادت نفقاته عليها كلما ارتفعت مكانته بين ابناءه القرويين
على الخصوص وابناء عشيرته على العموم . ويقول هاي Hay بصدد ذلك :
(تعتمد سمعة الرئيس العشائري بدرجة كبيرة على مضيفه . فكلما كسار
كرمه عظيماً كلما قويت ادعائه بالزعامة والرجولة) (٥٠) .

اما ليچ Leach فيذكر بأنه (كلما كانت ضيافة الاغا اعظم كلما ازداد
تقدير اصحابه له . ولهذا الامر اهمية بالغة تصل الى درجة تغطي فيها المكانة
التي يكتسبها المرء نتيجة كرمه على وضاعة اصله) (٥١) .

وتبنى ديواخانة الرئيس العشائري في مكان بارز في القرية . فديواخانة
ياباكر اغا مثلاً (وهو واحد من الرئيسين اللذين يترأسان عشيرة بشدر) كانت تقع
على ربوة في قرية باديلان ، وتشتمل على غرفة شتوية واسعة وغرفة صيفية
مفتوحة وشرفة فسيحة . وتبلغ مساحة كل غرفة من هذه الغرف 33×21 قدماً .
مربعاً . وتصف المقاعد الخشبية الطويلة حول الجدران ، بينما تفرش الارض
بالابسطة الكردية .

اما الاغوات الكبار فتكون ديواخاناتهم اصغر حجماً واقل اثاثاً . ولا
يملك الاغوات الصغار ديواخانات منفصلة بل غرفاً مستقلة تلحق بها شرفات
فسيحة . ولا تستخدم فيها الكراسي الخشبية بل تفرش ارضها بالابسطة
المحلية .

ولا تقوم الديواخانة العشائرية مقام المركز الاجتماعي للقرية فحسب ،
بل تؤدي ايضاً الخدمات التالية :

50. Hay, P. 77.

51. Leach, P. 28.

١ - تكون بمثابة بلاط الاغا حيث يعقد فيها الاجتماعات السياسية
والحاكمات العشائرية .

٢ - تكون بمثابة المنتدى السياسي للقبيلة حيث يجتمع افراد القبيلة
حول الاغا ويتبادلون اخبار القبيلة ويعلنون عن تضامنهم
وتبعيةهم للاغا .

٣ - تكون بمثابة الفندق للقرية ، حيث يحق لكل غريب مهما كان مركزه
ومكانته ان يحصل على الطعام والمأوى فيها .

اما النوع الثاني من القرى ، وهي قرى الملاك الغائبون ، فتحصل
الديواخانة فيها بناية مستقلة ايضا . ويتولى ادارتها السركر او المختار ، على
ان يدفع المالك نفقاتها . وتفتح امثال هذه الديواخانات في اوقات معينة ، عند
ريزة المالك للقرية او حضور موظف حكومي او مرور احد الوجهاء بالقرية ،
وفي مناسبات الاحتفالات . ولا يأوى الغرباء الفقراء الى الديواخانة بل يلتجئون
الى الجامع حيث يمدهم القرويون بالطعام . ويمكن القول ان ديواخانة
الملاك الغائب أقل أهمية من ديواخانة الاغا العشائري . وهي تخدم مصالح
واحتياجات الملاك ، ولا يقصد منها عرض كرمه ، كما انها تقوم مقام المسكن
الموقت له عند زيارته للقرية . ويحل الجامع في امثال هذه القرى محل
الديواخانة كمركز اجتماعي للقرية .

اما الصنف الثالث من القرى ، وهي قرى الملاك الصغار ، فلا تحصى
بديواخانة واحدة بل ببضعة ديواخانات يديرها الزراع المقتدرون . وتشتمل
امثال هذه الديواخانات على غرفة صغيرة واحدة ، او غرفة وشرفة ، متصلة
بالبيت . وتعتبر ديواخانة المختار او الكوخاهي الديواخانة الرسمية للقرية
وتكون عادة أكبر الديواخانات . وتستخدم لاستضافة الغرباء الوجهاء
والموظفين الحكوميين ، اما رجال الشرطة فيوزعون على بيوت القرية .

ولا تتركز الحياة الاجتماعية في مثل هذه القرى حول ديواحة واحدة
من سورج على - واحداث القرية ، اصاحه الى الجمع . وموار ديواحه
احجار ، تصيب الاعظم من الاهمية والحيوية ، حيث يحول احجار اليها
كل فرصة ليظهر كرمه وضيافته وليبرهن على لياقته لزعماء القرية .

وليس ثمة تقاليد خاصة راسخة تختص بها الديواخنة الكردية . فمن
احبة القرية حتى كثر قروى الى جمع - واحدة ، سران مع
الديواخنة لا يمكن عمليا من ادارتها سوى الاعا او احد احب و
اصغر . لكن كثر قروى مجتمع في منزله يفرقه للصيود يستضيف فيها
اقرباءه ومعارفه وحتى القرية احده ، فاصية هي احدى اساليب ادارة
لمعبد الكردية . وسرع القرويون عادة من الديواخنة المتأخرين
وديواخنة المالك الغائب .



تناول الطعام في الديواخنة الكردية

(نقلا عن ليچ LEACH)

اما تقاليد الديواخانة فذات أهمية صئيلة • لكنها تكشف عن الاحترام
الخامس الذي يحظى به المضيف • فينبغي ان يقدر المضيف وان شمله
احماية ، حتى لو كان من الاعداء ، طالما ظل مقيما في الديواخانة • ولا بد
من تحقيق طلباته جهد الاستطاعة •

ولا تختص الديواخانة الكردية باصوليات خاصة ، لكن هناك قواعد
معينة لا بد من احترامها • فلا بد ان يجلس المضيف على بساط او فراش ، بينما
لا تمنع ابن القرية من الجلوس على الارض العارية • وليس هناك موضع
خاص في الديواخانة يتناسب ومكانة المضيف • ويحق لجميع القرويين ان
يحضروا الى الديواخانة بدون حاجة الى دعوة ، لكن صاحب الديواخانة
يدعو عادة بعض الاشخاص الذين يفترض فيهم ان يكونوا وجوه القرية
ليرجعوا بالمضيف •

ويقدم الشاي لجميع الحاضرين باقداح صغيرة (الاستكانات) ، مبتدئين
بالمضيف ثم بالقرويين الوجهاء • ولا بد ان يحتسى المضيف ثلاثة اقداح كحد
ادنى ، في حين يكتفي القرويون الاعتياديون بقدر واحد او قدين •

ويقدم الطعام في صوان صغيرة ، ويدعى الى الطعام المضيف اولا نسمة
القرويين الوجهاء • وينبغي الا يجلس حول الصينية اكثر من شخصين •
ومن النادر ان يسمح المضيف بجلوس ثلاثة اشخاص •

اما الحديث فيكون محدودا ويديره المضيف • ويتصف الاكراد
بالاقتصاد بالكلام ويدور الحديث عادة حول الزراعة والحيوانات • ويظهر
بعض القرويين الاكراد روح دعاية قوية •

ونكشف مقارنة الديواخانة الكردية بالمضيف العربي عن اختلافات
جوهرية في تقاليد كل من المؤسستين • ويمكن ان يعزى ذلك الى الاختلافات

الاساسية في النظام العشائري لكل منهما (×) (٥٢) .

الجامع :

يكسب الجامع في بعض القرى أهمية اعظم من الديواخانة . وبالرغم من انه ذو أهمية دينية اساسا ، حيث تجري فيه الوظائف الدينية ، فان دوره

(×) (٥٢) لقد تحدث الدكتور سليم بالتفصيل عن «المضيف» العربي في دراسته لعشيرة بني اسد ، وفيما يلي مقتطفات من تلك الدراسة :

(يعتبر اهل الجبايش المضيف مكانا مقدسا ، وهم يقسمون بمضيف العشيرة او الفخذ . وقد يعبر بعض الاشخاص عن امانيتهم الغالية في المضيف .

ويلجأ المحتدى الى المضيف (يدخل) ، حتى في مضيف اعدائه ، فيكتسب بذلك حماية كاملة . ويعتبر الاعتداء على اى شخص في المضيف من الاخطاء الشنيعة ، ويتوقع ان يمتنع الشخص الذي وقع عليه الاعتداء من الحضور الى المضيف حتى يعتذر اليه صاحب المضيف بارسال وفد خاص اليه يسمى (مشاية) . ولا تقدم القهوة في المضيف الى اولئك الاشخاص الذين ارتكبوا جرائم منكرة .

وتظهر تقاليد المضيف مقدار احترام اهل الجبايش للمضيف بل نقديسهم له . فلا بد لمن يحضر الى المضيف من ان يرتدي كامل ملابسه ، وخصوصا العقال والبشت . وينبغي الا يتكلم ما لم يوجه اليه الكلام ، ولا سيما ان لم يكن ذو مكانة عالية . ويجب ان يتجنب المرء المزاح والضحك الذي لا داع له ، وفي حالة النزاع والغضب يجب ان يتحدث بهدوء ووضوح .

وتوضح تقاليد المضيف ايضا مكانة المرء الاجتماعية . فلا بد لكل شخص يحضر للمضيف ان يجلس في الموضع الذي يحدده مركزه الاجتماعي . ويحتل موضع الصدارة الاشخاص ذوي المكانة الرفيعة مثل السادة وآل خيون واجاويد الطائفة ، والذي يميزه وجود السجاد والوسائد . وتوضح المكانة الاجتماعية ايضا بالمسافة التي يجلس بها العشائري بعيدا عن مكان الصدارة ، والذي هو في وسط المضيف بجوار الوفد الذي توضع فيه القهوة ، وبجوار احد بابي المضيف وقت الصيف . ويجب ان يقف المرء على قدميه تحية لمن هم اعلى منه في المنزلة الاجتماعية . =

الاجتماعي مهم للغاية * والواقع ان حياة القرية تتمركز حول الجامع حيث يمثل محل العبادة والمقهى ومنتدى القرية والفندق •

ولا يحتاج الجامع كمركز للعبادة الى تأييد اهميته * ومع ان هي الامكان اقامة الصلاة في أى مكان نظيف ، الا ان من الافضل ان تقام الصلاة في الجامع وبامامة املا • غير ان من النادر ان يؤدي القرويون الصلاة في الجامع ، فهم اما ان يكونوا في عملهم وبعيدين جدا عن الجامع ، او في يداية عودتهم من العمل وهم متعبين جدا وغير قادرين على الذهاب الى الجامع • تكن صلاة الجمعة لابد وان تؤدي في الجامع تسبقها خطبة الجمعة • ويحاول القرويون جهدهم اقامة صلاة الجمعة في الجامع لاسباب اجتماعية ، اضافة الى الناحية الدينية ، حيث يكتسب المرء مكانة خاصة اذا عرف عنه التدين •

وفي فصل الشتاء حيث يطول الليل ويقل العمل يصبح الجامع منتدى للقرية • ويجتمع الرجال حول النيران او المدفأة ويمضون الاسية في الحديث حول الزراعة والحيوانات وشؤون القرية •

ويستخدم الجامع ايضا لاجتماعات مجلس القرية غير الرسمي ، حيث يجتمع الاحتيارية مع المختار لمناقشة شؤون القرية • كذلك يستخدم الجامع

= وحينما يقدم الطعام في المضيف في المناسبات كالاعبياد والفواتح ، فلا بد لصاحب المضيف من ان يدعو كل واحد من الحاضرين للبدء بالطعام • وبما ان هناك عددا كبيرا من الناس يمكن ان يشاركوا في الطعام ، فان الطعام يوضع على سباط ويدعى الحاضرين للاكل في مجموعتين او ثلاث واحدة بعد الاخرى وهنا يظهر مرة اخرى مبدأ المنزلة الاجتماعية • فلا بد ان يقوم صاحب المضيف بدعوة المجموعة الاولى فردا فردا • ويجب ان يطبق مبدأ المنزلة الاجتماعية تطبيقا كاملا •

ويعرف العشائريون هذه القواعد معرفة تامة ويلتزمون بها ، فكل واحد يعرف مكانة الآخر ويعامله بناء على ذلك •

(Dr. Salim, PP. 205 ff.

بشكل عام كنفذ للقرية • فجميع الغرباء من الفقراء يقصدون الى الجامع ،
ويحمل اليهم القرويون الطعام •

ان اهمية الجامع الاجتماعية ، اضافة الى اهميته الدينية ، تجعل منه
مؤسسة لا يمكن الاستغناء عنها في القرية • ويشكو القرويون من الشكوى
في القرى الفقيرة التي يعجز سكانها عن توفير نفقات الجامع ، لعدم مساهمة
السلطات الحكومية في بناء جامع لهم • ولا يوجد في امثال هذه القرى بناء
خاص ، بل مجرد ساحة من حجر المرمر تتخذ مركزا للصلاة ، ويجوارها
ينبوع مياه •

ان بناء الجامع هو في العادة من مسؤولية مجتمع القرية • وحينما
يتصح بالقرويين انهم قادرون على توفير مصاريفه تجمع الاموال لشراء مواد
البناء • ويساهم في عملية بناء الجامع جميع القادرين من سكان القرية • وبذلك
يختلف حجم اجماع حسب عدد ومقدرة ابناء القرية • ولا بد ان يشتمل على
اية حال على ساحة ونبع في الوسط وعلى شرفة مرتفعة وقاعة واسعة • وتفرش
القاعة عادة بالحصران وتوضع فيها المدفأة الكردية • وقد تقسم القاعة الى عدة
اقسام بجدران نصفية ، ويخصص قسم واحد منها للصلاة • وتقام الصلاة في
القاعة اثناء الشتاء وفي الشرفة او الساحة اثناء الصيف •

ومع ان الجامع يستخدم كمركز اجتماعي ، بقدر ما يستخدم كمركز
ديني ، الا انه يتمتع بقداسة خاصة • فلا يسمح بالالفاظ النابية في داخله ،
وينبغي ان تخلع الاحذية عند دخول موطن الصلاة •

الجايخانة :

لا توجد الجايخانة في جميع القرى الكردية ، وما لم تشمل القرية على
خمس بيتا او اكثر ، او ما لم تقع على طريق رئيسي او فرعي ، فان وجود
الجايخانة ينعدم فيها • ويمكن ان تعتبر الجايخانة عموما دليلا من دلائل



الجايخانة الكردية

تحتل العزلة لمجتمع القرية • فكثيرا ما تكون الجايخانة مكررا لالتقاء القرويين من قرى متعددة ، مما يهيء الفرصة لتنمية المعلومات عن العالم الخارجي •

ولا يقدم في الجايخانة سوى الشاي ، ولكن قد يلتحق بها ايضا بائع كباب لا سيما ان كانت على طريق عام •

وتشابه هندسة الجايخانة في جميع نواحي اللواء • فهي تشتمل على اربعة جدران حجرية او خشبية يحيط بها مقاعد صخرية او خشبية ، وهناك موضع في زاوية المكان يستخدم كموقد لوضع السماور واقداح الشاي • وتزدحم الجايخانة بزبائنهم في فصل الشتاء على الخصوص حيث يقل عمل الزراع ، بينما لا يكادون يجدون متسا من الوقت في فصل الصيف •

الفصل السادس

اشنوغرافيت الأكراد

- ١ -

الرجل الكردي

لقد سجل الرحالة والكتاب اوصافا مختلفة للرجل الكردي ، لكن اغلبها كان بعيدا عن الدقة العلمية ولا يعدو عن كونه انطباعات شخصية . وبما ان الاكراد عنصر متجانس يتصف بفروقات بسيطة في صفاته الطبيعية من منطقة الى اخرى ، فقد يكون من المفيد ان نستعرض بعض اوصاف الكتاب والرحالة لاکراد العراق وايران وتركيا لنلمس مدى الاختلاف فيما بينهم .

ولعل من اقدم الاوصاف التي سجلت لاکراد العراق هو وصف فرنزر Fraiser الذي قال فيه :

(ان بنية الكرد متينة ، وهم يخلفون بعض الاختلاف عن جيرانهم الابرايين ، والملامح الكردية على اية حال متميزة . ويمكن القول بصفة عامة انها ملامح حادة . فمظام الانف بارزة ، والفم والذقن متراجمان قليلا ، والعينان سوداوان ذكيتان وسريمة الحركة وغائرتان قليلا . اما الطابع العام للملامح فتتميز في كونها اكثر رقة من الملامح الايرانية .

وباختصار فهناك جواب تجعل الشعب الكردي متصفا بالجمال اذا ما فورن مع اى شعب آخر في العالم (١) .

ووصف ملنجين Millingen اكراد كردستان تركيا على النحو التالي :
(ان العنصر الكردي - وجالا ونساء - يتميزون بالجمال ، وهم من هذه اوجهة افضل من العنصر التركي . فهم طوال القامة ذوي بنية متينة . اما الوانهم فليست على نسق واحد ، لكن اللون الغالب عليهم هو الاسمر . والسائد بينهم ايضا الشعر الاسود والعيون السوداء ، الا ان العيون الزرق والشعر الاشقر ، او الكستنائي على الاصح ، صفات مألوفة بينهم . وهناك صفة يتميز بها الاكراد جميعا وهي القوة البدنية . ويقال ان الاكراد الذين يقيمون في جبال طوروس في منطقة درسيم مثالا في القوة والجمال) (٢) .

اما هاريس Harris فقد وصف اكراد كردستان ايران كما يلي : (ان لون الاكراد في العادة اقرب الى لون سكان جبوبي اوربا من اليونانيين والايطاليين ولعله اقل سمرة منهم . ويغلب اللون الاسود على العيون والحواجب والرموش . واما الانف فأقوى جميل ، واما الفم فحسن . ويتصف الوجه بكونه طويلا بيضاويا ، كما تميل القامة الى المتوسط . وهم يحلقون لحاهم ويطلقون شواربهم ، كذلك يحلقون رؤوسهم من الوسط ويتركون الشعر على الحواف) (٣) .

وقد وصف مينورسكي Minorisky الاكراد عموما فقال : (من الممكن العثور عند الاكراد على الوجه المدور الارمني والسامي العربي او على

1. Fraiser, J, "Travels in Kurdistan, Mesopotamia, etc." London 1840, P. 191-2.

2. Millingen, PP. 249-50.

3. Harris, W.B., "From Batum to Baghdad" London MDCCCXCI, PP. 187-8.



مجموعة من اكرد السليمانية

الاکثر التسطوري المسيحي • لكن الاکراد في منطقة السليمانية قد حافظوا بصورة عامة على شخصيتهم الايرانية النبيلة لانهم عاشوا بعيدين عن الشعوب الاخرى • فالکاتب الارمني ابو فيان يصف الشخصية الكردية قائلاً : من المسکن معرفة الكردي من النظرة الاولى برجلته وقيافته المهيبة المعبرة التي تشير في نفس الوقت الى الهزء بالخوف وبالإضافة الى هذا فان وجه الكردي يتصف بعيون كبيرة براقة نارية وحواجب كثيفة وجبین عال وانف طويل معقوف وخضوات متينة او بعبارة اخرى صفات الإبطال القدماء^(٤) •

ان هذه الاوصاف كما ذكرنا انطباعات عامة لا تستند الى دراسات علمية ، ولم يدرس الاکراد حتى الآن دراسة انثروبولوجية الا بصورة محدودة للغاية • ومن اوائل العلماء الذين تولوا هذه المهمة الانثروبولوجي

(٤) مينورسكي، ف : د الاکراد ، ملاحظات وانطباعات ، ترجمة الدكتور معروف خزنة دار ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ١٤-١٥ •

الأميركي هري فيلد Field الذي زار كردستان العراق وأجرى قياسات علمية على عدد كبير من الأكراد. وقد وصف الأكراد على النحو التالي :

(أن لون بشرة الأكراد أقل سمرة من لون بشرة العرب ، إلا أنه ليس بياض بشرة الأتوريين . وشعر الرأس بني غامق أو أسود وله تموجات خفيفة وهو متوسط الكثافة . وأما العيون فهي بنية غامقة ، غير أن هناك نسبة من العيون الملونة . فمن بين ٥٩٨ رجلاً خضعوا للقياس ، كان ١٢ شخصا يمتلكون عيوناً زرقاء ، أي حوالي ٢٪ ، والحدقة طبيعية أو عائرة قليلاً . وأما الأنف فمقوس (حوالي ٦٨ ٪) أو مستقيم (حوالي ١٨ ٪) مع أرنبة عريضة أو متوسطة . والكردية متوسط القامة ذو جذع طويل ، وأحياناً طويل جداً ، وسيقان قصيرة . وأما الجين فعريض ، وأما الرأس فعريض جداً ومدور ، وحوالي ٤٠٪ من الأشخاص الذين خضعوا للقياس كانوا ذوي رؤوس فوق العريضة Ultrabrachy Cephalic . ويعتبر الطول الكلي للوجه بصورة عامة متوسط أو طويل ، أما الحالة الصحية فجييدة على العموم .

ولقد أجريت بعض المقارنات بين شكل الرأس والقامة ، وبين القامة ولون العين ، فظهر أن حوالي ٦٦٪ من بين ٣٢٤ رجلاً كردياً كانوا عريضي الرأس ومتوسطي القامة ، وأن ٥٦٪ من بين ١٦٨ رجلاً كردياً كانوا متوسطي الرأس وطويلي القامة . وكان أغلب الأشخاص الذين يمتلكون قامسة متوسطة ، أو طويلة ذوي عيون بنية أو سود . وهناك عدد من الأكراد طوال القامة تبلغ نسبتهم حوالي ٤٤٪ ولديهم عيون ملونة .

وعلى العموم فقد أظهر الأكراد الذين خضعوا للقياسات الأنثروبولوجية أنهم مجموعة متوحدة منسجمة لا تنافر بينها في الصفات ، وأن الصفات المشتركة بين الجميع هي الرأس العريض ، وحينما قورنت قياساتهم بقياسات

عرب الجنوب او سكان انقفاس تبين انهم يخلعون عنهم^(٥) .
وهناك وصف عملي آخر للاكراد سجله عالم الاجناس البروفسور
هادون Haddon حيث قال :

(ان حوالي ٥٠٪ من الاكراد الغربيين (اكراد كردستان تركيا)
يمتلكون عيوناً زرق وشعراً اشقر ، وتميل رؤوسهم الى العرض والضخامة .
وكلمنا اتجهنا عرباً اردادات فيهم علائم الاحتلاط مع الانراك والارمن . اما
الكراد الشرقيون فيكشفون عن نسبة اعلى من ذوي الرؤوس العريضة او
استديرة ، والغالب عليهم اللون الاسمر ، وهم اقل جمالا . ويمكن الحكم
بنقطة على ان الاكراد ينتمون الى طلائع النورويين Proto-Nordic وهم قوم
رعاة في الاصل ، وقد استطاعوا ان يحافظوا على اصلهم ولغتهم لاكثر من
ثلاثة آلاف عام)^(٦) .

هذا ما يتعلق بصفات الرجل الكردي الطبيعية . اما ما يخص صفاته
الخلقية فقد تضاربت فيها آراء الكتاب والرحالة . ولعل الاكراد من اكثر
الاقوام في الشرق الاوسط الذين اسيء الى سمعتهم من قبل جيرانهم او من
قبل الرحالة الغربيين . فإذا تتبعنا الامثلة الموجودة في تراث الامم المجاورة
للاكراد كالترك والعرب والايرائين لوجدنا تأكيداً واضحاً لتلك السمعة
السيئة . ومن الممكن ان نفهم لماذا كان سكان المناطق المجاورة يرهبون الكردي
ويحشون بأسه . فالمعروف أن أراضي كردستان تمثل بيئة صعبة يتعذر فيها
الحصول على القوت ، وهي موطننا للرعاة منذ أقدم الأزمنة . ويعتمد الرعي

5. Field, Henry, "The anthropology of Iraq" part 11, No. 2, Kurdistan & part 11 No. 3 conclusion. Papers vol XLVI, peadgoy Museum, American Archeology and Anthropology, Harvard University, 1952, PP. 56-61.

6. Haddon, A.C., "Races of man", London 1926, P. 96.

بطبيعة الحال على المراعي الطبيعية التي تقع بدورها تحت رحمة الأمطار . وهكذا كانت مصادر القوت في المنطقة مهددة باستمرار ، لا سيما وان طبيعة المنطقة تعرضها لذهبة عالية في أمطارها . فإذا ما قُبل المطر أو انحبس شحت المراعي ونفقت الحيوانات ، وعندئذ يهبط الأكراد من ذرى جبالهم الى السهول المجاورة الغنية لينهبوا محاصيل الزراع من العرب والأتراك والایرانیين . فكان أولئك الزراع في خوف دائم من هجمات الأكراد وتهديدهم لمناطقهم . ومن أمثلة هذا الخوف الدائم ما ذكره الرحالة الاندلسي ابن جبير عند اختراقه لأطراف المنطقة الكردية الشمالية الغربية ، فقد قال : (فتمادى سيرنا الى اول الظهر ونحن على أهبة وحذر من اغارة الأكراد الذين هم آفة هذه الجهات من الموصل الى نصيبين الى مدينة دنيصر يقطعون السيل ويسعون فسادا في الارض . وسكناهم في جبال منيعة على قرب من هذه البلاد المذكورة ولم يعن الله سلاطينهم على قمعهم وكن عاديتهم . فهم ربما وصلوا في بعض الأحيان الى باب نصيبين ولا دافع لهم ولا مانع الا الله عز وجل) (٧) .

اما اسباب تحيز بعض الكتاب الغربيين ضد الأكراد فيعود الى المذابح التي تعرض لها رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين في القرن الماضي والتي ساهم فيها الأكراد . وقد اثبت بعض المؤرخين المنصفين ان الأكراد لم يكونوا سوى آلة مستخرة بيد حكام الدولة العثمانية ولم تكن مساهمتهم ناجمة عن تعصب ديني أو عنصري . وقد اثارت تلك المذابح نائرة الاوربيين ضدهم ، وعمد كثير من الرحالة والكتاب عن علم او جهل الى وصم الخنق الكردي بأنواع من الصفات الذميمة التي هو براء منها (٨) . غير ان هناك

(٧) « رحلة ابن جبير » - لابن جبير ، منشورات دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٩٣ .

(٨) انظر على سبيل المثال لا الحصر الكتب التالية :

=

طائفه اخرى من الكتاب والرحالة المنصفين تحدثوا عن الاكراد بنزاهته
وصدق ، ولعل من أقدمهم كلوديوس ريج Rich ، فقد قال : (يتصف
الاکراد بالمرح ويكونهم اجتماعيين للغاية ومتواضعين فيما بينهم ، وهم لا
يعرفون الحسد . ولم اسمع اى كردي ينافق ضد الآخر مهما كان التنافس
بينهما)^(٩) .

وقال الرحالة الفرنسي هنري بندر Binder :

(يتصف الاكراد بالجمال والقوة والذكاء ، وهم يمثلون نماذج
صيبة ، واذا ما صقلتهم المدنية فيسكوبون افضل من جيرانهم الاتراك والروس .
وبالرغم من بداوة الاكراد الا انهم يتمتعون بمشاعر الكرامة ويتقيدون كليا
بوعودهم . فاذا ما وعدك احدهم بانه سيوصلك سالما الى مكان ما فاطمن اليه
دون تردد)^(١٠) .

وقال سون Soane الذي خبر الاكراد عن كتب لزم من غير قصير :
(يتصف الكردي بالاخلاص الدائم والمحافظة على الوعود والعطف على الاقرباء
والرجوة في معاملة المرأة اكثر من بقية الانواع المسلمة في الشرق الأوسط ،
كما انه يتصف بولع شديد بالشعر والادب وبلاستعداد للضحية في سيل

Creage, J., "Armenians, Kurds and Turks" London
1880, vol. 11, PP. 227-257. and PP. 261-279.

Wagner, Dr. M., "Travels in Persia, Georgia and Kurdistan"
London 1865, vol. 111, PP. 264-266.

Fowler, George, "Three years in Persia " London 1841, vol 11.

Layard, Sir Henry, "Nineveh and its remains", London 1849,
vol. 1, PP. 239-242.

Wigram, "The cradle of Mankind" London 1910.

9. Rich, vol. 1, P. 104.

10. Binder, H., "Au Kurdistan" Paris 1887, P. 110.



كردي من الشمال

الشيعة • غير انه يتميز بطبع ملتهب قد يشور فجأة ، وهو امر ناجم عن
 السوء المزمنة في السرا التي حاصرتها (سرا كوردية) في
 هذه المدة (سرا كوردية) في هذه المدة (سرا كوردية) في
 الفكاهات حتى عن انفسهم (11) •

هذا هو السرا (سرا كوردية) في هذه المدة (سرا كوردية) في

11. Soane, PP. 334-5.



كردي من تركيسا
(نقل عن سافراستيان SAFRASTIAN)

شيء • وهم ينظرون الى كل وجه باهتمام زائد وشك • والاكراد ليسوا
خاملين ولا اغبياء ، الا ان الامكانيات تموزهم لتطوير الثقافة والمعارف بينهم •
والسبب على الاغلب تقاليد الرؤساء الذين يعتقدون ان الوضع الجيد هو في
التمارين العسكرية فقط • لذلك ترى الشبان يطلقون في سبيل المزاح في
اليوم الواحد مائة خرطوشة • هذا ويجب الا ننسى بأن هناك حالات استطاعوا
ان يظهروا فيها نجاحات سريعة في التعليم ، وهم لغويون جيدون • والاكراد

يحبون المزاح ويتصفون بالفضول في معرفة الاخبار ويقتخرون بحياتهم
الحرّة (١٢) •

وقال زمينه Zimenez : (ان الكردي قبل كل شيء رحالة ، وحينما
سافر يفقد جزءا من شجاعته ومميزاته الخلقية • ومهما قيل عن فظاظة
الاكرد ، فانهم في الحقيقة يتصفون بصفات عالية جدا ، يزينها حب طبيعي
لحسرتهم • ويتحدث البعض دائما عن الاكرد الرحالة وكأنهم قتلة محترفين ،
وهذا خطأ فادح ، ذلك ان الرحالة الكردي شخص قويم الاخلاق (١٣) •

وقال الدكتور سافراستيان Safrastian : (ان المتعلمين بين الاكرد
قد اثبتوا كفاءتهم في كل مجال من مجالات الحياة تقريبا • ولعل اهم حقيقة
لا بد ان تعلق بالبلد عن الاكرد هي صمودهم حتى النهاية بالرغم من انهم
عاشوا لقرون طويلة في ظروف سيئة • وفي اوقت الحاضر لا يوجد قوم باسم
الحشيين ولا العيلاميين ولا الشينيين ، ولكن يوجد قوم اسمهم الاكرد
يعيشون في نفس المنطقة الجغرافية التي كان يعيش فيها اكرد مملكة الكوتيين
قبل اربعة آلاف عام • والاكرد ما يزالون يتحلون بمعنويات عالية ، وهم
اصحاء جسديا وخلقيا • وللكردى ولع خاص بالالات والفنون والصناعات ،
وهو قادر بسهولة على التحكم في تفصيلات اية مشكلة تجابهه (١٤) •

وقال الدكتور خالفين : (هناك حالة خاصة مثيرة للاهتمام • فجميع
المؤلفين تقريبا الذين قدموا وصفا زاهيا لميل الاكرد الى الفزوات يتكلمون
في نفس الوقت ومباشرة عن طبيعتهم الطيبة المرحية وعن اكرامهم للضيوف
وعن تفاؤلهم • فقد كتب امبريه جوبر بمبوث نابليون للتفاوض مع شاه ايران

(١٢) مينورسكي ، ف : « الاكرد - ملاحظات وانطباعات » ص ٦٨

13. Ximenez, S., "Kurds and Armenians" London 1895, P.3.

14. Safrastian, A., "Kurds and Kurdistan" London 1948, P.94

في عام ١٨٠٦ يقول : الناس يضعون الغنائم على الطريق ويجلسون مسميين مبدن آيات كرم الضيافة . لهذا فإن السائح المحرب في الشرق س يداخله ادنى رعب في هذه البلاد حيث تسود النية الحسنة . ويظهر الاكراد كمل هذا ، فلدى ظهور الغريب المحتاج شيء ما وعند اقترانه من احدى طوائفهم يخرج اليه بعضهم ويقولون : اهلا ومرحبا . اعتبر نفسك في بيتك . نحن نتظر بفارغ الصبر الساعة التي نستطيع فيها أن نستضيفك .

ومضى يخبرنا معجبا بروح الود التي يظهرها الاكراد عند تقديم الصعام والشراب الى ضيف طارئ ، والى حصانه ، وتزويده بالذخيرة والشعير واهدائه أنواع الهدايا . وفي ذات الوقت لم يستطع احد من المطلعين الذين تحدثوا عن افعال الاكراد المقيمة ان يدلنا على مثال واحد من اعمال الاعتصاب كان شاهدا فيها وغدا ضحية من ضحايلها (١٥) .

ويتضح مما ذكرناه من اوصاف ان الرجل الكردي قد ترك انطبعا حساً على العموم في نفوس غالبية الكتاب والرحالة الغربيين . ولقد قام مؤلف بدراسة الشخصية الكردية والخلق الكردي عن كتب فلمس ما لسه الكتاب المنصفون . ومن السهل على الدارس ان يدحض افتراءات الرحالة والكتاب المتحيزين عن الخلق الكردي وذلك بتحليل بسيط للظروف الطبيعية والاجتماعية التي احاطت بالاكراد . فقد نعت الاكراد بانهم قطاع طرق ، ولوعون بالحرب ، غدارون ، وغير اجتماعيين . اما السلب فلاشك انه عمل زاووته اغلب الشعوب في احدى مراحل تطورها ، وقد زاووته بعض الجماعات الكردية ايضا تحت تأثير ظروف خاصة . فکردستان على العموم تمثل احدى مناطق الصعوبة في العالم ، على حد تعبير الاستاذ فليور 'Fleure'

(١٥) خالفين ، أ : « الصراع على كردستان » ، ترجمة الدكتور احمد عثمان ابو بكر ، مطبعة الشعب ببغداد ، ص ٢٥ .

والاسان في مثل هذه المناطق يكون في صراع دائم مع الطبيعة ليضمن لنفسه البقاء . ومثل هذا الصراع المستمر يخلق بلا شك ميلا الى السلب والنهب ان لم تكن هناك سلطة حكومية قوية مهيمنة . ويلاحظ ان هذا الميل موجود في العادة لدى شعوب المناطق الصعبة التي تعجز ارضها عن سد حاجة السكان ، حيثما تكون السلطة الحكومية ضعيفة او معدومة .

أما ولع الاكراد بالقتال فهو مظهر لحرفة الرعي التي كان يحترفها عدد كبير من الاكراد كما انه نتيجة لانعدام الامن والحكومة القوية . فلا بد ان يكون الرعاة على استعداد للقتال للدفاع عن حيواناتهم او مراعيهم او لغرض قتل المزارعين . ولا بد ان يكون المزارعون ايضا على استعداد لحماية اراضيهم ومصادر مياههم من الرعاة الغزاة او من اغتصاب الاقوياء منهم . فهذا الصراع المستمر الذي ايده النظام العشائري والاقطاعي السائد قد جعل من الكردي شخصا محاربا .

اما الغدر فهي ليست الصفة الصحيحة التي يمكن ان يوصف بها حذر الكردي . ولا بد ان نعترف بأن الكردي يرتاب بالغريب حتى يطمئن اليه ، وهذا الارتباب يعود الى عوامل تاريخية واقتصادية . فالموقع الجغرافي لكرديستان قد جعل منها مسرحا للحروب منذ ازمان بعيدة . فلقد كانت دائما جسرا بين الشرق والغرب . وقد ادى بها هذا الموقع المتوسط بين الدولتين المتنافستين تركيا وايران الى ان تكون ميدانا للمعارك الطاحنة بين جيشي الدولتين منذ بداية القرن الخامس عشر . فهذا الوضع التاريخي ، بالإضافة الى صعوبات الاكراد الاقتصادية ونظامهم العشائري ، قد جعل الكردي شكوكا بأي غريب يتطفل على موطنه ، وبالتالي حذرا منه .

أما الروح غير الاجتماعية التي يتهم بها الكردي فهي في الواقع ليست كراهية للغريب ، بل هي صفة نشأت من الانعزال الجغرافي للقرية الكردية .

فوعودة ارض كردستان وقلة مواصلاتها ، بالاضافة الى شتاها القارس ، قد جعل القرية الكردية منعزلة عن العالم الخارجي ، ولم يترك للكردى فرصة الاختلاط بالغرباء . ولهذا فلا يتوقع من الكردى ان ينطلق على سجيته مع الغرباء قبل ان يألفهم تماما .

ولقد اعجب المؤلف بصفات كثيرة في خلق الكردى والتي يمكن ان يتلمسها أى منصف بوضوح . فهو بلا شك انسان ودود وحسن العشر . ويتجلى ذلك في طريقة التحية الكردية . فاذا التقى قروي بصديق له لم يرم من مدة تشابكت يدهما بقوة وقبل كل منهما ذراع الاخر ووجهاهما يفيضان بشرا . اما لطف الكردى تجاه الغريب فيظهر بترحيبه الحار به حيث يستقبله مرددا طيلة الوقت : « بخير بيت » او « بخير هاتي » اى « حللت اهلا » ، او « قدمت ومعك الخير والبركة » .

ولقد اعتقد بعض الرحالة بان الكردى لا بد ان يكون متعطشا للدناء ، فهو يتجول في ارضه مدججا بالسلاح ، من حزام للذخيرة ، وبندقية وسدس وخنجر . ومع ان الكردى ولوع بالسلاح بالفعل ، لكنه قلما يستعمله فى نزاعاته . ويمكن ان يعزى ولعه بالسلاح الى المخاطر التى يواجهها فى بيئته الطبيعية والى تنظيمه القبلى (١٦) .

ويفترض البعض ان الكردى مشاكس ومحب للمراك ، وانه مولسح بمعاكسة السلطة الحاكمة . ويرجع هذا الظن الى الثورات المتكررة التى يقوم بها الاكراد فى شتى انحاء كردستان ، والى ظهور عصابات المتمردين على القانون فى مختلف المناطق الكردية . لكن تفسير هذه المظاهر يعود فى الحقيقة بالدرجة الاولى الى عدم الاعتراف بحقوقهم القومية ، كذلك يعزى الى

16. Nikitine, B., "La vie domestique Kurde" Revue et de traditions populaires-extrait, 1-337.

نصرفات موظفي الادارة الحكومية في الدول المعنية بشكل تسمي ينافي الطباع
والخلق الكردي مما يثير في نفوسهم الغضب والتمرد .

اما شهرة الكردي بالقسوة فلا اساس لها مطلقا ، ولا شك انها تناقض
طبيعته العاطفية . ووضح دليل على ذلك ، كما لاحظ كمبرلاند Cumberland
عدم وجود مفهوم للحقد في اللغة الكردية ^(١٧) . لكن الكردي يمتاز بغير
شك بشجاعة كبيرة ، وهو لا يفكر بالموت ان زج نفسه في معركة حربية ،
ولعل شجاعته في القتال هي المسؤولة عن تلك السبعة ، وهي صفة تميز سكان
الجيل عموما ^(١٨) .

ومع ان البيئة الطبيعية قد علمت الكردي قوانين الاقتصاد (فلا يكاد اى
بيت كردي يخلو من مخازن الغلال) ، الا انه ظل كريما مضيافا الى حد
كبير . فهو يستقبل الضيف بسرور حقيقي ، ويقدم له ما يستطيع من الطعام
حتى لو تخلى عن لقمته . فالغرباء الذين يقصدون الجوامع في القرى الكردية
لا يتركون بلا طعام ، فاما ان يصحبهم القرويون الى بيوتهم او ان يرسل
اليهم الطعام الى الجوامع .

اما اولئك الرحالة الذين اتهموا الكردي بانه صموت وابه لا يعرف
للمكاهه معنى فهم بلا شك مخطئون ومتسرعون في حكمهم . وهذا الخطأ
يرجع ايضا الى ان الكردي لا ينطلق على سجيته مع الغرباء . وقد دلت
تجارب المؤلف على روح فكهة قوية لدى الاكراد على اختلاف طبقاتهم
ومناطقهم ، حتى لدى سكان القرى النائية المنزلة .

17. Cumberland, R.C., "The Kurds", Moslem World, vol. 16,
P. 152, 1926.

18. Huntington, E. & Cushings, S. "Principles of human geo-
graphy" 4th edit., 1934, P.87.

والكردي ، بعد ذلك كله ، شخص امين نزيه ، وهو يكره الكذب والخديعة ، ويضرب المثل بالكذاب في المجاس والاندية وهو محور السخرية والهزء ^(١٩) ، كما انه اسان طيب القلب ، عاطفي ، والادب الشعبي الكردي حافل بقصص الغرام الجميلة . وهناك مثل كردي يقول : « ان لم يكن اكردي زارعا او راعيا اصبح شاعرا » . ولا شك ان صبيحة بلادهم الجميلة ترهف عواطفهم . والحقيقة ان الادبين العربي والعربي عايشين بمؤامرات الاكراد في الشعر والادب . اما اولئك الذين تنقموا منه علميه حديثه فقد كشفوا عن مقدرة خاصة في العلوم والميكانيك .

والخلاصة ان الكردي انسان لطيف المعشر ، طيب القلب ، كريم ، سموح ، محب لاسرته وموطنه ومعتز بقوميته الكردية اكبر الاعتراف . ومن الواضح ان اولئك الكتاب والرحالة الذين رسموه بصفات خفيفة سيئة كانوا اما جهلاء بحقيقته او متحاملين ضده ، وفي كلا الحالتين ليس لوصافهم قيمة علمية .

الزي الكردي

لقد اثار زي الرجل الكردي اعجاب الرحالة دائما بأنماطه والوانه الزاهية . ويتألف اساسا من عمامة وسروال عريض وسترة ضيقة مزررة . وتشتمل العمامة على طاقة صغيرة قد تلف حولها عدة وشاحات حريرية . ويصنع السروال من قماش محلي ، وهو عريض جدا في جزئه الاعلى وضيق للغاية في جزئه الاسفل . كذلك تصنع السترة من قماش محلي ، وهي تزور عند الصدر وتربط بالسروال . ويرتدي الرجل ايضا قميصا تحت السترة ، ويتميز باكمامه الطويلة التي تلامس الارض ، غير انها تلف في العادة حول الرسغ . وتستخدم في فصل الشتاء صديرية من الصوف ، كما قد يستخدم

19. Mrs. Soane, Linfield, "A recent journey through Kurdistan" Journal of Royal Central Asian Society, vol. 22, 1935.

معطف من الوبر • وهناك ايضا الحزام ، وهو جزء لا يتجزأ من بدلة الرجل الكردي ، ويصنع من قماش اجنبي ، ويلتف حول الجسم عدة لفات تشابكة • ان التأثير العربي واضح في الجزء الجنوبي من كردستان وفي المدن الكبيرة كمدينة السليمانية ، اذ يحل محل السروال الكردي ثوب طويل مصنوع من قماش اجنبي • وهناك بعض الفروق البسيطة في الملابس بين منطقة واخرى • فالأكراد الشماليون مثلاً يرتدون سروالاً يختلف نوعاً عن السروال الجنوبي ، كما ان عمامة الرأس تكون صغيرة نسبياً • وتستعمل ايضا قطعة من القماش لتغطية العنق من الخلف ، بينما يستخدم الجيليون عمامة مخروطية تملؤها شراية •

وسكن القول ان زي ارجل الكردي يلائم متطلبات البيئة الطبيعية تمام الملائمة • ويتمثل ذلك في النواحي التالية :

- ١ - ان السروال (او الشروال) مصمم تيسير تسلق الجبال والمحافظة على دفء القسم الاسفل من الجسد •
- ٢ - ان عمامة الرأس (الموشكي) مصممة لحماية الرأس من البرد حماية كاملة •
- ٣ - للحزام الكردي مزايا كثيرة اهمها تدفئة الجزء الاوسط من الجسم ، كما يحافظ على استقامته اثناء التسلق •

وتمثل تنوع الملابس الكردية من منطقة الى اخرى في لباس الرأس على وجه الخصوص (الموشكي) • ويمكن تمييز عشيرة الفرد ، بل حتى دياته ، من لباس رأسه • فاتباع عشيرة الجاف والهورمانيون مثلاً يرتدون عمامة ضخمة جداً ، بينما يرتدى سكان مدينة السليمانية وما جاورها عمامة متوسطة الحجم • اما في الاقسام الجنوبية والشرقية من اللواء فتصبح

العمامة صغيرة نسبياً • ويبدو أن (الموشكي) تأخذ بالضخامة كلما توغلنا شمالاً وشرقاً ، وقد يטوى ذلك على معنى جغرافي حيث تشتد برودة المناخ في تلك الجهات (x) •

وتصنع اغلب اجزاء البدلة الكرديه محلياً ، ويفصل الاكراد عموماً ، بما فيهم الرؤساء ، الالقمشة المصنوعة محلياً ، غير ان ملابس الاغوات والرؤساء

(x) ان الازياء الكردية حارج كردستان العراق شبيهة بالتي وصفت اعلاه • فقد وصف هاريس Harris مثلاً زي اكراد كردستان ايران على النحو التالي :

(ان زي الرجل الكردي خاص به تماماً ، وفيما عدا المناطق الجنوبية التي يتأثر فيها الاكراد نوعاً بالاييرانيين ، فانهم يلتزمون عموماً بزيهم الخاص • ويتألف لباس الرأس من قبعة عالية قد التفت حولها عدد من الوشاحات الحريرية في فوضى بارعه • واللون المفضل لعمامة الرأس هو الاحمر والارجواني الداكن او الذهبي ، يطرزه هنا وهناك اشربة من ألوان برافة اخرى ، وسرك الحواف المشرشرة مدلبة حول الوجه شرط الا تحجب العينين او الاذنين • ويستخدم قميص ابيض باكام طويلة يزيد طولها على الياردة ، تعلوه سترة بدون ياقة مفتوحة عند العنق ومزورة عند الصدر • ويلتف حول الوسط حزام ابيض عريض • ويثبت في الحزام خنجر ملنو وجليون طويل • وتعلو السترة صديرية قصيرة من الشعر الابيض او البسي بلا اكمام وهي مفتوحة من الامام • ويمتد من وسط الجسم سروال منتفخ جدا في جزئه العلوي وضيق في جزئه السفلي • ويرتدي جوارب صوفية وحذاء من الجلد الاحمر اقرب الى الخف •

(Harris, PP. 188-9).

ووصف ملنجن Millingen زي الرجل الكردي في كردستان تركيا على النحو التالي : (تتألف بدلته من سترة قصيرة حمراء وقيص ذي اكمام مدلاة وسروال منتفخ في جزئه العلوي ، ومن الصعب وصف مظهره للقارئ • وهناك ايضا الحذاء الاحمر المعتاد ، والعمامة التي يلتف حولها عدد من الوشاحات الملونة • ويرتدي الرجل الكردي هذه البدلة في فصل الصيف ايضا) •

(Millingen, PP. 247-8).



تخطيط يمثل نماذج لباس الرأس الكردي للرجال والنساء

- | | |
|---|---|
| لباس الرأس للرجال في كردستان العراق الجنوبي | A |
| لباس الرأس للرجال في كردستان العراق الشمالي | B |
| لباس الرأس للمرأة في كردستان العراق الجنوبي | C |
| لباس الرأس للمرأة في كردستان العراق الشمالي | D |

افضل نوعية في قماشها واكثر بهرجة في الوانها • ويفضل الاكراد اللون
الخردني ثم الارجواني ثم القرمزي ثم الذهبي • والملابس الكردية تضي
على الكردي جاذبية وحيوية ملفتتين للنظر •

- ٢ -

المرأة الكردية

لقد جذبت المرأة الكردية على الدوام الرحالة بجمالها الطبيعي ، الا
انهم كانوا مجمعين في الوقت نفسه على قصر عمر هذا الجمال وعلى انه يكاد
ينحصر في مرحلة الشباب • ومثال ذلك ما ذكره الرحالة فريزر Fraiser
فقد قال : (حينما تكون المرأة الكردية في سن شبابها تكون فائقة الجمال ،
لكنها حينما تتقدم في السن ، او حتى حينما تبلغ مرحلة النضج ، يبدو على
ملامحها الحادة القدم والذبول) (٢٠) •

وقال هيوارد Hubbard : (ان النساء الكرديات جميلات ما دمن في
سن الشباب • وهنا في كردستان يدشنني الانتقال السريع المفاجيء من سن
الشباب الى الشيخوخة لدى النساء اكثر من اى مكان اخر في الشرق) (٢١) •
ومما لا ريب فيه ان هذه الظاهرة تعزى الى الظروف التى تحيط بالمرأة
الكردية - لا سيما الريفية - اذ انها تعاني من عمل متصل مرهق في الحقل
وفي البيت • ومما يزيد الامر سوءا عدم توفر الغذاء الصحى للسكان عموما •
وقد اكد هذا التعليق ايضا باسل نيكيتين Nikitine فقد قال : (من المؤكد ان
جميع الاشغال المنزلية الشاقة تقوم بها النساء ، فهن يحملن الدواب وينزلن

20. Fraiser, P. 193.

21. Hubbard, C.E., "From the Gulf to Ararat" London 1916,
PP. 186-7.

الاحمال ويصعدن الى مواطن القطعان لحلب الفم • وهن يلتقطن الاغصان والاحشاب لتدقوة والطبخ ، ولا يتخلين اثناء عملهن هذا ابدا عن اطفالهن الذين يعلقنهن على عهورهن • واذا كانت النساء تكسب من هذه الاعمال المرهقة قوة جسمانية كبرى ، الا انهن يفقدن بذلك انوثتهن وسرعان ما تدوى ملامح الجمال في وجوههن • اما نساء الزعماء فهن وحدهن يستطعن الحفاظ على جمالهن لان حياتهن رغبة ، وهن لا يضمن بئى عمل شاق (٢٢) •

اما الصفات الانثروبولوجية للمرأة الكردية فقد ذكرها فيلد Field على النحو التالي :

(للمرأة الكردية بشرة فاتحة ، بالمقارنة مع المرأة العربية في العراق • وشعرها بني غامق وذو موجات خفيفة وهو متوسط الكثافة ، والعيان نيتان غامقتان مع حدة محتقة • اما البروفيل الانفي فهو مقعر او محدب • والانف متوسط وضيق •

والمرأة الكردية متوسطة الطول ، مع جذع طويل وجبهة ضيقة • ورأسها عريض ، وحوالي ٣٠٪ عريض جدا • وحالتها العضلية متوسطة عموما (٢٣) •

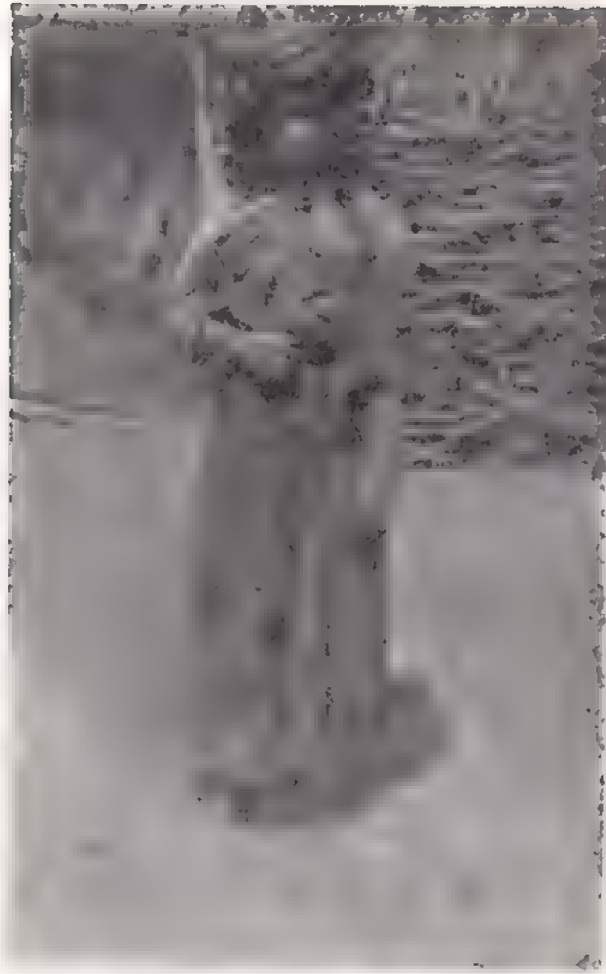
وقد تحدث الرحالة والكتاب في مختلف العهود عن مركز المرأة الكردية ، واكد اغلبهم انها تتمتع بمكانة عالية بالقياس الى مركز المرأة بين بقية الشعوب الاسلامية المجاورة • فقد كتب ريج Rich قائلا : (ان احوال المرأة في كردستان افضل بكثير مما هي عليه في تركيا او ايران • فالزوجة تعامل على قدم المساواة مع الزوج وهي تسخر من عبودية المرأة التركية) (٢٤) •

(٢٢) نيكتين ، ب : (الاكراد) - منشورات دار الروائع - بيروت ،

ص ٨٧ •

23. Field, P. 63.

24. Rich, vol. 1, P. 284.



امراة كردية من كردستان العراق

وقال سون Soane : (تتمتع المرأة الكردية بحرية واسعة ، ويمثل النساء الكرديات نموذجا حسنا للنساء الحرشات • وهن ساهلن الاطراء لفصائلهن السنة ولجمالهن الطمى • وهناك الكثيرات ممن يحسن ركوب الخيل وحمل السدقة • وقد تشترك المرأة في القبائل الرحل في القسبال ايضا) (٢٥) •

25. Soane, PP. 396-9.



فتاة كردية من كردستان تركيا

(نقلا عن سافراستيان)

وقال بورتير Porter : (ان الاكراد لا يحيطون نساءهم بالشك الذي يتميز به الفرس والأتراك تجاه نساءهم ، لذلك فان زوجاتهم وبناتهم يتجولن خارج بيوتهن بحرية ومن دون ان يستخدمن المقاب • وتظهر هؤلاء النسوة في ابواب الاكواخ والخيم بدون تقيد ، وهن مستعدات كأية امرأة انجليزية ريفية ان يقمن بالواجبات الاعتيادية البسيطة تجاه الزائر والضيف • ان

اولئك النساء اللواتي يتصفن بالحشمة والحياء هن فتيات ، وبالغفة والطهر
وهن زوجات ، ليفرسن تلك العادات الممتازة التي تثمر سلالة قوية حية
واطفالا اصحاء لا يعرفون الخوف) (٢٦) .

وقال شيل Shiel : (ان نساء كردستان لا يقيدن كما هو حال نساء
جيراهم من الفرس والأتراك . فاما القرويات منهن فلا يستخدمن ابرقع
- عدا نساء الرؤساء - واما البدويات فلا يعرفن الحجاب على الاطلاق .
وتتبع نساء الاكراد الرجل بسيطرة عظيمة ضمن اسرهن وهن يخلطن
اختلاطا واسعا مع رجال مخيمهن . ومن الشائع جدا ان يفر بعض الشباب
مع فتيات من عشائر او مخيمات اخرى . وامثال هذه الحوادث قد تؤدي الى
اقتال عنيف لان الكردي يرفض اهانة من هذا القبيل ويعتبرها على صعيد
واحد مع النار) (٢٧) .

وقال مارك سايكس Sykes : (لقد استطاعت المرأة الكردية ان تحرر
نفسها . وبالرغم من انها تعيش بمعزل عن الرجل فان لها كامل حريتها
في التجوال خارج بيتها وفي التمتع بوقت فراغها وفي مشاكسة زوجها ان
اقتضى الامر شأن اية امرأة انجليزية . الا ان هذه الحرية مقرونة بقانون
اخلاقي صارم ، ربما اكثر صرامة مما هو عليه في المناطق المجاورة . وان
السلوك اللااخلاقي نادر جدا بين نساء العشائر غير المتحجبات) (٢٨) .

اما الباحثة مينورسكي Minorisky فقد شرحت اوضاع المرأة الكردية
على النحو التالي :

26. Porter, Sir Robert Ker, "Travels in Georgia, Persia, Armenia and ancient Babylonia", vol. 11, London 1822, P. 198.

27. Shiel, J , "Notes on journey from Tabriz to Gulf" Journal of Royal Geographical Society, vol. 8, 1838, PP. 69-70.

28. Sykes, M., "The Caliphat last heritage", P. 342.

(ابحث في حالة المرأة مهم جدا لتحديد اخلاى اى شعب كان ، وهذا
يعنى بالآكراد ايضا فهم اكثر تسامحا من جميع الشعوب الاسلامية في هذا
النصد . وتقوم نساؤهم وبناتهم بأعمال بيتية شقة حيث يجلبن الماء من
العين وينسلقن الجبال العالية بحلب المواشى وجلب الأخطاب . واضافة الى
ذلك وبصورة دائمة يحملن اولادهن الصغار حيث يشدوهن على ظهورهن
بحزام عريض .

والنساء غير محجبات يجلسن في الجماعة بشجاعة وبدون استحياء ،
وغالبا ما يشاركن الرجال في الحوار . ولا يوجد اى حجب بين الشبان
والشابات فبهم يعرفون بعضهم بعضا بصورة جيدة . والزواج يتم بينهم
بتاسق ، ويسيطر على قلوبهم شعور رومانتيكي قوى . وللمرأة عدد الاكراد
شخصية بلا شك ، وليس من العبث ان نرى اسمها يضاف الى اسم ابنها
اذا كانت تتمتع بذكاء معين او جمال ، وتوجد امثلة كثيرة في هذا النصد .
وهناك نساء كرديات اصبحن رئيسات للقبائل وكان يدهن جميع
السلطان (٢٩) .

وهكذا نلاحظ بان الرحالة القدماء واكتاب المحدثين متفقين على المكانة
الطيبة التي تتمتع بها المرأة الكردية . والواقع ان تمتع المرأة الكردية
بحريتها - ونخص المرأة الريفية - ببرز في مظاهر كثيرة ، غير ان تلك
الحرية ليست مطلقة . فالرغم من ان المرأة الكردية الريفية لا ترتدى العباءة
او البرقع ، الا ان المدينة لا بد لها من ارتداء العباءة بل والرفع في غالب
الاحيان ، فجميع النساء في مدينة السليمانية مثلا - على اختلاف طبقاتهن -
يرتدين العباءة والبرقع . وفي حلبجة وقلعة دزة وبنجوين يرتدى نساء
الطبقة المتوسطة والموظفين الحكوميين العباءة والبرقع ايضا .

(٢٩) مينورسكي ، (الاكراد) ، ص ٧٨

ويحق للمرأة الكردية الريفية ان تتجول ضمن القرية وان تحيي
ارجال من اقاربها وجيرانها ، بل وحتى الغرباء اذا ما اقتضت الضرورة .
غير انها ينبغي الا تدخل في حديث لا ضرورة له مع الرجل ، وحتى لو
كانوا اقربائها . ويجب ان تحسن التصرف حينما تكون خارج البيت فتتبع
عن الضحك مثلا بصوت مرتفع . ويفضل الا ترتاد الاسواق الا لضرورة ملحة .

ومن الضروري ان تقوم الزوجة بواجب الضيافة للرجل الغريب عند
غياب زوجها ، الا انها ينبغي الا تطارحه الاحاديث . وهي تدعو في العادة
احد الجيران او الاقرباء لمسامرة الضيف .

ويسمح للمرأة بالبقاء عند حضور الزوار من الاقرباء او من الجيران ،
لكنها لا تشاطرهم الحديث ، كما ويجب ان تتحى ركنها منزلا من المكان .
ومع ان من المألوف ان يتم الزواج عن حب ، لا سيما في المناطق
الريفية ، غير ان من المشين التصريح علنا بهذا الحب .

ان هذه الحرية النسبية التي تتمتع بها المرأة الكردية قد حفزت لها
مستوى حلقيا رفيعا ، وخصوصا بين الرعاة والريفيين ، ولذلك فنادرا ما تحدث
في المجتمعات الكردية حوادث سوء السلوك ^(٣٠) . وتختلف حرية المرأة
من عشيرة الى اخرى ومن منطقة الى اخرى ، الا انها تقلص عموما حول
المراكز المدنية ، وتتسع لدى العشائر الرعوية ، لذلك فان المرأة الرعوية هي
أقوى شخصية وأكثر حيوية ^(٣١) .

وبالرغم من ان للمرأة الكردية نظريا نفس فرص الرجل الاقتصادية ،
الا انها لا تمارسها فعليا كما يفعل الرجل شأنها شأن المرأة في معظم المجتمعات

30. Chantre, Ernest, "Le Kurde" Lyons, 1897, P.17.

31. Dickson, B., "Journey in Kurdistan" Geog. Journ., vol.
35, 1919, P. 342.

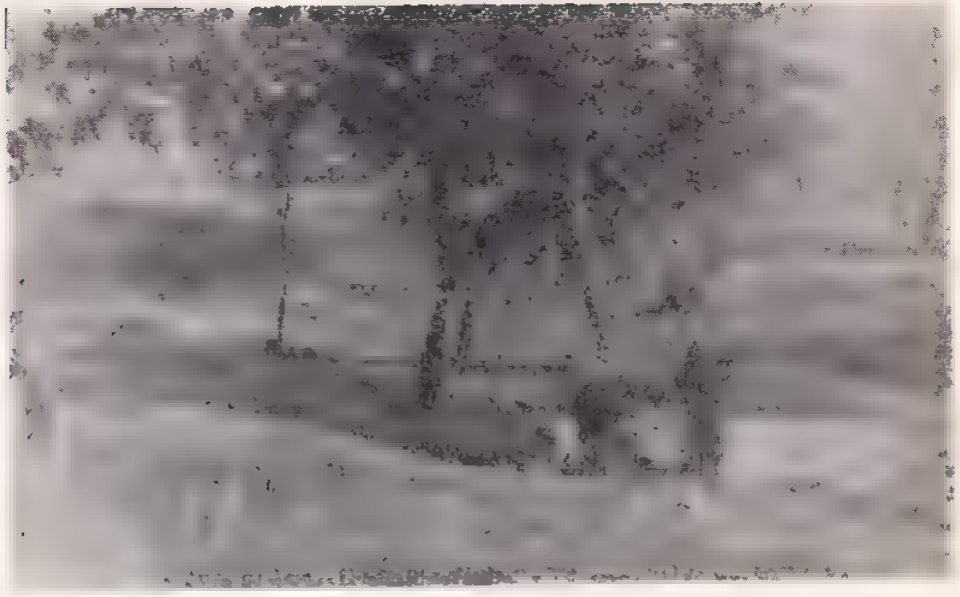
المخلقة^(٣٢) • ومثال ذلك انها من اسادر ان تشارك احاها في وراثه الارض حتى لو لم تكن غير متزوجة • ويمكن ان يعزى حرمانها من الارض الزراعية الى كونها غير مسؤولة عادة عن اعالة نفسها ، بل تقع هذه المسؤولية على عاتق اخوانها او ابنائها •

كذلك الامر في الميدان السياسي ، فهي لا تلعب اى دور في الحياة السياسية ، وينبغي الا تتدخل في شؤون القرية او العشيرة • غير ان هذا الحضر على نشاط المرأة السياسي لم يمنع بعض النساء القديرات ، كعبدلة خان (من عشيرة الجاف) وحفصة خانم (آل حفيد زادة) ، من ان يتبوأن مركز الرئاسة في مجتمعهن •

وبالرغم من ان النساء الكرديات يحظين بقسط طيب من الاحترام من قبل الرجال ، فان سلطتهن ضمن العائلة ضئيلة اذا ما قيست بسلطة الرجل • ففي حالة الزواج لا يعتبر رأى الام او الابنة حاسما ، والرجل هو الذى يصدر القرار النهائى • وفي حالة الطلاق لابد ان تاتي المبادرة من قبل الرجل • وتعطى المرأة كعويض في حالة الفصل لا سيما بين السكان العشائريين • ويجب الا تتناول الزوجة او الابنة طعامها مع الزوج او الاخ • ولكن بالرغم من ان الرجل الكردى يعتبر المرأة قليلة الحكمة ، فانها في بعض الاحيان تمارس تأثيرا عظيما عليه ، وخصوصا ضمن محيط العائلة •

وتتفق المرأة الكرديّة وقت فراغها في تبادل الزيارات • وقد تقوم بعض الاحيان بنزهات في الهواء الطلق في غابات القرية او في المروج المحاورة حيثما توفر نبع جار • واهم مركز لتجمع النساء الريفيات هو نبع القرية حيث يغسلن الملابس والاواني البتية وبأخذن حمامهن ، ويحضرن مياه الشرب ويتبادلن القصص والحكايات والاخبار • اما زيارتهن فتكاد تقتصر بدرجة رئيسية على الاقرباء ، وتتم اوقات انشغال الرجال •

32. Fortes. M., "Social structure" Oxford 1949, P. 68.



ينبوع القرية

اما زى امرأة الكردية فهو متماثل في جميع جهات كردستان ، وهو
 أكثر بهرجة وجاذبية من زى الرجال • ويشتمل على سروال قطعي واسع
 ورداء فضفاض يزرر عند العنق ويترك مفتوحا من الرقبة الى الاسفل ،
 وصدرية بلا اكمام من قماش ذهبي او فضي • ويستخدم ايضا حزام جلدي
 ضخم مرصع بقطع ذهبية او فضية • ويشتمل لباس الرأس على عمامة ضخمة
 تلف حولها عدة وشاحات حريرية ذات ألوان زاهية • ويزين مقدمة العمامة
 صفوف من العملات النحبة او الفضية • وتستخدم في المدن عباءة حريرية •
 اما نساء الطبقة الفقيرة فيرتدين سروالا ازرق من قماش خشن ورداء
 فضفاض • ويشتمل لباس الرأس على طاقية صغيرة تزنها قطع فضية (x) •

(x) لقد وصفت مسز بيشوب Mrs. Bishop زى المرأة الكردية في
 كردستان ايران على النحو التالي :

ويمكن القول ان المرأة الكردية مفرمة بالملابس عموما ، وهي تفضل
الانوار الزاهية • كما انها مفرمة ايضا بالحلي الذهبية والفضية ، لكنها قلما
تستخدم الحلي الزجاجية • ولعل اكثر الحلي شيوعا هي طفية الرأس التي
تصنع من رفاق من الفضة ، وهي تشيع في الريف الكردي بدرجة واسعة •
اما نساء الطبقة الغنية فيصنعن الطاقية من رفاق من الذهب •

ويأتي الحزام بالدرجة الثانية من الاهمية بعد طاقية الرأس ، وقد
يصنع كنه او معظمه من الفضة او الذهب • ومن جملة الحلي الشائعة العقود
المصنوعة من العملات الفضية او الذهبية او من خرز العنبر الاصفر ، اما
الوشم فقد اصبح عادة قديمة •

- ٣ -

العائلة الكردية

بالرغم من ان النمط العائلي ، وهو العائلة الابوية Patriarchal family
متماثل عموما في جميع انحاء اللواء في المجتمعات العشائرية وغير العشائرية ،
الا أن هناك بعض الفروقات الثانوية من منطقة الى اخرى حسب تضاريسها
ومدى اتصالها بالعالم الخارجي • ولا تغير هذه الفروق على اية حال من
الملامح الرئيسية لذلك النمط •

ويمكن القول ان غالبية العوائل الكردية هي من نوع الاسر الاولية
Elementary التي تشمل على الاب والام وابنائهما وهناك نسبة معتدلة من الاسر

(تشمل ملابس المرأة الكردية على قميص قطني ازرق وسروال
فضفاض وغطاء للرأس على هيئة الصحن مصنوع من الفضة ، ورداء يتدلى
على الظهر مربوط حول الرقبة ، وتتدلى منه حول العنق سلسلة من العملات
المعدنية ، وتربط للمرأة حول شعرها متديلا صغيرا ، وعند حضور رجل
غريب تغطي فيها باحد طرفي المتدليل) •

(Mrs. Bishop, vol. 11, P. 345).

الواسعة extended family (حوالي ٢٠٪) التي تشمل على الأب والأم وأبائهما وأجدادهما ، وتعيش هذه الأسرة في بيت واحد أو في بيوت مصله Joint houses . ولقد شجع قيام الاسر الواسعة العامل الاقتصادي بالدرجة الاولى . فالمجتمعات الكردية اما ان تكون زراعية او رعوية ، اى ان الملكية فيها ثابتة ومحدودة ، وهي الاراضي الزراعية او المراعي . وهذا النوع من الممتلكات يضطر الابناء الى الاستمرار في العمل مع آبائهم حتى في حالة نضجهم ، مما يضطرهم الى البقاء في نفس البيت عند زواجهم لان ذلك ياسب حياتهم العملية .

اما رئاسة الأسرة الكردية فهي رئاسه ابوية Patriarchal ، اذ يملك الأب السلطة الوحيدة على اعضاء العائلة . ويمكن ان نعزى هذه الرئاسة الى النسق الاقتصادي القائم في المجتمعات الكردية ، وهو الاقتصاد انزراعي او الرعوي . ففي هذه الفعاليات الاقتصادية يلعب الرجل الدور الرئيسي ، بينما يكون دور المرأة ثانويا ، ذلك ان الرجل يحرق الارض ويزرعها ويرعى الحيوانات ويحرسها ، وبالتالي يسيطر على اقتصاد الأسرة . ومع ان المرأة تساهم في الاقتصاد العائلي بالفعل ، الا ان مساهمتها ليست حاسمة . وكما اوضح مردوخ Murdoch (فان نوع الفعاليات الاقتصادية لا تؤثر في النتيجة ، والامر الحاسم هو مدى تفاوتها) (٣٣) .

اما اقامة العائلة الكردية فهي من نوع الاقامة الابوية Patrilocal حيث تلحق المرأة بزوجها في منطقة اقامة الأب . ولقد تأثرت الاقامة الابوية بالنسق الاقتصادي للمجتمع وبتقسيم العمل بين الرجل والمرأة .

وكما سبق ان ذكرنا فان النسق الاقتصادي السائد يربط الابناء بأبائهم حتى

33. Murdoch, op. cit., P. 206.

بعد زواجهم ، ذلك لانه لا يشجع الملكية الشخصية كما انه لا يشجع العمليات الاقتصادية الفردية . فنظام الملكية الزراعية الذي يسود في لواء السليمانية ، وهو نظام المحاصة الوراثي ، يمنع الاب من توزيع حصته من الارض على اولاده . غير ان الزراع الصغار يمتلكون حرية اعظم في توزيع اراضيهم على ابائهم مما قد يشجع احيانا انحلال الاسرة ، لكن مساحة الارض المحدودة عموما تترك حرية ضيقة امام العمليات الاقتصادية الفردية . وفضلا عن ذلك فن عجز الفلاح الاقتصادي بوسائله البدائية تجعله في حاجة دائمة الى العمل اليدوي ، ويمكن توفير ذلك بتعاون الابناء معه . لذلك يقم الابناء المتزوجون عادة مع ابهم ، بل وقد يستمرون في العيش سوياً بعد وفاته فيكونون بذلك وحدة اقتصادية Economic Unit .

ان طبيعة تقسيم العمل بين الرجل والمرأة يجعل موضوع تغيير المكان بالنسبة للمرأة اكثر سهولة من تغييره بالنسبة للرجل . فطبيعة عمل المرأة الذي يشمل عادة العمل البيتي والعناية بالحيوانات وبعض الصناعات البيئية ، تحصر نطاقه بالبيت او ما يجاوره ، ولا يستدعيها عدلها معرفة دقيقة بمنطقة اقرية وبيئتها . اما فعاليات الرجل الاقتصادية فتحمله بعيدا عن البيت وتمده بمعرفة دقيقة بمحيط قريته وبمصادرها النافعة . لذلك يصبح امره لا مفر منه على المرأة ان تغير مكان اقامتها عند الزواج وتلتحق بزوجها ، (ذلك لان المرأة تستطيع ان تلتحق بزوجها في مجتمع آخر وتواصل في الوقت نفسه بغير صعوبة جميع اعمالها السابقة التي تعلمتها منذ الصغر ، على العكس من الرجل الذي ينتقل الى مجتمع جديد في نمط الزواج الاممي Matrilocal marriage فلا بد له في هذه الحالة ان يستكشف بيئة جديدة كلياً)^(٣٤) .

العلاقات العائلية

ان نظام اقاربه في عائلة الكردية يحكمه النسب الابوي Patrilineal حيث يكون الانتساب عن طريق الذكور لا الاناث ، كما ان الولاء السياسي يرتبط بهذا المبدأ القرابي . وقد ادى هذا النظام الى الاعتراف بسلطة ومسؤولية العم نحو العائلة .

اما العلاقات العائلية فنظمها التقاليد والمعادن اضافة الى عوامل مختلفة اخرى حسب الاشخاص المعنيين . ويعتبر الاب رئيس العائلة ويتمتع بسلطة غير محدودة . ولا يبرر رئاسته للعائلة وضعه الاجتماعي والاقتصادي فحسب، بل التعاليم الدينية ايضا . فالدين الاسلامي يحض على احترام وطاعة الوالدين . ومع ان رب العائلة هو زوج مخلص ، فان علاقته مع زوجته تقوم على اساس اولويته . وقد يكون لزوجته تأثير عظيم عليه في الشؤون التي تخص العائلة ، بل وقد يكون لها اثر واضح على سلوكه وآرائه ، غير انه لا يعترف بذلك . والفروض الا تتناول الزوجة الطعام مع زوجها في صينية واحدة . وعليها الا تدعوه باسمه المجرد بل باسم اكبر ابنائه تعبيراً عن الاحترام .

اما علاقات الاب بالاولاد فيحكمها الاحترام البالغ والطاعة التامة . فهو يقرر نوع العمل لابن ، وهو الذي يختار له عروسه ، وهو الذي يصدر الموافقة على زواج الابنة . ولا يجد حرجا في العادة في اظهار محبته للصغار ، ولا سيما الاولاد ، الا انه يظهر بمظهر المتزمت تجاه الكبار .

وتتمتع المرأة بقسط كبير من الاحترام وبنفوذ واسع ضمن محيط الاسرة ، لكنها لا تتمتع بنفس سلطة الاب ، وهي تتصرف عادة في شؤون البيت تصرفا مطلقا ، كما ان اوضاع الاسرة الداخلية تتأثر الى حد كبير بارائها . وحينما تمرل تسمى العائلة باسم اكبر ابنائها (او اكثرهم نفوذا) ،

لكن زمام السلطة الفعلية تنتقل الى يديها كليا • واذا ما طلفت المنقحة باسرة
احد ابنائها واصبحت عضو الشرف فيه •

ويرغب الابوان رغبة قوية في انجاب اكبر عدد من الاولاد ، ولا سيما
الذكور ، لان الاباء يعتبرون في الوقت نفسه رصيذا اقتصاديا ، كما انهم
يرفعون من مكانة الاسرة اجتماعيا •

وتقع مسؤوليه تعليم الطفل على عاتق المرأة كليا ، ثم يصبح الاولاد تحت
سيطرة ابيهم بعد سن معينة بينما يظل البنات تحت رعاية الام حتى يبلغن
سن الزواج (٣٥) •

ويبدأ الاطفال بعد سن السابعة بالعمل ويلحق الاباء بابيهم ، ينضم
نظم البنات الى امهن • ويمارسون في البداية الاعمال السهلة ، فتساعد البنات
امها في الاعمال البيتية بينما يقوم الاولاد برعي الحيوانات الصغيرة وجمع
الاحطاب • وفي حالة الاسرة المقتدرة يسمح للاولاد بارتياح ابدواخانة
وباداء بعض الخدمات كتقديم الشاي للضيوف •

وللابن البكر (او الكبير) مكانة خاصة ضمن الاسرة • فهو يحظى باكبر
نصيب من حب الاب ، كما انه ياتي بعده في مكانه • وكثيرا ما يؤخذ رهينة
لدى الجماعات المتخاصمة نظرا لاهميته (x) • ويخفف الاب من سلطته عليه
حالما يبلغ درجة النضج ، وتتلور بينهما علاقة جديدة فيها نوع من اللفة •
وبدأ الاب باستشارته في شؤون الاسرة ، بل وقد يسلم اليه مقاليد الاسرة
اذا كان قد تقدم به العمر • ولقد دهش ريج Rich منذ اكثر من قرن
مضى مما يتمتع به الابناء الكبار من حرية ، وعلق على ذلك قائلا : (عد دهشت

35. Bedr-Khan, Dr. Kamuran, Ali, "The Kurdish problem"
J.R. C.A.S., 1949, P: 241, vol: XXXVI:

(x) كاظم حيدر - « الاكراد » - منشورات الفكر الحر بيروت ١٩٥٩

مما شاهدته من تمتع الابناء امام ابائهم بحرية غير مألوفة في الشرق ، فهم
يسحون علانيتهم بدون احتفال ، وقد كنت اتصور بناء على تجاربي مسم
الأتراك والعرب انهم لا يستطيعون حتى ان يجلسوا بحضور ابائهم^(٣٦) .

غير ان هذه الحرية لا تؤثر على احترام الاباء للاباء على وجه الخصوص
وللاقرباء الكبار على وجه العموم كما سجل ذلك رحالة اخر معاصر لربيع
وكما هو الحال في الوقت الحاضر^(٣٧) .

وقد يقوم الصراع بين الاب وابنائهم الكبار حينما يرغب الابن بالزواج
وتكوين اسرة مستقلة . ويميل الاب الى مقاومة هذا النوع من الاستقلال ،
الا انه يستسلم في النهاية لرغبة الابن . ولن يؤدي تكوين الاسرة الجديدة
في الغالب الى استقلال الابن اقتصاديا اذ يظل تحت السيطرة الاقتصادية لابه
حيث يعمل تحت امرته ويتلقى مقابل ذلك نفقات أسرته .

اما العلاقات بين الاخوان فيقررهما العمر وان كانت الشخصية تلعب
دورا هاما . ويهيمن على علاقة الاخ الصغير باخيه الكبير الاحترام والتقدير .
وينبغي الا يدعو الاخ الصغير اخاه الكبير باسمه المجرد بل بلقب (كاكه) الذي
ينم عن الاحترام .

اما العلاقات بين الاخوان والاخوات فيقررهما العمر ايضا ، وان كان
الاخوات عموما ادنى مرتبة من الاخوان . ومع ذلك ينبغي الا يدعو الاخ
الصغير اخته الكبرى باسمها المجرد بل بلقب (باجي) او (دادا) تعبيرا عن
الاحترام .

36. Rich, vol. 1, P. 91.

37. Fraiser, J. Baillie, "Travels in Kurdistan, Mesopotamia,
etc." London 1840, PP. 116-17.

وتخضع ابنت لسلطة الاب او الاخ الكبير كليا • ويصرف الاب
أو وكيل مطلق لها في قضايا الزواج وينبغي ان تطلب يداهما ، واذا لم يوفق
على الزواج فانه لا يمكن ان يتم • لكن الفتاة تكون عمليا تحت سيطرة امها
منذ طفولتها وتكون الروابط بينهما قوية عموما • وتتوب الام عن ابنتها
امام الاب في القضايا الهامة •

اما العلاقة بين الاخوات فتميزها الصلات القوية والائفة اكثر من
الصلات بين الاخوة • ومع ذلك فان الاحتمال الصغير ينبغي ان تظهر الاحترام
للأخت الكبرى وينبغي الا ندعوها باسمها بل بلقب (جسي) او (دادا) •
وبالرغم من ان ابيات يتمتعن بحرية نسبية وانهن قد يعملن في الحقل الا ان
حركتهن تتحدد ضمن منطقتي البيت • ومن المهم جدا تجنب الحديث غير
الضروري مع الرجال لا سيما حينما تصل الفتيات سن البلوغ •

وبالرغم من الرسميات التي تميز العلاقة بين افراد الاسرة الكرديّة ،
الا ان الروابط القوية تشد بعضهم ببعض • وقد يحدث الخصام والنزاع بين
اعضائها من حين الى اخر ، ومن اهم بواعث الخصام العامل الاقتصادي •
ويحدث الخصام بين الزوج وزوجته بسبب عجزه عن تحقيق طلباتها • ولقد
مارس المؤلف ذات مرة دور الوسيط بين زوجين حينما طلب اليه مضيغه
التوسط لحل النزاع بينه وبين امرأته • وكانت الزوجة مصرّة على شراء
ثوب جديد مدعيّة بان ثوبها القديم قد بلى • اما زوجها فكان يزعم انه عاجز
عن توفير ثمن الثوب قبل بيع الحاصل الصيفي • وكانت الزوجة مصرّة على
شراء الثوب في الحال نظرا لان الزوج كان قد اخلف وعده لها في السنة
الماضية • وقد بلغ التوتر بينهما حدا رفضت فيه الزوجة القيام بواجبها
الزوجية • فراح الزوج يهددها بالرواج من امرأة جديدة • لكن الزوجة
لم تكن تخشى تهديده لانها كانت تعلم علم اليقين بانه لا يمتلك مهر زوجة

جديدة • وعلى أية حال فقد بدا للمؤلف ان الخلاف يهدد حياتهما الزوجية
تهديدا خطيرا •

وقد صور فلاح اخر اسباب الخلاف مع زوجته بعبارة قصيرة حيث
تسائل قائلا : (كيف يمكننا ان نتجنب الخصام وزوجاتنا تستقبلنا عند
عودتنا اخر انهر من الحقل ونحن متعبون بمطالب لا نستطيع تحقيقها لاننا
معدمون ؟) •

وقد صور فلاح اخر للمؤلف اسباب الخلاف مع زوجته بعبارة قصيرة حيث
الزواج او العمل او بسبب السلوك الذى لا يرضى عنه الاب • ولعل اشد
المواقف اثارا للتوتر هو ذلك الذى ينجم عن رغبة الابن في الاستقلال بيت
جديد • وتسبق مثل هذه الرغبة عادة منازعات وخصومات مستمرة بين الام
وزوجة الابن • ويستسلم الاب في النهاية لمثل هذه الرغبة بعد جدل وخصام ،
وربما نتيجة لتوسط بعض الاقرباء والاصدقاء • ولكن اذا اصر الاب على رفض
نلك الرغبة فقد يلجأ الابن الى النزوح عن القرية ، لانه سيظل معتمدا على
الاب اقتصاديا ان بقي في القرية • ومثل هذه الحوادث تشجع على النزوح الى
مناطق اخرى لا سيما الى المراكز المدنية •

الزواج

ان النمط العام للزواج الكردى هو وحدانية الزوجة Monogamous
ولكن توجد في كل قرية تقريبا بضعة حالات من تعدد الزوجات Polygamous
وبالرغم من ان الديانة الاسلامية لا تمنع تعدد الزوجات ، وبالرغم من ان
الرجل الكردى ولوع بالنساء ، الا ان تعدد الزوجات يقتصر على الاغوات
والرؤساء والاغنياء فقط • ولم يكن المؤلف يصادف اثناء اجراء تحقيقاته
سوى رجل او رجلين في كل قرية يملان اكثر من زوجة واحدة • وبما

ان تعدد الزوجات يرتبط عموما بمكانة خاصة وبما انه حكر لمجموعة صغيرة،
فان من الممكن القول بان وحدانية الزوجة هو النموذج الحضارى السائد في
المجتمعات الكردية (٣٨) •

ولقد شجعت وحدانية الزوجة عوامل متعددة ، الا انها تتصل جميعا
بالعامل الاقتصادى • واهم تلك العوامل عجز الفلاح اقتصاديا وغلاء مهور
النساء • ويمكن القول ان مهر الزوجة هو العقبة الرئيسية تجاه تعدد
الزوجات ، ومن الصعب على الفلاح ان يجمع المبلغ الذى يقضيه المهر •
هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فبالرغم من ان الاسرة الكردية ليست
كبيرة عموما وان اعضائها لا يقلون في العادة عن خمسة اشخاص • ويتضاعف
هذا العدد في حالة الرجل الذى يعيل زوجتين مثلا ، بينما يحافظ دخله على
نفس المستوى • لذلك يصبح من المتعذر على مثل هذا الرجل ان يواجه
مصاريف العائلة المتضخمة •

وهناك ثلاثة انماط من الزواج الكردى ، وهى الزواج بالاقرباء
(ولا سيما الزواج بابنة العم) والزواج بالمبادلة (زنبه زن) ، والزواج بين
الغرباء •

فالنمط الاول من الزواج ، وهو الزواج بالاقرباء ، هو اكثر انواع
الزواج شيوعا في المجتمعات الكردية العشائرية منها واللاعشائرية (وان كان
اكثر شيوعا في المجتمعات العشائرية) • وتشجعه عوامل سياسية واقتصادية
 واجتماعية • فمن الناحية السياسية يقوى اب العروس مركزه في مجتمع
القرية باكتساب ولاء ابن اخيه واقربائه • ومن الناحية الاقتصادية يقوى هذا
الزواج الروابط الاقتصادية بين اب العروس واب العريس • فما دام معظم
الاخوة يشتركون في قطعة ارض واحدة فان الزواج الذى يربط ابنة احدهما

بابن الآخر سيزيد من تعاونهما الاقتصادي • اما المزايا الاجتماعية لهذا الزواج فتتمثل باضمان الاب على مستقبل ابنته ، فهو يعرف كل شيء مقدما عن ابن اخيه • وبالمثل فانه يستطيع حماية مصالح ابنته عن طريق ممارسة سلطته على زوجها باعتباره عمه • ثم ان اعتراف اب العروس بحق ابن العم فى الزواج من ابنة عمه اقرار منه بالتقاليد والاعراف التى يؤيدها مجتمع القرية ، وقد يؤدى انكارها الى نقد شديد من قبل افراد هذا المجتمع • واخيرا فان انكار هذا الحق قد يعنى فتح الباب امام مشاكل لا حدود لها • اذ قد يزج بأب العروس وابن اخيه فى مشاكل متصلة مثل الشجار وحرق المحاصيل واغصاب الحيوانات ، بل وحتى القتل فى بعض الاحيان • وبؤثر مثل هذا اسافس الحاد على مستقبل الفتاة تأثيرا سيئا فلا يغامر احد بطلب يدها • ويمثل الزواج من الاقرباء حسارة اقتصادية لاب العروس ، اذ انه قد يفقد جزءا من مهرها بل واحيانا كل مهرها ، لكنه يؤدى الى اقامة ابويـسة مؤكدة • Patrilocal

اما الزواج بالتبادل (زنبه زن) فهو شائع بنفس درجة شيوع الزواج بابنه العم (x) • والواقع انه الحل الوحيد الممكن لمشكلة المهر ، عدا الزواج بينات العم ، على ضوء الحالة الاقتصادية المتدهورة للقروي الكردي • ويلغى هذا النمط المهر بصورة نهائية ولا تشمل نفقات الزواج سوى حفلة الزواج • ويشمل الزواج بالتبادل بشكل رئيسى تبادل الاخوات لكنه قد يشمل ايضا تبادل ارملة من قبل ابنها مقابل ابنة رجل اخر ، الا ان هذا النوع نادر الحدوث • واذا كانت الفتاة ذات جمال خاص ، او ان الخاطب يرغب فى

(x) من الملاحظ ان هذا النمط من الزواج هو اكثر انماط الزواج شيوعا فى الريف العربي ايضا ، وقواعده مماثلة تماما للقواعد المألوفة لدى الاكراد ويسمى (كسبة بكسبة) •

الزواج منها رغبة خاصة ، فقد يقدم مقابلها امرأتين ، ينزوج احدها الشخص المعني ، وتصبح اثنائية تحت وصايته أى انه يكون مسؤولا عن زواجها وهو الذى يتلقى مهرها • لكن هذه الحالة نادرة جدا في المجتمعات الكردية ، والحل المناسب في اعادة هو دفع مبلغ من المال بالاضافة الى المرأة ، او تحمل نفقات الزوجين •

وللزواج بالتبادل عيوب خطيرة ، بالاضافة الى الغائه حق المرأة فى اختيار الزوج الغاء نهائيا ، ولعل ابرزها مسألة المعاملة بالمثل بالنسبة للمرأتين • ومثال ذلك انه اذا تعرضت احدى المرأتين الى الاهانة او الضرب او حتى الطلاق ، فلا بد ان يكون نصيب الاخرى نفس العقوبة وان لم يبدر منها يدعو لذلك ، بل وحتى لو كان زوجها على اتم وفاق معها •

اما النمط الثالث من الزواج ، وهو الزواج بغير الاقرباء ، فهو اقلل الانواع شيوعا في المجتمعات الكردية • ففضلا عن عبوه الاجتماعية والسياسية من وجهة نظر اب العروس ، فانه في العادة يطلب مهرا عاليا • ولعل مزاياه الوحيدة من وجهة نظر اب العروس هو ما ينطويه على فوائد اقتصادية • وهذا النموذج اكثر شيوعا في المجتمعات غير القبلية •

وفي جميع انماط الزواج يحدد المهر (الشيربای) اب العروس • وينبغي ان يدفع المهر مقدما من قبل الخاطب او ابيه ، وهو قد يكون نقدا او اسلحة او حيوانات • ولا تقبل المحاصيل الا في النادر • وفي حاله الاشخاص المحتاجين فقد يتفق الخاطب مع والد الزوجة على العمل لحسابه فترة معينة من السنين بدلا من دفع (الشيربای) حيث تصبح الإقامة في هذه الحالة أمية Matrilocal ، غير ان مثل هذه الحالة ليست شائعة ، اذ تعتبر إقامة الزوج مع اهل زوجته مجلبة للانتقاد بل وحتى الاحتمار • ويذهب

جميع المهر الى اب العروس او الى أى وصي عليها ، غير ان وصي العروس يتفق عادة جزءا منه على شراء (جهاز) للعروس يشتمل على فراش وصندوق خشبي للملابس وبعض الادوات البيتية •

وفي بعض الاحيان يتم الزواج ضد رغبة اب العروس مما يؤدي الى خطف العروس • وبالرغم من ان الخطف يعتبر عارا ، الا انه ليس نادرا • اذ يتفق الشاب وفاته سرا على ابرواج ، ثم يفران من قريتهما الى اقرب قرية يمكن ان ينالا الحماية من رئيسها • واذا ما قصص عليهما قبل حصولهما على الحماية فقد يفلان في الحال ، ولا يحق لاقرباء الشاب ان يطالبوا بتعويض (فصل) • واذا نالا الحماية المشودة تولى حاميهما مسؤولية مفاوضة اسرة الفتاة لدفع التعويض المطلوب ، ثم يعلن زواج الشابين رسميا • وتعتبر بعض الموائل الخطف عارا لا يمكن محوه الا بالموت ، وفي هذه الحالة يضطر الزوجان الى النزوح عن المنطقة هربا من الموت •

اما الزنا فهو نادر للغاية في المجتمعات الريفية الكردية ، وعقابه الوحيد هو الموت للزانية وعشيقتها • واذا كان الزوج قريبا للزوجة تولى بنفسه قتلها ، واذا كان غريبا تولت اسرتها مسؤولية عقابها •

ويعتبر الطلاق مميبا للغاية ، لذلك فهو قليل الحدوث • واذا ما تقرر فمن السهل ترتيبه • ويمكن للرجل ان يكرر امام زوجته ثلاث مرات عبارة (انت طالق) ، وحيدة تعتبر مطلقة ، غير ان من الضروري استشارة الملا في ذلك • ويصبح الزوج مسؤولا عن اعادة زوجته المطلقة لثلاثة اشهر خوفا من احتمالات الحمل ، ثم تصبح الزوجة حرة تماما • وتحصل الزوجة عند طلاقها على مؤخر صداقها •

اما افضل عمر للزواج في الريف الكردي فهو فيما بين ١٤-١٧ سنة للفتاة ، وفيما بين ٢٠-٢٥ للرجل • ويمكن ان يتفق ابوا الفتى والفتاة على

الخطبة منذ الطفولة • لكن مثل هذا الارتباط يمكن ان يترك فيما بعد ، وقد يقتضي فكه دفع مبلغ من المال الى اب العروس او الى خطيبها •

ان اختيار العروس هو من مسؤولية الاب ، غير ان من الضروري تحقيق رغبة الابن اذا ما احب فتاة معينة • والحب بين الفتيان والفتيات امر مألوف ، اذ تسمح الحرية النسبية التي تتمتع بها المرأة الكردية الريفية بوقوع مثل تلك الحوادث • ومن الضروري توفر صفات طيبة معينة في الفتاة كسمعة عائلتها وسلوكها الشخصي وجمالها • وبأني الجمال في اهميته بعد القوة الطبيعية بالنسبة للعشائر الرعوية اذ ان المرأة تساهم بأكثر نصيب من انفعالات الاقتصاد • لكن جمال المرأة يحقق مهرا مرتفعا على اية حال •

واذا ما تم اختيار الفتاة اعقب ذلك خطوات معينة • وتبدأ الخطوات بزيارة الام أو احدى قريبات الرجل الى بيت الفتاة المخارة لاكتشاف موقف عائلتها ، ولا سيما موقف والدها • (وقد تسبق هذه الخطوة في بعض القرى الكردية اتصال احدى قريبات الخاطب بالفتاة سرا لاستطلاع رأيها في الموضوع فإذا رفضت الفكرة) • فاذا كانت نتائج الزيارة ايجابية ، قم وفد من شخصيات القرية بزيارة والد الفتاة وطلب يده ابنته رسميا • وكسب مكانة اعضاء هذا الوفد اهمية خاصة • ويتظاهر الاب في بعض الاحالات بالتردد في الموافقة وفضل ان يزوره اكثر من وفد واحد • وقبل ان يعطي اقراره النهائي لابد له ان يستشير اقرباءه المقربين كأعمامها واحوانها • ويتفق اب العروس مع الوفد الزائر على مقدار المهر ، وقد يتطلب الامر شيئا من المناورة والديبلوماسية ، ثم يعين موعد الزواج • ويقبل احد اعضاء الوفد يد الاب اعلانا عن الموافقة النهائية ، ثم يوزع الشربت على الزوار ، واذا كان الملا حاضرا قرأ سورة الفاتحة • ثم سجل الزواج رسميا فيما بعد امام المحاكم المدنية •

اما الخطوة التالية فتشمل شراء الملابس الضرورية والحلي وارسالها الى بيت العروس وتذكيرهم بموعد الزواج ، ويفضل ان يكون يوم الاحد أو الخميس •

وترسل مجموعة من النساء ليلة الدخلة لاحضار العروس • وترافق العروس امرأتان متقدمتان في السن وتحيط بهن كوكبة من النساء • وتقطع العروس الطريق الى بيت العريس مشياً على الاقدام ، وقد تمتطي احياناً صهوة جواد • ويتنظر اقرباء العريس واصدقائه في بيته ، ويحدث استقبال حار يطلق فيه الرصاص اعلاناً عن فرحة الحاضرين • ويصبح هذا الاستقبال أكثر بهجة وحيوية اذا كانت العروس من قرية اخرى ، حيث يركب الخيالة الى قرية العروس ويحضرونها على صهوة جواد وهم يطلقون الرصاص طول الطريق • ويختفي في ليلة الدخلة اب العروس واخواتها ، ويقصدون في العادة الى قرية اخرى • اما الخاطب فيختفي في مكان حتى يحين الوقت المناسب ليلقي عروسته ، وقد يواجهها لأول مرة بضربة على رأسها او لطمة على خدها لتعلم كيف تحترمه وتخشاه منذ الليلة الاولى •

وتدوم حفلة الزواج ثلاثة ايام تعزف الموسيقى اثناء طول الوقت ، كما تعقد حلقات الرقص في القرية ، ويقدم الطعام الى الزوار الذين ينقاطرون حاملين هداياهم • ويدفع العريس في العادة نفقات الاحتفال بكليتها ، غير ان مجتمع القرية قد يساهم في بعض القرى في النفقات • وبعد مضي اسبوع تزور العروس عائلتها وتمكث بضعة ايام بينها ، وفي مقابل ذلك يقدم اليها هدايا من الحيوانات •

العائلة كوحدة اقتصادية

تمثل العائلة الكردية وحدة اقتصادية متكاملة • ويساهم كل فرد فيها في الاعمال الزراعية حسب جنسه وعمره ومقدرته • ويسود تقسيم العمل

ضمن العائلة ، فختص المرأة بالاعمال المنزلية والعناية بالحيوانات وبعض الاعمال الزراعية ، بينما يتولى الرجل مسؤولية الاعمال الزراعية المرهقة او اني تتطلب براعة فنية خاصة . ويتم تقسيم العمل بين افراد العائلة على النحو التالي .

الاعمال الزراعية :

يختص الرجل بثلاث عمليات زراعية نظرا لما تتطلبه من مشقة وبراعة فيه ، وهي الحراثة والري والحصاد . فالحراثة عمل مرهق ولا تساهم فيه المرأة بأى حال من الاحوال . وتطلب الري كذلك براعة خاصة في حصر السواني وكربها (تنظيفها) وتوزيع المياه على الحقول . اما عملية الحصاد فتساهم فيها المرأة في حالات قليلة بالرغم من انها من اختصاص الرجل .

ويتولى عملية الشتل الرجل والمرأة على السواء ، وان كان الرجل المسؤول الاول عنها . وتصبح مساهمة المرأة في هذه العملية مهمة وضرورية في حالة التبغ ، وهو المحصول الرئيسي في اللواء .

وايدياسه هي من مسؤولية الرجل بالدرجة الاولى ، غير ان المرأة قد تساهم فيها ايضا ، فقد تتولى المرأة سوق الحيوانات فوق اكوام السنايل ، كما قد تتولى الاطفال قيادة الدواسة الكردية بإرشاد الرجال .

ويختص الرجل بعملية التذرية ، ولا تساهم فيها المرأة ما لم تدعو اعطاجة لذلك . اما نقل الحاصلات من الحقل الى الارض المحاورة فهو من صميم مسؤولية المرأة . والواقع ان هذه العملية ، وعملية اقتلاع الحشائش الصارة من الحقل ، هي أهم الاعمال الزراعية التي تساهم فيها المرأة . وتساهم المرأة أيضا في قطف اوراق التبغ وفي لظمها وتجفيفها .

الاعمال البيتية :

يقصر العمل البيتي على المرأة • ويشمل الطبخ وغسل الملابس وتنظيف المنزل واحضار الماء من نبع القرية والعناية بالاطفال •

وتشمل الاعمال البيتية ايضا اعناية بالحيوانات ونظيفها وحلبها وتقديم العلف لها ، كما يشمل ايضا العناية بحظائرها •

كذلك تشمل الاعمال البيتية ايضا بعض الصناعات انني تؤدبها امرأة في وقت فراغها ، كصناعة السجاد وبعض الالبسة الداخلية وصناعة الجيغ وصناعة الفخار • كما تشمل الصناعات البيتية ايضا صناعة الحبة والزبدة واللبن الحامض والمبن المخثر • والمرأة هي المسؤولة الوحيدة عن الاعمال البيتية بمختلف انواعها •

جمع الوقود والعلف :

يشمل الوقود الكردي على الاحطاب وفضلات الحيوانات • وتنولى المرأة جمع الاحطاب من الغابات او الاحراش المجاورة ويساعدها الاطفال في ذلك • اما فضلات الحيوانات فتولى الفتيات جمعها واعدادها •

ويشمل العلف الشوي على اوراق البلوط واوراق الاشجار الاخرى التي يتولى جمعها جميع اعضاء الاسرة لتخزن لفصل الشتاء •

اعمال البناء :

يتولى بناء البيوت الكردية القروية اصحابها يساعدهم في ذلك اقرباؤهم الاقربون • وساهم في هذه العملية جميع افراد العائلة ، حتى الاطفال الصغار • ولا بد من ملاحظة السقوف واصلاحها باستمرار ، لاسيما في فصل الشتاء ، ويستخدم لاصلاحها دحروحة اسطوانية صخرية يديرها الرجل • وتطلى جدران الغرف بالطين من الداخل بين فترة واخرى ، وتنولى المرأة هذه العملية •

ويعتبر الأب رئيس وموجه الوحدة العائليّة اذ اقتصاديه ، وهو المسيطر الوحيد على قضايتها وشخصها ، كما انه يتولى ادارته دخل الأسرة مما يجعل كل فرد فيها يعتمد عليه اعتمادا مباشرا •

مستوى المعيشة

ان مستوى معيشة العائلة الكرديّة منخفض للغاية ادا فيس بأي مستوى مقبول • وكما اشارت الدكتورّة وارنر Warrinor ان هذا المستوى لا يمكن معرّفه بأي مستوى معروف في المجتمعات الاوربيّة^(٣٩) • ويعزى هذا المستوى المنخفض الى الدخل الواطيء للسكان الريفيين • ولا تتوفر في الوقت الحاضر اية احصاءات معتمدة يمكن ان نحدد على ضوئها دخل السكان الريفيين في لواء السليمانية أو في اى لواء آخر على وجه الخصوص ، غير ان بعض الدراسات توصلت الى تخمينات عامة (× ×) • فقد ذكر الدكتور ثامر مثلاً : (ان المعدل اعام للدخل القومي يتراوح فيما بين ٢٠-٣٠ ديناراً) (×) • وقد اتفق الكتاب على ان الغالبية الساحقة من السكان يتمتعون في الواقع بدخل فردي اوصاً من معدل الدخل القومي المقدّر ، عدا مجموعة صغيرة ذات دخل متوسط ، وان هناك ايضاً مجموعة صغيرة من الاعياء تتمتع بدخل فردي

39. Warrinor, Doreen, "Land and poverty in the Middle East", London 1948, P. 1.

(×) يشمل هذا التقدير اوائل الخمسينات •
(× ×) لقد اورد الدكتور خزعل البيرماني نتائج الدراسات المختلفة التي قام بها الخبراء للدخل القومي في العراق • وقد ذكر ان الدكتور فنيلون Fenelon قد قدر متوسط دخل الفرد العراقي بما يعادل ٥٣ ديناراً لعام ١٩٥٦ (ص ٩٣) ، وان الدكتور حسيب قد قدر دخل الفرد الواحد بحوالي ٧١ ديناراً لعام ١٩٦١ (ص ١١١) ، وان الخبير السوفييتي مانيّاكين Maniakin قد قدر متوسط الدخل للفرد الواحد بحوالي ٦٤ ديناراً لعام ١٩٦٠ (ص ١٢٥) •

(الدكتور خزعل البيرماني - الدخل القومي والاستخدام - بغداد ١٩٦٨) •

اعلا من الدخل القومي بكثير^(٤٠) .

وحاول الدكتور ثامر أن يضع تقديرا لدخل فلاح عربي على النحو التالي :

(وإذا ما اردنا ان نأخذ فكرة عن دخل الفلاح وموضعه بالنسبة للدخل القومي المخزن فلا بد لنا ان نتذكر الحقائق عن الفلاح المقترض • فنصيبه من المحاصل الشتوي يبلغ حوالي ٣ اطنان ويدفع له بالطن الواحد بالسعر المحلي حوالي ١٠ دنانير • وهكذا تبلغ قيمة نصيبه من المحاصل الشتوي ٣٠ ديناراً • وإذا ما اضمنا الى ذلك المبلغ حوالي ١٠ دنانير نصيبه من المحاصل الصيفي ، فسيرتفع دخله الى ٤٠ ديناراً • ولا بد ان نضيف الى هذا المقدار ايضا فيما بين ١٠-٢٠ ديناراً التي يربحها من مصادر اخرى • وهكذا يمكن ان يبلغ مجموع دخله السنوي ما بين ٦٠-٥٠ ديناراً • وإذا ما قسمنا هذا الدخل على عدد افراد أسرته البالغ ٥ أو ٦ اشخاص ، كان نصيب الفرد الواحد من الدخل حوالي ١٠-١٢ ديناراً في العام ، وذلك حسب تقديرات عام ١٩٥٠-١٩٥١ • وهذا الرقم يبلغ حوالي نصف الرقم الذي قدر للدخل القومي للفرد الواحد لنفس السنة ، والذي يتراوح فيما بين ٢٠ - ٣٠ ديناراً)^(٤١) .

ولا بد لنا ان نؤكد هنا بأن دخل الفلاح الكردي في لواء السليمانية على الخصوص وبقيّة انحاء كردستان على العموم هو اعلى قليلا من دخل الفلاح

40. Thamir, Dr. Hassan, "Agricultural policy in Iraq, a study of the prevailing conditions and problems with emphasis on land credit and cooperative problems" A thesis of Ph.D. submitted to the University of California in 1954, P. 67.

(٤١) المصدر السابق ، ص ٨٨-٨٩

العربي في وسط وجنوب العراق نتيجة لنمط الملكية الزراعية في كلا المنطقتين •
وعلى ايه حال فان باستطاعتنا ان نخمن موارد دخل افلاح الكردي المقترض
في لواء السليمانية على النحو التالي :

المحاصيل الصيفية	المحاصيل الشتوية	الحيوانات
١٠٠٠ كغم حنطة	٤٠٠ كغم تبغ	٧ ماعز
١٥٠٠ كغم شعير	-	٥ غنم
		١ ثور
		١ بقرة
		١ حمار
		١ بغل

اما مصاريفه السنوية (والتي تغطي نفقات عائلة تتألف من خمسة
افراد) فتتمثل في النفقات التالية :

الطعام

تشتمل الوجبة الكردية على الخبز والشاي واللبن الحامض او المخثر
وشوربة عدس ، واحيانا الرز ، واحيانا نادرة اللحوم • ويمكن تخمين نفقاته
على الغذاء كما يلي :

المادة	الكمية
الشاي	٥٤ كغم
السكر	٣١٢ كغم
الرز	٤٨ كغم
اللحم	١٠ كغم

اما الخبز فيصنع من الحبوب التي ينتجها محليا ، كما ويصنع اللبن
بانواعه من حيواناته الخاصة • وهكذا يمكن ان نخمن نفقاته الاجمالية

على الغذاء (عدا الجبوب والالبان) بحوالى ٤٥ ديناراً حسب الاسعار المحلية لعام ١٩٥٥ •

الملابس

تتألف الملابس الكردية للرجال والنساء من اجزاء عديدة سبق ان اوضحناها ومن المتعذر تخمين تكاليفها العامة ، غير ان في الاستطاعة القسول انها لا تزيد على خمسة دنائير • اما ملابس الابناء فقد لا تزيد تكاليفها على نصف هذا المبلغ • وهكذا يمكن تقدير التكاليف الاجمالية للملابس افراد الاسرة بحوالي ستة عشر ديناراً •

نفقات عامة

ولا بد من اضافة نفقات اخرى الى النفقات الاساسية المذكورة ، وتشمل شراء اوراق السجائر والثقاب والصابون والدهن (وتقدر تكاليفها السنوية بحوالى ٦ دنائير حسب الاسعار المحلية لعام ١٩٥٥) ، كما لا بد من اضافة مبلغ للنفقات العامة التي تخص البيوت والحقل والحبوب والسماد والالات ، عدا مصروف الجيب لافراد الاسرة •

وهكذا يتبين ان دخل الفلاح الكردي عاجز عن اللحاق بمصروفاته او التوازن معها ، مما يجعله اسير ديونه الدائمة للمالك او التاجر او صاحب الدكان • ولعل ابرز دليل على انخفاض مستوى حياته ارتفاع نفقاته على الطعام بالمقارنة مع نفقاته على الامور الاخرى • ومن المعلوم انه كلما عظم الجزء الذى ينفق من دخل العائلة على الطعام كلما دل ذلك على انخفاض مستواها العام •

ولكي نكمل رسم الصورة الواضحة لمستوى حياة العائلة الريفية الكردية فلا بد لنا من ان نستعرض وضعها الصحي والثقافي والاجتماعي بشكل عام •

وقد سبق ان اوضحنا بان الخدمات الصحية في لواء سلیمانية هي احدى من المستوى اللائق بشیر . فقد رأينا ان الخدمات الموفرة لعدد من السكان يبلغ ٢٢٦٤٠٠ نسمة هو حوالى ٤ مستشفيات و ٢٢ منوصفا و ٤ عيادات حرجیه وصیدلیتین و ١٠ اطباء (x) . وتتركز هذه الخدمات بشكل رئيسی في امدن الکبرى . ولذلك تنتشر الامراض في اللواء انتشارا واسعا ، ولا سيما الملاريا وذات الجنب والتراخوما وفقر الدم .

وتكاد مشاريع الکهرباء والمياه النقية تنعدم في القرية الكردية ، عدا المراكز المدنية الرئيسيه . وتعتمد القرية الكردية بصورة عامة على مياه (العين) ، وهي نبع يندفق من باطن الارض ، ويجرى مسافة طويلة تحت الارض او فوقها قبل ان يصل الى القرية . وما دام هذا المجرى مكشوفاً ، كما يحدث في غالب الاحيان ، فلا بد له من ان يتلوث . هذا فضلا عن ان مياه بعض الينابيع غير صحية لارتفاع نسبة الاملاح فيها . ويستخدم الينبوع في اعادة للاستحمام وغسل الملابس والاواني ولاستقاء مياه الشرب . وهناك بعض القرى لا تملك ينبوعا بل تقصد الى قرية قريبة منها لنقل الماء . وتولى النساء حمل قرب الماء على اكافهن لمسافات طويلة .

اما الخدمات التعليمية في اللواء فهي قاصرة جدا ، مما ادى الى ارتفاع نسبة الامية ارتفاعا عظیما . وقد لاحظ المؤلف ان عدد المتعلمين في كل قرية من قرى اللواء لم يكن يزيد على عدد اصابع اليد . وفي بعض القرى لم يكن هناك من يحسن القراءة والكتابة سوى الملا . ويمكن القول ان عدد الاميين في اللواء اعلى مما هو في معظم الالوية الاخرى كما ينضح

(x) بلغ عدد المستشفيات في لواء السلیمانية حسب احصاء عام ١٩٦٨ خمسة مستشفيات ، وتشتمل على ٤٦٥ سريرا ، كما بلغ مجموع ذوي ذوي المهن الطبية ٥١ شخصا .

من الجدول التالي (x) :

جدول رقم ٥١ (٢٠٤)

المتعلمون والاميون حسب الاوعية (لعام ١٩٥٤-٥٣)

المجموع الكلي

المجموع

نساء

رجال

المجموع

نساء

رجال

الاراء

٢٢٩٤٠٠	١٧٤٩٣٤	١٠١٨٨٦	٧٣٠٤٨	١٠٣٠٠٤	١٢١٩	٩٠٨٥	السيماية
٨١٧٢٠٥	٥٥٧٦٧٠	٢٩٨٨٤٣	٢٢٨٨٢٧	١٤٩٥٤٦	٤٠٥٨٩	١٠٨٩٥٧	بغداد
٣١٨٧٩٩	٢٦٩٧٩٦	١٤٨٤٤٠	١٢١٣٦٥	٤٠٠٠٧	٧٦٩١	٣٢٣١٦	البحرة
٥٩٥١٩٠	٣٧٥٠٦٤	٢١٢٠٨٦	١٦٢٩٧٨	٤٨٨٢٦	١٢٨٠٢	٣٦٠٢٤	الموصل
٣٠٧٠٢١	٢٣٠٣٧٥	١٣٥٤٦٥	٩٤٩١٠	١٥٦٠٦	٢٥٩٣	١٣٠١٣	السامرة
٧٧٤٢٦٤	١٠٣١٧٣	٦٢٩٢٩	٤٠٢٤٤	٢١٣٨٤	٤٢٩٨	١٧٠٨٦	كربلاء

42. Statistical abstracts 1954, P. 8, table 5.

(x) لقد بلغ عدد المدارس الابتدائية في لواء السليمانية للعام ١٩٦٩/٦٨ حوالي ٢٤٨ مدرسة ، ١٤٢ مدرسة

للمذكور و ٥٩ للذكور و ٥٥ مختلطة ، كما بلغ عدد تلامذتها ٢٣١٢٣ تلميذا منهم ٢٤٤٦٦ تلميذا و ٨٦٥٧ تلميذة . كما بلغ عدد المدارس الثانوية ٢١ مدرسة ، ١٠ منها للمذكور و ٥ للذكور و ٦ مختلطة وبلغ عدد تلامذتها ٥٧٨١ تلميذا منهم ٤٢٧٦ تلميذا و ١٥٥٥ تلميذة .

(المجموعة الإحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ص ٤٠٥-٤١٣) .

« تابع »

المجموع الكلي	المجموع	الاميون	رجال	المجموع	المسلمون	رجال	النساء
١٩٢٩٨٣	١١٨٤٣٨	٦٥٤٧٤	٥٢٩٦٤	١٥٩٢٦	١٨١٦	١٤١١٠	اندليم
٢٨٦٠٠٥	٢١٤٩٨٠	١٢٦٢٤٧	٨٨٧٣٣	٢٠٥٣٤	٣٣٩٢	١٧١٤٢	كر كوك
٢٧١٨٦٧	٢٦٣٩٣٩	١٦٩١٦٤	٩٤٧٧٥	١٢٤٦٠	١٣٨	١١١١٢	المتنك
٢٦١٢٠٦	١٩٢٦٨٨	١٠٩١٨٦	٨٣٥٠٢	١٧١١٧	٢٢٠٧	١٤٩١٠	العله
٢٧٨١١٨	٢٩٢٥٢٤	١٧٨٨٢٤	١١٣٧٠٠	١٥٧٢٣	١٤٣١	١٤٢٩٦	اندبوانية
٢٧٢٤١٣	٢٠١٠١٢	١١١٧٠١	٨٩٣١١	٢٠٥٢٠	٢٢٩٧	١٨٢٢٣	دياك
٢٢٩٧٧٦	١٨٦٢٠٣	١٠٧٩٤٠	٧٨٢٦٣	٩٤١٠	١٠٠٩	٤٨٠١	اريفيل
٤٨١٦١٨٥	٣٣١٩٤٩٦	١٩٢٤٦٢٧	١٣٩٤٨٤٢	٤١٧٥٥٨	٨٤١١٢	٣٣٣٤٤٦	المجموع

ملاحظة ١ : استمد من الجدول الاشخاص الذين تقل اعمارهم عن خمس سنوات .

ملاحظة ٢ : استبعدت المقاتر الرحالة .

وتعزى نسبة اسعلمين المنخفضة في اللواء الى الخدمات التعليمية المحدودة،
 واما واقع ان صيب اللواء من المدارس اقل من نصيب معظم الالوية الاخرى
 كما يوضحه الجدول التالى (x) :

الجدول رقم ٥٢ (٤٣)

عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية حسب الالوية (عام ١٩٥٣-١٩٥٤)

اللواء	المدارس الابتدائية			المدارس الثانوية والمتوسطة		
	الاولاد	البنات	الاطفال	المجموع	الاولاد	البنات
السليمانية	٥٧	٩	١	٦٧	٣	١
بغداد	١٧٠	٨٢	٤٧	٢٩٩	٢٢	١٤
البصرة	٨١	١٧	٨	١٠٦	٧	٣
الموصل	١٥٤	٢٩	١٦	١٩٩	٩	٤
العمارة	٥٨	١٦	١	٧٥	٦	١
كربلاء	٤٠	٩	٢	٥١	٥	٣
الدليم	٦٤	١١	٤	٧٩	٦	٢
كركوك	٧١	١٣	١١	٩٥	٦	٢
المنتفك	٦٥	٧	١	٧٣	٥	٢
الحلة	٦٥	٩	٦	٨٠	٥	١
الكوت	٥٥	١٥	١	٧١	٥	١
الديوانية	٧٤	١٣	-	٨٧	٥	٢
ديالى	٨١	١٨	٢	١٠١	٥	٤
اربيل	٥٩	٨	١	٦٨	٣	١
المجموع	١٠٩٤	٢٥٦	١٠١	١٤٥١	٩٠	٤٢

43. Copiled from table 75 (P.58) and table 78 (P.59), statistical abstracts.

(x) لقد اوردت الاحصائيات الحديثة المعلومات التالية عن عدد المدارس في الالوية

المختلفة :-

عدد المدارس الرسمية والاهلية حسب الاكثوية لعام ١٩٦٩-٦٨

المحافظة	عدد المدارس الابتدائية				عدد المدارس المتوسطة والثانوية				المجموع	المحافظة	المجموع	الذكور	الاناث	المحافظة	المجموع	الذكور	الاناث	المجموع
	المدارس	الاناث	المدارس	الاناث	المدارس	الاناث	المدارس	الاناث										
بغداد	٦٣٣	١٤٨	٢٣٧	٤٥٨	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
بغداد	٢١٠	٧٦	٢٣٧	٤٥٨	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
اربيل	١٨١	٢٣	٧٠	٢٣٧	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
كركوك	٢٣٩	٧٦	٢٣٧	٤٥٨	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
السليمانية	١٤٢	٥١	٥٥	٢٦	٢٤٨	١٠	٥	١	١١	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
ديالى	١٧٤	٥٤	١٢١	١٢١	٢٥٩	٢٧	١٤	١٥	٥٦	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
الانبار	١٥٥	٢٦	٥٣	١٢١	٢٥٩	٢٧	١٤	١٥	٥٦	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
واسط	١٩٢	٤٧	٢	١١٢	٢٤١	١٧	٩	٧	٢٣	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
بابل	١١٢	٥٤	١١٢	١١٢	٢٧٨	٢١	١٢	١٤	٤٧	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
كربلاء	١٠١	٥٤	٢٩	٢٩	١٨٤	٢٢	١١	١١	٤٢	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
القادسية	١٢٣	٤٤	١٠٩	١٠٩	٢٧٦	١٩	١١	١١	٤٤	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
ذي قار	٧٨	٢٨	١٣٤	١٣٤	٢٤٠	١٠	٧	١٣	٢٩	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
ميسان	٨٥	١٩	١٢١	١٢١	٢٤٥	٧	٧	١٢	٢٥	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
البصرة	١٤٨	٥٩	١٤٨	١٤٨	٢٥٥	٥٢	١٨	٩	٧٩	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤
المجموع	٢٦٧٣	٧٧٩	١٦٨٥	١٦٨٥	٤٣٩	١٥١	٢٥٠	١٥١	٨٤٠	النجف	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥	١٢٣٩	١٥٥	١١٤

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ جدول رقم ٢٤٣ ص ٤٠٣ و جدول ٢٥٠ ص ٤١٠

وقضلا عن ذلك فان هذا العدد القليل من المدارس ليس موزعاً على
المواء بل مركزاً في الغالب في المدن الكبرى وفي مناطق معينة ، بينما قد تحرم
مناطق بأكملها من الخدمات التعليمية . وكانت القاعدة المتبعة لانشاء مدرسة
في القرية هي ضرورة اشتغالها على ما لا يقل عن ٥٠ بيتاً ، وعلى ابناء القرية
ان يهتوا البناية اللازمة . غير ان هناك عدداً غير قليل من القرى التي تجاوز
بوتها الخمسين بل ربما المائة ، ومع ذلك فلا تحظى بمدرسة . وتحضوي
مدرسة القرية على صفين او ثلاثة صفوف في افضل الاحوال وعلى معلمين
أو ثلاثة .

ان ارتفاع نسبة الامية في الريف الكردي لا يعود الى النقص في
امدارس محسب ، فالعامل الاقتصادي يتحمل مسؤولية كبيرة في حرمان
عدد كبير من الاولاد من التعلم . وقد سبق ان ذكرنا بان كل فرد في الاسرة
يساهم في النشاط الزراعي ، من الطفل الصغير الى الرجل الكبير . فاذا ارسل
الفلاح ابناءه الى المدرسة افتقد ايد عاملة هو في امس الحاجة اليها .

وهناك عامل ثانوي آخر يعرقل التعليم الريفي وهم المعلمون انفسهم .
فهؤلاء يحضرون في الغالب من المدن الكبيرة حيث يتمتعون بمباهج وتسهيلات
حياة المدينة ، الى القرية الكثيرة ذات الحياة المملة من دون ان توفر لهم
ابسط ضرورات الراحة ومن دون ان يمنحوا اية امتيازات مشجعة . وهذه
الحياة الجديدة تقودهم في العادة الى احد طريقين ، اما اهمال واجباتهم كلياً
وعدم العناية بالتلاميذ ، او السقوط في سلوك معيب يرفضه مجتمع القرية .
ويؤدي بهم سلوكهم الى فقدان ثقة القرويين وسوء ظنهم بجودى التعليم .
اما وسائل التسلية في القرية فتكاد تكون معدومة . فليس هناك اية
وسائل للتسلية تتولاها الدولة او الافراد . لذلك يحاول القرويون ، لاسيما
الشباب منهم ، انتهاز اية فرصة لزيارة المدينة ، واشتد المدن جاذبية في
نظرهم السليمانية وحليجة حيث يجدون متعة عظيمة في مقاهيها المزدهمة .

ولا يتمتع القرويون الا بوقت فراغ محدود لا سيما في فصل الصيف ،
اذ يضطرون الى العمل حتى يوم الجمعة (عدا فترة الصباح) * وهم
يمضون اوقات فراغهم في الجايات والديواخانات والجوامع وبجوار
ينبوع القرية * وتكاد تقتصر الديواخانات والجوامع على الرجال المتقدمين
في السن ، اذ يتجمعون ليدخوا غلايتهم ويناقشوا شؤون القرية ومشاكل
الاعمال الزراعية * ويتجمع الشبان في العادة بجوار ينبوع ليتمعوا بحلقات
أكثر مرحاً *

اما اوضاع القرية عموماً فهي سيئة للغاية ، ويعزى ذلك بالدرجة الاولى
الى غياب اية هيئة او شخص حكومي يشرف على شؤون الرعاية العامة * فلا
تكاد اللوا بأجمعه يشتمل على اكثر من ٧ بلديات (x) لذلك تبنى البتوت
بلا خصة او اعتبار ، وتبعض الاقدار في طرقات القرية وازقتها ، ويلتصق
الضلام البتوت منذ اوائل المساء * وتنقطع علاقة اغلب قرى اللوا بالعالم
الخارجي معظم شهور الشتاء ، لان غالبيتها لا تحظى بوسائل المواصلات
الحديثة *

- ٤ -

الثقافة الكردية

يتقاسم الشعب الكردي في جميع انحاء كردستان ثقافة مشتركة ، بما
في ذلك لغة واحدة وديانة واحدة واعراف وتقاليد مشتركة *

اللغة الكردية

كان الرحالة القدماء يتحدثون عن اللغة الكردية باعتبارها لهجة محرفة
عن اللغة الايرانية * غير ان التحقيقات اللغوية التي اجراها العلماء الروس
والالمان والانجليز اثبتت وجود لغة كردية متميزة * وبالرغم من ان هذه
(x) لقد ارتفع عدد البلديات في اللوا الى ١٣ هيئة بلدية حسب
احصاء ١٩٦٩-٦٨ *

اللغة ذات لهجات متعددة قد يصعب التفاهم أحيانا بين أبنائها ، لكن همسك وحدة كافية في بناء جملتها وكلماتها ، كما أنها ذات قواعد أساسية مشتركة . صحيح أن اللغة الكردية تشتمل على عدد كبير من الكلمات الغربية المستقاة من الفارسية بالدرجة الأولى والتركية والعربية بالدرجة الثانية ، لكن ذلك يعزى لاحتلاط الأكراد بحيرانهم من الفرس والترك والعرب والأرمن . وهناك عامل قوى آخر ساهم في تعدد لهجات اللغة الكردية وفي اشتغالها على عدد كبير من الكلمات الغربية وهو حرمانها من فرص التدوين (حتى نهاية القرن الماضي) . فهذا العامل لم يساعد في خلق شكل واحد ثابت لملك اللغة . كما يمكن أيضاً تفسير لهجاتها المتعددة بتأثير البيئة الطبيعية في كردستان ، ذات أن طوبوغرافية المنطقة قد فرضت عليها العزلة والمحلية مما أثر على اللغة تأثيراً عكسياً .

ويختلف الكتاب حول أصل اللغة الكردية ، غير أن معظم اللغويين المعنيين يتفقون بأنها ذات أصل هندي - أوروبي ، وأنها تنتمي إلى مجموعة اللغات الأبرائية الغربية . وهذا النسب مشترك مع اللغة الفارسية الحديثة قد جعل بعض الكاتب يتصورون أنها لهجة شقيقة للغة الفارسية . غير أن مينورسكي Minorisky أبحاثه المخصص باللغات الشرقية ففي ذلك ، وهو يعتقد أنه بينما تسمى اللغة الفارسية إلى المجموعة الجنوبية الغربية ، فإن اللغة الكردية تنتمي إلى المجموعة الشمالية الغربية وأنها تتصف بشخصية متميزة تماماً عن اللغة الفارسية . وهو يورد الدلائل اللغوية التي تثبت الفروق القائمة بين كل منهما⁽⁴⁴⁾ . كذلك تؤكد الانسكلوبيديا اللغوية الأبرائية بأن اللغة الكردية ليست لهجة شقيقة للغة الفارسية الحديثة ، فهما يختلفان اختلافاً كبيراً بحيث لا يمكن أن تقوم بينهما مثل هذه الصلة . وتعتقد الانسكلوبيديا

44. Minorisky, V "The Incyclopaedia of Islam-The Kurds", London 1925.

الآيريه ايضا بأن اللغة الكردية لا يمكن ان تكون مستقاة مباشرة من اللغة
اعربية اعديمه ، لان اللغة الكردية تشتمل على كلمات كثيرة لا توجد في
اللهجة من اللهجات الايرانية^(٤٥) . وقد ذكر عدد من المتخصصين بأن
اصله بين اللغة الكردية واللغة الفارسية يمكن تتبعها من خلال اللغة الافستية
واللغات الشقيقة القديمة الاخرى .

وقد قسمت اللغة الكردية الى لهجات متعددة حسب هدف ومنهج
الدراسة الذي يتبعه كل دارس ، غير ان غالبية الدارسين يقسمونها الى
لهجتين رئيسيتين : اللهجة الشمالية واللهجة الجنوبية . ويتكلم اللهجة
الشمالية الاكراد الذين يسكنون شمال وغرب الخط الممتد من جنوب شواطئ
بحيرة اورمية الى منحني الزاب الكبير حتى القائه بنهر دجلة . اما اللهجة
الجنوبية فيتكلم بها بقية سكان كردستان . وهكذا فان اللهجة الشمالية يتحدث
بها (ويكتب ايضا) الاكراد الذين يقطنون في شمال وغربي بحيرة اورمية
واكراد جمهورية ارمينيا وكراد تركيا وكراد سوريا وكراد منطقة بادينان
(في لواء الموصل القديم ومحافظة دهوك الجديدة) (x) . اما اللهجة
الجنوبية فيتحدث ويكتب بها الاكراد السورانيون (في لواء اربيل) والاكراد
ابانابون (في لوائي السليمانية وكركوك) ، وكذلك اكراد اردلان
وموكرى في كردستان ايران^(٤٦) .

ويجد اكراد هاتين اللهجتين المميزتين صعوبة في التفاهم فيما

45. League of Nations, "Question of frontier between Turkey and Iraq", P. 25.

(x) تكتب اللغة الكردية في جهات كردستان ايران والعراق
بالحروف العربية ، ولكنها تكتب بحروف لاتينية في مناطق الاكراد الاخرى .

46. Edmunds, C.J., "A bibliography of southern Kurdistan"
J.R.C.A.S., 1937, P. 488.

بينهم • وتُصَف اللهجة الشماليَّة التي تسمى ايضا باللهجة الكرمانجية بسوحدَّة ولا تنقسم الى لهجات ثانوية اخرى • كما انها تمتلك ايضا ملامح متميزة واضحة وربما كانت هي الاقدم • اما اللهجة الجنوبيَّة التي تسمى ايضا اللهجة الكرديَّة فلها لهجات ثانوية متنوِّعة ابرزها لهجتان هما اللهجة الموكرية (موكري - السوراني) واللهجة السليمانية (السليمانية - الاردلانية) • وتتداخل هاتان اللهجتان ببعضهما بدون حدود واضحة (٤٧) •

واضافة الى هذه اللهجات المحددة جغرافيا هناك لهجة متميزة اخرى هي اللهجة التي يطلق عليها في تركيا اسم (الزازا) ، وفي ايران والعراق اسم (اللهجة انكورانية) • ويتكلم هذه اللهجة الاكراد الذين يقطنون في المنطقة الشماليَّة الغربيَّة القصوى بين ديار بكر وارزنجان ، ويتكلم اللهجة الكورانية عشائر هاورامان والكاكائيون في كركوك وعشائر الباجلان بالقرب من خانقين والعشائر الكورانية في ايران (٤٨) •

ويُعتبر اتباع كل مجموعة من المجموعات المذكورة لهجته الافضل والاقي • وكانت لهجة السليمانية قد بدأت تجذب الاهتمام منذ اوائل القرن العشرين ، كما ان المجموعات التابعة للهجة الجنوبيَّة اخذت تشد مدنية السليمانية مركزا ثقافيا لها • ولم يكن هذا الميل نحو السليمانية بلا جذور فقد ظلت هذه المدينة زمنا طويلا مركزا ثقافيا هاما في عهد الامارة البابانية • كما استمرت حموتها في اثناء الحكم العثماني ففتحت فيها بضعة مدارس • وفي اثناء الحكم البريطاني حظيت لهجة السليمانية باهتمام اكبر نتيجة نشاطات الميجر سون Soane الذي ابدى اهتماما كبيرا باللغة الكرديَّة على وجه

47. Edmunds, C.J., "Kurds, Turks and Arabs", P.10.

48. See: Mackenzie, D.N., "A dialectological survey of Northern and central Kurdistan", a thesis of Ph. D. submitted to the University of London in 1958.

العموم وباللهجة السليمانية على وجه الخصوص • فأصدر جريدة كردية باللهجة السليمانية والف كتابا في قواعد اللغة الكردية • وقد زاد الاهتمام باللهجة السليمانية أثناء الحكم الوطني نتيجة فتح مدارس عديدة في اللواء بدرس باللغة الكردية (بناء على قانون رقم ٧٤ لسنة ١٩٣١ الذي نص على استخدام اللغة الكردية في المدارس والمحاكم في المنطقة الكردية تطبيقاً لتوصيات عصبة الأمم) • ومما زاد في شهرة لهجة السليمانية ظهور عدد من الشعراء المشهورين الذين كتبوا اشعارهم باللهجة السورانية الموكرية ، كما نشر فيها عدد كبير من الكتب والقصص والمجسلات والجرائد في العراق وايران • ويعتقد بعض المثقفين الاكراد ان هذه اللهجة هي الاكثر تطوراً من بقية لهجات اللغة الكردية ، وانها قد اغنتت باشقاقات ومصطلحات جديدة خلال الخمسين عاما الاخيرة مما يجعلها افضل من بقية اللهجات (٤٩) .

الديانات الكردية (×)

ان جميع اكراد لواء السليمانية مسلمون ، وكذلك حال الغالبية الساحقة من الاكراد في كردستان • وفترض في اولئك الذين يدينون

(٤٩) طالباني ، جلال : « كردستان والحركة القومية الكردية » منشورات جريدة النور - الطبعة الاولى بغداد ١٩٧٠ ، ص ١٩ انظر كذلك :

Ghassem lou, A., Kurdistan and the Kurds, Prague 1965, P.27

(×) يوجد في العراق اضافة الى الديانة الاسلامية التي يعتنقها ٩٠٪ من السكان الاديان التالية :

المسيحية : ينتشر المسيحيون في معظم المدن الكبرى ، غير ان قراهم الرئيسية تقع ضمن لواء الموصل • وينتمي مسيحيو العراق الى ثلاث طوائف هي : ١ - اتباع الكنيسة الحرة وبضمنهم النساطرة واليعاقبة ٢ - اتباع الكنيسة المتحدة ، وهم المتحدون مع الرومان الكاثوليك وبضمنهم الارمن المتحدين واليعاقبة المتحدين والنساطرة المتحدين ٣ - الارمن الارثوذكس • ويبلغ مجموع المسيحيين حوالي ١٨٠٠٠٠ نسمة .

باديان اخرى ان يكونوا مسلمين اصلا * ومن المشكوك فيه ان يكون بعض
الاكراد قد تحولوا الى المسيحية قبل تبنيهم الاسلام ، وان كان كل من
مينورسكي Minorisky ودرافر Driver يدينان بهذا الرأي (٥٠) .

والمجموعات الاخرى التي تعيش ضمن كردستان وتدين بالمسيحية وهم
الارمن والاشوريون والكلدان ، يتمون جميعا الى مجموعات عنصرية اخرى .
ولقد تحول الاكراد في عام ٢٠ للهجرة من الديانة الزرادشتية الى الاسلام
من دون ان يمروا بالمسيحية ، وكانت الزرادشتية الديانة المشتركة التي
يتسمي اليها جميع الاكراد (x) .

= اليهودية : يعيش معظم ما تبقى من اليهود في بغداد . وقد هاجر في
عام ١٩٥١ حوالي ١١٠٠٠ يهودي الى اسرائيل ، وربما بقي منهم في الوقت
الحاضر حوالي ١٠٠٠٠ نسمة .

اديان اخرى : ويوجد ايضا اتباع لاديان اخرى منهم حوالي ٣٠٠٠٠
يزيدي ، و ٢٠٠٠٠ صابئي و ١٥٠٠٠ من الشاباك وعدد قليل من الكاثوليك
والباجانيين .

(Europa Publication Ltd., "The Middle East" London 1957,
P. 175).

50. See: Minorisky, "Incyclopaedia of Islam" — (The Kurds-
religion).

Driver, G.R., "The religion of the Kurds" B.S.O., vo 12, 1922,
PP. 197-214.

(x) من المعتقد ان زرادشت قد ولد حوالي ٦٠٠ او ٦٦٠ قبل
الميلاد . ويقال انه كان كرديا من مقاطعة اذربيجان . وقد اصبحت تعاليمه
الديانة الرسمية للدولة الفارسية في عهد الساسانيين . وتشتمل هذه
الديانة على المبادئ الرئيسية التالية :

يمثل اهرمزد قوة الخير ويمثل اهريمان قوة الشر . ولكل منهما
جيش من الارواح في خدمته ، ويقود اهرمзда جيش اهرمز . ولكل من هاتين
القوتين ستة مستشارين مسؤولين عن النيران والمعادن والثربة والبيئة
الطبيعية والمياه والنباتات والحيوانات .

ونقد تحول الأكراد الى الاسلام نتيجة اخضاع الدولة الاسلامية لبلادهم •
ومما يلفت الانتباه ان كثيرا من الرحالة لاحظوا بقايا الديانة الزرادشتية في
بعض عادات وتقاليد الأكراد ، كتقديس الأشجار والاحترام العميق للموتى •
فمن امشاهد المألوفة في كردستان وجود مجموعة من الأشجار او شجرة
دائمة بداتها لا تمسها الايدي وقد ربط باغصانها رايات او خرق خضر دلالة
على مكاتها الدينية • ولا بد لقبور رجال الدين او الاولياء من ان تفتأ ظلال
شجرة وارفة • وتحتل المقابر عادة افضل المواضع واجملها تظللها الأشجار •
ولا يمكن للمرء على اية حال ان يتجاهل صعوبة وضوح تعاليم الديانة
الاسلامية في اذهان الأكراد القرويين وهم يجهلون اللغة العربية • والواقع
ان الكردي القروي البسيط قد تعلم المبادئ الأساسية للديانة الاسلامية
وحسب كالايمان بالله وبرسوله محمد (ص) واداء الفروض الدينية من صلاة
وصوم وزكاة وحج • ولا شك ان البيئة الطبيعية المتنوعة قد تركت تأثيرا
اقوى على معتقداتهم الدينية بحيث جعلتهم اكثر ميلا للاعتقاد في الاشياء
الملموسة منهم الى الايمان بالرموز المجردة • وقد يفسر لنا هذا الميل
الانحرافات الكثيرة عن الاسلام التي تبناها مجموعات عديدة من الأكراد
كالعلي الهية والشاباك والكاثائية واليزيدية ، وهي دينات تحاول ان تترجم

— واهرمزدا هو خالق الحياة واهريمان خالق الموت • وموطن اهريمان
في الظلمات السفلى التي تقع الى الشمال من جبال البرز ويقع مدخلها في
الجبل • ويوجد تحت امرته قطيع من الوحوش يقيم في غابات مازندران وفي
مستنقعات جيلان • والروح خالدة وهي تتجول بعد الموت بعض الوقت ثم
تستقر امام جسر • وهنا تواجه ثلاثة قضاة يزنون افعالها في الميزان • فاذا
رجحت كفة الحسنات اتسع الجسر امامها وعبرته بامان الى ارض النور
الخالدة • واذا رجحت كفة السيئات تقلص عرض الجسر وسقطت الروح
في الظلمات • اما الارواح القليلة اللواتي تتوازن سينساقن وحسناتهن
فيودعن الى المطهر •

الرموز الدينية المجردة الى معان واقعية ملموسة • كما قد يفسر لنا هذا الميل ايمان الاكراد الشديد بالاولياء والشيخوخ والشخصيات الدينية المرموقة • وقد اتفق جميع الرحالة والكتاب الذين خبروا الاكراد عن كتب على قوة تأثير رجال الدين فيهم • كذلك جعلهم ميلهم هذا متسامحين جدا مع اصحاب الاديان والعقائد الاخرى • وهم بذلك يمثلون تلك الجماعات البشرية التي لا يسوقها ايمانها الديني الى التعصب^(٥١) • وهما لا يدان ان تؤكد بان المذابح التي جرت للمسيحيين ، ولا سيما الاثوريين (×) منهم ، على يد الاكراد كانت وراءها اسباب سياسية واقتصادية ولم تكن نتيجة للتعصب الديني كما اذاع كثير من الكتاب الغربيين • وقد دافع بعض الكتاب المحابدين عن

51. See: Kroeber, A., "Anthropology" London 1948, P. 603.

(×) يختلف الباحثون حول اصل الاشوريين • وكان كتب القرن التاسع عشر قد ايدوا الفكرة القائلة بأنهم بقايا الاشوريين القدماء • وكان موطنهم قبل الحرب الكبرى الاولى في جبال تيارى في ولاية حكارى الواقعة في قلب كردستان التركي ، كما كان يعيش البعض منهم في ولاية اورمية • ولقد دعى موطنهم الاصلي وصفاتهم الطبيعية والاجتماعية بعض الكتاب الى الاعتقاد بانهم اكراد مسيحيون • لكن لغتهم السريانية - الارمنية تدحض هذا الادعاء • وقد ظهرت مشكلتهم على مسرح الاحداث العالمية عقب الحرب الكبرى الاولى حينما اضطروا الى النزوح عن اوطانهم والبقاء بلا وطن • وكانوا قد ناروا قبل ذلك ضد الاتراك في ربيع عام ١٩١٦ بتحريض من الجيش الروسي الذي كان قد احتل جزءا من تركيا • فلما اضطرت الجيش الى الانسحاب الى غربي ايران لم يجدوا مندوحة من مرافقته خوفا من انتقام الاتراك • ووضعوا انفسهم تحت الحماية البريطانية فاصبح توطينهم احدى اعقد مشاكل ما بعد الحرب التي واجهتها السلطات البريطانية في الشرق الاوسط • وبالرغم من ان عددهم لم يكن يتجاوز ٣٥٠٠٠ نسمة فانهم طالبوا بدولة مستقلة تتخذ القسم الشمالي من ولاية الموصل مركزا لها (اى جزءا من محافظة دهوك الحالية) • وقد تم توطينهم فيما بعد في قضاء العمادية بدرجة رئيسية ورافق ذلك بعض المشاكل التي أمكن تذليلها فيما بعد •

الاكرد ونفوا عنهم صفة التعصب الديني نفيا قاطعا كما فعل زيمينيه Ximeneze مثلا^(٥٠) (×) • بل ان بعض الكتاب المتحيزين امثال المبشر وكرام Wigram قد اعترف بالعلاقات الطيبة بين الاكرد وجيرانهم الاشوريين^(٥١) (×) • اما لجنة عصبة الامم التي حققت في مشكلة ولاية الموصل فقد اشادت بالعلاقات بين المسيحيين والاكرد وذكرت بان اعضاها دهشوا لتلك العلاقات الطيبة^(٥٢) • اما الكلدان الذين يعيشون من ازمان بعيدة بين الاكرد فلم يشكوا

× (٥٠) لقد اورد زيمينيه المثال الطريف التالي عن تسامح الاكرد تجاه اصحاب الاديان الاخرى ، قال : (لقد تجمع تحت خيمة الزعيم الكردي علي اعا جميع وجهاء المخيم • ولكسي اكتشف وضعهم القيت عليهم بعض الاسئلة • وقد ذكر احدهم بانه ارمني ، غير ان علي اعا تدخل في الحوار قائلا : لا يهم ان يكون المرء مسلما ام ارمنيا فنحن جميعا على هذه الارض ابناء الله •)

(Zimenez, S., "Kurds and Armenians" London 1895, PP. 16-17.)

× (٥١) لقد على ويكرام Wigram على اصطدامات الاكرد بالمسيحيين بما يلي : (لقد كانت صدمة عنيفة لمشاعر الجميع ، الاكرد والمسيحيين على السواء ، حينما صدرت لهم اوامر صريحة من اعلى المراجع المسؤولة انشاء المذابح الارمنية لعام ١٨٩٦ بالاعتداء على النساء • وما دامت تلك الاوامر قد صدرت يوما للاكرد من قبل خليفة الاسلام نفسه فانهم لم يجدوا ضيرا من تكرارها عند حدوث النزاعات الشخصية • وهكذا فان حوادث ذلك العام قد حددت انحدارا عظيما في علاقات اتباع جميع الاديان في كردستان • فالخلافات الشخصية السابقة التي لم تكن تتخذ طابعا حادا ، بل وكانت ذات طابع رياضي ، اصبحت بعد ذلك العام حادة وقاسية) •

Wigram, W., "The Assyrians and their neighbours" PP. 206-7, London 1929.

54. League of Nations, "Questions of frontiers between Turkey and Iraq" P. 53 & P. 47.

يوما من اية مضايقة او اضطهاد (x) •

ويتمي غالبية الاكراد الى المذهب الشافعي ، وهو احد اذهاب السنية الاربع (الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي) • وهناك عشائر كردية قليلة ، لا سيما الدر (القليلة) تنتمي الى المذهب الشيعي • ويعزى انتماءهم الى المذهب السني الى خضوع كردستان المبكر الى الاحكام السنة • اما انتماءهم الى الطائفة الشافعية (نسبة الى محمد بن ادريس الشافعي ٧٦٧ هـ - ٨٢٠ هـ) فيعزى الى نشاط رجال الدين الاكراد الذين درسوا العلوم الدينية في المدرسة النظامية في بغداد اثناء الخلافة العباسية والتي كانت تؤيد المذهب الشافعي • وقد تفرع من هذا المذهب عدة طرق تختلف عن بعضها اختلافا بسيطا • واكثر الطرق شيوعا بين الاكراد هي الطريقة القادرية (نسبة الى الشيخ عبدالقادر الكيلاني) تليها الطريقة النقشبندية •

(x) يختلف الكتاب حول اصل الكلدان كاختلافهم حول اصل الاشوريين ، وان كانوا هم انفسهم يدعون بانهم من نسل الكلدان القدماء • وقد اعتبرهم سون ولايارد وريج من احفاد الاشوريين القدماء • وهم يسمون انفسهم باسماء مختلفة ، كالسريان والنساطرة ، ويشاطرون الاشوريين تلك الاسماء • وتعتبر لغتهم المسماة باللغة السريانية اقرب اللغات الحديثة الى اللغة الارامية • ويبدو ان الكلدان قد تبناوا الديانة المسيحية اثناء القرن الثالث الميلادي وانشؤا مدرسة مشهورة في اديسا (اور الكلدانيين) • وقد ايدوا نسطوريوس رئيس اساقفة القسطنطينية حينما ثار الجدل بينه وبين القديس سيريل في حوالى عام ٤١٠م حول بضعة نقاط تمس العقيدة، ولا سيما حول رأيه بان العذراء ولدت المسيح كانسان وليس كاله • وقد ادى هذا الانقسام الى نشوء المذهب الجديد الذى اطلق عليه اسم (النساطرة) نسبة الى نسطوريوس ، وقد التحقت به الكنيسة الشرقية •

وقد عاش المسيحيون الكلدان بسلام اثناء الحكم الفارسي والعربي، واحتلوا مراكز هامة في الحقل الثقافي • وقد بدأ اضطهادهم اثناء القرن الثاني عشر واصبحت حياتهم تحت الحكم المغولي شاقة ، فاخذوا ينسحبون الى المواضع النائية في الجبال •

وهناك ايضا بضعة اديان غامضة يدين بها عدد لا بأس به من الاكراد

وهي التالية :

اليزيدية :

لقد اثارت الديانة اليزيدية فضول كثير من الرحالة والكتاب ، فكتب
عنها كتابات كثيرة . وقد تار جدل عظيم حول اصل تسميتهم . فاعتقد البعض
بان اسمهم استقي من كلمة يزدان ، وهي الاسم الفارسي للذات العليا ،
نظرا لان الله تعالى يحتل في ديانتهم سيادة رمزية ^(٥٥) . واعتقد البعض
الاخر بان تسميتهم قد استقيت من كلمة يرد ، وهي مقاطعة فارسية يفترض
انهم قد ظهروا فيها . وادعى جماعة اخرون بان تسميتهم ترجع الى مؤسس
ديانتهم يزيد بن عزيزة الذي يمثل الشئخ عدي . وهناك ايضا عدد من
الباحثين الذين يرتئون بان تسميتهم قد استمدت من يزيد بن معاوية الخليفة
الاموي الثاني ، وانهم اما ان يكونوا قد اتخذوا هذه التسمية ليربطوا انفسهم
بالامويين ويحصلوا على حمايتهم ، او ان الشيعة انفسهم قد اطلقوا عليهم هذه
السمية ليلصقوا بيزيد عار تأييد هذه الديانة ^(٥٦) . وعلى اية حال فبالرغم
من وجود خلاف كبير حول تسميتهم فان الكتاب يتفقون جميعا تقريبا على
مسألة انتمائهم الى الاكراد .

كذلك تعرضت ديانتهم الى تفسيرات ومزاعم مختلفة . فقد اعتقد
البعض بانهم كانوا مسيحيين في الاصل الا انهم استسلموا للخرافات والجهل ،
واستندوا في اعتقادهم هذا الى وجود كثير من التعاليم المسيحية في صميم

ويقدر عددهم في الوقت الحاضر بحوالى ٤٠٠٠٠ ، وهم يعيشون حياة
مشابهة لحياة الاكراد ويرتدون زيا كرديا لكن عمامة الرأس اصغر حجما .

55. Luke, H.C., "Mosul and its minorities" London 1925,
P. 125.

56. Empson, R H.W., the cult of the Peacock Angle, London
1928, PP. 27-28.

ديانتهم • واعقد البعض الآخر انهم كانوا من اتباع الديانة المتوية ثم تحولوا الى الاسلام ، ودليلهم على ذلك انهم يتبنون القاعدة الاساسية للديانة المتوية وهي ازدواجية القوة العليا ^(٥٧) • وارتأى اخرون انهم جماعة من الزرادشتيين الذين تسوا جراً من انعاليم الاسلامية والمسيحية ليتجنبوا اذى اتباع هاتين الديانتين ، ودليلهم على ذلك انهم يؤمنون اساساً بمبدأ الخير والشر * بل ان هناك من يعتقد ان اليزيديين ليسوا سوى مسلمين متطرفين قد اضاعوا الكثير من التعليمات الاسلامية الاساسية واستعاروا تعليمات اخرى من مختلف الاديان بسبب جهلهم ^(٥٨) • وعلى اية حال فان ديانة اليزيديين تكشف بالفعل عن تجميع لاعتقادات وعادات اديان متعددة • فهم يؤمنون بوجود الشيطان الذي يسموه ملك طوس ، ويضعونه في اعلى درجات انقيس • ويفسرون تقديسهم للشيطان بانه كان اول الملائكة السبع الذين خلقهم الله • وبما انه الوحيد من بين الملائكة الذي يسيطر على الارض بصورة مباشرة والذي يستطيع ان يصيب الانسان بأفدح الاضرار ، فلا بد اذن من اسرطائه والاعتراف بسلطته وتجنب اية كلمة قد تفضبه • لذلك فهم يمتنعون عن التلفظ باية كلمة تبدأ بالحرف (ش) ، لان اسمه يبدأ بها ، كما انهم لا يستخدمون اللون الازرق بنانا لانه يذكر الشيطان بالسما • وهم يشيرون ايه باسم ملك طوس او ملك القوت ، ويدفعون جزية سنوية لمثله وهو نمثال برونزي بطاوس • وهناك سبعة تماثيل لملك طوس يطوف بها عليهم سنوياً رجال دين يطلق عليهم اسم (القوالون) • كذلك يؤمن اليزيديون

(٥٧) الديمولوجي ، صديق ، « اليزيديون » ، الموصل ١٩٤٦ ، ص ١٧٠
(ويمكن الاعتماد عليه في الدراسة المفصلة لليزيديين)

(٥٨) انظر العزاوي ، عباس : « تاريخ اليزيدية » ، بغداد ١٩٣٥ ، ص ١٩٤-١٩٥ •

كذلك : الحسنني ، عبدالرزاق : « اليزيديون » ، بغداد ١٩٥١ ص ٥٠ •
وقد ظهرت مؤخراً دراسة مفصلة عنهم للدكتور سامي سعيد الاحمد •

بالدات العليا ويسمونها (يزدان) ، لكنهم يعتقدون ايضا ان يزدان في غير حاجة الى الترضية او العبادة لانه عظيم الطيبة بحيث لا يمكن ان يضر الانسان ، كما انه في اعلى الطبقات وبعبدا عن مجال العبادة المباشرة • وهم يقدسون الكتب الدينية الثلاث القرآن والتوراة والانجيل ويحترمونها على قدم المساواة • كذلك يجلون المسيح وشارة الصليب ، كما يجلون محمد ومكة المكرمة • ويقدمون الزيدون ايضا النار والشمس والقمر ، ولا سيما الشمس التي يسمونها الشيخ شمس الدين وانى يضحون بها سنويا بنور ابيض قرب معبد الشيخ شمس الدين • ولهم كتابان ، يسمى الاول المصحف الاسود (مصحف رش) ، ويسمى الثاني مصحف الجلوة • واعظم اماكنهم قدسية هو معبد الشيخ عدي قرب مدينة الموصل والذي يعتبر الاب الروحي لديانتهم وهم يخصونه باحترام عظيم قدر ما يخصون به ملك طوس •

ويقوم نظامهم الديني والاجتماعي على طبقة حادة • وهناك اربع طبقات دينية هي البيرات والشيخوخ والقوالون والفقراء • فالبير يمثل اكبر شخصية دينية تبلغ درجة القداسة • والشيخ يمثل الزعامة الدينية • اما القوالون فهم رجال الدين المتجولون الذين يطوفون من قرية الى اخرى حاملين تماثيل ملك طوس ، كما يتولون ايضا وظائف دينية ثانوية • ام الفقراء فتقتصر وظيفتهم الدينية على خدمة قبر الشيخ عدي • ويمنع منعاً باتاً الزواج بين هذه الطبقات المختلفة ، كما يمنع ايضا الزواج مع الاديسان الاخرى التي يعتبر اتباعها اقل مرتبة من الزيديين • ويتمتع الامير ، وهو الرئيس الاعلى ، بسلطة سياسية واجتماعية غير محدودة ، وهو الوحيد الذي يحق له الزواج بأكثر من امرأة يختارها من أى طبقة يشاء •

وقد قاسى الزيديون من الاستغلال الداخلي من قبل رؤسائهم ورجال دينهم ، كما قاسوا من اضطهاد الاقوام المجاورة لهم بسبب معتقداتهم الدينية • ولعل اسوأ ما في ديانتهم من تعليمات الجهل الذى يفرض على العامة ، ذلك

انهم ممنوعون دينيا من تعلم القراءة والكتابة • ويقدر عددهم في الوقت
الحاضر بحوالى ٤٠٠٠٠ نسمة ، ويعيش غالبيتهم في قضائي سنجار وشيخان •
العلل الالهية

يمارس هذه الديانة بدرجة رئيسية عشائر اللر والعشائر الكورانية في
کردستان ايران • ويختلف الكتاب والبحاث حول اصل هذه الديانة ، غير
ان اتباعها يعتبرون على العموم من المسلمين المتطرفين • ويعتقد راولنسون
Rawlinson بان هذه الديانة تحمل دلائل واضحة من اليهودية ، (٥٩)
بيسا يرتأى سون Soane بأنها عبارة عن مجموعة من الاديان والقبائل
المختلفة وان للزرادشتية والاسلام النصيب الاعظم فيها (٦٠) •

وتستند ديانتهم الى الاعتقاد بان هناك حلول متعاقب للذات الالهية ،
فهي تحل دائما في احد البشر • ومن ابرز البشر الذين حلت فيهم الذات
الالهية بنجامين وموسى والياس وداود والمسيح ومحمد وبابا يادگار (٦١) •
ويعتقد العلوي اللهيون كذلك بان الله قد اصبح مرثيا في اعظم الرجال كمالا
وهو علي بن ابي طالب (الذى يدعى بقاسم الارزاق) والذى تخضع له جميع
حالات السماء • وقد حلت روح الله ايضا بدرجة أقل في اشخاص اخرين
كالحسين بن علي واحفاده وكذلك في البيرات السبع (الهاتفون) •

ويطلقون على انفسهم اسم (يارم) وعلى الغرياء اسم (جوز) ، كما
بسمون زعماءهم (السادة) ويفترض انهم ممثلون لصاحبي كرم ويخضون
بسلطة اصدار القرارات فيما هو شرعي وغير شرعي • وهم يمتنعون عن
حلق لحاهم او تشذيب شواربهم • واعظم اماكنهم قدسية هو معبد
بابا يزرك (٦٢) •

59. Rawlinson, PP. 109-110.

60. Soane, PP. 68 ff.

61. Ainswerth, W.F., "A personal narrative of the Euphrate expedition" London 1887, vol. 1, P. 382.

62. Soane, PP. 62-3.

الكاكائيون :

يحيط ديانة الكاكائيين الغموض اكثر مما يحيط ديانة اليزيديين واعلي الملية . وقد استمدت تسميتهم من الكلمة الكردية (كاكه) التي تعني الاخ . وترغم حكاياتهم بان احد منشئي ديانتهم وهو سيد ايشاك كان قد فرر تشييد تكية عظيمة في مدينة برزنجة في لواء السليمانية ، وحينما تم بناء الاعمدة صهر انبا اقل ارتفاعا من الجدران . فقال المشيخ لآخيه : (مدهم با كاكه) ، فامتدت الاعمدة بمعجزة ^(٦٣) ، وهكذا سمي اتباعه بالكاكائيين ، وكن يبدو ان الاساس الحقيقي لتسميتهم يعود الى مخاطبة بعضهم بعضا بكلمة (كاكه) ^(٦٤) .

ويحوط معتقداتهم غموض شديد للغاية لانهم يحافظون على السرية التامة تجاه الغرباء ، غير انهم يعتبرون مبدئيا من المسلمين المتطرفين . وهم يقدسون الامام علي تقديسا عظيما ، ويدعي بعض الكتاب انهم يؤمنون بان روح الله قد حلت في علي . ولا يعتقدون بان القرآن قد انزله الله تعالى بل يزعمون ان محمد (ص) قد كنهه بنفسه . ويبدو ان من جملة اعتقاداتهم ايضا الايمان بتناسخ الارواح .

ويتصفون بالتسامح الشديد تجاه الاديان والمعتقدات الاخرى ، وهم يحترمون المعرفة والتعلم احتراما عظيمًا ^(٦٥) . ويعيش أغلبهم في نواء كركوك .

الشاباك :

ان اصل الشاباك مختلف عليه . وبالرغم من ان غالبية الباحثين يعتقدون انهم اكراذ ، الا ان بعض الكتاب يزعمون انهم اتراك ^(٦٦) . اما

63. For a detailed study see: Edmunds, C.J., "Kurds, Turks and Arabs" PP. 182-92.

(٦٤) العزاوي ، عباس : « الكاكائيون في التاريخ » بغداد ١٩٤٩ ، ص ٤

(٦٥) المصدر السابق ص ٦٢-٦٣

(٦٦) للدراسة المفصلة راجع : الصراف ، أحمد حامد : (الشاباك) ،

بغداد ١٩٥٤ .

لعتهم فهي خليط من الكلمات الكردية والتركية واغارسية ، وان كانت غالييتها كلمات تركية . ويلفح الغموض دياتهم بسبب كتمانهم الشديد ، غير ان الباحثين يتفقون بانهم مسلمون متطرفون ويحملون تقديسا خاصا للامام علي واحفاده . وهم لا يعترفون بكثير من الخلفاء المسلمين ، كما لا يقرون ايضا كثيرا من العالم الاسلامي ، فهم لا يصومون رمضان ولا يؤدون الصلوات الخمس ولا يمتنعون عن شرب الكحول ، كما انهم يمارسون بعض تعاليم الديانة المسيحية مثل الاحتفال بالعام الجديد ونشيدان الغفران عن طريق الاعتراف للبركات .

وتشابه عاداتهم عادات الاكراد بالرغم من ان ملاسهم اكثر شبها بملايس المسيحيين . وهم يمتنعون عن حلق اللحية او قص الشارب ، ويعتبرون قص الشارب خطيئة عظيمة . وينتشرون في حوالى عشرين قرية في لواء الموصل ، ويتراوح عددهم بين عشرة آلاف الى خمسة عشر الف نسمة .

الاعراف والتقاليد الاجتماعية

تبرز العادات والتقاليد الاجتماعية لاكراد لواء السليمانية في موقفهم من الخرافات والسحر ، وفي نظرتهم الى انثاء ، وفي عاداتهم في الولادة والوفاة ، وفي ادبهم الفولكلورى .

الخرافات والسحر :

بالرغم من ان التعاويذ تمارس على نطاق واسع ، كعمل الحجاب لطرد العيون الشريرة واستخدام التماثيل لشفاء بعض الامراض ، الا ان السحر الجماعي Communal Magic نكد يكون غير معروف في كردستان . ولعل الحالة الوحيدة التي يمارسها مجتمع القرية في السحر الجماعي تتمثل في استحلاب المطر . وهذه الحالة على اية حال لا تمارس بصورة جدية ، ولا يلجأ اليها الا نادرا . ومن المعلوم ان توقف الامطار المبكر يؤثر على المزروعات الشتوية بدرجة

عظيمة مما يحمل مجتمع القرية الى ممارسة هذا التقليد في حالات اجفاف
اشديد . ويمارس هذا التقليد باحدى طريقتين ؛ الطريقة الاولى وهي اكثر
شيوعا ، وتطلب قضاء الليلة في صلاة عامة في الجامع . ثم يغطس في اليوم
اتلى الملا او احد وجهاء القرية في ينبوع القرية . والطريقة الثانية ، وهي
تستوجب اشتباك مجتمع القرية في قتال كاذب مع قرية مجاورة . وتشار
نسيجة لذلك القتال صوضاء عظيمة ، ولكن لا تراق فيه سوى دماء رمزية .

وقد ايد كثير من الكتاب والرحالة اعتقاد الاكراد بالارواح الشريرة
اسى مثلها الجن . ويعتقد القرويون ان اجن يطوفون بالاوديه والجبال
محاولين جهم مضايقة ابشر . ونقابل الجن (البرى) ، وعم الحماسة
الاخيار ، ويمثلهم شهداء الاسلام والشيوخ الاطهار ويتميزون بقوة روجه
عظيمة . وقد استمد الاكراد اعتقادهم بالارواح من ايمانهم الشديد بتعاليم
رجال الدين والمسالي . وقد التقى المؤلف بعدد قليل جدا من القرويين
الذين زعموا بانهم رأوا الارواح بانفسهم ، وكان تفسيرهم الوحيد لاعتقادهم
ان اخبار الجن المذكورة في التعاليم الدينية . وعلى انه حال فان الجهل
والاعتقاد بالخرافات امران متلازمان في كل مكان .

ويعتقد القرويون الاكراد ايضا بالعين الشريرة او الحاسدة وبالفأل
احير او السوء . ومن اشد الامور التي يتشاءمون منها صياح الديك عند
انغروب . فهم يعتقدون ان هذا الصياح دليل على كارثة مقبلة ولا بد من منعها
بذبح الديك . وتعتبر العطسة الواحدة فألا سيئا ايضا عند الشروع بعمل ما .
وهناك ايام معينة مفضلة لانجاز الاعمال كالاثني والثلاثاء بسما يعتبر يوم
الاربعاء يوما سيئا .

الشار :

ان الشار الكردي هو مظهر من مظاهر الاسقام الذي يلجأ اليه الشخص

المعتدى عليه • وخلافاً للتأثر العربي أو الشار العشائري بوجه عام ، فإن التأثير الكردي مسؤوليه عائلية وليس مسؤوليه عشائرية او نسبية ، أى انه مسؤوليه الأقرباء الأقربين فقط • ويمكن ان يعزى ذلك الى تأثير العامل الجغرافي • فالانحزال الجغرافي للقرية الكردية والبناء الطبوغرافي الوعر للمنطقة قد جنب مجتمع القرية تبني سياسة الانتقام من اجل الفرد • كما ان التعاون الشديد اضروى بين سكان القرية قد اضعف بدرجة عظيمة تحزب الانساب ، وبالتالي هبط بالتأثر الى مستوى الاسقام الشخصي الذى يقتصر على الأقرباء الأقربين فقط •

غير ان الموقف يختلف اذا مس الشار رئيساً او اغا ، فقد يؤدي الامر الى اشتراك جميع افراد النسب في التأثير • ولا يقل تأثر الرؤساء الوسطة ، وقد ستمر اعمال الانتقام الى سنين طويلة • وعلى العموم فان تأثر السكان العشائريين بدوم فترة اطول مما يدوم تأثر غير العشائريين كما انه يتسع لعدد اكبر من الأقرباء • ومن غير المحتمل التوصل الى انتهائه بصورة سلمية قبل ان يتحقق انتقام الطرف المتضرر (x) •

ويبدأ التأثير عادة بحادثة قتل تسبب عن خلاف حول الاراضى الزراعية أو المراعي أو الحيوانات أو أى سبب آخر • ولا بد ان يحاول اقرب الاشخاص للقتل (ابناءؤه او اخوانه او ابناء اخوانه او حتى أبناء أخواته) من ان يأخذ

(x) ان مسؤولية التأثير في التنظيم العشائري العربي اعظم مما هو عليه في التنظيم العشائري الكردي ، ويذكر بوركهاردت Burkhardt بان مسؤولية التأثير قد تمتد الى الجيل الخامس • (ص ١٤-١٥ ، الجزء الاول)

اما احمد فهمي فقد شرح في كتابه (تقرير عن العراق) (ص ١٥-١٩) اصوليات التأثير شرحاً مستفيضاً • وتكشف تلك الاصوليات عن وجود قوانين صريحة تخص كل نوع من انواع الاعتداء كالقتل والزنا والسرقة وامساء السمعة الخ ، ويتخصص بمعرفتها عادة اشخاص معينون يطلق عليهم اسم (العارفة) •

بسرعة في الحاح • ولا يوجه الانتقام نحو القاتل فحسب ، بل يشمل اقرباءه
• ويمكن ان يضرب الثأر متوقفا اذا امتنعت عائلة القاتل عن الاخذ بثأرها
سبب من الاسباب ، والا فان الاعمال الانتقامية تستمر من الجانبين الى فترة
عويده • وقد يتوقف الثأر في بدايته اذا نشد القاتل في الحال حماية رئيس
او اعا وساله ان يتفاوض نيابة عنه مع العائلة المعتدى عليها • واذا وجدت
عائلة المتضررة انها عاجزة عن الاخذ بثأرها اکتفت بطلب الفدية (الفصل) ،
والا رفضت الوساطة •

واذا كان القاتل والضحية من قرينين او عشرين مختلفين انعقد مجلس
الوساطة من الاغا او رئيس القرية ومن اعضاء من كلا الاسرتين • ولابد
من انعقد المجلس من ان يمنع افراد كل من العائلتين عن اعمال الانارة
والاستفزاز ، والا اعتبر الاستفزاز أهانة خطيرة لاعضاء المجلس • واذا فشلت
المجلس بدأ الثأر من جديد •

ويتناسب (الفصل) عادة مع نوايا القاتل ومع مركز الضحية • ويمكن
ان يدفع نقدا او نساء او اسلحة او حيوانات ، وقد يشمل على خليط من
هذه الاشياء • واذا كان القاتل مقتدرا فعليه ان يدفع مالا او سلاحا ، والا
وحب عليه ان يدفع نساء او حيوانات • واذا كان غير مقتدر نهائيا توجب
على اقربائه المقربين ان يمدوا له يد المساعدة •

وتراوح فدية قتل العشائري الاعتيادي بحوالي ٧٠-١٠٠ دينار او
امرأتين • (لابد ان تكون النساء من اعضاء اسرة القاتل وينبغي ان يزوجهن
قرباء القاتل) • اما فدية رئيس ثانوي او اعا صغير فقد تصل الى ١٥٠
دينارا • اما مقتل الرئيس او الاغا الكبير فلا يعوض عنه سوى مقتل رئيس
ساو من اعضاء نسب القاتل •

وفي الوقت الحاضر تتدخل السلطات الحكومية في الحال في حوادث

النار • غير ان القرويين يبذلون غاية جهدهم لاختفاء تلك الجرائم عن السلطات ، الا اذا عمد الجانب المتضرر الى اخبارها • فاذا كسان الشار يخص اشخاصاً عشائريين عقد مجلس عشائري ليحاكم القاتل حسب قانون العشائر • ويضم هذا المجلس ممثلين عن كلا العائلتين المعنيتين ، بالاشتراف مع القائمقام • واذا كان القاتل غير قادر على دفع الفدية التي يفرضها المجلس أو غير راغب في ذلك ، صدر عليه حكم بالسجن لبضعة سنوات • لكن هذا الحل لا يطفى النار ، اذ ان العائلة المعتدى عليها تحاول الاخذ بشأرها حتماً يغادر القاتل السجن •

الولادة

تبدأ الاستعدادات لمجيء الطفل بتهيئة الملابس • وتولى عمية النوييد احدى الجارات وتدفن الصرة بصورة سرية • وحينما يولد الطفل يحرس لمدة اسبوع ويوضع تحت وسادته سكين وابرة كبيرة او قشرة بصل لتطرد عنه الجن • وفي نهاية اليوم السابع يدعى الاقرباء والاصدقاء الى احتفال يدوم الليلة بكاملها ، ويدعى كذلك الملا ليسي الصفل • ويقرأ الملا بعض سور القرآن الكريم في اذن الطفل وعلى قطعة من السكر ثم يبللها بطرف لسانه ، ويفضل ان يكون اسم محمد جزءاً من الاسم المزدوج • غير ان هذا الاحتفال لا يحدث في حالة البنت ، لان الاكراد يهتمون بولادة الابناء فقط • وبهية الجيران والاصدقاء الطعام لعائلة الطفل كي تستطيع الام الانصراف كلياً الى طفلها الوليد •

وحينما يفقد الطفل السن الاولى من اسنانه توزع اسنانه الطعام على الجيران والاصدقاء احتفالاً بالمناسبة •

ولايد من اجراء الختان قبل ان يصل الولد مرحلة البلوغ ، ويقصوه بها في العادة حلاق من مدينة السليمانية • وتقام حفلة بالمناسبة تختلف في فخامتها حسب مقدرة الاسرة •

وتد يكون من المحبب ايضا الاعلان عن بلوغ الفتى بوشمهن ، وتنوي
بامرأة محصنة . ويمثل الوشم علامة صغيرة على اليد او العنق
و الوجه ، غير ان هذه العادة قد انقرضت الى حد كبير .

الوفاة :

يمكث اعضاء اسرة المتوفي ثلاثة أيام في البيت لاستقبال الاصدقاء
والاقرباء الذين يحضرون لتعير عن تعازيهم . ويقدم الشاي والطعام
والسجائر للمعزين طول الوقت ، ويحضر المعزون بدورهم هدايا من
سكر والشاي والرز والحيوانات . ويقوم الاقرباء باعداد الطعام طيلة
ايام الاحتفال . وفي نهاية الاحتفال يذبح خروف ويوزع لحمه على الفقراء .

ويقوم افراد عائلة المتوفي بزيارة قبره مرة في الاسبوع بانتظام (تكون
زيارته انشاء في ايام الثلاثاء والاربعاء والجمعة) . ويوزع
الطعام على الفقراء من وقت لآخر . وتند تستغرق احتفالات الوفاة لعشائريين
اكثر من ثلاثة ايام ، اما الاحتفال بوفاة الرئيس فقد يمتد الى حوالي الشهر .

ويحظى الميت لدى الاكراد باحترام عظيم . وهم لا يجروون على
الاساعة اليه او شتمه حتى ولو كلف من اشد اعدائهم . لهذا فان القبر
والمقبرة يكادان يعتبران مكانا مقدسا . ولا يجرو القروي الكردي على
اعتصاب أى شيء يجده في المقبرة . وقد اخبر المؤلف عدة ثقات من الاكراد
بان العشائر الرحالة كانت معادة على ترك بعض ممتلكاتها في المقابر لدى
القيام بهجرتها الربيعية ، وعند عودتها في الخريف تجد حاجياتها في موضعها
لم تمسها يد .

وقد يوضح لنا هذا الاحترام العميق للموتى اسباب انتقاء مواضع
حملة للمقابر ، ويفضل ان تظللها الاشجار . وتعلق على اشجار المقابر الرايات
والخرق الخضراء فلا يجرو احد من الاكراد على قطع اشجار تلك الاشجار .

ونقد نصيح شابمان Chapman خبير العابات السلطات العراقية بتعليق ما أمكنها من رايات و حرق خضر على الأشجار لحمايتها من القطع المفرط .

الاحتفالات العامة :

تشتمل احتفالات الاكراد العامة على استقبال رمضان والاعياد الدينية والموايد وعيد نوروز . ويستقبل شهر رمضان عادة بأقامة دعوات افصر عامة منظمة في جامع القرية ، ويقمها كل بيت بدور . وقد يقتصر الامر على التجمع في ميدان القرية بعد الافطار وتبادل الاحاديث ، او الاجتماع في الجامع والاستماع الى تلاوة القرآن الكريم والاحاديث الدينية .

ويتهيا الاكراد لاستقبال العيدين ، عيد الفطر وعيد الاضحى ، بشراء الملابس الجديدة ، ولا سيما للاطفال ، وبدأ احتفال العيد منذ الصباح المبكر ، فيتجمع الرجال لاداء صلاة العيد . ومن ثم يشاركون جميعا في تناول افطار العيد . ثم يتلو ذلك زيارة المقابر .

ويكون العيد مناسبة لتسي الاسرة خلافاتها ولتقوي صلاتها الداخلية والخارجية . ومع أن المفروض ان يستمتع القرويون بعطلة العيد بكليتها ، لكنهم يعودون الى اعمالهم في الحقيقة في اليوم الثاني . ويطوف الاطفال في القرية بثيابهم الجديدة البهيجة الالوان . وقد يقوم الكبار برقصة مشتركة او يجرون سباقاً للخبل ، لكنهم في الغالب يفضلون زيارة اقرب مدينة لينفقوا اجازتهم في مقاهيها المزدحمة .

أما نوروز فهو ليس عيداً بمعنى الكلمة وان كان كثير من الناس يكسبونه هذا الاعتبار ، وقد بدأ يتخذ في الالونة الاخيرة صفة قومية بالاضافة الى صفته الاجتماعية . ويعتقد بعض الكتاب ان هذا العيد ربما كان من بقايا الديانة الزرادشتية . ويحتفل به في ٢١ مارت ، أى عند الانقلاب الربيعي ، وذلك بأعداد طبق خاص من الطعام وباشتغال التيران على روايي الجبال

وبجوار البيوت • وفي المناطق الجنوبية واشرفية من لواء السليمانية لا يهتم
اسكان اهتماماً كبيراً بهذا العيد ولعل ذلك يعود الى بعدهم عن التأثير العارسي •

الفناء والفولكلور الكردي :

تعتبر الموسيقى أكثر وسائل التسلية شيوعاً لدى الاكراد • وتشتمل
آلاتها على المزمار والطبل ، وهما من نوع بدائي • وما تزال الموسيقى الشائنة
دات نغمات بسيطة وغير متنوعة • • ويصاحبها أحياناً الاغاني والرقص في بعض
المناسبات • وهناك رقصة كردية ذات مميزات خاصة تمارس في جميع جهات
كردستان • وقد ذكر ويلسون Wilson انها شبيهة الى حد كبير بالرقصة
التي يمارسها سكان البلقان^(٦٧) • وتقوم في الاساس على اشتراك عدد كبير
من الراقصين حيث يتماسكون بالايدي ويكونون شبه حلقة ، ثم يتحركون
في شبه دائرة على انغام الطبل والمزمار • وتنطوي الرقصة على تحريك
الاقدام في انغام على وقع الموسيقى • ومع ان هذه الرقصة مصممة في الاصل
على اساس مساهمة الجنسين فيها ، لكن ذلك لا يحدث الا في النادر • وتسمى
الرقصة اشتركة (رشبلك) • وقد ادى تأثير الملاهي الى حصر (الرشبلك)
بعد قليل من العشائر المستقرة •

وتمارس هذه الرقصة في العادة في احتفالات الزواج وفي العيدين وفي
عيد نوروز ، وكذلك اثناء بعض المنزهات الربيعية • وينبغي ان يرتدي
الراقصون افضل ملابسهم • وقد يتبارى الراقصون فيما بينهم ، ثم يقوم
الفائز بقيادة حلقة الرقص ، فيلوح بمنديل ابيض •

ويتصف الاكراد ايضا بحبهم للطبيعة • وهم يكثرون عادة من المنزهات
في فصل الربيع لا سيما في ايام الاربعاء والجمعة ، فيغشون الغابات والاماكن

67. Wilson, W.C.F., "Northern Iraq and its people" J.R.A.S.,
1937, PP. 290-1.

الخلوية وخصوصاً تلك التي تتدفق فيها المياه • ومن المعلوم ان جبال كردستان واوديته تتحول في فصل الربيع الى حديقة غناء حافلة بالسحر والجمال • ويمارس المقتدرون من الاكراد الصيد ، ويشتمل على صيد الغزال والشعلب والخنازير البرية ، او الطيور المتنوعة ولا سيما القبيح • ويساهم الفولكلور بدرجة كبيرة في التسلية الكردية • ويقول مينورسكي ان المواضيع الرئيسية للحكايات الكردية المستقاة من الفولكلور تمثل مواضيع مشتركة بين شعوب الشرق الادنى (وهي حكايات البطولة والجن والحكايات حول البلهاء) ، كما ويدور الكثير من تلك الحكايات الشعبية حول الحروب العشائرية^(٦٨) •

ولقد قسم احد الكتاب الاكراد الحكايات الفولكلورية الكردية الى اصناف معينة وهي حكايات الحب قصة مم وزين وستي وفخري وسيامهند وشاروبنخشي وهاموك ومتران ، وقصص الحرب مثل موديم وهسبري رشه وخانهي ليزيزين ، والحكايات الدينية مثل كانديري وبولوخيسو وجينج^(٦٩) • وتكشف الحكايات الفولكلورية الكردية عن اعجاب الكردي بالشجاعة وعن مزاجه العاطفي وعن ميوله الدينية •

اما الاغاني الكردية فتطوي على نفس المميزات المذكورة • وقد اشار الدكتور بدرخان الى شدة ولع الكردي بالاغاني فقال : (نحن نترجم عواطفنا الى اغاني • ويقوم نساؤنا بانشاد الاغاني فتنتقل من قرية الى اخرى بواسطة المنشدين • ولقد سجل تاريخنا النضالي بجميع مراحلها بالاغاني^(٧٠) •

وتكشف الاغاني الكردية ايضاً عن ولع شديد بالطبيعة ، ولا سيما بالاودية الخضر والقمم المكلمة بالثلوج والاشجار الضخمة والينابيع الجارية •

68. Minorisky, "The Incyclopaedia of Islam" P. 1154.

(٦٩) فتاح ، شاكور ، المصدر السابق ص ١١٠

70. Bedr-Khan, K., "Bulletin Mensuel de centre du Kurdes", P. 2.

كتب أخرى للمؤلف

الكتب الادبية :

- | | |
|--------------|---------------------------------|
| القاهرة ١٩٤٨ | صراع (مجموعة قصص) |
| القاهرة ١٩٥١ | عهد جديد (مجموعة قصص) |
| بغداد ١٩٥٩ | حياة قاسية (مجموعة قصص) |
| بيروت ١٩٦٧ | حكايات من بلدتنا (مجموعة قصص) |
| بغداد ١٩٦٢ | بيت الزوجية (مسرحية) |
| القاهرة ١٩٦٥ | الغريباء (مسرحية) |
| بيروت ١٩٦٦ | الشيء (مسرحية) |
| بيروت ١٩٦٦ | الحقد الاسود (قصة طويلة) |
| بغداد ١٩٥٤ | انطون كشيخوف (دراسة وترجمة) |

الكتب العلمية :

- | | |
|-----------------|-------------------------------------|
| بغداد ١٩٥٩ | الکرد والمسألة الكردية |
| بغداد ١٩٦١ | جغرافية العراق (مع آخرين) |
| الاسكندرية ١٩٦٤ | اعلام الجغرافية الحديثة (ترجمة) |
| الاسكندرية ١٩٦٤ | المدخل في دراسة الجغرافية (ترجمة) |
| بيروت ١٩٦٦ | الارتياح والكشف الجغرافي (ترجمة) |
| النجف ١٩٧١ | ابن بطوطة ورحلته |

كتب مهياة للطبع :

- سكان العراق الشمالي (دراسة في الجغرافية البشرية)
قرن من التطور الجغرافي [من عام ١٨٦٠ - ١٩٦٠] (ترجمة)
في الجغرافية العربية
دراسة لاضافات الجغرافية العربية الاسلامية الى التراث الجغرافي
الانساني .

٧٩٧ سنة الكائن الدولية



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٧٩٩ لسنة ١٩٧٢
تاريخ انتهاء الطبع ١-١١-١٩٧٢
عدد الطبع ٢٠٠٠ نسخة

الطبعة الاولى

سنة ١٩٧٢

THE KURDS

A GEOGRAPHICAL AND ANTHROPOLOGICAL STUDY

BY

SHAKIR KHESBAK, B. A., PH. D.

UNIVERSITY OF BAGHDAD

الثلثين يناير وربيع